مجالس في تفسير قوله تعالى

﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ﴾

للإمام الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي

(٧٧٧ - ٨٤٢)

رحمه الله تعالى

أخرجه عن أصل مؤلّفه ورتّبه وعلّق عليه

محمد عوامة

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة المكية

دار القبلة للثقافة الإسلامية
جدة

مَجَالِسُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى



الطَّبعَة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - هاتف وفاكس: ٦٥٥٣٨٣ - ص.ب: ١٤/٥١٣٦

دار القبلة للثقافة الإسلامية

المملكة العربية السعودية - جدة - ص.ب: ١٠٩٣٢ - الرمز: ٢١٤٤٣ - ت: ٦٦٥٢٤٠٦ / ٦٦٥٩٩٥١ / فاكس: ٦٦٥٩٤٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ذي الفضل العظيم، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين، الذي فتح الله به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً، وهدى به بعد الضلالة، وبصَّر به العَمَاية، وأرشد به بعد الغَواية. فصلوات الله تعالى وتسليماته وبركاته عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه ومحبيه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الله عز وجل أثنى على نبيه محمد ﷺ في كتابه بوجوه شتّى من الثناء والتعظيم، والتبجيل والتكريم، سواء أكان ذلك بياناً لما في ذاته الشريفة، أم بياناً لأثره في العالمين، في الدنيا أو في الآخرة.

وقد تفنَّن وتشرَّف علماء هذه الأمة ببيان ذلك، وكلٌّ طرق باباً أو أبواباً من هذا الحصن العظيم، وكلٌّ منهم وقف عاجزاً عن الإيفاء بالمراد.

وكان ممن تشرَّف بالكتابة عن سيدنا رسول الله ﷺ بكتب كثيرة الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكرٍ عبد الله القيسيُّ الدمشقي الشافعي، المعروف بابن ناصر الدين الدمشـقي، المولود سنة ٧٧٣ هـ، والمتوفَّى سنة ٨٤٢ هـ رحمه الله تعالى.

ومن أعماله العلمية في هذا الصدد: أنه اختار التفسير والشرح لقول الله عز وجل في سورة آل عمران ـ الآية ١٦٤: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. وذلك حين تولَّى مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق، ثم إنه جمع هذه المجالس في مجلدة لطيفة بقي منها هذا المجموع الذي أتشرف بإخراجه.

أما المصنِّف: فأكتفي ـ عن ترجمته ـ بالمقدمات التي كتبها الأستاذ الشيخ محمد نعيم العرقسوسي لـ «توضيح المشتبه» وبالمقدمة التي كتبها الأستاذ عبدرب النبي محمد لـ «الإعلام بما وقع في مشتبه النسبة من الأوهام»، والأستاذ محمد بن ناصر العَجْمي لـ «التنقيح في حديث التسبيح»، وعنده استقراء لشيوخ المصنف ومؤلفاته أكثر من غيره.

وسَبَق أن أخرج مكتبنا منذ ثلاث سنوات «مجلس في فضل يوم عرفة وما يتعلق به» للمصنف، ونقلنا في مقدمته ترجمته بقلم تلميذه الحافظ تقي الدين ابن فهد المكي رحمهما الله تعالى في «لحظ الألحاظ» ص ٣١٧ ـ ٣٢٢.

وأزيد هنا التنبيه إلى سَهْوة تقع لكثير من مترجميه أو ذاكريه، فيقولون مثلاً: قال ابن ناصر في «توضيح المشتبه»، فيقطعون اسمه عن الإضافة، وهذا لاينبغي، كما لاينبغي قطعها في اسم الإمام ابن دقيق العيد أيضاً، فلا يقال: قال ابن دقيق، ولاسيما في ابن ناصر الدين، فإن قطع الإضافة يوقع في إيهامِ أن المنقول عنه هو ابن ناصر السَّلامي المتوفى سنة ٥٥٠، أحد مشاهيرِ شيوخ ابن الجوزي، وذاك اسمه محمد بن ناصر السلامي، نسبة إلى دار السلام بغداد، لاأنه لقبٌ لأبيه.

وهذا غير قولهم: ابن الصلاح، وابن الهمام، بالتعريف.

أما دار الحديث الأشرفية: فهي من الآثار العلمية الخالدة إلى الآن التي بناها السلطان الأشرف موسى ابن الملك العادل محمد بن أيوب ابن شاذي، وأبوه محمد أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي (يوسف بن أيوب بن شاذي) رحمهم الله تعالى.

وكان الأشرف قد بنى مدرستين: المدرسة الأشرفية البرانية التي بسَفْح جبل قاسيون، وشَرَطها للحنابلة المقادسة، ودار الحديث الأشرفية هذه، التي تقع أواخر سوق الحميدية، فإذا دخلنا سوق ابن أبي عصرون كانت الدار على اليمين، وبعدها بقليل دار الحديث النورية التي

بناها نور الدين الشهيد للحافظ ابن عساكر رحمهما الله تعالى، ومقابلتها المدرسة العادلية الصغرى، ويقرب منها العادلية الكبرى، (مقرّ مجمع اللغة العربية سابقاً)، ويقابلها الظاهرية، وكلها قريبة من الجامع الأموي.

وكان بناء دار الحديث هذه من سنة ٦٢٨ ـ ٦٣٠، وافتتاحه لها يوم النصف من شعبان سنة ٦٣٠.

وكان لهذه الدار مجد عريق، وتاريخ عظيم، تعاقب على التدريس فيها أئمة عصرهم، وكان تولّي مشيختها شرفاً كبيراً لصاحبه، كما أنه دخلها كبار أئمة تلك العصور ممن قدِّر له دخول دمشق.

ومعلوم أن من سَنَن العلماء السابقين إذا ابتدؤوا التدريس في مدرسةٍ ما افتتحوا تدريسهم بآية كريمة جامعة، أو حديث شريف جامع، فيكون محور دروسهم، ولو طال ذلك سنوات !.

ولما ذكر المصنف مشيخة الإمام تقي الدين السبكي للأشرفية هذه قال ص٥٠ الآتية: «باشرها يوم الأربعاء سابع ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة.. وكان درسه في حديث أبي ذر من صحيح مسلم خمس عشرة سنة !» كأنه يريد حديث أبي ذر «ياعبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي..».

وهذا ماصنعه المصنف، افتتح تدريسه بهذه الآية الكريمة الجامعة.

ـ ومتى ابتدأ تدريسه فيها ؟.

ـ ومتى انتهى ؟.

ـ وكم مجلساً استغرق ؟.

١ ـ أما متى ابتدأ تدريسه: فجوابه أن ذلك كان بين الخامس عشر والعشرين من شعبان سنة ٨٣٦، ودليل ذلك أنه ذكر في المجلس الأول حضور الحافظ ابن حجر للمجلس ووصفه بقوله «حافظ الزمان قاضي

القضاة» وكان وصول الحافظ لدمشق في هذه الرحلة الثانية في الخامس عشر من شعبان سنة ٨٣٦، وبقي فيها إلى العشرين منه[1].

وهذا واضح لا توقف فيه، فقول ابن فهد رحمه الله في «لحظ الألحاظ» ص ٢١٩: «ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق في أوائل سنة سبع وثلاثين وثمان مئة» في محل النظر!.

٢ ـ أما متى انتهى من إملاء هذه المجالس؟.

فلم أقف على ما يسعف في الجواب.

٣ ـ وكم مجلساً استغرق في تفسير هذه الآية؟: فكذلك لا شيء عندي، لكنه قال ص ٧٣ الآتية: «الكلام على هؤلاء الآيات الشريفات من واحد وخمسين وجهاً من المعاني المنوَّعات..» وسردها، فلو أنه قدِّر له استيعاب الكلام عليها كلها، وكان له في الأسبوع مجلس واحد، لاستغرق ذلك معه سنة واحدة.

والمجالس التي أمامي التامة والناقصة عددها يزيد على نصف العدد المذكور قليلاً، وفيها تكرار كثير.

ـ فهل استوعب الكلامَ على الواحد والخمسين وجهاً وفُقِد الباقي؟ إذْ فُقدان شيء منها محقَّق، كما تجد التنبيه إليه ص ٣٩٣.

ـ ومقتضى هذا التكرار الكثير أن يكون عدد المجالس قد زاد على عدد الوجوه، فهل هو كذلك؟.

والظاهر لي أن ابن ناصر الدين استمر في مشيخة الدار إلى حين وفاته، وأستظهر من هذا ومن السؤال الذي قبله: أنه انتقل عن الحديث عن هذه الآية إلى أمور أخرى، ولم يستمر في الحديث عنها والتفسير لها إلى آخر أيام مشيخته، كما حصل للتقي السبكي. والله أعلم.

---

(١) «الجواهر والدرر» ١: ١٢٠. وانظر الصفحة ٣٩٥ الآتية.

أما هذه المجالس: فإن المصنف رحمه الله اختار هذه الآية الجامعة لكليات الإيمان، و اختياره لها أذكرني أولَ ما رأيت مخطوطة الكتاب بالمجالس العامرة بالإيمان والعلم والروح، من مجالسِ شيخنا العلامة القدوة الرباني المتكلم المفسِّر المحدث سيدي الشيخ عبد الله سراج الدين حفظه الله تعالى بخير وعافية، مجالِسه حول هذه الآية في الجامع الكبير بمحلة بانقوسا بحلب، بعد عصر كل يوم جمعة، والتي دامت سنوات، وهو يتكلم فيها عن مواقف النبي ﷺ الثلاثة: يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

ولما تذكرت هذه المجالس برؤية مخطوطة الكتاب، بادرت إلى تصوير نسخة عنها وتقديمها هدية إليه، والآن أتقدم بإهداء خدمتي للكتاب إلى سماحته راجياً قبولها ورضاه.

ثم إنه انتقل بعد تلك المجالس إلى الكلام عن قوله تعالى: ﴿البينةُ * رسول من الله يتلو صحفاً مطهَّرة﴾. وقد استغرق في ذلك سنوات أيضاً، وهو يتكلم على كون سيدنا رسول الله ﷺ بيِّنةَ الله العظمى وحجتَه على خلقه، ومبيِّناً عن الله عز وجل شرعَه ودينَه. وهذه المجالس وتلك جميعها محفوظ لديه، لا تحتاج طباعتها إلاّ إلى تنقيح يسير.

وكان كل من يحضر تلك المجالس ـ من العلماء وغيرهم ـ يشهد أنها مجالسُ تنقل صاحبها إلى رَوْحٍ وريحانٍ من روح الجنة وريحانها. والحمد لله رب العالمين.

ومع هذا فإن شيخنا أطال الله في عمره لا يرى أن ما يتكلم به يصلح أن يسمى تفسيراً لكتاب الله عز وجل، فشأن تفسير كتاب الله أجلُّ عنده من هذا، كما هو واضح من كتبه التي طبعها وتكلم فيها عن سورة الفاتحة، والحجرات، و(ق)، وغيرها مما يتلوها، فإنه سمى كلاًّ منها: حول تفسير سورة كذا، وما رضي أن يسمي كتابه: تفسير سورة كذا.

* * *

هذا، وقد تفنَّن المصنف رحمه الله في الكلام على الآية الكريمة من علوم عديدة:

فمن علوم القرآن: تحدث عن أسباب نزولها بما لم يذكره علماء أسباب النزول، وعدد الآي، والأشباه والنظائر، والمتشابه باللفظ، والتفسير والتأويل، والإعجاز، والرد على القائلين بالصَّرْفة...

ومن جانب علم الكلام: تكلم عن المتشابهات بالمعنى، وهل يُعَلِّق المؤمن إيمانه على المشيئة؟ وهل يُشترط فيمن يدخل الإسلام أن يتبرأ من غيره؟ وبيان ما تدل عليه الآية من صفات الله عز وجل...

ومن جانب علم الأصول: تكلم عن المطلق والمقيد، والعام والخاص، والدلالات، وكرر القول بأن (الحكمة) هي السنة النبوية.

ومن جانب علوم اللغة العربية: تناول الكلام على مفردات الآية كلمةً كلمةً: «مَنَّ» ومعانيها، ولفظ الجلالة هل هو مشتق أَوْ لا؟ و: المؤمن، و: بعث، و: النفْس. وهل هي والروح شيء واحد؟ وهكذا...

وكانت للمصنف وقَفَات لغوية جيدة، وفاته وقَفَات سواها، أَعرِض لكلمة واحدة منها.

كرر المصنف القول بأن معنى (منَّ): أحسن وأنعم، ونحو ذلك، ولم يقيِّد هذا المعنى المراد بدقة، ومن الضروري لدارس القرآن الكريم خاصة، والحديث الشريف: البحثُ عن المعنى الأصلي الدقيق للكلمة حتى يقف على المراد بوضوح وجِلاء.

وقد تَعرِض لقارىء القرآن الكريم مشكلاتٌ إيمانية لا تزول إلاّ بالرجوع إلى المعنى الدقيق لما أُسمّيه بـ(الكلمة القرآنية)، ولولا الشرودُ عما أنا بصدده لذكرت أمثلة على ذلك، وحسبي هذا التنبيه العابر.

قال الإمام الحكيم المفسِّر اللغوي الدقيق الراغب الأصفهاني

رحمه الله في كتابه «مفردات القرآن» ـ وهو أول الكتب المساعدة على مانبَّهت إليه ـ: «المنة: النعمة الثقيلة، ويقال ذلك على وجهين، أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منَّ فلان على فلان، إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين﴾.. وذلك على الحقيقة لايكون إلا لله تعالى.

والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبَح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة».

فالمنُّ: النعمة الثقيلة العظيمة، لامطلق نعمة، وقد جاء في القرآن كثيراً استعمال كلمة (نعمة) ومشتقاتها، فالعدول عنها إلى كلمة (منَّ) لاشك أنه لمراد خاص.

ولو تتبَّعنا ورودها في القرآن الكريم منسوبة إلى الله عز وجل لرأيناها لاتذكر إلا في مقام هداية الله عبادَه المؤمنين إلى الإيمان، أو ابتعاثِ المذكور وجعله نبياً ورسولاً، أو بعثةِ محمد ﷺ في المؤمنين، أو مايتعلق بنتائج الإيمان وعواقب المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿يمنُّون عليك أنْ أسلموا، قل لاتمنُّوا عليَّ إسلامكم، بل الله يمنُّ عليكم أنْ هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾.

وقال: ﴿ولقد مننَّا على موسى وهارون﴾ وقال على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام وأخيه: ﴿أنا يوسف وهذا أخي، قد منَّ الله علينا﴾.

وقال: ﴿ونريدُ أن نمنَّ على الذين استُضْعِفوا في الأرض ونجعلَهم أئمة ونجعلَهم الوارثين﴾.

وقال: ﴿فمنَّ الله علينا ووقانا عذابَ السموم﴾.

فما ذكر الله تعالى المنَّ إلا في مثل هذه المقامات العظيمة الشأن، ومن ذلك قوله ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من

أنفسهم..﴾. فهذه المنَّة من بابةِ ﴿بلِ الله يمنُّ عليكم أنْ هداكم للإيمان﴾ و ﴿فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾. لأن في منةِ بَعْثه محمداً ﷺ نجاةً لهم من كل هَلَكة في الدنيا والآخرة، ورفعةً لهم في الدنيا والآخرة لو تمسَّكوا بما جاءهم به عليه الصلاة والسلام.

وقول موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون، الذي جاء في سورة الشعراء يشير إلى الفرق بين الكلمتين: ﴿وتلك نعمة تمنُّها عليَّ أنْ عبَّدت بني إسرائيل﴾. وقال تعالى في آخر سورة الليل عن سيدنا الصديق رضي الله عنه: ﴿ومالأحد عنده من نعمة تُجزى﴾ فأراد أن النعمة مطلق الفضل: عظيماً أو صغيراً، أما المنة فللنعمة العظيمة والفضل الجسيم.

وهكذا ينبغي الوقوفُ دائماً عند (الكلمات القرآنية) والبحثُ عن معناها الدقيق في لغة العرب، ليمكن الوقوف على شيء من دقائق القرآن الكريم.

وكان حظُّ العلوم الحديثية في هذه المجالس وفيراً، فإنه أتى بتنبيهات لطيفة نادرة، منها: تنبيهه إلى مثال جديد على رواية الأكابر عن الأصاغر، وهو روايته ﷺ عن مجزِّز المُدْلِجي، ونبَّه إلى نوعين طريفين من أنواع علوم الحديث يحسن إفرادهما بالدراسة، ولم يُسبق إليهما، أولهما: سماه «الأنباء المسيَّرة في الأسماء المغيَّرة» كعبدالله بن عمرو ابن العاص، كان اسمه العاص، فسماه رسول الله ﷺ عبدالله. وانظر «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» (١٨٤١ ـ ١٨٤٦) وغيره من المصادر.

ثانيهما: «معرفة من له نَسَب، يستقيم إذا انقلب»، كمن اسمه: أحمد بن محمد بن أحمد، فإنه يقرأ طرداً وعكساً.

ومن فوائده الحديثية النادرة: ذكره بإسهاب للصحابة الرواة لحديث «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» فإنه أربى بتعدادهم على من أدخل الحديث في المتواتر.

ومن فوائده كذلك: روايتُه حديثَ الرحمة المسلسل بالأولية ـ «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» ـ مراتٍ عديدة بلغت خمس عشرة مرة، وهو يتفنَّن في إيرادها. يتفنَّن في وجه إدخال الحديث على موضوعه الذي يتحدث به عن الآية الكريمة.

ويتفنن في الدخول عليه من شيخ إلى آخر.

ومرةً مسلسلاً إلى سفيان بن عيينة ـ على الوجه الصحيح ـ ومرة إلى من فوقه، ثم إلى من فوقه...

وأحياناً ينبه إلى شواهده، وقد يذكر طُرْفة من طُرَفه، كقصة الكُدَيمي في البستان.

ويطيل الوقوف عند كنية أبي قابوس، ومعنى (قابوس)، ومن تكنى بهذه الكنية.

ويكرر ترجمة سفيان بن عيينة، والقول في تدليسه، وترجمة عمرو بن دينار، ومن اتفق معه في الاسم وافترق في المسمى (المتفق والمفترق). ودخل على المؤتلِف والمختلِف في: الزِّيادي والزَّبَادي، والفَراوي والقَراوي.. وهكذا.

إلى غير ذلك مما يجده القارىء ـ أو الناظر في فهرسه ـ.

كما أطال الكلام على معانيه، ولوَّن هذا التكرار بأساليبَ مختلفة، وقد يكون تكرار بغير جِدَّة، كما حصل له في كلامه أحياناً على اسميْ: الرحمن والرحيم[١].

وإن إمعان المصنف رحمه الله في هذا الحديث وما في معناه ـ بل في

(١) وانظر لزاماً كلام شيخنا فضيلة الشيخ عبد الله سراج الدين في تفسيره للفاتحة ص ٢٢ - ٢٨.

إفراده بالإملاء، وقد طُبع ـ يدل على شَفَافِيَة روحه، ورقَّة شمائله، وسماحة أخلاقه، وحبِّه إشاعةَ الرحمة بين العباد، لتكون سبباً في رحمة الله تعالى لهم. وما أحوج المسلمين اليوم ـ وكل يوم ـ إلى هذا الخُلُق الكريم!.

وهذا ما يجعلني أقف عند ثلاث نقاط تتعلَّق به.

ـ أولاها: قصد العلماء من افتتاحِ لقائهم مع تلامذتهم وشيوخهم به.

ـ ثانيتها: بعض المؤلفات المفردة به.

ـ ثالثتها: كلمة متممة لمعناه.

١ ـ إن الناظر في تراجم المحدثين يرى اهتماماً عجيباً منهم بهذا الحديث، يحرصون على سماعه من الشيخ في أول لقاء به، كما أن بعض الشيوخ يحرصون على أن يكون هذا الحديث أولَ حديث يتلفظون به في هذا المجلس إذا رأوا فيه طلاباً أو رحالة طارئين، لئلا يفوِّتوا عليهم الأولية.

حتى إن من حرصهم على تحصيل الأولية به أوجدوا مخرجاً لمن لم يكن له أولية به، فيقولون مثلاً: أولية إضافية، وذلك إذا كان قد سمع التلميذ من الشيخ أحاديثَ سابقةً عليه، فيجعلون هذا الحديث أول هذا المجلس، ويسمون سماعه الآن: أولية إضافية (غير حقيقية).

وقد بيَّن السيد عبدالحي الكتاني رحمه الله في أوائل كتابه «فهرس الفهارس» ١: ٩٣ قصدهم من افتتاح لقاءاتهم به فقال: هذا الحديث «تداولته الأمة، واعتنى به أهل الصناعة، فقدموه في الرواية على غيره ليتم لهم بذلك التسلسلُ، كما فعلنا، وليقتديَ به طالب العلم فيعلَم أن مبنى العلم على التراحم والتوادد والتواصل، لاعلى التدابر والتقاطع، فإذا شبَّ الطالب على ذلك شبَّ معه نُعَرة التعارف والتراحم، فيشتدّ ساعده بذلك، فلا يشب إلا وقد تخلَّق بالرحمة، وعرَّف غيره بفوائدها

ونتائجها، فيتأدبُ الثاني بأدب الأول، وعلى الله في الإخلاص والقبول المعوَّل».

٢ ـ وكان من نتائج هذا الحرص أنْ أفرده كثير من المحدثين بالتأليف، يذكر فيه شيوخه الذين سمعه منهم بالأولية، وقد يذكر شواهد له من الأحاديث الواردة بمعناه في الحض على الرحمة والتراحم، وقد يتكلم عليه كلاماً عاماً من مختلِف الفنون، وقد يستجيزه رجل من أهل الفضل والعلم فيفرد إجازته به بمؤلَّف.

وقد سَرَد السيد الكتاني عقب كلامه السابق جملة وافرة من الأجزاء المفردة لهذا الحديث، أنقل كلامه ثم أزيد ماوقفت عليه.

قال رحمه الله: «أفرد هذا الحديثَ بالتأليف لأهميته جماعة من المحدثين، كابن الصلاح، وهو عندي في كراسين، ومنصور بن سُليم الرازي، وأبي القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي، والحافظ السِّلَفي، والذهبي له «العذب السلسل في الحديث المسلسل»، والتقي السبكي، وابن ناصر (الدين) الدمشقي، والسراج ابن الملقِّن، والحافظ العراقي، وولده أبي زرعة، وأبي الفتح اللَّخْمي له «العقد المفصَّل في الحديث المسلسل»، والحافظ ابن الأبار التونسي له «المورد السلسل في حديث الرحمة المسلسل»، وأبي البقاء خالد البَلَوي صاحب «تاج المَفْرِق» له فيه مجموع كبير، والحافظ مرتضى الزَّبيدي، له فيه أربعة مؤلفات، والشمس الجوهري المصري، وهو عندي، والشيخ عطاء المكي، وغيرهم. ولنا فيه عدة رسائل بسطنا فيها القول في طرقه ورواياته ومعناه ولطائفه، كتبناها في الأوائل».

فهؤلاء سبعة عشر عالماً، تزيد مؤلفاتهم على العشرين. لكن: منصور بن سليم الرازي لم أقف له على ذكر، وأخشى أن يكون حصل فيه سبق ذهن من منصور بن سليم الإسكندراني (ابن العمادية) المتوفى سنة ٦٧٣، صاحب «تاريخ الإسكندرية» و «معجم الشيوخ». والله أعلم.

وجزء أبي القاسم السمرقندي في ورقتين، وقفت عليه، يرويه عنه ابن طَبَرزد، وهو في المحمودية بالمدينة المنورة.

وأما مؤلفات الزبيدي: فذكرها الكتاني نفسه ١ : ٥٧٣ وهي «المِرْقاة العلية في شرح الحديث المسلسل بالأولية. والمواهب الجلية فيما يتعلق بحديث الأولية. والعروس المَجْليّة في طرق حديث الأولية. والهدية المرتضية في المسلسل بالأولية».

وفي دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٧٨ إجازة من السيد الزبيدي لمحمد بن يوسف الفرقي الزكي أواخر سنة ١١٩٥ بهذا الحديث. انظر فهرس الدار لكتب المصطلح ص ١٣٦ الجدول الأيسر.

ومن مؤلفات السيد الكتاني المتعلقة بالحديث المذكور: «ارتقاء الهمم العلية إلى ما علِق بالبال على حديث الأولية».

ويزاد على ما تقدم: جزء، وقفت عليه، في ورقتين ـ سوى سماعاته الكثيرة ـ للجمال المرشدي المكي الحنفي (٧٧٠ ـ ٨٣٠)، وهو في المحمودية أيضاً.

و«المسالك العلمية للحديث المسلسل بالأولية» للقطب الخَيْضري المتوفَّى سنة ٨٩٤، منه نسخة في دار الكتب المصرية (١٠٠٢ الزكية).

ولهبة الله التاجي المتوفى سنة ١٢٢٤ هـ «مزيد النعمة في حديث الرحمة» نقل عنه العلامة الكوثري في أول ثَبَته «التحرير الوجيز». وفي ترجمة التاجي في كتاب «علماء دمشق وأعيانها» ١ : ٢١٩ أنه «شرح على حديث الأولية بما يحتمل من العلوم».

ولشيخ شيوخنا محمد حبيب الله الشنقيطي صاحب «زاد المسلم» المتوفى سنة ١٣٦٣ رحمه الله جزء فيه طبعه بمصر.

ولعصرينا فضيلة العلامة الصالح الشيخ عبد الله اللَّحْجي الحضرمي المكي رحمه الله تعالى: «إعانة رب البرية على جمع تراجم رجال الحديث

المسلسل بالأولية» ترجم فيه رجال إسناد شيخنا العلامة الكبير الشيخ حسن المشاط رحمه الله، بهذا الحديث، وطبعه مع ثَبَت شيخنا «الإرشاد بذكر بعض مالي من الإجازة والإسناد»، فجاء ذلك من صفحة ١٧ـ٥٥ .

هذا، وفي العلماء الذين ذكرهم السيد الكتاني رجال متقدمون في الزمن، لكن أقدم من أفرده بالتأليف ـ حسبما وقفت عليه ـ هو الإمام الحافظ المكثر أبو بكر ابن أبي الدنيا المتوفَّى سنة ٢٨١ رحمه الله، ففي دار الكتب المصرية جزء له في ورقتين تحت رقم (٧٨١ مجاميع) من خطوط القرن السادس.

وغير هذا كثير وكثير، وهذا سوى من تكلم عليه ضمن مؤلفاته عامة، وضمن مسلسلاته خاصة، ومحاولة حصر ذلك محاولة للمحال.

٣ ـ إن الكتابة عن الرحمة: معناها، وأهميتها، ومجالاتها، وآثارها، تستأهل أن تفرد بالكتابة، لكني أكتفي بما يتفق مع الحال التي أنا فيها، فأقول:

أدرك سلفنا حاجة الأمة إلى رحمة الله عز وجل لهم في الدنيا قبل الآخرة، فسلكوا أقرب طريق لحصولهم عليها، وذلك كما علَّمهم رسولهم الرؤوف الرحيم بهم، ﷺ، وهو: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، «ارحموا ترحموا»، «من لايَرحم لايُرحم» وأمثال ذلك.

ولما افتتح الذهبي «معجمه الكبير» بحديث الرحمة وساقه من طُرق عديدة ختمها بقوله ص ٢٣ ـ ٢٤: «وقد قال النبي ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» و «إنما» من صِيَغ الحصر، وأخرج منه قوله عليه السلام: «من لايَرحم لايُرحم» وقال: «لاتُنزع الرحمة إلا من شقيّ» وقال لرجل: «والشاة إذا رحمتَها رحمك الله»[1].

---

(١) الحديث الأول والثاني من هذه الأربعة: متفق عليهما. والثالث: رواه أبو =

وقد قال الله تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾، وقال تعالى: ﴿وهو أرحم الراحمين﴾.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: سبقتْ رحمتي غضبي»[١].

وباب الرحمة باب واسع لمن تدبَّره، وحسبك أن الرحمة ينبغي للمسلم تعاهدها، فقد قال النبي ﷺ: «إذا قتلتم فأَحسِنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْح، وَلْيُحِدَّ أحدُكم شفرته، ولْيُرِحْ ذبيحته»[٢].

وكذلك في السنن فيمن قتل سامَّ أبرص في أول ضربة فله ثلاثون حسنة، ومن قتله في ثاني ضربة فله عشرون حسنة، ومن قتله في الثالثة فله عشر حسنات[٣] فإنّ قتله بضربة واحدة أروحُ له من التعذيب بثلاث ضربات[٤].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه»[٥].

= داود (٤٩٤٢) والترمذي (١٩٢٣) وقال: حسن - وفي بعض النسخ: حسن صحيح، كما في «الترغيب والترهيب» ٣: ٢٠٣ - والحاكم ٤: ٢٨٤ وصححه ووافقه الذهبي. والحديث الرابع: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٧٣)، وأحمد ٣: ٤٣٦، وقال الهيثمي في «المجمع» ٤: ٣٣: «له ألفاظ كثيرة، ورجاله ثقات».

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) لم أجده بهذا العدد، وإنما هو في صحيح مسلم ٤: ١٧٥٨ (١٤٦) وأبي داود (٥٢٦٣) والترمذي (١٤٨٢) وابن ماجه (٣٢٢٩) بلفظ الكناية العددية: كذا وكذا، في الأحوال الثلاثة. وبرقم (١٤٧) في صحيح مسلم: مئة حسنة في الضربة الأولى، ودونها في الثانية، ودون الثانية في الضربة الثالثة. وفي رواية ثالثة له ولأبي داود: سبعين حسنة في المرة الأولى فقط.

(٤) هذه لفتة جديدة في فهم الحديث من الإمام الذهبي رحمه الله، على خلاف توجّه شُرّاح «صحيح مسلم» كالنووي ١٤: ٢٣٦، والأُبّي ومن معه ٦: ٥٤.

(٥) رواه مسلم ٤: ٢٠١٦ (١١٢).

ومن رحمتنا بالسارق إذا قُطع أن تُحسَم يده بالزيت المَغْليّ لئلا ينزف دمه فيتلف، وأن نَستتيبه، وكذا من وجب عليه القتل نحضُّه على التوبة، وأن يصلي ركعتين، رحمة به[١].

فمن الرحمة بعباده إقامة الحدود عليهم، فالفقيه من جاهد في سبيل الله، وأقام حدود الله، مع الرحمة بخلق الله، ولا حول ولاقوة إلا بالله» انتهى.

وإذا كنتَ برحمتك لأخيك تستدرُّ رحمته لك، وهكذا بين آخر وآخر، حتى يشيع ذلك بين المسلمين جميعهم، فمن أول مراحل التراحم كفُّ المسلم أذاه عن أخيه المسلم.

وكل واحد منا يحاول أن يسوِّغ إيذاءه لأخيه المسلم بأنه يقول كذا، ويفعل كذا، ويعتقد كذا، لكنها مسوِّغات من تسويلات الشياطين، اللهم إلا إذا كان ذلك مما يخرجه عن الملة باتفاق، فنعم وبالمقدار الذي يَسمح به الإسلام! أما إذا كان أمره على غير ذلك فبمَ يستحلُّ عرضه وحرمته؟! وعلى المسلم العاقل أن يتغلب على هذه الوساوس.

وإذا كان لكل مسلم حرمة عند الله ـ مهما كان شأنه وضعف استقامته ـ فواجب كل مسلم آخر أن يحترم هذه الحرمة، لأن الله عز وجل يغار لها، ويكرم صاحبها، بدليل أنه لن يخلِّده في النار يوم القيامة، بل سيحيل مآله إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وهذا المسلم ـ لو كان آخر أهل الجنة خروجاً من النار ـ له نصيب في جنة الله بقدر الدنيا وعشرة أمثالها[٢] فما بال من يرى نفسه أنه من خاصة أهل الإيمان هو أشدُّ الناس اقتحاماً لهذه الحرمات!! وقد صح عن النبي ﷺ قوله:

---

(١) وقَطْعنا ليده ورقبته من الرحمة بالآخرين ليسلموا على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم.

(٢) رواه مسلم أيضاً ١: ١٧٣ (٣٠٨).

«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١].

والحديث الذي نحن بصدده يقول فيه عليه الصلاة والسلام: «ارحموا من في الأرض» و «مَن» مِن صيغ العموم، فعمت المسلم والكافر، كما يدخل تحتها من باب التغليب العاقل وغير العاقل ، كالبهائم، وهذا مافهمه الإمام البخاري رحمه الله فإنه قال في «الأدب المفرد» ص١٣٦: «باب ارحم من في الأرض» وذكر تحته قول عمر رضي الله عنه: «لايُرحم من لايَرحم، ولايُغفر لمن لايَغفر. .» ثم أعقبه بحديث معاوية ابن قرة بن إياس، عن أبيه: «والشاةُ إن رحمتَها رحمك الله» وتقدم تخريجه قريباً. وبوَّب في «صحيحه» ١٠: ٤٣٧: «باب رحمة الناس والبهائم» وذكر عدة أحاديث.

* * *

أما الأصل المعتمد عليه في إخراج الكتاب: فهو محفوظ برقم (١١٤٢) بمكتبة الأسد (حالياً) بدمشق، دار الكتب الظاهرية (سابقاً) ـ وكان قبلُ في المدرسة العُمَرية ـ وهو بخط المصنف، ومكتوب على وجه الورقة الأولى منه بخط غير المصنف، وهو كاتب غيرُ متقِن: «هذه الكراريس من بعض تداريس الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام والمسلمين بركة الحفاظ والمحدثين ناصر الدين (كذا، خطأ) المحدث بمدرسةِ الأشرفيةِ (كذا) المعروفة بدار الحديث».

وعلى اليسار بخط آخر: «من كتب محمد بن طولون» وتحته بخط كبير مغاير: «وقف الشيخ شمس الدين بن طولون» وفي الأسفل «عمرية» أي من كتب المدرسة العمرية التي كانت بصالحية دمشق، المنسوبة

(١) رواه البخاري (١٠) ومسلم (٦٥) من حديث عبدالله بن عمرو.

للشيخ الإمام أبي عمر المقدسي رحمه الله تعالى.

لكن على وجه الورقة ٩ بقلم المصنف: «المجلس الأول من التدريس بدار الحديث الأشرفية، وهو أول يوم درست بها، ولله الحمد». فمن هنا أخذت تسمية الكتاب بما تراه.

وعن هذا الأصل صورة محفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (١٦١٠) وعدد أوراقها (١٧١) ورقة، في كل صفحة ستة عشر سطراً، وفي كل سطر نحو ثلاث عشرة كلمة بقلم واضح إلى الكبر أقرب، وعلى كثير من صفحاته حواشٍ وإلحاقاتٌ بقلمه، وقد تكثر في بعض الأحيان.

وهي مجالس مشوَّشة غير مرتبة، وعددٌ من مجالسها غير تام، وأوراقها غايةٌ في الاضطراب والخلل.

وبما أن النسخة التي أمامي صورة، فإن بعض الكلمات التي جاءت في الحاشية الداخلية قد لاتظهر أبداً، فأنبه إليه، وقد يظهر بعض حروفها مما يساعد على تلمُّس باقي الكلمة.

وعادة المصنف أول كل مجلس أن يفتتحه بالآية الكريمة، ثم يتكلم عليها من الجانب الذي يريده، ويختمه بأشعار على عادة أهل الإملاء ـ وإن كان هو هنا بالنظم أشبه، لابشعر العلماء ولا بشعر الشعراء ـ وجلُّ المجالس الموجودة هكذا، إلا أن بعضها قد فُقِد أوله، وبعضها فُقد آخره، وبعضها فقد أوله وآخره، فكان عملي أني رتبت المجالس الكاملة، ثم أتبعتها بالمجالس الموجود أولها، ثم بما فقد آخره، ثم بما فقد أوله وآخره. لكن هذا ترتيب جُملي.

إنما الأمر الذي اهتممت به أكثر وأكثر: ملاحظة الموضوعات، على أن لاتختلف مع ترقيم المصنف لمرات تكراره حديث الرحمة المسلسل بالأولية، فإنه أسعفني كثيراً في ترتيب المجالس، وذلك أنه يقول مثلاً: ومن ذلك حديث الرحمة الذي ذكرناه من طريقين مسنَدين، وهذا

ثالثها، فلا بدَّ حينئذ من تـأخير المجلس الذي فيه الطريق الثالثة على مافيه الأوَّلَيْن.

ومع ذلك فقد لقيتُ عَنَتاً في ترتيبها ـ لاسيما في القسم الأخير ـ وفي إحالة كلامه: بعضه على بعض، وفي حرصي على أن لايتكرر كلامي في التعليق عليه.

ثم إن المجلس الذي فُقد أوله: إن كان الموجود منه كثيراً أو متوسطاً: أفردته، وقد أُضيف في أوله المقدمة المعتادة للمصنف: البسملة والآية الكريمة، وأنبه إليه.

وإن كان الموجود قليلاً لايستأهل الإفراد: ألحقته بموضع يناسبه في أحد المجالس.

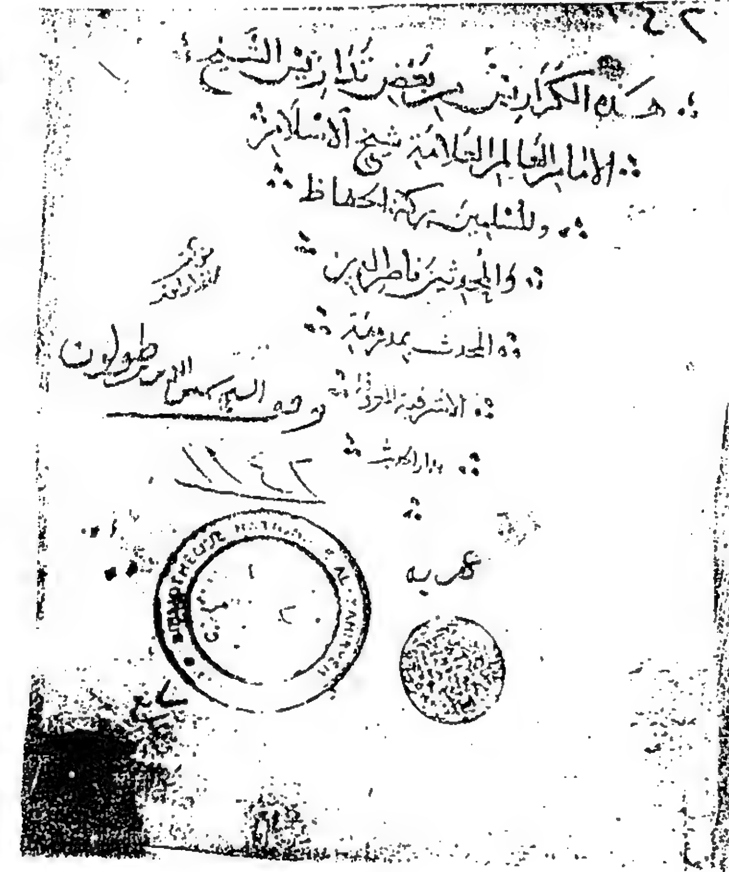
ويذكر أحياناً قليلة في آخر المجلس فائدة، فإن كانت مناسبة للمجلس ألحقتها به، وما لم يكن منها مناسباً للمجلس جمعته آخر الكتاب، حرصاً مني على أن لاأُفوِّت على القارىء فائدة يمكنني إيصالها إليه. والله الموفق.

هذا، وأسأل الله الكريم أن يتفضل عليَّ بالإخلاص والتوفيق لما يرضيه، وأن يتقبل مني عملي على مافيه من تقصير، وأن يغفر لي ولوالدي ولمشايخي، وأن يزيل الهم والكرب عنا وعن سائر المسلمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

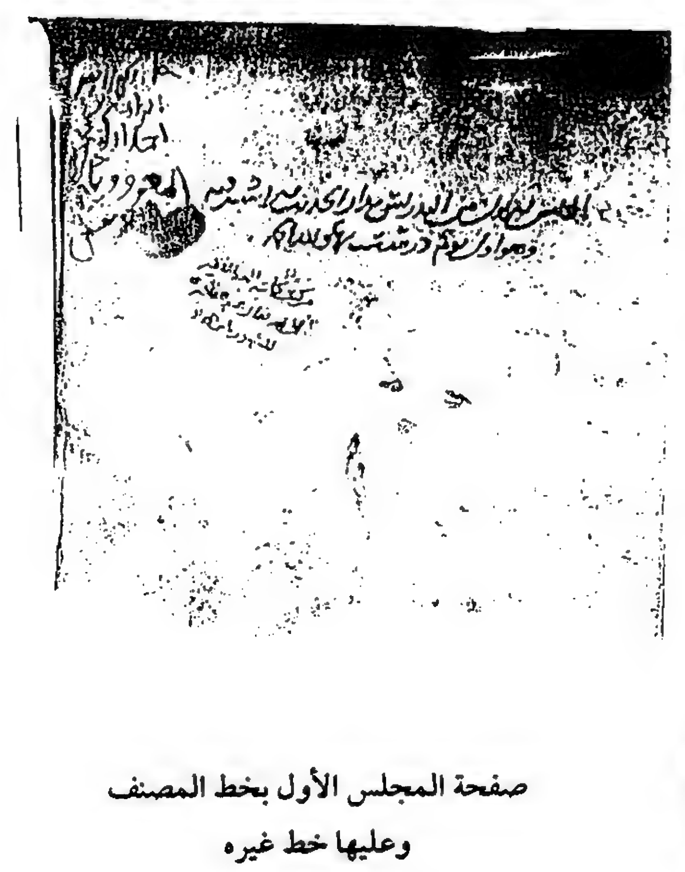
والحمد لله رب العالمين. وكتـبه

المدينة المنورة ٢٧/ ٢/ ١٤١٦ محمد عوامة

* * *



صفحة العنوان بغير خطّ المصنف



صفحة المجلس الأول بخط المصنف
وعليها خط غيره

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الورقة الأولى بخط المصنف

صفحة بخط المصنف وعليها إلحاقات منه

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

- ١ -

الحمد لله الذي افتتح أولاً كتابه بعد ذكر اسمه بتحميده، وأوضح من العلم أبوابه لمن ارتضاه من عبيده، وضاعف بِرَّه وثوابه لمن قام بخدمته مخلصاً في توحيده، عمَّ العالمين بِراً ورحمة، وأتم على المؤمنين من هذه الأمة النعمة، وامتنَّ عليهم بما ساقه إليهم تفضيلاً ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياتِه، ويزكِّيهم، ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾.

فلا منةَ أعظمُ على العُبَّاد، ولانعمةَ أبسطُ على العِباد والبلاد، من بعثة نبينا محمد ﷺ نبيِّ الرحمة والرشاد، الذي أَتى بالقرآن المعظَّم والسنة الشريفة، وأُوتيَ جوامعَ الكَلِم وبدائع الحِكَم اللطيفة، وخُصَّ بخصائصَ عظيمة ومفاخرَ عجيبة طريفة، منها: ثناء الله سبحانه على كلامه، وماسنَّه لأمته من أحكامه، وما بيَّنه من خاصِّ القول وعامّه، مجملاً ومشروحاً، فقال تعالى: ﴿ومايَنطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾.

فنحمد الله على مايسر من المنة والهداية، ونشكره على مانشر من السنة واتصالها إلينا بالرواية، ونسأله فوزاً بالجنة، ووقاية من النار وحماية.

ونشهد أن لاإله إلا الله، وحده لاشريك له، جلّ عظمةً وسلطاناً، وعزّ قدرةً وتعاظَمَ شاناً، وتبارك رحيماً وتعالى رحماناً، تقدس عن الضِدِّ والنِدِّ والكُفْءِ والسنَد، وتنَزَّه عن الشبيه والنظير والصاحبة

---

(١) كتب المؤلف رحمه الله تعالى على الورقة الأولى: المجلس الأول من التدريس بدار الحديث الأشرفية، وهو أول يوم درَّست بها ولله الحمد.

والوالد والولد ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه، صاحب السنة الغراء والشريعة الطاهرة، الشفيع في الخلائق إذا جُمعوا بالساهرة، سيدُ الناس ومولاهم في الدنيا والآخرة، صلى الله عليه أشرفَ صلواتِه الزكية، وعلى آله ذوي الخلائق الرضية، وأصحابِه أُولي الطرائق العلية، وتابعي سنته، ومقتفي طريقته المرضية، ما أُمليت فنون السنة انتفاعاً، وشُرِحت دروس علومها قراءة وسماعاً، وسلّم تسليماً.

ونسأل الله الكريم، البرَّ الرحيم، ذا الجود والكرم والإحسان، الذي هو بعباده ألطفُ من آبائهم بهم وأرأفُ، أن يديم النصر والتأييد، والبقاء والعزَّ لمولانا السلطان الملك الأشرف، وأن يعزَّ بتأييده ونصره دولته ورجاله، وخاصةً المَقَرَّ الأشرفَ الزَّيْنيَّ أسبغ الله ظلاله:

وكم له من يدٍ بيضاءَ باسطةٍ وسَبْقُها قد غدا بالجود معروفاً
فالباسط الله مولاه لذا بُسِطت منه الأيادي، فعمَّ الناسَ معروفاً

ورضي الله تعالى عن أئمة الإسلام، وخصوصاً عن الأربعة الأعلام، الذين منهم إمامنا القرشي المطلبي النفيس، أبو عبدالله الشافعي محمد ابن إدريس، وعمن سلف من العلماء، وخلف من الأئمة النبلاء، اللهم وارضَ عن ساداتنا شيوخ الإسلام الحاضرين، وخاصة عن مولانا وشيخنا شيخ الإسلام، وبركة المسلمين أبي الفضل شهاب الدين[1]:

إنْ قيل من يُرْتَجى جوداً وتَفْضِلةً قال: المفيد لفضلٍ كلَّ من وفدا
قاضي القضاة إمامُ العصر حافظُه فردُ الزمان الذي في فضله انفردا
إذا أردتَ نظيراً في تبحُّره علماً وفضلاً وجوداً لم تجدْ أحداً

---

(١) يريد الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى.

لاتنكروا جوده كالماء منسجماً   فالماء من حجر يحيى به أبداً

أسبغ الله ظِلالَه، وبلَّغه في خيرِ آمالَه، ورضي الله عن ساداتنا الحاضرين، وختم لنا ولهم بخير في عافية. آمين.

أما بعد: فإن الله عز وجل، وله الفضلُ والامتنانُ، والطَّوْل والكرم والإحسان، أنعم على المؤمنين إنعاماً كبيراً، ومنحهم فضلاً غزيراً، وكرماً خطيراً، من ذلك ماأشار إليه في كتابه المنزَل، على أكرم مرسَل، نبي الرأفة والرحمة، بقوله تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

فالكتاب: هو القرآن العظيم المحكَم، والحكمة هنا: هي سنة سيدنا رسول الله ﷺ، وقد حافظ أعيانُ هذه الأمة على حفظ الكتاب في الصدور، والإقبال على تفهُّمه وما فيه من الأمور، واعتنى الأئمة بحفظِ السنة وتدوينها في المسطور، والقيام بخدمتها والذبِّ عنها كما هو مشهور، وسَمَتْ الأنفس الشريفة من الخلفاء والملوك، فَبَنَوْا دُور السنَّة لحفظها ونشرها للغني والصُّعْلوك[1].

---

(١) أي: الفقير. وكان أولَ من بنى داراً للحديث الشريف السلطان العادل نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى ورضي عنه، المتوفى سنة ٥٦٩ بدمشق، وهي ماتزال قائمة حتى اليوم، ولكنها متهدِّمة من داخلها، تبعد عن دار الحديث الأشرفية - هذه - نحو الخمسين متراً. ذكر هذه الأولية لنور الدين الشهيد: القرشيُّ في طبقات الحنفية ٣:٤٤٠، وصاحب «الدارس» ١:٦٠٩ وظاهر كلامه أنه ينقل عن ابن خلكان، ولاشيء في «وفيات الأعيان»!.
وذكرها عز الدين ابنُ الأثير، كما نقله عنه ابن كثير في «تاريخه» ١٢:٣٠١، وليس في تاريخه «الكامل» إنما هو في كتابه «الباهر» في تاريخ الدولة الأتابكية بالموصل، ونسبه في «الدارس» ١:٦١٠ إلى مجد الدين ابن الأثير، وهو سبق قلم منه.
وأولُ من درَّس فيها: الإمام الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى. قال السبكي =

ومِمن بنى دارَيْن للسنَّة في بلد، ولم نعلم أنه سبقه إلى ذلك أحد: السلطانُ الملكُ الأشرف مظفَّر الدين أبو الفتح موسى بن الملك العادل أبي بكر بن الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذي[1]، الذي مَلَك دمشق بعد حصاره ابنَ أخيه الناصرِ داودَ ابنِ المعظَّم عيسى، في سنة ست وعشرين وست مئة، وأقام مِلِكاً بدمشق تسع سنين، وفيها بنى الدارين المشارَ إليهما، إحداهما التي بسَفْح قاسيون شَرَطَها للمقادسة الحنابلة، وأولُ من باشَرَها شيخُ الإسلام شمس الدين أبو الفرج عبدالرحمن ابن أبي عمر المقدسي أولُ قضاة الحنابلة بدمشق[2].

ودار الحديث الثانية داخل دمشق جِوار قلعتها المنصورة، وكانت أولاً دار قَيْماز النَّجْمي، فاشتراها الملك الأشرف وجعلها داراً للحديث النبوي، على قائله أفضل الصلاة والسلام، وجعل فيها نعلَ النبيِّ ﷺ في الخزانة الشرقية لَصِيقَ المحراب.

ولما كان الملك الأشرف بِخِلاط، قدم عليه شخصٌ يقال له النِّظام ابن

= في آخر ترجمة ابن عساكر من «طبقاته» ٧: ٢٢٣: «وكان الملك العادل محمود بن زَنْكي نورُ الدين قد بنى له دار الحديث النورية، فدرَّس بها إلى حين وفاته غير ملتفت إلى غيرها». ثم وليها من بعده ولده القاسم. كما في «السِّيَر» للذهبي ٢١: ٤٠٨.

وتسمى هذه الدار أحياناً «دار السنة» كما جاء ذلك في خاتمة جزء «حديث أبي القاسم الحلبي» المحفوظ ضمن المجموع (٣٧٦١) من مجاميع المدرسة العمرية. انظر «فهرسها» ص ١٢٠ للأستاذ ياسين سواس.

وهذه الدار النورية غير المدرسة النورية التي بناها السلطان نور الدين نفسه، وهي في سوق الخواصين ـ قديماً ـ ويسمى الآن سوق الخياطين، وهو جامع عامر بالجمعة والجماعات، وعلى بابه قبر نور الدين رحمه الله تعالى.

(١) ستأتي ترجمة المصنف للملك الأشرف ص ٤٤.

(٢) انظر «الدارس» ١: ٤٧، و «تاريخ الصالحية» ١: ١٥٧. وتوافقُ مافيهما مما يؤكد أن «الدارس» هو لابن طولون، لا للنعيمي. وانظر التعليق ص ٤٩.

أبي الحديد[١] ومعه نعل[٢] النبي ﷺ، فتلقَّاه الملك الأشرف ووضع النعلَ على عينيه وجعل يبكي، وخلع على النظام، ورتَّب له مرتَّباً كثيراً، وقال الملك الأشرف: قلت في نفسي: هذا النظامُ يطوفُ البلاد، وأنا أُؤْثر أن يكون عندي قطعة من النعل، فعزمت أن آخذ منه قطعةً، ثم قلت في نفسي: ربما يتأسَّى بي أحد فيؤدِّي إلى استئصاله، وقلت: من ترك لله شيئاً عوَّضه الله خيراً منه[٣].

فأقام عندي النِّظام شهوراً ثم مات فأوصى لي بالنعل، فأخذت النعل بأَسْره. ثم وضعها الملك الأشرف في ذاك المكان.

وهي هذه التي أولُ من وَلِيها الإمامُ العلامة الحافظ أبو عمرو عثمان ابن الصلاح، ثم الخطيب عماد الدين ابن الحرَستاني، ثم الشيخ شهاب الدين أبو شامة، ثم شيخ الإسلام أبو زكريا النواوي، ثم الشيخ زين الدين أبو محمد عبدالله الفارقي، ثم الإمام صدر الدين ابن الوكيل، ثم الشيخ كمال الدين ابن الزَّمَلْكاني، ثم القاضي كمال الدين أبو العباس أحمد بن الشَّرِيشي.

---

(١) هو نظام الدين أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي الحديد السلمي، ولد بدمشق سنة ٥٧٠، وتوفي بها سنة ٦٢٥. انظر «الدارس» ٢: ٢٩٥.

(٢) فردة واحدة وهي اليسرى، وكانت الثانية اليمنى بالمدرسة الدماغية. وأخذ الاثنتين تيمورلنك. انظر «الدارس» ٢: ٢٩٥ ـ ٢٩٦ وكان لهذه الفردة الواحدة قيّم وخازن خاص بها، هو فتح الدين يحيى ابن الفارقي (٦٧٢ ـ ٧٦٣) رحمه الله، وهو ابن الشيخ الخامس لدار الحديث، الآتي ذكره ص ٤٧.

(٣) أصل هذا القول: حديثٌ شريف رواه أحمد ٥: ٧٨، ٧٩، ٣٦٣، والحارث بن أبي أسامة، وابن أبي شيبة في مسانيدهم ـ «بغية الباحث» ٢: ٩٨٧، و «المطالب العالية» ٣: ٢١٦ ـ بإسناد صحيح، ومع أنهم ذكروه في كتب الزوائد، ومنهم البوصيري في «إتحاف الخيرة»: فالحديث عزاه المزي في «التحفة» ١١: ١٩٩ و «تهذيب الكمال» ـ ترجمة قِزْفة بن بُهَيْس ـ إلى النسائي في «الكبرى».

ثم وَلِيها بعد موته أحقُّ الناس بها وأولاهم، شيخُ الحفاظ وأعلاهم: أبو الحجاج يوسف المِزِّي، وأولُ مباشرته لها كان يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحِجَّة سنةَ سبعَ عشْرَةَ وسبع مئة، واستمرتْ بيده إلى حين موته نحواً من خمس وعشرين سنة، ولم يتولَّها بعده حافظٌ نظيرُه، وإن كان قد وَلِيها شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن السُّبْكي، وابنُ عمِّه الإمام بهاء الدين أبو البقاء، وغيرهما[١].

ولم يحضُرها بعد الحافظ المِزِّي فيما نعلم أحدٌ في درجته من أهل هذا الشان، غيُر شيخنا الحاضرِ في هذا المكان، وهو شيخ الإسلام حافظ الزمان، قاضي القضاة شهاب الدين أبوالفضل[٢]، فإنه أربى عليه بزيادة المصنَّفات، وإتقان المؤلَّفات، وفنون العلوم أصلاً وفرعاً، واستنباطاً للأحكام المحتَجِّ بها شرعاً، أسبغ الله ظلاله على الإسلام والمسلمين.

ومانذكره ونُبْديه، من بعض فوائده ومايحويه، ولولا امتثالُ أمره الذي مقتضاه الوجوبُ اللازم،لم أحدِّث بحضرته شيئاً استعمالاً لأدب المتعلِّم بين يدي العالم، ولكن مَنْ جَبَرَ من الأئمة، قلبَ من هو دونه من الأمة، لايخيب إن شاء الله تعالى من حصول الرحمة، المشار إليها

---

(١) انظر ص٤٤ - ٥٢ فقد عرض المصنف رحمه الله لمن درَّس بالمدرسة الأشرفية بزيادات على ماهنا. والبهاء السبكي هو محمد بن عبدالبر بن يحيى بن علي، المتوفى سنة ٧٧٧، والتقي السبكي هوعلي بن عبدالكافي بن علي، المتوفى ٧٥٦، فعبدالبر والتقي علي ابنا عم، والتقي أجلُّ وأقوى رسوخاً وأكثر مشاركة في العلوم، وهو أستاذ البهاء، وبه تخرّج، وقد شهد ابن تيمية والتقي السبكي للمزي أنه ماولي دار الحديث الأشرفية أحدٌ مثلُه في الحديث، لأنها دار حديث، لكن مشاركة التقي السبكي في كثير من الفنون مشاركة إمام محقق فيها، لاينكرها أحد، والمزي ليس كذلك، وقديماً قال العلماء مامفاده: صاحب الفن الواحد مقدَّم فيه على صاحب الفنون. والشواهد عليه كثيرة.

(٢) هو الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، كما تقدم قريباً. وانظر صفحة ٣٩٥.

في القرآن، وعلى لسان نبينا حبيبِ الرحمن، ﷺ وشرَّف وكرَّم وعظَّم.

كما أخبرنا جماعة من المسنِدين منهم: أبو يوسف عبدالرحمن ابن التاجر الصالحي، وهو أول حديث سمعتُه من كلٍّ منهم، والمسمَّى من لفظه، قالوا: أخبرنا محمد بن أبي المحاسن بن أبي العزِّ المصري، قال كل منهم: وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا عبداللطيف بن أبي محمد التاجر، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا عبدالرحمن ابن علي السَّلامي[١]، وهو أول حديث سمعته من لفظه، حدثنا إسماعيل بن أحمد المؤذِّن، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا أبي: أحمدُ بنُ عبدالملك بن علي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش الزِّيَادي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبدالرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته من سفيان، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبدالله بن عمرو بن العاصِي، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمُهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا أهلَ الأرض يرحمْكُم مَن في السماء»[٢].

---

(١) هو الإمام ابن الجوزي، نَسَبه إلى بلده بغداد مدينة السلام، كما ينسب إلى ذلك شيخه الإمام محمد بن ناصر السَّلامي.

(٢) رواه الحميدي ٢:٢٦٩ (٥٩١)، وابن أبي شيبة ٨:٣٣٨ (٥٤٠٧)، وأحمد ٢:١٦٠ ثلاثتهم عن سفيان، به. ورواه عن الحميدي البخاريُّ في «الكنى» ٦٤ (٥٧٤)، وعن ابن أبي شيبة ـ ومسدد ـ أبو داود ٥:٢٣١ (٤٩٤١)، وعن علي ابن المديني، عن سفيان: عثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» ص٢٣، ومن طريقه الحاكم ٤:١٥٩ وصححه ووافقه الذهبي، وعن ابن أبي عمر، عن سفيان: الترمذي ٤:٢٨٥ (١٩٢٤) وقال: حسن صحيح.

ورواه من طريق أبي طاهر ابن محمش الزيادي، به: البيهقي في «السنن =

تابعه مسلسلاً كذلك أبو يعلى حمزة بن عبدالعزيز بن محمد المهلَّبي، عن أبي حامد بن بلال[1]، وهذا هو المشهور في تسلسله، يقول الراوي عن شيخه: وهو أول حديث سمعته منه.

= الكبرى» ٩: ٤١، وفي «الشُّعَب» ٧: ٤٧٦ (١١٠٤٨). ورواية مسدد التي أشار إليها أبو داود هي عند عثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» ص٢٣.

وعزاه السيد عبدالحي الكتاني رحمه الله في «فهرس الفهارس» ١: ٩٣ إلى النسائي وابن ماجه، ولم أره فيهما، كما لم أر ذلك لغيره!.

والرواية المشهورة: «.. يرحمكم من في السماء»، ورواية الحميدي وأحمد وابن المديني - التي عند عثمان الدارمي والحاكم - ومسدَّد - عند عثمان الدارمي - «.. يرحمكم أهل السماء».

فلم ينفرد بها بشر بن موسى راوي «مسند الحميدي» عن مصنفه، كما زُعِم.

وله إسناد غريب عند الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» ص٥٦٦ (٧٧٥) سيذكره المصنف ص١٢٧ ويتكلم عليه.

والحديث صحيح، كما يستفاد من كلام المصنف في مواطن من كتابه هذا، ومن قبله الترمذي، قال: حسن صحيح، والحاكم، والذهبي في «تلخيص المستدرك» وفي أول «معجم الشيوخ» ١: ٢٣، وحسَّنه العراقي، وسيأتي كلامه ص٣٩، والمصنف أيضاً في صفحة ١٢٤ وغيرِها، وغيرُهم كثير.

وسوف يكرر المصنف هذا الحديث كثيراً، وأكتفي بتخريجه هنا عن تكرار ذلك.

هذا، وقد جوَّز العلماء في الميم من فعل «يرحمكم» الرفع والجزم، قال شيخ شيوخنا العلامة الكوثري رحمه الله تعالى في أوائل ثَبَته «التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز» ص٨: «والرفع أقوى من الجزم روايةً، وأبلغ دراية، وفي «مزيد النعمة في حديث الرحمة» لهبة الله التاجي تفصيل مايتعلق بهذا الحديث رواية ودراية».

وقد ساق الذهبي في مقدمة «معجمه الكبير»، ومن بعده السيد عبدالحي الكتاني جملة وافرة من أسانيده بهذا الحديث في أول كتابه «فهرس الفهارس» ١: ٨٥-٩٣، ثم ذكر الكتاني جملة من الكتب التي أُفردت لهذا الحديث، انظر صفحة ١٤.

(١) كما سيأتي ص ١٣٥، ٢٠٨، ٣٤٠.

ورواه مسلسلاً فوق هذا بدرجة: أبو عاصم عبدالله بن محمد الشَّعِيري، عن أبي أحمد هاشم بن عبدالله بن محمد السَّرْخسي[١] المؤذِّن، عن أبي حامد ابن بلال، فوصل التسلسل إلى سفيان بقوله: وهو أول حديث سمعته من عمرو بن دينار.

ورُوي مسلسلاً بدرجة أخرى فوق هذه، وكلاهما لايصحُّ.

ورَوَيناه موصولَ التسلسل إلى النبي ﷺ، من رواية أبي نصر الوَزيري محمد بن طاهر بن محمد بن الحسين بن الوزير الواعظ، وتُكُلِّم فيه لذلك[٢].

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد المقدِسي المجاور بطيبة، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه، أخبرنا أبو العباس

---

(١) السكون على الراء من قلم المصنف، فتكون الخاء مفتوحة، وهناك ضبط آخر مشهور، هو فتح الراء وسكون الخاء.

(٢) قال الذهبي في «الميزان» ٣:٥٨٦ (٧٧٠٩) ـ ومثله في «لسانه» ٥:٢٠٧ـ: «رَوَى عن أبي حامد بن بلال، فذكر الحديث المسلسل بالأولية فزاد تسلسله إلى منتهاه، فطعنوا فيه لذلك».

وللوزيري ترجمة عند السمعاني في «الأنساب» ٥:٦٠٢ مصدره فيها الحاكم في «تاريخ نيسابور» وهو تلميذ الوزيري، وأرخ وفاته سنة ٣٦٥، واختصرها الذهبي في «تاريخ الإسلام» وَفَيَات سنة ٣٦٥، والتاج السبكي في «طبقاته» ٣:١٧٥، والداوودي في «طبقات المفسرين» ٢:١٦٠ (٤٩٩). وجاء اسم جده الثاني بخط المصنف واضحاً: الحسين، وفي كتاب السمعاني والسبكي: الحسن.

وهل تفرَّد الوزيري بوصل التسلسل إلى آخر السند ؟ كلام الذهبي وابن حجر المتقدم واضح في ذلك، ولفظ ابن حجر في «أمالي الأذكار» ـ المجلس ٨٥٩ـ يشكك فيه، قال: «قيل: إنه تفرد به»، لكن لاخلاف أن التسلسل الصحيح انقطع عند عبدالرحمن بن بشر بن الحكم العبدي وأنه قال: هو أول حديث سمعته من سفيان. أما أنه أول حديث سمعه سفيان من ابن دينار، وهكذا من فوقه: فلا يصح.

أحمد بن محمد البدر، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أحمد بن أبي الفتح الشيباني، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أبي القاسم النصري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: وأخبرنا[١] أبو محمد عبدالبر ابن الحافظ أبي العلاء الهمَذاني بها، حدثنا والدي الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار، حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن محمد الحافظ، حدثنا أبو صالح المؤذِّن، أخبرنا أبو سعد عبدالرحمن بن حمدان الشاهد، حدثنا أبو نصر محمد ابن طاهر الوَزِيري الأديب، حدثنا أبو حامد البزَّاز، حدثنا عبدالرحمن بن بشر بن الحكم، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمْكُم أهلُ السماء».

قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: هذا أول حديث سمعته من النبي ﷺ بعد خطبة الوداع[١]، وقال أبو قابوسَ: هذا أول حديث رواه عبدالله بن عمرو بالشام[٢]، وقال عمرو بن دينار: هذا أول حديث رواه

---

(١) الواو ثابتة بقلم المصنف، وهي توهم الاستئناف وانقطاع الكلام عند كلمة (قال)، وليس كذلك، وأبو عمرو النصري هذا هو الإمام ابن الصلاح. ومعلوم أن لابن الصلاح جزءاً في هذا الحديث، وفي «كشف الخفاء» ١: ١١٠ (٣١٤) نقلاً عن العراقي قال: «والمشهور أن التسلسل في هذا الحديث إلى ابن عيينة دون بقية الإسناد، وقد رويناه في جزءٍ جمعه ابن الصلاح في جملة طرق هذا الحديث وأوصل التسلسل فيه إلى النبي ﷺ، ولكن لايصح إسناده».
ثم إن ابن الصلاح يقول: أخبرنا أبو محمد، وسيأتي بعد أسطر قوله: هذا أول حديث سمعته منه، فكأنه مشى على مذهب من يستعمل «أخبرنا» في التعبير عن السماع من الشيخ، وقد نصَّ هو في «مقدمته» آخر القسم الثاني من النوع الرابع والعشرين على جواز ذلك، لكنه أشعر بترجيح استعمال «حدثنا» في مثل هذه الحال حين قال: «الفرق بينهما صار هو الشائعَ الغالبَ على أهل الحديث».

(٢) وفي مثل هذه الحال ـ بقطع النظر عن الصحة وعدمها ـ يقول المحدثون: هذه =

لنا أبو قابوسَ(١)، وقال ابن عيينة: هذا أول حديث أملاه علينا عمرو بن دينار، وقال عبدالرحمن بن بشرٍ: هذا أول حديث سمعته من سفيان، وقال أبو حامد: هذا أول حديث سمعناه من عبدالرحمن، وقال أبو نصر الوزيري: هذا أول حديث سمعناه من أبي حامد، وقال أبو سعد: هذا أول حديث سمعته من أبي نصر، وقال أبو صالح: هذا أول حديث سمعته من أبي سعدٍ في رجوعي إلى نيسابور سنة اثنتين وثلاثين - يعني وأربع مئة - وقال أبو جعفر الحافظ: وهذا أول حديث سمعته من أبي صالح، وقال الحافظ أبو العلاء: وهذا أول حديث سمعته من أبي جعفر، قال ابنه أبو محمد عبدالبر: وهو أول حديث سمعناه من أبي من لفظه، قال أبو عمرو النصري: وهذا أول حديث سمعته(١) من أبي محمد عبدالبر.

وأنبأنا به عالياً جداً جماعةٌ من شيوخنا منهم: أبو هريرة عبدالرحمن ابن الذهبي، عن يحيى بن محمد بن سعد وغيره، أخبرنا أبو صالح نصر ابن عبدالرزاق الجِيلي كتابةً، عن الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد العطار، فذكره.

والحديث عند عدَّة من أصحاب سفيان بن عيينة من غير تسلسل، منهم أحمد بن حنبل فرواه في «مسنده» عنه، وخرَّجه أبو داود في «السنن» عن أبي بكر بن أبي شيبة ومسدَّد، والترمذيُّ في «الجامع» عن محمد بن أبي عمر العَدَني، الثلاثةُ عن سفيان، وهو من أفراده، كما تفرد به شيخه عمرو، عن أبي قابوس(٢).

وله متابعٌ عن عبدالله بن عمرو بمعناه، رُوِّيناه في مسنديْ أحمد بن

= أولية مقيَّدة، وكذلك أولية ابن عيينة بالنسبة لابن دينار، فإنه قيَّدها بالإملاء.

(١) انظر آخر التعليق السابق من الصفحة السابقة.

(٢) ينظر تخريجه فيما سبق قريباً، وأعتذر عن التكرار فيما يأتي.

حنبل، وعبدِ بن حميد، كلاهما عن يزيد ـ وهو ابن هارون ـ أخبرنا حَرِيز، حدثنا حِبَّان الشَّرْعَبي، عن عبدالله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال على المنبر: «ارحموا تُرْحَموا، واغفِروا يُغْفَرْ لكم، ويلٌ لأقماع القول، ويلٌ للمُصِرِّين الذين يُصِرُّون على مافعلوا وهم يعلمون»[١].

تابعه هاشم بن القاسم، عن حَرِيز ـ وهو ابن عثمان ـ الرَّحَبي، بفتح الحاء المهملة، وحكى أبو منصور الأزهري سكونها أيضاً[٢]، وهو حمصيٌّ محتجٌّ به في «صحيح البخاري». وشيخه حِبَّان أبو خِدَاشٍ حمصيٌّ مذكور في «ثقات» ابن حبان[٣]، وعدَّه بعضهم في الصحابة،

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد ٢:١٦٥، وعبد بن حميد ١٣١ (٣٢٠) عن يزيد بن هارون، به، كما قال المصنف . وذكر أحمد عقبه متابعة هاشم بن القاسم التي ذكرها المصنف أيضاً .

وهناك متابعون آخرون: محمد بن عثمان القرشي، عند البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠).

والحسن بن موسى الأشيب عند أحمد ٢:٢١٩، والبيهقي في «الشعب» ٥:٤٤٩ (٧٢٣٦) وعنده مع الحسن متابع آخر: إسحاق بن سليمان .

وتابعهم كذلك: علي بن عياش الألهاني عند الطبراني - ومن طريق الطبراني: الخطيب في «تاريخه» ٨:٢٦٥ ـ وأبو اليمان الحكم بن نافع الحمصي عند يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» ٢:٥٢٢، ومن طريق يعقوب: البيهقي في «الشعب» ٧:٤٧٦ (١١٠٥٢).

ولما عزاه الهيثمي في «المجمع» ١٠:١٩١ إلى أحمد قال: «رجاله رجال الصحيح غير حبان بن زيد الشرعبي، ووثقه ابن حبان، ورواه الطبراني كذلك».

(٢) لاشيء في «الزاهر»، ولافي «تهذيب اللغة» ٥:٢٧ وهو الموطن الذي ذكره محقق «توضيح المشتبه»!.

(٣) ٤:١٨١، واشتهر أيضاً أن شيوخ حَرِيز ثقات كلهم، لذلك قال عنه في «التقريب» (١٠٧٣): ثقة، مع أن عادته في مثله أن يقول عنه: مقبول.

ولايصح له صحبة، فيما ذكر أبو عمر يوسفُ بن عبدالبر[١].

وللحديث شاهدٌ عن عدَّة من الصحابة[٢]، ذكرتهم في كتاب «نفحات الأخيار من مسلسلات الأخبار».

ورَوَيناه من طريق منكرة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أنبأنا أبو محمد بن أحمد بن الموفق الطرائفي، في آخرين، عن محمد بن أبي بكر بن أحمد، عن جدّه، أخبرنا زيد بن الحسن سماعاً، أخبرنا أبو منصور عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي

---

(١) «الاستيعاب» ٤:٥٥، وهو أولى من قوله الآخر في «الاستغنا» ١:١٦٤ (١٩٧): «مختلف في صحبته».

(٢) قال المصنف في «المجلس الأول من أماليه» ص٢٦: «وللحديث شاهد من حديث أبي بكر، وعمر، وعلي، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود، وجرير بن عبدالله، وآخرين، رضي الله تعالى عنهم، ذكرتهم في كتابي: نفحات الأخيار من مسلسلات الأخبار». وانظر ص٢١٤، ٤٠٤.

وقال شيخ شيوخنا العلامة محمد عبدالباقي الأنصاري الأيوبي رحمه الله في «المناهل السلسلة» ص٦: «قال أيوب الخَلْوَتي في «ثَبَتِه»: وله شواهد من حديث أسامة بن شريك، وأسامة بن زيد، وأشعث بن قيس، وجابر بن عبدالله، وعبادة بن الصامت، وعبدالله بن عمر، والمغيرة بن شعبة، والنعمان ابن بشير، وواثلة بن الأسقع، وأبي أمامة الباهلي، وأبي الدرداء، وأبي ذر، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وعبدالرحمن بن عوف، وأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، وهم ثمانية عشر صحابياً وهذه أسماؤهم، ثم قال: قال العراقي: هذا حديث حسن رجاله محتج بهم في الصحيح».

قلت: وكثير منها وارد في مطلق الرحمة، وهو المعنى الذي أراده الحافظ السخاوي في تصنيفه الذي أشار إليه في «المقاصد» (٨٨) آخر كلامه على: «ارحموا من في الأرض»: «أفردت لأحاديث الرحمة تصنيفاً». وعليه صنيع ناشر «المجلس الأول من أمالي» المصنف، في تتمته التي سماها «الأمنية في تخريج المسلسل بالأولية».

الحافظ[1] قال: أخبرني محمد بن أحمد بن رزق، حدثنا أبو سعيد الحسن بن علي بن محمد بن ذكوان البزاز يعرف بابن الزَّهراني، حدثنا حسنٌ الصائغ، حدثنا الكُدَيمي قال:

خرجت أنا وعلي بن المديني وسليمان الشاذَكُوني نتنزَّه، قال: ولم يبقَ لنا موضع نجلس غيرُ بستان الأمير، وكان الأمير قد منع من الخروج إلى الصحراء، قال: فكما[2] قعدنا وافَى الأمير، فقال: خذوهم، قال: فأخذونا وكنت أنا أصغرَ القوم سناً، فبطَحوني وقعدوا على أكتافي.

قال: قلت: أيها الأميرُ اسمع مني. قال: هاتِ، قلت: حدثنا عبدالله بن الزبير الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبيﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحمْ مَن في الأرض يرحمْك مَن في السماء»، قال: أَعِدْه عليَّ، قال: فأعدتُه عليه، فقال لهؤلائك: قوموا، ثم قال لي: أنت تحفظُ مثلَ هذا وأنت تخرجُ تتنزَّه! أو كما قال. قال: فكان الشاذَكوني يقول: نفعك حديث الحميدي هذا.

هذه الرواية خطأ على الحميدي[3]، إنما رواه عن سفيان على

---

(١) هو الخطيب البغدادي، والقصة في «تاريخه» ٣ :٤٣٨.

(٢) هكذا جاءت الكلمة واضحة بخط المصنف، وهي في «تاريخ بغداد»: فلما قعدنا. واستعمالها بالكاف في كلام الفقهاء غير قليل، ويسمون الكاف كاف الفور، فالمعنى: فَوْرَ قعودنا وافانا الأمير، وسماها ابن هشام في «المغني» ١ :١٧٩: كاف المبادرة. قال: «وذلك إذا اتصلت بـ «ما» في نحو «سلِّمْ كما تدخل»، و «صلِّ كما يدخل الوقت». ذكره ابن الخباز في «النهاية» وأبو سعيد السيرافي وغيرهما، وهو غريب جداً».

(٣) والآفة من الكُدَيمي، إما لما هو فيه من عدم العدالة، فهو أحد المتهمين، كما هو معلوم ـ وتلطف ابن حجر في «التقريب» (٦٤١٩) فقال: «ضعيف» ـ وإما للحال التي هو فيها من الخوف مع صغر السنّ، كما هو واضح من القصة، وقد=

الصواب، كرواية مسدَّد وغيره من الأصحاب نحوَ ماتقدم. والله سبحانه أعلم .

أما فقه الحديث وما فيه من الأحكام، والمعاني والبيان اللَّذَيْن يظهر بهما حسن الكلام، وإيضاحُ لغته، ومعاني الرحمة، ووصفُ الربِّ عزَّ وجلَّ بها، ثم نعتُ الأمة ومايليق بذلك من الشرح المجانس للمُجَالس: يكون[1] إن شاء الله تعالى فيما بعد هذا من المجالس، والآن نختم

= أشار المصنف إلى هذا المعنى في المجلس ١٩ ص ٣٩٥ فقال: «. . انقلبت عليه، لرعب حصل لديه».

(١) كذا بدون فاء في جواب أما . وفي «صحيح البخاري»: كتاب البيوع ـ باب إذا اشترط شروطاً في البيع لاتحل ٩ :٣٨٣ من شرح العيني على البخاري ذكر حديث السيدة عائشة في مكاتبة بريرة، وفيه: قالت عائشة: قام صلى الله عليه وسلم خطيباً في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، ما بالُ رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله . .» قال العيني في «شرحه» ص٣٨٤: «هذا جواب أما، والأصل فيه أن يكون بالفاء، وقد تحذف»، ووصفه القسطلاني بالندرة ٤:٧٧، وجاء هذا الحديث قبل خمسة أبواب: باب البيع والشراء مع النساء، وفيه قول عائشة: «ثم قال: مابال أناس . .» دون جملة «أما بعد» لكن نبه القسطلاني ٤:٧٠ أن الرواية عند الكُشْمِيهَني هكذا: «أما بعدُ مابال» دون فاء أيضاً . وفي «سنن أبي داود» (٩٦٧) ـ بتحقيقي ـ شاهد آخر.
وانظر القسطلاني ٣:١٨٢، و«المساعد على تسهيل الفوائد» لابن عقيل ١ :٢٤٣ ـ ٢٤٤، و«شواهد التوضيح» لابن مالك ص١٣٦ ـ ١٣٧، وختم ابن مالك البحث بقوله منتصراً لجواز حذف الفاء: «عُلم بتحقيقٍ عدمُ التضييق، وأن من خصَّه بالشعر، أو بالصورة المعيَّنة من النثر، مقصِّر في فتواه، عاجز عن نصرة دعواه ».
وحكى العلامة الكوثري رحمه الله تعالى في «مقالاته» آخر مقالهِ «محادثة قديمة حول الوقف الأهلي» ص٢٠٧ أن العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي رحمه الله تعالى لما ألقى محاضرة في عدم جواز بيع الوقف الأهلي، وفي افتتاحها أسقط الفاء من جواب أما بعد، حاول فضولي مقاطعة الشيخ وتشويش =

= المحاضرة عليه فقال له: أسقطتَ الفاء في جواب أما بعد، وهو لحن ! فالتفت الشيخ بخيت قائلاً له: الاستغناء عن الفاء في جواب (أما) لغة الكوفيين، فافهم يابصري ! فسكت مسخوراً منه .

والشيخ بخيت ـ مع سكوت الكوثري على جوابه هذا ـ حجة، ومع ذلك فلم أر من نسب هذا المذهب إلى البصريين أو غيرهم. والله أعلم.

وبعد، فإني أقول هذا دفاعاً عمن يُسقط الفاء من جواب «أما بعد» من أهل العلم الأجلاء، أما من تَسقط الفاء من كتاباتهم من المتطفلين على إمساك القلم والورقة ـ وماأكثرهم في زماننا ـ: فالخطاب معهم ساقط قبل سقوط الفاء من قلمهم!! .

وموقف آخر لهؤلاء ينبغي التنبيه له: أنهم يتدخَّلون فيما لايُحسنون، ويتعاطَوْن مالايَعنيهم، ويتطاولون إلى عِلْية كتب الأئمة، ثم يتشبَّهون بالأئمة في اعتذاراتهم إن سقطت لهم كلمة، ينقلون كلام الأئمة في ذلك، وقد غَفَل هؤلاء المتطاولون ـ بَلْهَ المتاجرين ـ عن أن أولئك قالوا ماقالوا بعد إفراغ الجهد وبذل الوسع، أما هؤلاء فماذا فعلوا ؟!.

وآخِر مضحكٍ مُبْكٍ قرأته الآن ودفعني إلى كتابة هذه الكلمات المزعجة: هو التعليقة الأولى على كتاب الإمام العظيم المحدث الأصولي الفقيه اللغوي صلاح الدين العلائي رحمه الله تعالى: «نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذي اليدين من الفوائد» يقول رحمه الله في المقدمة: «صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه . . وأنصار دينه وحُماته، وليوث الحرب وكُماته» فكتب (محققه!!) في تفسير الكُماة: «جمع الكُميت، وهي أقوى الخيل وأشدّها حوافر»!! وعزا هذا إلى الشروح والمطولات: «تاج العروس» وماكفاه العزو إلى «القاموس»!.

مع أن الكُماة جمع كَمِيّ، وهو الرجل الشجاع، أو لابس السلاح، كما في «القاموس».

فمن لم يعرف ردَّ كلمة إلى أصلها كيف يسوغ له ـ أو تسوِّغ نفسه له ـ أن يتطاول إلى تحقيق مثل هذا الكتاب الفذّ، ويعتذر في مقدمته باعتذار الإمام الحجة الميداني في مقدمة كتابه «مجمع الأمثال»! ثم يوجب على قراء كتابه =

ماأمليناه، بأبيات قلتها في معناه:

خيرُ العلوم كتابُ الله فاعْنَ به ... وبعدَه سنةُ المختار إنسانا[١]

خذْها بنقلٍ ثقاتٍ واعملَنَّ بها ... وابدأ بأولها في السمع تِبيانا

مسلسلاً بـرواةٍ أولاً سمعـوا ... هذا الحديثَ الذي معناه أحيانا[٢]

الراحمون عبادَ الله يرحمُهم ... بفضلـه ربُّنا الـرحمنُ إحسانا

وخالصاً ارحموا أهل الارض يرحمكم

من في السماء تعالى الله رحمانا[٣]

صلّى وسلّم ربٌّ العالمين على ... نبيِّ رحمتِهِ المخصوصِ قرآنا

كذا على آله والصحب أجمعِهم ... والتـابعيـن لهـم عقـداً وإيمـانا

مادُرِّست سنة المختار في ملأ ... لاخيّب الله سعياً منهمُ كانا

* * *

= النصيحة له والستر عليه! وهو الذي دعا الناس إلى ذمه، وفضح نفسه علانية بكشف جهله!! وهذه نفثة مصدور. وأستغفر الله العظيم.

(١) لعله يريد: هو ﷺ إنسانُ المختارَين المصطفَين، كما يقولون: إنسان العينِ، فالمعنى: سنةُ صفوة الصفوة.

(٢) فعل ماض اتصل به ضمير نصب مفعول به، من: أحيا يحيي.

(٣) كتب المصنف رحمه الله همزتي(أهل الأرض) همزة وصل، ومع ذلك فيبقى البيت غير موزون!.

[تعريف بمشايخ
دار الحديث الأشرفية قبله]

السلطان الملك الأشرف مظفر الدين أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذي[١]، مولده سنة ست وسبعين وخمس مئة بالقاهرة، ونشأ بالقدس في كفالة الأمير فخر الدين عثمان الزَّنْجاري.

سمع الحديث من عمر ابن طَبَرْزَد[٢]، وحدث عنه بحر بن بخيت وغيره، وأول شيء وَلِيه: القدس من قِبَل أبيه، ثم حرَّان والرُّها وما والى ذلك، وحضر عدة حروب منها المواصلة فكسرهم وكسر الروم أيضاً، وكسر جلال الدين خُوارزم شاه، والخوارزمية، وحينئذ لُقِّب شاه أرمن، ولم يَلق حرباً فانكسرت له راية بل يؤيده الله وينصره.

ولما قَصَد أخوه الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك العادل صاحبُ مصر أخْذَ دمشق من ابن أخيه الناصر داود بن المعظَّم عيسى في سنة خمس وعشرين وست مئة كاتبَ الناصرُ عمَّه الأشرفَ لينصره فقدِم لذلك، ثم اتفق مع أخيه الكامل وحاصرا ابنَ أخيهما

---

(١) له ترجمة عند الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٢٢:١٢٢، فانظرها وثمة مصادر ترجمته، ويضاف إليها «الدارس» ١:١٩، ٢:٢٩٢، وتقدم ما يستفاد في ترجمة الأشرف في كلام المصنف ص٣٠.

(٢) وسمع على سراج الدين الحسين بن المبارك الزَّبيدي المتوفى سنة ٦٣١ صحيحَ البخاري في ثمانية أيام، وكان ذلك بعد افتتاحه دار الحديث هذه بنحو الشهر. انظر «السير» ٢٢:١٢٣، ٣٥٩.

الناصر داود في سنة ست وعشرين وأخذا منه دمشق وعوَّضاه عنها بالكَرَك ونابلس.

ثم سلَّم الكامل دمشق لأخيه الأشرف وأخذ منه حرَّان والرُّها وآمِد، وذهب فتسلَّمها وأعطاها لابنه الصالح أيوب، واستمرَّ الأشرفُ ملكَ دمشق تسع سنين، وأخذ بعلبك من الأمجد.

وكان ملكاً شجاعاً حيياً عفيفاً عن المحارم، وقضيته مع ابنة صاحب خلاط معروفة[١]، وكان محباً للصالحين، حسنَ الظن بهم، متواضعاً، محبَّباً إلى الرعية، كثير الصدقات والبر، وبنى أماكن ووقفها منها: جامع التوبة بمحلة الأوزاع، وهي العُقَيبة الكبرى، وبنى مسجد القصب بغير خطبة، وجامع جراح، وغير ذلك. ومنه: دار الحديث التي جوار قلعة دمشق[٢]، وأول من ولي مشيختها:

١ ـ أبو عمرو ابن الصلاح[٣] باشَرَها نحو ثلاث عشرة سنة، وتوفي بمنزله من هذه الدار سحرَ يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع

---

(١) ذكرها الذهبي في «السير».

(٢) تمييز لها عن دار الحديث الثانية التي بناها بسفح قاسيون، انظر كلام المصنف السابق ص٣١، مع التعليق عليه. وكان البدء بعمارة هذه سنة ٦٢٨، والفراغ منها وافتتاحها سنة ٦٣٠ ليلة النصف من شعبان. «الدارس» ١:١٩.

(٣) هو الإمام المتفق على إمامته وورعه، وكان له رأي مشهور عنه في تحريم علم المنطق والفلسفة، كما كان مثله للملك الأشرف.
ففي «الدارس» ١:٢١ ترجمة ابن الصلاح: «صنف التصانيف مع الديانة والجلالة، وكان لايمكِّن أحداً في دمشق من قراءة المنطق والفلسفة، وكانت الملوك تطيعه في ذلك». ثم قال ٢:٢٩٢ في ترجمة الملك الأشرف: «لما ملك دمشق في سنة ست وعشرين وست مئة نادى منادٍ بها: أن لايشتغل أحد من الفقهاء بشيء من العلوم سوى الحديث والتفسير والفقه، ومن اشتغل بالمنطق وعلم الأوائل نُفي من البلد».

الآخر سنة ثلاث وأربعين وست مئة، وصلِّي عليه بالجامع الأموي وخرجوا به من باب الفرج، ومن هذا الباب رجع الناس عن جنازته، ثم خرجوا بها ومعه نفر يسير دون عشرة أنفس إلى مقابر الصوفية فدفنوه بها، وذلك أيام حصار الخوارزمية دمشق مع معين الدين ابن الشيخ، من جهة الصالح أيوب صاحب مصر لعمّه الصالح إسماعيل بن أيوب[١].

٢ - ثم وَليها بعد ابن الصلاح الخطيبُ عماد الدين أبو محمد عبدالكريم بن قاضي القضاة جمال الدين أبي القاسم عبدالصمد بن محمد ابن الحَرَستاني، توفي سنة اثنتين وستين وست مئة في جُمادى الأولى.

٣ - ثم وَليها الإمام العلامة المقرىء الحافظ شهاب الدين أبو القاسم - ويقال أبو محمد - عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد المقدسي المعروف بأبي شامة، ولد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمس مئة، برأس درب الفواخير داخل الباب الشرقي بدمشق، أخذ عن الشيخ موفق الدين الحنبلي أبي محمد عبدالله بن أحمد ابن قدامة المتوفَّى يوم عيد الفطر سنة عشرين وست مئة، وسمع الحديث منه ومن طائفة كثيرة، وأخذ الفقه من فخر الدين ابن عساكر - وهو أبو منصور عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الدمشقي المتوفَّى عاشر شهر رجب سنة عشرين وست مئة - وغيرِه، وقرأ على أبي الحسن علي بن محمد السخاوي المتوفَّى في جمادى الآخرة سنة وفاة ابن الصلاح، وأخذ الأصول عن السيف الآمدي: أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلِبي المتوفَّى في صفر سنة إحدى وثلاثين وست مئة، وشَرَح الشاطبية، واختصر «تاريخ دمشق» لابن عساكر، وله

(١) ينظر خبر ذلك في «البداية والنهاية» ١٣ : ١٧٧ .

التاريخ المسمى بـ «الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية»، والذيل عليه، وغير ذلك.

توفي في رجب سنة خمس وستين وست مئة، نزل عليه بمنزله بطواحين الأشنان جماعة فضربوه حتى ظنوا أنه مات، ثم ذهبوا وتركوه، وعرفهم ؛ وقد أشار إلى هذه القصة في كتابه:

قلت لمن قال: أما تشتكي ماقد جرى فهو عظيم جليلْ

يقيض الله تعالى لنا من يأخذ الحقَّ ويَشفي الغليل

إذا توكلنا عليه كفى فحسبنا الله ونعم الوكيل

ولم يزل الشيخ شهاب الدين متمرِّضاً إلى أن توفي رحمه الله[١].

٤ ـ فوليها بعده الشيخ الإمام العلامة الزاهد شيخ الإسلام بركة الأنام الإمام محيي الدين أبو زكريا النووي رحمة الله عليه.

٥ ـ ثم وليها بعده الشيخ الإمام مفتي المسلمين زين الدين أبو محمد عبدالله بن مروان بن الفارقي، وكانت وفاته بعد عصر يوم الجمعة الحادي والعشرين من صفر سنة ثلاث وسبع مئة، ودفن من الغد بتربة أهله بسفح قاسيون جوار تربة الشيخ أبي عمر.

٦ ـ ثم وليها الإمام صدر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن مكي بن عبدالصمد بن عطية بن أحمد الشافعي ابن الوكيل[٢].

٧ ـ ثم وليها بعد عزل ابن الوكيل عنها الإمام العلامة كمال الدين أبو المعالي محمد ابن الزَّمَلْكاني، توفي ببِلْبِيس ليلة الأربعاء سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مئة، فحمل إلى القاهرة ودفن بها.

---

(١) انظر خاتمة المجلس ٥ ص ١٣٠.

(٢) وكانت وفاته آخر سنة ٧١٦.

٨ ـ ثم وليها القاضي الإمام كمال الدين أبو العباس أحمد ابن شيخ المالكية كمال الدين أبي بكر محمد بن أحمد الشَّرِيشي، مولده سِنْجار في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وست مئة، وسمع من النجيب عبداللطيف وخلق، توفي خارجاً إلى الحج بمنزلة الحسامي ليلة الاثنين سلخ شوال سنة ثمان عشرة وسبع مئة، ودفن من الغد بالمنزلة المذكورة إلى جانب الطريق.

٩ ـ ثم وليها أحق الناس بها وأولاهم، شيخ الحفاظ وأعلاهم، الإمام الحجة القدوة شيخ المحدثين، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزَّكي عبدالرحمن بن يوسف بن عبدالملك بن علي بن أبي الزهر الحلبي ثم المزي[(١)]، فباشرها يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة سبع عشرة وسبع مئة، ولم يحضر عنده من الأعيان إلا القليل، واستمرت بيده نحواً من خمس وعشرين سنة، إلى أن توفي على حالته الرضية من سلامة في دينه، وتواضع وفراغ عن الرئاسة وقناعة، وحسن سمت وقلة كلام وكثرة احتمال، رحمه الله، كانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ودفن بمقبرة الصوفية جوار قبر ابن تيمية.

١٠ ـ ثم وَلِيها ـ بعد أن ذُكِر لها الحافظ أبو عبدالله الذهبي فلم

---

(١) هكذا جاء نسب الإمام المزي بقلم المصنف، وفيه اختلاف مع غيره من مترجميه، انظر مثلاً «فوات الوَفَيات» لابن شاكر الكتبي ٤: ٣٥٣، و«طبقات» التاج السبكي ١٠: ٣٩٥ ـ وكلاهما من تلامذته ـ و «الدرر الكامنة» ٤: ٤٥٧، وغيرها. وفي «الدرر الكامنة»: «قال ابن تيمية لما باشرها المزي ـ أي مشيخة دار الحديث ـ: لم يَلِها من حين بُنيت إلى الآن أحقُّ بشرط الواقف: منه، لقول الواقف: فإن اجتمع مَن فيه الرواية ومن فيه الدراية قُدِّم مَن فيه الرواية».

قال الذهبي في «السِّيَر» ٢٢: ١٢٦: «كان للأشرف ميل إلى المحدثين والحنابلة» فلهذا شرط هذا الشرط، ولو قدَّم مَن فيه الدراية لكان أولى.

يتفق ـ: الإمامُ شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن علي بن عبدالكافي السُّبْكي، فباشَرها يوم الأربعاء سابع ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة بعد قدومه قاضياً إلى دمشق بسنتين وسبعة أشهر، وكان درسه في حديث أبي ذر من صحيح مسلم خمس عشرة سنة[١].

١١ ـ ثم وَليها بعده بنزوله عنها ولدُه الإمامُ العلامة قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب ابن السبكي، فباشرها يوم الخميس سنة ست وخمسين وسبع مئة.

١٢ ـ ثم وليها أخوه قاضي القضاة أبو حامد أحمد ابن السبكي بعد ماكان نائباً له فيها، ثم عُزل عنها وعن القضاء.

١٣ ـ فوليها أخوه قاضي القضاة تاج الدين مرةً ثانيةً، ثم جرت له أمور وعُزل، وأُرسل من مصر بالكشف عليه واعتقاله بالعَذْراوية، ثم نُقل إلى القلعة محبوساً بعد ماعُقد له مجلس بقاعة الدوادار[٢] ونُسب

---

(١) لعله يريد الحديث القدسي المشهور: «ياعبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تَظَالموا..» وأياً كان الحديث فاستمراره في شرح الحديث خمس عشرة سنة يدل على مدى إمامته وتبحُّره في فنون العلم! رحمه الله تعالى. وانظر «طبقات» السبكي ١٠: ٢٠٠، ٢٠١.
هذا، وقد ذكر صاحب «الدارس» ١: ١٩ـ٣٦ من سبق ذكرهم على هذا الترتيب، وقال: «هذا آخر ماانتهى إلينا ممن ولي مشيخة دار الحديث هذه على الترتيب، ثم وليها جماعات أُخَر لم أتحقق الترتيب بينهم». ثم ذكر ابنَ كثير، فالتاج السبكي...، وأنت ترى أن ذكر المصنف لهم جاء بـ (ثم) الدالة على الترتيب.
وأقول: إن هذا الكلام من صاحب «الدارس» يعكر على القول بأن «الدارس» لابن طولون، لأن النسخة الخطية لهذه المجالس كانت في حوزة ابن طولون، كما تقدم، فكان ينبغي ـ حسب الظاهر ـ أن يستفيد منها هذا الترتيب. والله أعلم. وانظر التعليق ص ٣٠.

(٢) قال الأستاذ الشيخ محمد أحمد دُهْمان رحمه الله تعالى في «معجم الألفاظ =

إليه أنه وقع منه كفر، وتحمَّلوا عليه وكثُر تعصُّبهم في ذلك المجلس حتى بدتْ منه كلمة تعلَّقوا بها عليه، فاستمرَّ بالقلعة إلى أنْ ورد كتاب السلطان يطلبه في التاسع والعشرين من شوال سنة. . .(١) فتوجه إليها.

١٤ ـ ثم وليها شيخنا شيخ الإسلام خاتمة المجتهدين سراج الدين البُلْقيني رحمة الله عليه، لما قدم من الديار المصرية قاضياً بدمشق إلى أن عزل عنها.

١٥ ـ ثم وليها مرة ثالثة قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر ابن السبكي في سنة سبعين وسبع مئة.

١٦ ـ ثم وليها بعد وفاته الإمام العلامة الحافظ جمال الإسلام عماد الدين أبو الفداء وأبو الفضل إسماعيل بن الخطيب ضياء الدين أبي حفص عمر بن كثير بن ضَوْء بن كثير بن ضوء بن ذَرْع القرشي الخَصِيلي، وبنو خَصِيلة من ولد علي الرضا بن جعفر الصادق، وهو خَصِيلة بن حرزى بن قاسم بن إبراهيم بن محمد بن علي الرضى، ودرَّس بها يوم الاثنين خامس المحرم سنة إحدى وسبعين وسبع مئة.

١٧ ـ ثم وليها بعده قاضي القضاة كمال الدين أبو القاسم عمر بن

= التاريخية في العصر المملوكي» ص٧٧: «الدوادار: هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير، ويتولى أمرها، مع ماينضم لذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال».

(١) بياض في الأصل، ولم أقف على نص واضح في تحديد السنة، لكن مجيء السراج البُلْقيني إلى دمشق وتولِّيه القضاء ودار الحديث الأشرفية كان سنة ٧٦٩ عوضاً عن التاج السبكي، كما في ترجمته في «الضوء اللامع» ٦:٨٦. وذكْر المصنف لهذه الأمور عن التاج السبكي في مثل هذا المقام كأنه أثر من آثار انحرافه عنه، للاختلاف في المشرب الذي نبَّه إليه السيد الكتاني في «فهرس الفهارس» ٢:١٠٣٨. رحم الله الجميع.

عثمان ابن أبي القاسم هبة الله المعري الحلبي، ودرَّس بها يوم الاثنين السابع والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة.

١٨ ـ ثم وليها بعد عزله منها الإمام العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد بن القاضي سديد الدين عبدالبر السبكي، وباشرها في صفر سنة خمس وسبعين وسبع مئة، سنتين وشهرين.

١٩ ـ ثم وليها بعده ولده قاضي القضاة ولي الدين أبو ذر عبدالله في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وسبع مئة.

٢٠ ـ ثم وليها بعده قاضي القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكناني المصري القاضي، أربعَ سنين وسبعة أشهر ونصفاً.

٢١ ـ ثم وليها بعده قاضي القضاة سَرِيُّ الدين أبو الخطاب محمد ابن قاضي المالكية جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي السُّلمي الأُطرابُلسي المعري الأصل الدمشقي، سبط الشيخ تقي الدين أبي الحسن السبكي، فباشر ذلك تسعة أشهر ونيفاً وجاءت فتنة الناصري، فعزله الناصري لما استقرَّ بمصر.

٢٢ ـ ثم وليها قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن العلامة الشيخ زين الدين أبي حفص عمر بن مسلَّم القرشي في أول رجب سنة إحدى وتسعين وسبع مئة.

٢٣ ـ ثم وليها والده الشيخ زين الدين القرشي ثم عزله عنها الأمير الظاهر[1] حين قبض على ولده، ثم قبَض عليه، وسُجن بالقلعة فلم يزل

---

(١) كلمة (الظاهر) لم تظهر في الصورة، وأثبتُّها من «الدارس» ١:٤٠، وهو الظاهر برقوق.

مسجوناً بها إلى أن توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وسبع مئة بالقلعة ودفن بالقُبَيبات، وقبره [مشهور..][1].

* * *

(١) زيادة من «الدارس». وهنا وقف الكلام ولم يظهر شيء بعده، وفي هذا الاستعراض من المصنف زيادة على «الدارس» من ناحيتين: من حيث العدد، فإن المصنف زاد عليه رقم ١٢، ١٤، ١٧، ٢٠، ٢١ ، مع ذكره تولي التاج السبكي المرة الثانية والثالثة ـ مع مافي آخر كلامه من نقص.
ومن حيث الترتيب: فإن المصنف سردهم مرتبين على الولاء، أما صاحب «الدارس» فذكر عشرة منهم مرتَّبين إلى التقي السبكي، ثم قال ١ :٣٦ فيمن زاده: «لم أتحقق الترتيب بينهم».
ولم يذكر صاحب «الدارس» زيادة على من ذكره المصنف هنا إلا علاء الدين أبا الحسن علي بن عثمان بن عمر الصيرفي الدمشقي الشافعي، المولود سنة ٧٧٨، والمتوفى سنة ٨٤٤، أي بعد وفاة المصنف بسنتين، فلذا لم يذكره.
وكانت مباشرة العلاء الصيرفي لمشيخة دار الحديث الأشرفية عقب وفاة المصنف، والمصنف توفي وهو شيخ لها لم يُعزَل عنها، كما يستفاد من كلام «الدارس» ١ :٤٣، و «لحظ الألحاظ» ص٣١٩.
ويلاحظ الفترة الزمنية الطويلة بين وفاة الزين القرشي هذا، وبين وفاة المصنف، وأنه لم يُذْكَر شيخ لدار الحديث فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

-٢-

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران - آية ١٦٤].

هذه الآية الشريفة آية واحدة باتفاق أهل العدد المدنيِّ والبصريِّ والكوفيِّ، وهذه الثلاثةُ هي التي عليها عددُ آيِ القرآن.

أما العددُ المدنيُّ: فمنسوب إلى قارىء المدينة أبي جعفرٍ يزيدَ بنِ القعقاع المخزوميِّ مولاهم، وإلى خَتَنه على ابنته ميمونةَ شيبةَ بنِ نِصاحِ ابنِ سَرْجِسَ[1] بن يعقوب، مولى أمِّ سلمةَ أمِّ المؤمنين، قاضي المدينة، ومات هو وأبو جعفر في عام واحد سنة ثلاثين ومئة.

وأما العدد البصري: فمنسوب إلى أبي المُجَشِّر عاصم بن أبي الصبَّاح الجَحْدري البصري المتوفَّى سنة ثمان وعشرين ومئة.

وأما العدد الكوفي: فرواه أبو محمد خلف بن هشام البزارُ، عن سليم بن عيسى[2]، عن حمزة بن حبيب الزيات أنه قال: هذا العددُ عددُ أبي عبدالرحمن السُّلَمي، ولاأشك فيه، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إلا أني أجبُن عنه.

---

(١) أفاد الأستاذ العلامة أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الحديث التاسع من «سنن الترمذي» أنه يجوز فيه الصرف وعدمه.

(٢) ضعيف، استدركتُ ترجمته على «تقريب التهذيب» عقب (٢٥٢٨).

وهذه الطرق الثلاثة في العدد تارةً ينفرد المدنيون بعدد دون البصريين والكوفيين، أو البصريون أو الكوفيون[١] دون الباقين، وتارة يتفق اثنان من الثلاثة دون الثالث، وتارة يتفقون على عددٍ من غير خلاف، كهذه الآية الشريفة، اتفق المدنيون والبصريون والكوفيون[١] على أنها آية واحدة.

ومعنى الآية لغة: العلامة، وتُطلق على الدليل، وقال أبو عُبيدةَ مَعْمَر ابن المثنَّى التَّيْمي مولاهم البصري: والآيةُ من القرآن إنما سُميت آيةً لأنها كلام متصل إلى انقطاع، وانقطاع معناه: انقطاعُ قصةٍ ثم قصة، قاله في كتابه «مجاز القرآن»[٢].

وهذه الآية الشريفة فيها قصةُ منٍّ من الله عز وجل منَّ به على المؤمنين مِن بَعْثِهِ أشرفَ الرسل صلوات الله وسلامه عليهم محمداً رسول الله ﷺ فيهم، ومن أنفسهم، وتلاوةِ كتاب الله عليهم، وتزكيتهم، وتعليمهم الكتابَ والحكمةَ: القرآنَ والسنةَ، وإنقاذِهم من الضلال المبين؛ فلم تنقطع قصةُ المنِّ والإخبارُ عنه إلا باستيفاء قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

فهذه آية واحدة، وهي من الجوامع، لاشتمالها على أحكام خطيرة، ومعانٍ كثيرة، تؤخذ معرفة علومها من منطوقها ومفهومها.

وسبيل مأخذ ذلك من وجوهٍ، منها الاعتبار، وهو أحد أقسام البلاغة.

واختُلِف في اشتقاقه، فقيل: من قولهم: عَبَرتُ النهر، إذا دخلتَ فيه من أحد شَطَّيْه إلى الآخر، فاعتبرتَ عُمقه ومافي قراره من سُهولِه أو غيرها بعبورك فيه.

وقيل: اشتقاقه من عَبَرتُ الدراهم، إذا عرفتَ أوزانها، وجيِّدها من رديئها.

---

(١) كتبها قلم المصنف في الموضعين: الكوفيين!.

(٢) ١: ٥ بتحقيق الدكتور فؤاد سزكين.

وقيل: هو من اعتبرتُ الكتاب، إذا قرأتَه في نفسك متدبِّراً ما فيه، لتحيط علماً بمعانيه.

وإذا اعتبرنا وجوه الكلام على هذه الآية الشريفة رأيناها تزيدُ على خمسين وجهاً[١]، منها: اعتبارُ الوسائط التي بها إلينا وصلتْ، وعنهم إلينا نُقلتْ، فإذا اعتبرنا ذلك وجدناهم على أقسام ثلاثة: قسم من الملائكة، وقسم من الرسل، وقسم من غيرهم.

فالأول: ماذُكِر في آياتٍ من القرآن، منها قول الله عز وجل: ﴿لكنِ الله يشهد بما أنزل إليك، أنزله بعلمه، والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيداً﴾ وقال الله عز وجل: ﴿وإنه لتنزيلُ رب العالمين * نَزَل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذِرين﴾، وهذا الروحُ الأمين هو جبريلُ روحُ القُدُس عليه الصلاة والسلام.

والقسم الثاني من الوسائط: الرسلُ عليهم الصلاة والسلام، وهم على مارَوَيناه في حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: أن الرسل ثلاث مئة وثلاثةَ عشرَ رسولاً[٢].

---

(١) انظرها في صفحة ٧١ ـ ٧٦.

(٢) ثبت هذا من رواية أبي أمامة عند الطبراني في «الكبير» ٨:١١٨ (٧٥٤٥)، قال الهيثمي في «المجمع» ٨:٢١٠: «رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد الحلبي، وهو ثقة»، وعزاه في ١:١٩٦ إلى الأوسط وقال: رجاله رجال الصحيح. وروي أيضاً من حديث أبي ذر، رواه عنه كثيرون، وهو حديث طويل، لم يورده كاملاً إلا ابن حبان ـ فيما وقفت عليه ـ ٢:٧٦ (٣٦١)، وسيأتي الكلام على روايته. وروايا‌ته التي فيها تحديد عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام بـ ٣١٣ رسولاً جاءت عند الطبري في أوائل «تاريخه» ١:٩٤ـ٩٥، وابن حبان، والحاكم ٢:٥٩٧، وسكت عنه، وتعقبه الذهبي بأن «السعدي ليس بثقة»، والبيهقي في «الشعب» ١:١٤٨ (١٣١) من طبعة بيروت = ١:٣٧٩ (١٣١) من طبعة الهند. وإسناد ابن جرير أمثلُها إن كان أَخْذه عن شيخه أحمد بن عبدالرحمن بن وهب قبل اختلاطه، وفيه: الماضي ابن =

ومن هؤلاء أُولو العزم، وهم على الأشهر: نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وأفضلُهم نبينا محمدٌ ﷺ، وهو المذكور في هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

والقسم الثالث من الوسائط: مَن كان مِن غير الملائكة والرسل، وهم على قسمين: صحابةٍ وغيرِهم.

فالأول: المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ فالذين بُعِث فيهم هذا الرسولُ وتلا عليهم القرآنَ وعلَّمهم الكتاب

= محمد، مختلف فيه. وإسناد ابن حبان فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، متروك متهم، والسعْدي في سند البيهقي أيضاً.

وقد قال ابن عدي ٧:٢٦٩٩ في ترجمة السعدي: «هذا الحديث ليس له من الطرق إلا من رواية أبي إدريس الخولاني والقاسم بن محمد، ـ هكذا ـ عن أبي ذر». ورواية ابن جرير المتقدمة هي من رواية القاسم بن محمد عن أبي إدريس، عن أبي ذر، ولذلك جعلها ابن حجر في تعليقة له على «موارد الظمآن» للهيثمي ص٥٤ (٩٤) شاهداً.

وجاء في روايات أخرى بلفظ ٣١٥ رسولاً، وبلفظ: بضعة عشر وثلاث مئة، رواه أحمد ٥:١٧٨، ١٧٩، والطيالسي ص٦٥ (٤٧٨)، ومن طريقه ـ وطريق غيره ـ البزار، كما في «كشف الأستار» ١:٩٣ (١٦٠). وفي أسانيدهم أبو عمر ـ أو أبو عمرو ـ الدمشقي، قال الدارقطني: متروك، كما في «التهذيب». واقتصار الهيثمي ١:١٦٠ على إعلاله بالمسعودي غير جيد.

وقد اقتصر النسائي في «سننه» ٤:٤٦١ (٧٩٤٤) على قوله ﷺ: «ياأبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الجن والإنس». وفي إسناده مافي إسناد أحمد والطيالسي والبزار.

وخلاصة ذلك: أن رواية حصر عدد الرسل ثابتة، والرواية الطويلة التي انفرد بها كاملة ابن حبان لاتصح، وأما الروايات المختصرة التي فيها السؤال عن عدد الأنبياء والرسل، والصلاة والصيام والصدقة: فيمكن تحسينها بمجموعها.

والحكمة هم الذين نَقلوا إلينا ذلك، وهم الصحابة رضي الله عنهم، كما هو ظاهر الآية، أن المؤمنين الذين بُعث فيهم نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام هم أصحابه.

وقيل: هم المؤمنون مطلقاً، وأفضلهم الصدر الأول الذين شاهدوا تنزيل القرآن وتلقَّوه عن النبي ﷺ في ذلك الزمان.

والثاني: مَنْ بعد الصحابة من السلف والخلف.

وهذه الوسائط على أقسامها الثلاثة يُطلَق عليها الإسناد، ويقال له السند، عند الجمهور، وفرَّق آخرون بينهما فجعلوا الإسنادَ: رفعَ الحديث إلى قائله، من قولهم: أسندَ في الجبل إذا صَعِد فيه وَعَلا على سفحه. والسندَ: الإخبارَ عن طريق المتن.

ويطلَق على المتن: الأثرُ والخبرُ والحديثُ، لكنْ في اصطلاح الفقهاء من الخراسانيين أن مايُروى عن الصحابة رضي الله عنهم يسمَّى بالأثر، ومارُفع إلى النبي ﷺ يسمى بالخبر، كما حكاه عنهم شيخ الإسلام أبو زكريا النواوي رحمة الله عليه[1].

---

(١) في «الإرشاد» ص ٧٦، و«التقريب» ١: ١٨٤ بشرحه، وأصل الكلام للإمام ابن الصلاح في «مقدمته» آخر النوع السابع معرفة الموقوف، فالعزو إليه أولى.
ووجه تسمية المرفوع خبراً ـ والله أعلم ـ: أنه من باب الوحي، فالنبي ﷺ بحكايته لنا يخبرنا عن الله عز وجل.
ووجه تسمية الموقوف ـ والمقطوع ـ أثراً: أن الأثر ـ الذي هو أَثَر الأقدام على الأرض ـ يُقْتَفَى ويتَّبع، للوصول إلى مكان صاحبه، فكذلك آثار الصحابة والتابعين تُقْتَدى وتتَّبع للوصول إلى مقاماتهم، وهو الاهتداء بهديهم، ولهذا أطلقوا كلمة (الأثر) على المرفوع أيضاً، كما قاله النووي في «التقريب»: بشرحه.
وأما إطلاقهم (الحديث) فلملاحظة أنه في مقابلة كلامِ الله عز وجل القديم. كما سيأتي بعد أسطر، وانظر «التدريب» ١: ٤٢. =

وجاء عن آخرين إطلاقُ الخبر على غير المرفوع، وتخصيصُ الحديث بالمرفوع[١].

أما الأثر: فهو مِن أَثَرتُ الحديث ـ بالفتح ـ آثُره ـ بالضم ـ إثْراً ـ بالسكون ـ فهو مأثور: إذا رويتَه، والاسم الأثر.

وأما الخبر: فهو مِن أَخبَر بالشيء يُخبر به، إخباراً، إذا أَعلم به، فهو مُخبِر، والاسم الخبر.

ومعنى الحديث في اللغة: ضد القديم، ويطلق على الخبرِ قليلِه وكثيرِه لأنه يحدُث شيئاً فشيئاً، فسمِّي حديثاً، ثم صار الحديث عَلَماً على السنَّة التي هي أقوالُ النبي ﷺ وأفعالُه وتقريرُه[٢]، لأنها حَدَثَت منه شيئاً فشيئاً، إلى أنْ أكملها الله تعالى حسبما ورد به النصُّ.

ويطلق على السنة المتنُ أيضاً، ولايوصَل إليه إلا بالسند كما تقدم، ويتعلق بالسند نيِّفٌ وأربعون نوعاً من أنواع علوم الحديث، كالمسنَد، والمرسل، والمتصل، والمنقطِع، والمعضَل، والمقلوب، والمسلسل،

= ويحسن التنبيه هنا إلى مانبَّه إليه العلامة الكافِيَجي رحمه الله في أول رسالته «المختصر في علم الأثر» ص١١٠ قال: «الحديث في اللغة هو الخبر، يقال على القليل والكثير، والمراد منه هاهنا: هو اللفظ، سواء كان مركباً أو غيره. فعُلم من هذا فساد قول من قال: المراد منه هاهنا: كلام يحتمل الصدق والكذب».

(١) حكاه الحافظ في «شرح النخبة» ص٢٧ ـ بحاشية «لَقْط الدُّرر» ـ وصدَّره بـ «قيل».

(٢) ظاهر كلام المصنف رحمه الله التسوية بين الحديث والسنة، في حين أن الحديث أعمُّ من السنة، فالسنة قاصرة على هذه الثلاثة: الأقوال والأفعال والتقريرات النبوية، أما الحديث: فهو هذه الثلاثة ويزاد عليها: أوصافه ﷺ، وحركاته وسكناته في اليقظة والمنام، كما قال السخاوي في «فتح المغيث» ١: ٨.

والمزيد، والمتفِق والمفترِق، والمؤتلِف والمختلِف، والمتشابه. ومن ذلك: المتواتر، ومنه المستفيض، ومنه المشهور، وصحيح الإسناد، وحَسَنه، وضعيفه، إلى غير ذلك.

فمما نُقل بالإسناد الصحيح المتواترِ بالإجماع المتيقَّنِ بالعلم القطعي من غير انقطاع: كلامُ الله القرآنُ الذي تلقَّاه النبي ﷺ، عن جبريل عليه الصلاة والسلام، عن ربِّ العالمين جل وعلا.

ومنه هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾ وهي القرآن، تلقَّاه منه المؤمنون حين تلاه عليهم، وهم الصحابة خير القرون، وأخذه عنهم التابعون، ثم مَن بعدهم، وهلُم جراً، حتى انتهى علم ذلك إلينا، وآضَتْ[١] بركاته لدينا، وفاضتْ أنواره علينا. ولله الحمد.

والقسم الثاني من الوسائط: وهو الصحابة رضي الله عنهم، وكلهم عدول.

واختلف في تعريف الصحابي على أقوالٍ أجمعُها أن الصحابي مَن لقي النبيَّ ﷺ في حياته، بعد المبعث، من المسلمين، ممن يَعقِل[٢]، ثم مات مسلماً.

---

(١) بمعنى: عادتْ ورجعتْ.

(٢) بالقوّة أو بالفعل؟ وقوله الآتي «له رؤية بلا رواية»: يدل على أنه يريد هنا: بالقوّة وبالفعل أي: ولو كان حين اللقاء صغيراً جداً لايعقل. ثم عَقَل ولو بعد وفاته ﷺ، فإنه يعدُّ صحابياً، كمحمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، فإنه ولد في الطريق إلى حجة الوداع، وكان له أشهر حين وفاة النبي ﷺ، لكنه معدود في الصحابة، نعم هو معدود في الصحابة من حيثُ حصولُه على شرف الصحبة، لكن من حيث الرواية: فهو وأمثاله ينطبق عليهم قول الحافظ ابن حجر في مقدمة كتابه «الإصابة»: أحاديثهم مرسلة عند المحققين، أي: كمراسيل التابعين، يقبلها من يقبل مراسيل التابعين ويردها من يردها.

وهم على طبقات، منهم: سابقون، وغيرهم، ومن السابقين: مهاجرون، وغيرهم، ومن المهاجرين: مَن له روايةٌ، ومنهم من له رؤيةٌ بلا رواية. وأصحاب الرواية: منهم المكثِرون، ومنهم المقلّون.

وأعلا المكثرين: أصحابُ الألوف من الأحاديث، كأبي هريرة وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهم.

وأدنى المقلِّين: من له حديث واحد، بل مَن له روايةُ لفظةٍ واحدةٍ، كطارق بن شهاب بن عبدشمس البَجَلي الأَحْمَسي[١]، أو عقلَ أمراً مّا من النبي ﷺ مرةً واحدة كمحمود بن الربيع بن سُراقة الأنصاري[٢].

ومن أنواع تطبيقهم[٣]: أن منهم خلفاء وغير خلفاء، وأمراء وغير

---

(١) طارق بن شهاب ثبت أنه رأى النبي ﷺ وهو رجل ليس صغيراً، لكن الخلاف في سماعه، وقد روى له النسائي خمسة أحاديث، وأبو داود حديثاً واحداً فيمن تجب عليه صلاة الجمعة ـ لافي غسل الجمعة، كما قال ابن حجر في «الإصابة» ـ ولفظه ١: ٦٤٤ (١٠٦٧): «الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض». قال في ترجمته في «الإصابة» ٣: ٢٨١: «إذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح».
قلت: وهذا مستغرب من الحافظ رحمه الله! إذ لافرق في هذه الجزئية بين طارق بن شهاب هذا، وبين من كان دون سن التمييز يوم وفاة النبي ﷺ، والصحابي الذي قَبِل مراسيله جماهير العلماء هو الصحابي الذي سمع وحضر أشياء من النبي ﷺ، وغاب عن أشياء فرواها، كرواية أنس ـ مثلاً ـ لمعجزة انشقاق القمر، وقد قال الحافظ نفسه في «الفتح» ٧: ٤ أثناء كلام له: «.. من قبيل مراسيل الصحابة الذين سمعوا من النبي ﷺ». والله أعلم.

(٢) وحديثه عند البخاري في مواضع، أولها في كتاب العلم ـ باب متى يصح سماع الصغير ١: ١٧٢ (٧٧) ولفظه: «عقَلْت من النبي ﷺ مجة مجَّها في وجهي ـ وأنا ابن خمس سنين ـ من دلو».

(٣) أي تصنيفهم وترتيبهم على طبقات.

أمراء، ونقباء وغير نقباء، وخطباء وغير خطباء، وشعراء وغير شعراء، وشهداء وغير شهداء.

ومن أنواع تطبيقهم: أولهم إسلاماً مطلقاً، وآخرهم إسلاماً مطلقاً، وأول المهاجرين إسلاماً، وأول الأنصار إسلاماً.

ومن أنواع تطبيقهم: مراتب السابقين، وهي تسع مراتب:

الأولى: كأبي بكر، وخديجة، ومن كان في حَجْر النبوة رضي الله عنهم.

الثانية: كعثمانَ بن عفانَ، وسعد بن أبي وقاص، وبلال رضي الله عنهم.

الثالثة: أصحاب دار الأرقم بن أبي الأرقم التي عند الصفا، وكانوا تسعة وثلاثين صحابياً من السابقين، وكَمُلوا بإسلام عمر بن الخطاب أربعين، وللإمام أبي القاسم سعيد بن يعقوب بن شاه الكُشَاني مصنَّف في ذِكر هؤلاء الأربعين وتراجمهم ومايتعلق بذلك سماه «السراج».

الرابعة: مهاجِرة الحبشة.

الخامسة: أصحاب العقبتين من الأنصار.

السادسة: من أدرك النبي ﷺ بقُباءَ في الهجرة قبل أن ينتقل إلى المدينة.

السابعة: من صلّى القبلتين مع النبي ﷺ.

الثامنة: أهل بدر.

التاسعة: أهل بيعة الرضوان. وبهم انقطع السابقون، وقد شُهد لهم بأنهم من أهل الجنة لايدخلون النار.

أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبد الله محمد ابن الذهبي الدمشقي، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن الشيخ عمر ابن الشيخ القدوة أبي بكر بن قَوَام البالِسي، وأبو الحسن عليٌّ، وأم

محمد زينب وَلَدا الفخرِ عثمان بن محمد بن الشمس لولو الحلبي، وأم عبد الله زينب ابنة الإمام أبي محمد عبد الله ابن الإمام أبي أحمدَ عبد الحليم ابن تيميَّةَ الحرَّانيةُ، بقراءتي على الأول بجامع كَفْر بَطنا من الغوطة، وعلى الثاني بزاوية جدِّه من سفح قاسيون، وعلى الأخوين بجامع بيت لِهْيا، وعلى ابنةِ تيميةَ بمنزلها داخل دمشق قالوا:

أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب الدَيْرَمُقْرِني ـ قال عليٌّ وابنة تيمية: حضوراً، وقال الباقون: ونحن نسمع، زاد أبو هريرة فقال: وأخبرنا عيسى بن عبدالرحمن السِّمْسار الصالحي قراءةً عليه وأنا حاضر في الثالثة، وأجاز لي مايرويه، وأبو الفضل سليمان بن حمزة الحاكم، وأبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم المقدسيان إجازةً قالوا ـ سوى ابن عبد الدائم ـ: أخبرنا أبو المنجَّى عبد الله بن عمر العَتَّابي، وقال الحاكم أيضاً وابن عبد الدائم: أخبرنا الحسين بن المبارك الزَّبيدي قراءة عليه، قال القاضي[1]: وأنا حاضر، وابن عبدالدائم: وأنا أسمع، قالا: أخبرنا عبد الأول بن عيسى السِّجْزي، أخبرنا محمد بن أبي مسعود الفارسي، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الهَرَوي، أخبرنا عبد الله بن محمد البَغَوي، حدثنا العلاء بن موسى البغدادي، أخبرنا الليث بن سعد المصري، عن أبي الزبير المكي، عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «لايدخُلُ أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة النارَ». هذا حديث حسن صحيح، قاله الترمذي بعد أن خرَّجه في

---

(١) هو الحاكم نفسه سليمان بن حمزة، والحاكم والقاضي بمعنى واحد، وكان قاضي القضاة، كما وصفه وترجمه تلميذه الذهبي في «معجم الشيوخ» ١:٢٦٨ (٢٩٦) وأشاد به. ومما ذُكر في ترجمته: أنه كان إذا ترافع إليه الخصوم في أمرٍ ما، لايقضي بينهم حتى يقول لهم: صلُّوا على النبي ﷺ، فإذا صلَّوْا حكم بينهم، وذكر هذا عنه أيضاً السخاوي في آخر «القول البديع» من طبعتي التامة المزيدة على سائر طبعات هذا الكتاب، والحمد لله.

«جامعه»، كما خرَّجه أبو داود والنسائي من حديث الليث بن سعد[١].

وقال مسلم في «صحيحه»[٢]: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا محمد بن رُمْح، أخبرنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه، أن عبداً لحاطبٍ جاء رسولَ الله ﷺ يشكو حاطباً فقال: يارسول الله لَيدخلَنَّ حاطبٌ النارَ! فقال رسول الله ﷺ: «كذبتَ[٣]، لايدخلُها، فإنه شهد بدراً والحديبية».

ولم يخرِّج البخاري حديثَ الليث هذا ـ والله أعلم ـ لعلَّة هي من باب المزيد في الأسانيد[٤]، لكنها لاتقدح، وهي رواية جابر رضي الله عنه للحديث، عن أم مبشِّرٍ الأنصارية الصحابية، بنتِ البراءِ بن معرورٍ زوجِ زيد بن حارثة رضي الله عنهم.

أنبأنا الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المقدسي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفخرِ عليِّ بن أحمد، وزينبُ ابنةُ الكمال أحمد، وحبيبة ابنة الزَّين عبد الرحمن المقدسيون قراءةً عليهم وأنا أسمع قالوا: أخبرنا محمد بن نصر بن أبي الفرج بن الحُصَري إجازةً ـ زادت زينب فقالت: ومحمد بن عبد الكريم بن السيِّدي كتابة ـ قالا أخبرنا أبو الفتح عبيد الله بن عبد الله بن شاتيل قراءةً عليه ونحن نسمع ـ قال ابن

---

(١) أبو داود ٥: ٤١ (٤٦٥٣)، والترمذي ٥: ٦٥٢ (٣٨٦٠) ـ وقال حسن صحيح ـ والنسائي في «الكبرى» ٦: ٤٦٤ (١١٥٠٨).

(٢) ٤: ١٩٤٢ (١٦٢).

(٣) كذبت هنا بمعنى أخطأت. وانظر شرح النووي ١٦: ٥٧. والاستدراك ص٤٧٧.

(٤) هذا نوع من أنواع علوم الحديث، وتعريفه ـ كما في «لَقْط الدرر» ص ٩٢ ـ: «أن يزيد الراوي في إسناد حديث رجلا أو أكثر، وهما منه وغلطاً». ويبقى السند متصلاً بعد حذف الزيادة الموهومة. وهذا نوع من أنواع العلة في السند، وقد تقدح فيه، وقد لاتقدح ـ كما هنا ـ وسيأتي بأوفى منه في المجلس ٩ ص ١٩٤.

الحُصَري: وأنا حاضر ـ أخبرنا أبو هاشم عيسى بن أحمد بن محمد الدُّوشَابي[١] سماعاً، أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن علي بن البُسْري، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان، أخبرنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس، حدثنا أحمد بن عبيدالله النَّرْسي، حدثنا حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول:

أخبرتْني أمُّ مبشِّر رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لايدخلُ النارَ إن شاء الله أحدٌ من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها» قالت حفصة: بلى يارسول الله ! فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وإنْ منكم إلا واردُها كان على ربك حتماً مَقْضِياً﴾ فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتقوا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِياً﴾». خرَّجه مسلم في الفضائل عن هارون بن عبدالله، والنسائي في التفسير عن هارون والحسن بن محمد، كلاهما عن حجاج بن محمد، به[١].

وقال أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأَصْبَهاني في «كتاب المعرفة»[٢] حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن الصبَّاح، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لن يدخلَ النارَ أحدٌ شهد بدراً والحديبية».

وقال محمد بن سعد في «الطبقات الكبرى»[٣]: أخبرنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني، حدثني إبراهيم بن عَقيل بن مَعْقِل، عن أبيه، عن وهب بن منبِّه قال: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كم كانوا

---

(١) نسبة إلى الدوشاب، وهو الدِّبْس في العربية كما في «اللباب» لابن الأثير.
(٢) ١ : ١٢٥ (٢٦)، وتحرف فيه الأعمش إلى: الأعشى.
(٣) ٢ : ١٠٠.

يوم الحديبية؟ قال: كنا أربعَ عَشْرةَ مئةً، فبايعته[١] تحت الشجرة ـ وهي سَمُرَةٌ ـ وعمر رضي الله عنه آخذٌ بيده غيرَ جَدِّ بن قيس اختبأ تحت إبط بعيره.

وسألته: كيف بايعوه ؟ قال: بايعْناه على أن لانفرَّ، ولم نبايعْه على الموت.

وسألته: هل بايع النبيُّ ﷺ بذي الحليفة ؟ قال: لا، ولكنْ صلى بها ولم يبايعْ عند الشجرة إلا الشجرةَ التي بالحديبية، ودعا النبيُّ ﷺ على بئر الحديبية[٢]، وأنهم نحروا سبعين بدنةً، بين كل سبعةٍ منهم بَدَنة.

قال جابر: وأخبرتْني أمُّ مبشِّر رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ عند حفصة رضي الله عنها يقول: «لايدخلُ النارَ إن شاء الله أصحابُ الشجرة الذين بايعوا تحتها» قالت حفصة: بلى يارسول الله ! فانتهرها فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ فقال النبي ﷺ: «قال الله عز وجل: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتَّقوا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيّاً ﴾».

ورواه سُنَيد في «تفسيره» فقال: وحدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: كنا في يوم الحديبية أربعَ عشْرةَ مئة فبايعْنا رسول الله ﷺ ـ وعمرُ بنُ الخطاب آخذٌ بيده تحت الشجرة، وهي سَمُرَة ـ فبايعناه غيرَ الجدِّ بن قيس اختبأ تحت بطن بعيره. قيل لجابر: هل بايع النبيُّ بذي الحُلَيفة؟ قال: لا، ولكنه صلى بها ولم يبايع تحت الشجرة إلا الشجرة التي عند الحديبية. قال أبو الزبير: قلت لجابر: كيف بايعوا؟ قال: بايعناه على أن لانَفِرَّ، ولم نبايعه على الموت.

---

(١) في المطبوع: فبايعناه.

(٢) أي: عند بئر الحديبية.

أهلُ هذه البيعة يقال لهم أصحاب الشجرة، وأصحاب السَّمُرة، وأهل الحديبية، وأهل بيعة الرضوان، وشهود هذه البيعة آخر مراتب السابقين، كما تقدم، وأعلاها مرتبةً مَن كان إسلامه أولَ الصحابة كأبي بكر الصديق رضي الله عنه، على قول الجمهور[١]، وعليه قول حسان ابن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

إذا تَذَكَّرتَ شَجْواً من أخي ثقةٍ ... فاذكُر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا[٢]

خيرَ البرية أتقاها وأعدَلَها ... بعد النبي وأوفاها بما حَمَلا

والثانيَ التاليَ المحمودَ مشهدُه ... وأولَ الناس منهم صدَّق الرسلا[٣]

---

(١) أولية مطلقة، ونَسَب هذا القول إلى الجمهور أيضاً ابن كثير في «البداية» ٣: ٢٧، وابن حجر في «الفتح» ٧: ١٧٠، وقال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» ص٤٠: هو قول خلائق من الصحابة والتابعين وغيرهم، بل ادعى بعضهم الإجماع عليه. أما العراقي في «التقييد والإيضاح» ص٢٦٦ فحكى القول بأولية علي رضي الله عنه عن أكثر الصحابة! والله أعلم. وانظر «طبقات» ابن سعد ٣: ٢١، ١٧١، و «فضائل الصحابة» للإمام أحمد ١: ٢٢٣، ٢: ٥٨٩، و «الرياض النضرة» للمحب الطبري ١: ٨٥، ٣: ١٠٩، وآخر مناقب علي رضي الله عنه في «سنن الترمذي» ٥: ٦٠٠ (٣٧٣٤، ٣٧٣٥) وشروحه.
وقيل: هو أولهم إسلاماً من الرجال، وأولهنَّ من النساء خديجة، وأولهم من الأطفال علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، روى هذا الحاكم في «تاريخ نيسابور» عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، كما في «فتح المغيث» ٤: ١٢٦، وحكاه عنه ابن كثير في «تاريخه» ٣: ٢٨، ٣١ دون تخريج وعزو. وفي «أوائل» السيوطي ص٨١ (٥٧٠) حكايته عن ابن عباس نقلاً عن تاريخ ابن عساكر. وهذا الجمع يوفق بين الأقوال ويرفع الخلاف.

(٢) قال الأستاذ البرقوقي في شرح ديوان حسان بن ثابت: «الشَّجْو الهم والحزن. يقول: إذا تذكرت مايحزنك من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعله معك فإنه ينسيك بِفِعاله ماكان من غيره، يقول: إن أبا بكر لم يفرُط منه مايشجي ويحزن، أما غيره فكان منه كل مايشجي ويهيج الأحزان».

(٣) الأبيات مشهورة مذكورة في كثير من المصادر، وهي في «ديوانه» أول قافية=

وبهذا استشهد ابن عباس رضي الله عنهما على أن أبا بكر رضي الله عنه أول من أسلم مطلقاً[1].

وأما أول الأنصار أسلم مطلقاً: فهو إياسُ بنُ معاذ الأَوْسِيُّ الأَشْهَلي، قدم مكةَ وهو غلام قبل الهجرة في نفر من قومه يطلبون الحلف من

= اللام ص٣٥٢ من شرح الأستاذ عبدالرحمن البرقوقي عليه مع زيادة بيتين آخرين عليها. نقلاً عن «جمهرة أشعار العرب»، وهي فيه ١ : ١٥٠ بإسناده إلى بكر بن سليمان البصري المتوفَّى سنة ١٩٠ تقريباً، ينسبه إلى ابن مسعود المتوفى سنة ٣٢، ففيه إعضال كبير!.

ورواه الحاكم في «المستدرك» ٣ : ٦٤ من طريق الحارث بن أبي أسامة، عن الخليل بن زكريا، وهو متروك. ورواه الطبري في «تاريخه» ١ : ٥٣٩ عن سهل بن موسى الرازي، عن عبد الرحمن بن مغراء، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، وهذا إسناد متماسك الظاهر، على مافي مجالد مِن كلامٍ مِن قِبَل حفظه، لكن الحديث معروف من رواية الهيثم بن عدي - بدلاً ابن مغراء -. رواه كذلك عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائده على كتاب الزهد لأبيه» ص١٣٩، وفي «زوائده على كتاب فضائل الصحابة» لأبيه أيضاً ١ : ١٤٢ (١١٩)، والطبراني في الكبير ٢ : ٨٩ (١٢٥٦٢)، والهيثم طائي يكنى أبا عبد الرحمن، وهو متروك كذلك.

ولكونه معروفاً من رواية الهيثم قال أبو حاتم الرازي في «علله» ٢ : ٣٨٢: «أرى أبا زهير - هو ابن مغراء - أخذه عن الهيثم بن عدي». ولذلك أعقب الإمام الطبري الطريق السابقة بروايته من وجهين عن الهيثم بن عدي، كالمُعِلِّ له. ورواه عبد الله في «زوائده على كتاب فضائل الصحابة» ١ : ١٣٣ (١٠٣) عن محمد بن حميد الرازي، عن ابن مغراء، وابن حميد متروك، وكذبه بعضهم، وهو في أحد أسانيد الطبري. ورواه ابن أبي شيبة عن شيخ له غير مسمًّى، عن مجالد - ومن طريقه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ٢ : ٢٤٤ - وعزاه ابن كثير ٣ : ٢٧ إليه وإلى يعقوب بن سفيان، وفي إسناده رجل مبهم أيضاً. فالله أعلم بثبوت الأبيات عن حسان.

(١) حينما سأله الشعبي عن ذلك، كما تجده في المصادر الحديثية السابقة.

قريش على قومهم من الخزرج، بسبب الحرب التي كانت بين الأوس والخزرج، فسمع بهم رسولُ الله ﷺ فأتاهم فعرضَ عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآنَ فقال إياس لقومه: هذا والله خير مما جئتم له، فرجع ومات قبل الهجرة ؛ وذكر قومه أنه مات مسلماً رضي الله عنه، قاله بنحوه أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن مَنْدَهْ في كتابه في «المعرفة» بعد أن ذكره في الصحابة[1] وقصتُه بطولها رُوِّيناها من طريق ابن إسحاق في «المغازي»[2].

وقد ذكرته مع ذكرِ ستةٍ سابقين من الأنصار، وأصحابِ العقبتين في أبياتٍ وهي:

ألا أولُ الأنصار أسلم مطلقاً ... إياسُ معاذٍ ستةٌ بعدُ تابعوا

بمكةَ هم عوفٌ وأسعدُ جابرٌ ... وقُطْبَةُ منهم عقبةٌ ثم رافعُ

ومات إياسٌ ثم وافَوْا بسبعة ... سوى جابرٍ عهدَ النساء فبايعوا

عبادةُ عباسٌ عُوَيْمٌ يزيدُ معْ ... مُعَوِّذَ، ذكوانُ، ابنُ تَيْهانَ سابعُ

وبعدُ أتَوْا بضعاً وسبعين بايعوا ... على الهجرة الغراء والسعدُ طالعُ

فحازوا رسولَ الله حياً ودفنَهَ ... بطيبةَ فضلاً عمَّ والفضلُ واسعُ

آخر المجلس ولله الحمدُ

وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم

* * *

(١) انظر «أسد الغابة» ١ :١٨٦، و«المعرفة» لأبي نعيم ٢ :٣٢٥.

(٢) «سيرة ابن هشام» ٢ :٦٧، ومن طريقه الطبراني في «الكبير» ١ :٢٧٦، والحاكم في «المستدرك» ٣ :١٨٠ وقال: «صحيح على شرط مسلم» فتعقَّبه الذهبي بأنه «مرسل»، لكن قال الحافظ في «الإصابة» ١ :٩٣ آخر ترجمة إياس: «هو من صحيح حديثه» أي: من صحيح حديث ابن إسحاق.

الحمد لله:

إياس بن معاذ الأوسي الأشهلي.

عوف ابن عَفْراءَ، وهي أمه، وأبوه الحارث بن رفاعة النجّاري.

أسعد بن زُرارة النجّاري أبو أمامة، نقيب النقباء.

جابر بن عبدالله بن رِئاب الخَزْرَجي السَّلَمي.

قطبة بن عامر بن حَدِيدة الخَزْرَجي السَّلَمي.

عقبة بن عامر بن نابي الخزرجي السَّلَمي.

رافع بن مالك بن العَجْلان الخزرجي الزُّرَقي، أحد النقباء.

عبادة بن الصامت الخزرجي القَوْقَلي[1]، أحد النقباء.

عباس بن عُبادة بن نَضْلَة الخزرجي العَجْلاني.

عوَيْم بن ساعدة، من بني عمرو بن عوف.

---

(١) قال في «القاموس»: «القوقل: اسم أبي بطنٍ من الأنصار، لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو بيثرب قال له: قَوْقِلْ في هذا الجبل، وقد أمنتَ، أي ارْتَقِ». أما ابن دريد ففسَّره في «الاشتقاق» ص ٤٥٦ بـ: «التغلغل في الشيء والدخول فيه». واسم هذا الرجل: غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج كما قال ابن الأثير في «اللباب» ٣:٦٤ من زياداته على السمعاني، وفيه: غانم بن عوف، وهو خطأ مطبعي.
ولغَنْم إخوة ثلاثة: عوف، وسالم، وعَنْز، وقد جعل ابن حزم في «جمهرته» ص٣٥٣ عَنْزاً هو القوقل، وعبارة ابن سعد في «الطبقات» ٣:٥٤٦: «ومن القواقلة، وهم بنو غنم وبنو سالم ابني عوف..» فجمع بين بني الأَخَوين، ولامنافاة ولاإشكال، فلفظ ابن الأثير نفسه في «أسد الغابة» ٣:١٦٠ ترجمة عبادة تدل على أن اللقب لغنم أصالة، ثم عُمِّم على بني عوف بن الخزرج جميعهم، فالقوقل: هو غنم، والقواقل: هم بنوه وبنو إخوته.

يزيد بن ثعلبة أبو عبدالرحمن، حليف الأنصار.

معوِّذ ابن عفراء، أخو عوف.

ذكوان بن عبد قيس بن خالد الخزرجي الزُّرَقي، وهو أنصاري مهاجري.

مالك بن التَّيِّهان أبو الهيثم الأوسي، أحدُ النقباء في قولٍ. رضي الله عنهم.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٣ ـ

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾[1]. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

الحمد لله رب العالمين.

الكلام على هؤلاء الآيات الشريفات من واحد وخمسين وجهاً من المعاني المنوَّعات:

الأول: فيما يتعلَّق بمعرفة الله تعالى، من قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله﴾ وأن معرفةَ الله أولُ الواجبات، لاالنظرُ المؤدِّي إليها، خلافاً للأستاذ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإِسْفَرَاييني، ولاأولُ جزء من النظر المؤدي إلى معرفة الله، ولاقصدُ النظر المذكور، خلافاً لمن شَرَط ذلك في أول الواجبات[2].

الوجه الثاني: في الصفاتِ الإلهية المتعلِّقة باسم الله عز وجل، وذكرِ بعض الأسماء الحسنى، ومنها: المنان[3]، خلافاً لمن أنكر وروده.

---

(١) البسملة والآية الكريمة أضفتهما ليتناسب هذا المجلس مع المجالس الأخرى في الافتتاحية.

(٢) هذه أربعة أقوال، أولها: معرفة الله عز وجل، وهو قول الإمام أبي الحسن الأشعري، وثانيها: قول أبي إسحاق الإسفراييني، وثالثها: للقاضي الباقلاني، ومعناه مذكور في أول كتابه «الإنصاف»، ورابعها: لإمام الحرمين، وهو مذكور أول كتابه «الإرشاد» ص٢٥، وهناك أقوال أخرى، انظرها وانظر توضيح قول الباقلاني وإمام الحرمين في شرح العلامة البيجوري على «جوهرة التوحيد» ص٣٧.

(٣) تخصيص المصنف رحمه الله تعالى لهذا الاسم الكريم بالذكر، للخلاف الذي =

الوجه الثالث: ذكرُ الخلافِ في الاسم: هل هو المسمَّى أو غيرُه، أو لا هو المسمَّى ولاغيرُ المسمى؟ وبيانُ مذهب أهل السنة في ذلك.

الوجه الرابع: إثباتُ الرسالة والنبوَّة، والردُّ على منكري النبوات، ومايتفرَّع من ذلك.

الوجه الخامس: في معنى النبي لغةً واصطلاحاً، وهل هو أعمُّ من الرسول أم لا؟ وذكرِ مرتبتَي النبوةِ والرسالةِ، وأيُّهما أفضل.

الوجه السادس: إثباتُ وجودِ الملائكة ـ ومنهم روحُ القُدُس جبريلُ ـ عليهم السلام.

الوجه السابع: بيانُ المؤمنين المشارِ إليهم في الآية، هل هم المؤمنون مطلقاً أو العرب؟.

الوجه الثامن: في معنى إطلاق ذكر المؤمنين هنا ولم يقيَّد، كما في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ الآية، وهل يُحمل ذاك المطلقُ على هذا المقيَّد أم لا؟.

الوجه التاسع: في معنى الإيمان لغة واصطلاحاً، وهل هو مخلوق أم لا؟.

الوجه العاشر: بمَ يستحقُّ الإنسان اسم الإيمان؟.

الوجه الحادي عشر: بيانُ أول المؤمنين مطلقاً من هذه الأمة، ومقيَّداً، كأولِ من أسلم من المهاجرين، وأولِ من أسلم من الأنصار.

الوجه الثاني عشر: بيانُ أقسام المؤمنين المشارِ إليها بقوله تعالى:

= أشار إليه، وفي المكتبة الظاهرية بدمشق رسالة للمصنف ـ بخطه ـ في الكلام على حديثين: أحدهما في «مجابي الدعوة» لابن أبي الدنيا، والآخر حديث أنس في دعاء الرجل: الحنان المنان. وسيأتي الكلام على حديث أبي هريرة وأنس إن شاء الله في المجلس ١١ ص ٢٤٥، ٢٤٦.

﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ الآية.

الوجه الثالث عشر: تلاوةُ القرآن ومعناها لغة واصطلاحاً، وبيانُ بعض أحكامها.

الوجه الرابع عشر: بيانُ أن الكتاب هو القرآن، وهل تسميتُه بالكتاب باعتبار كتابته في اللوح المحفوظ، أو باعتبار ما آل إليه الأمر من جمعِ أبي بكر رضي الله عنه القرآنَ وكتابته إياه بين الدَّفَّتين؟.

الوجه الخامس عشر: ذكرُ بعضِ علوم القرآن من التفسير والتأويل، وذكرُ معناهما لغةً واصطلاحاً، والفرقُ بينهما.

الوجه السادس عشر: الإشارة إلى ذكرِ الخطأ في تأويل آياتِ الصفات وأحاديثِها الثابتات، هل يُكْفَر المخطِئُ في ذلك أم لا؟.

الوجه السابع عشر: الكلامُ على أسباب نزول القرآن، وذكرُ سببِ نزول هذه الآية.

الوجه الثامن عشر: بيانُ أن القرآن نَزَل مرتين، وما السرُّ في ذلك، وذكرُ أولِ شيء نزل من القرآن، وآخرِ شيء نزل منه.

الوجه التاسع عشر: ذكرُ إعجاز القرآن وبعضُ وجوهه.

الوجه العشرون: الكلامُ على أحد قسمَيِ المتشابه في القرآن.

الوجه الحادي والعشرون: ذكرُ مافي الآية من وجوه القراءات المختلَف فيها، وذكرُ الحجةِ لها من العربية.

الوجه الثاني والعشرون: الإشارةُ إلى بعض الأمثال المضروبة في القرآن.

الوجه الثالث والعشرون: الإشارةُ إلى الناسخ والمنسوخ.

الوجه الرابع والعشرون: بيانُ (الحكمة) المشار إليها في هذه الآية، وأنها سنة النبي ﷺ، وذكرُ بعض وجوه السُّنَن، ومعاني الحكمة، وبيان الحكمة الفلسفية، وكيف انتقلتْ فوضِعت بين المسلمين.

الوجه الخامس والعشرون: استحبابُ مدارسة القرآن.

الوجه السادس والعشرون: بيانُ مافي الآية من الوعد والوعيد، والمدح والذم.

الوجه السابع والعشرون: الكلام على المنّ، وبيانُ وجوهه التي منَّ الله بها في هذه الآية، ومعاني المنّ.

الوجه الثامن والعشرون: في النِّعمِ ومايتعلَّق بها، وأنها أعيانٌ وأوصاف ومعانٍي.

الوجه التاسع والعشرون: بيانُ أمهاتِ النِّعم، وأنها ترجع إلى نعمةٍ واحدةٍ، تتفرَّع منها جميع النعم.

الوجه الثلاثون: في وجوب الشكر للمنعِم سبحانه، وهل الشكرُ واجبٌ شرعاً أو عقلاً، وبيان مذهب أهل السنة في ذلك.

الوجه الحادي والثلاثون: ذكرُ أركانِ الشكر ووجوهِه.

الوجه الثاني والثلاثون: ذكر معنى الشكر، وهل هو بمعنى الحمد أو بينهما فرق؟ وإذا كان بينهما فرق، أيهما أعم من الآخر؟.

الوجه الثالث والثلاثون: الكلامُ على العِلْم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وأن العلم على قسمين: علم الله القديم، والثاني: العلم المحدَث، وبيان هذا القسم الثاني، وأنه ضروري وكسبي.

الوجه الرابع والثلاثون: في تعريف العلم، والإشارة إلى علم الدين.

الوجه الخامس والثلاثون: في الحثّ على طلب العلم.

الوجه السادس والثلاثون: استحباب التعليم بغير أجرة، وذكر الخلاف في ذلك.

الوجه السابع والثلاثون: في الكلام على البِعثة ومايتعلَّق بها.

الوجه الثامن والثلاثون: في ذكرِ بعضِ شرفِ هذه الأمة، كالتزكية ونحوها.

الوجه التاسع والثلاثون: في وجه الجمع بين آية الدعاء التي في سورة البقرة، وبين هذه الآية في تقديم قوله تعالى: ﴿ويزكيهم﴾ على قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وتأخير ﴿ويزكيهم﴾ في آية الدعاء.

الوجه الأربعون: في الكلام على مناسبة الآية وانتظامها بما قبلها ومابعدها.

الوجه الحادي والأربعون: الكلام على الآيات من جهة العربية.

الوجه الثاني والأربعون: في الكلام على الآيات من جهة اللغة.

الوجه الثالث والأربعون: في الكلام على قوله تعالى: ﴿من أنفسهم﴾ ومعنى النفْس والروح، وهل هما واحدٌ أو اثنان، ومعنى النفْس[١].

الوجه الرابع والأربعون: في الكلام على نَسَبِ النبي ﷺ المشارِ إليه على أحد التفسيرين في قوله تعالى: ﴿من أنفسهم﴾.

الوجه الخامس والأربعون: بيان مافي هذه الآيات منطوقاً ومفهوماً من المبهمات.

الوجه السادس والأربعون: في التنبيه على بعض مافي الآيات من الأحكام الشرعية سوى ماتقدَّم.

الوجه السابع والأربعون: في فائدة تكرار ذكر القرآن مرتين في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

الوجه الثامن والأربعون: في الإشارةِ إلى مافي الآيات من الأشباه والنظائر.

---

(١) هكذا كرَّرها.

الوجه التاسع والأربعون: في الإشارة إلى مافي الآيات من ضُروب البلاغة.

الوجه الخمسون: ذكرُ مافي الآيات من المعاني والبيان وأنواع البديع.

الوجه الحادي والخمسون: الإشارة إلى جلْب المصالح ودَرْءِ المفاسد، وذكر بعض أحوال أهل الجاهلية.

وهذا الوجه أوسع الوجوه مجالاً، وأعمُّها أحكاماً، وأكثرها مقالاً، كما يأتي بيانه عند الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

* * *

ولْنرجع إلى ما بدأنا من الوجوه بذكره، مع شرحه مختصراً وبيان أمره، وكذلك الكلام على باقي الوجوه، والله الموفقُ لما نؤملُه والمعينُ على مانرجوه.

الوجه الأول فيما يتعلق بمعرفة الله تعالى: وقبل السلوك في هذا المَهْيَع، وورود صافي هذا المَشْرع، نذكر مقدمة تؤخِّر التمثيل والتشبيه بتحقيق التنزيه، وتُزيح التعطيل بالنفي وتكشف التمويه، وتُعين على الفهم لما نذكره ونُبديه:

فليعلم الإنسانُ المعرَّضُ للخطأ والنسيان: أنه عبدٌ مملوك، فقيرٌ صعلوك، ذليلٌ مسكين، ابنُ الماء والطين، مخلوقٌ من ماء مَهين، لايملك لنفسه ضَراً ولانفعاً، ولا لخير جرّاً، ولالأذى بعوضةٍ فما فوقها دفعاً، ولِيتحققَ قَدْر نفسه الضعيفة روحاً وجسماً، تجدُ عقله معقولاً عن الإحاطة بنفسه علماً، فضلاً عن معرفة روحِه، وسرِّ الحكمة في تركيب بدنه وتشريحه. وإذا كان الأمر على ماأشرتُ إليه، من عجزِ الإنسان عن

معرفة نفسه وماجُبِلت عليه، فكيف يصلُ بعقله المعقول عن السلوك إلى معرفة الله العظيمِ ملكِ الملوك، إلا على وَفْق ماوُقِّف عليه من الكتاب الذي لاريب فيه، والسنة الثابتة بالنقل إليه؟!.

فليقفْ كلُّ إنسان عند حدود القرآن وماثبت من السنة، ولْيحذر من نَزَغات شياطين الإنس والجِنَّة، بما نَمَّقوه من جدل الكلام، ولفَّقوه بعبارات لاتُجدي نفعاً على الأنام، وقد حذَّر من ذلك أئمةُ الأمة، وأعلامُ الأئمة، ومنهم الأئمة الأربعة، ذَمُّوا الكلام ومن اشتغل به ومن استمعه، وقبلهم علماءُ لايحصرون، وبعدهم خلْق آخرون[١].

---

(١) المراد من علم الكلام المذموم على لسان الأئمة الأربعة وغيرهم ذاك العلمُ القائم على جَدَليات تُدحَض بجدليات أخرى ممن هو أقوى بياناً وألحنُ حجة، كما ستأتي كلمة الإمام مالك ص٨١.
وذاك العلمُ القائم على منهج الفلاسفة الذين سلكوا طريق الاستدلال بالجواهر والأعراض ولم يسلكوا طريق الاستدلال بالقرآن العظيم وبراهينه القاطعة، لأنهم لايثبتون النبوات أصلاً، فلا ارتباط لهم بالوحي، كما سيأتي آخر كلام الخطابي ص ٨٥.
أما علم الكلام القائمُ على كشف براهين الكتاب والسنة وتفسيرها وتقريرها وتقريبها للأفهام بأساليب واضحة: فهذا هو العلم الواجب اتباعه في نشر عقيدة الإسلام.
ومثال ذلك: الجواب الذي قاله سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون ـ كما حكاه الله عز وجل في سورة الشعراء ـ: ﴿قال فرعون ومارب العالمين، قال ربُّ السموات والأرض ومابينهما إن كنتم موقنين﴾.
ففي هذا الجواب إقامة أعظم برهان على وجود الله عز وجل، لكنه يحتاج ـ بالنسبة إلينا ـ إلى تقرير وتقريب. وقد يُحتاج أثناء التقرير إلى ردّ شُبُهات تَعرِض للسامع فلا بدَّ للمتكلم من إزالتها والجواب عنها، والخوضُ في ذكر هذه الشبهات والجوابُ عنها لايسمى خوضاً في جدليات الكلام، فيذمَّ وتنزَّلَ عليه نصوص هؤلاء الأئمة!! لا، إنما هو تقرير للعقائد الإسلامية بلسان العصر وعقلية الزمن، وهذا أمر لايجوز إغفاله وإهماله. =

= وتقرير جواب موسى عليه الصلاة والسلام أن يقال: إن وجود السموات والأرض ومابينهما أمر مسلَّم عندكم، موقنون به، لايعتريه أدنى شك ولاريب في صدوركم، ذلك لأن الإيقان بالشيء لايكون إلا ممن رآه وسمعه، كما حكى تعالى عن لسان المجرمين يوم القيامة: ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون﴾ فوصفوا أنفسهم بالإيقان بعد قولهم: أبصرنا وسمعنا.

وكذلك يقول موسى لفرعون: إن وجود هذه العوالم أمر مسلَّم به عندكم، فخالقُها ينبغي أن يكون وجوده أمراً مسلماً به عندكم، فإن كنتم موقنين بوجود هذه العوالم، فوجود ربِّها وخالقها سبحانه وتعالى أمر يقيني أيضاً.

لأن من أيقن بوجود كتاب بيده ـ مثلاً ـ، فيقينُه بوجود مؤلفه، وطابعه، وصانع ورقه، وصانع حروفِه الطباعية، وحبرِ الطباعة، والمجلِّد له: أمرٌ مسلَّم به تابع ليقينه الأول، ألا وهو وجود الكتاب بيده، إذ لاكتاب بلا مؤلف، ولاطباعة بلا طابع، وهكذا.

فلهذه المقدمات والنتائج اليقينية المسلَّم بها، قال موسى ﷺ لفرعون: رب العالمين هو رب السموات والأرض ومابينهما، ألستَ موقناً بها؟ فإن كان جوابك: نعم، فأيقنْ بخالقها، وإن كان جوابك: لا، لستُ موقناً بوجود السموات والأرض، فأنت مكابر لاتستحق الخطابَ وردَّ الجواب.

وأعود لما كنت فيه: وهو أن مثل هذا البرهان القاطع موجود في كتاب الله عز وجل، لكن يحتاج إلى تقرير وتقريب ـ كما قلت ـ وردِّ شبهه إن كانت.

«ومامن برهان وتقسيم وتحديد ينبيء عن كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا والقرآن قد نطق به، لكن أورده الله تعالى على عادة العرب دون دقائق الحكماء والمتكلمين. .» نقله الكافِيَجي في «التيسير» ص٢١٧ عن الراغب الأصفهاني.

وإنما أنكر سلفنا ذلك الإنكار الشديد لأن صنيع أصحاب تلك الفرق جاء مخالفاً لطريقتهم في أخذ علومهم من الكتاب والسنة، ولأن القائمين بذاك الصنيع الشنيع كانوا من أهل الزيغ والمتأثرين بالفلسفة اليونانية في ثقافاتهم.

ويدل على أنهم لم ينكروا مطلق علم الكلام، إنما أنكروا منه مسلكاً من =

= مسالكه: أن بعضَ مَن ذمَّه قد ألَّف فيه، كالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، فإن له أكثر من مؤلَّف، أشهرها «الفقه الأكبر».

وفي ترجمة الأعرج الراوية المقرىء النَّحْوي المشهور ـ أحد رجالات سلاسل أصح الأسانيد وهي: أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، واسم الأعرج عبد الرحمن بن هرمز ـ جاء في ترجمته عند القِفْطي ٢ : ١٧٢ : «ويروى أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة رضي الله عنه اختلف إلى عبدالرحمن بن هرمز عدة سنين في علم لم يبثَّه في الناس، فمنهم من قال: تردد إليه لطلب النحو واللغة قبل إظهارهما، وقيل كان ذلك من علم أصول الدين، ومايردُّ به مقالة أهل الزيغ والضلالة. والله أعلم».

أما السيوطي في «بغية الوعاة» ٢ : ٩١ فقال: «روي أن مالكاً اختلف إليه في علم لم يبثه للناس، يرون أن ذلك من علم أصول الدين ومايرد به مقالة أهل الزيغ والضلالة».

على أن من الثابت عن مالك أنه كتب رسالة إلى تلميذه الإمام عبد الله بن وهب في الرد على القدرية، هي من خيار الكتب في هذا الباب الدالة على سعة علمه بهذا الشأن. كما قاله عياض في «ترتيب المدارك» ١ : ٢٠٤.

بل إن حال الأئمة جميعهم: الأربعة وغيرِهم إتقانُ إقامة البراهين على مايرونه، ولايعقل أن إماماً لايتقن إقامة البراهين على صحة معتقده، حتى لو كان مذهبه عدمَ الخوض في علم الكلام: لكان من الواجب عليه أن يتدرَّع ببراهين على صحة هذا المذهب!.

ويُعتذر عن علماء الإسلام الكلاميين في تعقيدهم لعلم الكلام بأنهم عايشوا قروناً طغت فيها الفلسفة والفرق الضالة التي استخدمت الفلسفة وأدخلتها على عقائدها، فاضطُر علماؤنا إلى مسايرة أولئك والخوض في مثل ماخاضوا فيه، ليردوا عليهم بلسانهم ومصطلحاتهم.

وحال علمائنا أولئك هي نظير حالنا نحن في سنواتنا الأخيرة، فإن من كتب من علمائنا المعاصرين جزاهم الله خيراً في تقرير وجود الخالق سبحانه وتعالى، والرد على الشيوعيين الماديين، إنما كتب بعد دراسة عقائدهم =

نذكر مقال الأئمة الأربعة أولي المذاهب المتبوعة، حسبما وصل إلينا بالأسانيد المسموعة.

أما الشافعي رضي الله عنه: فقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: سمعت الربيعَ يقولُ: قال الشافعيُّ رحمه الله: لأنْ يُبتلَى المرء بكل مانهى الله عنه ماخلا الشركَ خيرٌ له من أن يُبتلى بالكلام[١].

وقال أبو ثور: سمعت الشافعيَّ يقول: مَن ارتدى بالكلام لم يُفْلِح[٢].

وقال المُزَنيُّ: سمعتُ الشافعي يقول: الكلامُ يلعن أهلَ الكلام[٣].

= ومصطلحاتهم، ثم ردَّ عليهم وخاطبهم بلسانهم وماتواضعوا عليه، ولو كتب بغير هذه (اللغة) لما أفلح وأنجح.

ولهذا لُوحظ في القرون المتأخرة ضعف الأسلوب الفلسفي الجدلي (العقيم) في كتب علماء الكلام. وأقول: ينبغي أن يزول تماماً، وتُصاغَ كتب العقيدة بلسان العصر الذي نعيشه، من خلال الكتاب والسنة، وعلى أهل العصر اللاحق لعصرنا أن يصوغوا كتب العقيدة بما يتناسب وعصرهم، وهكذا سائر العصور، وهكذا سائر العلوم. ونسأل الله تعالى الإنصاف والتوفيق.

(١) رواه أبو القاسم التيمي في كتابه «الحجة في بيان المحجة» ١:١٠٤ من طريق ابن خزيمة، واللالكائي ١:١٤٦ من طريق أبي نعيم الجرجاني كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى، عن الشافعي، ثم رواه التيمي ١:١٠٦ من طريق محمد ابن يعقوب بن يوسف، عن الربيع، عن الشافعي، ثم رواه ١:٢٠٧ من طريق ابن أبي حاتم ـ ص ١٨٧ من مناقبه ـ عن يونس، عن الشافعي. والطريق الأولى ذكرها السيوطي أيضاً في «صون المنطق والكلام» ص ٦٦ ضمن الفصل الذي لخصه من «ذم الكلام» لأبي إسماعيل الهروي.

(٢) «الحجة» للتيمي ١:٢٠٨، واللالكائي ١:١٤٦، و«صون المنطق» ص ٦٥، وذكر هذه الجملة في ص ٦٤ معزوة إلى رواية أبي داود وأبي ثور عنه. ولم أعرف من هو أبو داود.

(٣) «صون المنطق» ص٦٥.

وقال أبو ثور، والحسن بن محمد بن الصبَّاح ـ واللفظ له ـ: سمعت الشافعي يقول: حُكْمي في أهل الكلام أن يُضْرَبوا بالجريد، ويُحملوا على الإبل، ويُطافَ بهم في العشائر والقبائل. هذا جزاءُ من تَرَكَ الكتاب والسنة وأخذ في الكلام[١].

وأما مالك بن أنس رضي الله عنه: فقال عبدالرحمن بن مهديّ: دخلتُ على مالك بن أنس وعنده رجل سأله عن القرآن والقَدَر فقال: لعلك من أصحاب عَمرو بن عُبيد؟! لعن الله عمراً، فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلَّم به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم، كما تكلَّموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدلُّ على باطل[٢].

وقال إسحاق بن عيسى: سمعت مالكَ بن أنس يَعِيبُ الجدال في الدين ويقول: كلَّما جاءنا رجلٌ أجدلُ من رجل أرادنا أن نردَّ ماجاء به جبريل إلى النبي ﷺ![٣].

وأما أبوحنيفة رضي الله عنه: فقال صاحبه محمد بن الحسن: قال أبوحنيفة: لعن الله عَمرو بن عُبيد، فإنه فتح للناس الطريقَ إلى الكلام فيما لايَعْنيهم من الكلام[٤].

قال محمد بن الحسن: كان أبو حنيفة يحثُّنا على الفقه وينهانا عن الكلام.

---

(١) «الحجة» للتيمي ١:٢٠٨، و«صون المنطق» ص٣١، ٦٥ وزاد هنا أنه من رواية الكرابيسي عنه أيضاً.

(٢) «صون المنطق» ص٣٢ ـ ٣٣ وعزاه إلى كتاب الهروي أيضاً.

(٣) «أصول الاعتقاد» للالكائي ١:١٤٤، و«صون المنطق» ص٤٣، وانظر «أثر الحديث الشريف» ص٨١ ـ ٨٢.

(٤) «صون المنطق» ص٦٠، وهذا القول والذي يليه نصٌّ واحد عنده، وتأمل كلمته تجدْ أنه لاينهى عن علم الكلام مطلقاً.

وأما أحمد بن حنبل رضي الله عنه: فقال أبو علي حنبل بن إسحاق: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: عليكم بالسنة والحديث وماينفعكم، وإياكم والخوضَ والمراءَ فإنه لايُفلح من أحبَّ الكلام.

قال: وسمعت أبا عبدالله ـ وذكر أهل البدع ـ فقال: لاأحبُّ لأحد أن يجالسهم ولايخالطهم ولايأنسَ بهم، فكلُّ من أحب الكلام لم يكن آخرُ أمرِه إلا إلى بدعة، لأن الكلام لايَدْعوه إلى خير، فلا أحبُّ الكلامَ ولاالخوضَ فيه ولاالجدالَ، عليكم بالسنن والفقه الذي تنتفعون به، ودَعُوا الجدالَ وكلامَ أهل الزَّيْغ والمِراء، أدركْنا الناس وما يعرفون هذا ويجانبون أهلَ الكلام.

هؤلاء الأئمةُ وَعلماءُ الإسلام، ومقتدَى الأمة، حذَّروا من الكلام وأهله، لما فيه من البلاء في اقتباسه ونقله.

وقلت في معناه:

علـمُ الكـلام بـلاؤه مـتعـدِّد	منـه الأئـمـة حـذَّروا يامتَّـقِي
وبلاؤه من منطقٍ، صَدَقَ الذي	قال: البلاءُ موكَّل بالمنطق[1]

---

(١) ويروى: البلاء موكَّل بالقول، و: البلاء موكَّل بالكلام، والمعنى واحد، وكلها تدل على أن المراد بالمنطق: النُّطق، لاعلم المنطق، ولكن المصنف استخدم المشاكلة اللفظية. وهذا القول طرف من حديث يروى مرفوعاً من حديث حذيفة وعلي، عند القضاعي في «مسند الشهاب» ١:١٦١، ١٦٢ (٢٢٧،٢٢٨). ومن حديث أنس عند البيهقي في «الشُّعَب» ٤:٢٤٤ (٤٩٤٨) = ٩: ٢٢١ (٤٥٩٧). وأعقبه بروايته من حديث أبي الدرداء، وهو كذلك عند الديلمي ٢:٣٥ (٢٢٢١). ورواه عن ابن مسعود الديلميُّ (٢٢٢٠)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» ١:١٦١، وغيرهما. ورواه ابن لال عن ابن عباس، وابن أبي الدنيا في «الصمت» ص١٥٨ (٢٨٦) عن الحسن البصري مرسلاً.
ورواه موقوفاً على أبي بكر الصديق رضي الله عنه: البيهقي في «الدلائل» ٢:٤٢٤، قال الزرقاني في «شرح المواهب» ١:٣٠٩: «وأخرج الحاكم وأبو =

ولما ذكر الإمام الجليل الزاهد أبو سليمان حَمْدُ بنُ محمد بن إبراهيم ابن الخطاب الخطابي البُسْتي الشافعي في كتابه «الغنية عن الكلام»[١] ظهورَ ماظهر من مقالات أهل الكلام وخوضَ الخائضين فيها قال: ثم إني تدبَّرت هذا الشأن فوجدتُ عُظْم السبب فيه أن الشيطان صار اليوم بلطيف حيلته يُسَوِّل لكل من أحسَّ من نفسه بزيادة فهم وفَضْل ذكاء وذهن، ويُوهِمه: أنه إنْ رضي من علمه ومذهبه بظاهرٍ من السنة، واقتصر على واضح بيانٍ منها، كان أسوةَ العامة، وعُدَّ واحداً من عدد الجمهور والكافة، وأنه قد ضلَّ فهمه واضمحلَّ لطفه وذهنه، فحرّكهم بذلك على التنطُّع في النظر، والتبدُّع لمخالفة السنة والأثر، لِيَبِينُوا بذلك عن طبقة الدَّهْماء، ويتميَّزوا في الرتبة عمن يرونه دونهم في الفهم والذكاء، فاختدعهم[٢] بهذه المقدِّمة، حتى استزلَّهم عن واضح المحجة، وأَوْرَطَهم في شبهاتٍ تعلَّقوا بزخارفها، وتاهوا عن حقائقها،

= نعيم والبيهقي بإسناد حسن عن ابن عباس. . .». وفي قصته وَقَفات، منها: أن أبا بكر قال لعلي رضي الله عنهما: «أجلْ أبا حسن، مامن طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالمنطق» وعليٌّ كان حينها عَزَباً. وفي آخرها: أنه ﷺ قرأ عليهم ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ وهذا في سورة الأحزاب والفتح، وكلتاهما من السُّوَر المدنية، والموقف كان أيام العرض على القبائل.

وعلى كل: فالحديث ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ٣: ٨، وتُعقب، قال السخاوي في «المقاصد» (٣٠٥): «لايحسن بمجموع ماذكرناه الحكم عليه بذلك».

(١) نقل أبو القاسم التيمي رحمه الله هذا الكلام الآتي وزيادة عليه قبله وبعده، في كتابه «الحجة» ١: ٣٧١ـ٣٧٥، ولم يسمِّ اسم الكتاب، كما فعل المصنف، وتمام اسمه ـ كما في «طبقات» السبكي ٣: ٢٨٣ ـ «الغنية عن الكلام وأهله».

(٢) بخط المصنف: فاخترعهم، وأثبتُّه هكذا من «الحجة» لأولوية معناه.

ولم يخلُصوا منها إلى شفاء نفس، ولاقَبِلوها بيقينِ علمٍ به[١].

ولمَّا رأوا كتاب الله تعالى يَنْطِق بخلاف ماانتحلوه، وشهد عليهم بباطل مااعتقدوه ضربوا بعض آياته ببعض: وتأوَّلوها على ماسنح لهم في عقولهم، واستوى عندهم على ماوضعوه من أصولهم ونَصَبُوا العَداوة لأخبار رسول الله ﷺ وسُنته المأثورة عنه، وردُّوها على وجوهها وأساؤا في نَقَلَتها القالة[٢]، ووجَّهوا عليهم الظنون، ورَمَوْهم بالتزيُّد، ونسبوهم إلى ضعف المُنَّة[٣] وسوء المعرفة بمعاني مايروونه من الحديث والجهل بتأويله، ولو سلكوا سبيل القصد، ووقفوا عند ماانتهى بهم التوقيف، لوجدوا بَرْد اليقين ورَوْح القلوب، ولكثرت البركة وتضاعف النَّمَاء، وانشرحت الصدور، ولأضاءتْ فيها مصابيح النور، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

واعلم ـ أدام الله توفيقك ـ أن الأئمة الماضين، والسلف المتقدمين، لم يتركوا هذا النمطَ من الكلام وهذا النوع من النظر عجزاً عنه، ولاانقطاعاً دونه، وقد كانوا ذوي عقول وافرة وأفهام ثاقبة، وقد كان وَقَع في زمانهم هذه الشُّبَه[٤] والآراء، وهذه النِّحَلُ والأهواء، وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لِمَا تخوَّفوه من محنتها وفتنتها، وحَذِروه من سوء مَغِبَّتها، وقد كانوا على بيِّنة من أمرهم، وعلى بصيرة من دينهم، لِمَا هداهم الله له من توفيقه، وشَرَح به صدورهم من نور معرفته، ورأوا أن فيما عندهم من علمِ الكتاب وحكمته، وتوقيفِ السنة وبيانها: غنىً ومندوحةً عما سواهما، وأن الحجة قد وقعتْ بهما، والعلةَ قد أُزِيحت بمكانهما، فلما تأخر الزمان بأهله، وفترتْ عزائمهم

---

(١) «به» ليست في «الحجة»، وهو أولى.

(٢) القالة: هي القول إذا كان في الشر، مثل القال.

(٣) المُنَّة: القوة، والمراد هنا: قوة العقل والفهم والحجة، ونحو ذلك.

(٤) سبق قلمه رحمه الله فكتب: الشبهة.

في طلب حقائق علوم الكتاب والسنة، وقلَّت عنايتهم بها، واعترضهم الملحِدون بشُبَهِهم، والمُتَحَذْلِقون بجدلهم، حَسِبوا أنهم إن لم يَرُدوهم عن أنفسهم بهذا النمَط من الكلام، ولم يدافعوهم بهذا النوع من الجدل لم يَقْوَوْا بهم، ولم يظهروا في الحِجَاج عليهم، فكان ذلك ضِلَّة من الرأي، وغَبْناً فيه وخَدعة من الشيطان، والله المستعان.

فإن قال هؤلاء القوم: فإنكم إنْ أنكرتم الكلام ومنعتُم استعمال أدلة العقول، فما الذي تَعتَمِدون في صحة أصول دينكم، ومن أيِّ طريق تتوصلون إلى معرفة حقائقها، وقد علمتم أن الكتاب لم يُعلَم حقُّه، وأن الرسول ﷺ لم يَثبُت صدقُه إلا بأدلّة العقول، وأنتم قد نَفَيتموها؟!.

قلنا: إنا لاننكر أدلَّةَ العقول، والتوصُّلَ بها إلى المعارف، ولكنا لانذهب في استعمالها إلى الطريقة التي سلكتموها في الاستدلال بالأعراض وتعلُّقها بالجواهر، وانقلابها فيها على حَدَث العالم وإثبات الصانع، ونرغبُ عنها إلى ماهو أوضحُ بياناً وأصحُّ برهاناً، وإنما هو شيء أخذتموه عن الفلاسفة وتابعتموهم عليه، وإنما سلكتِ الفلاسفةُ هذه الطريقة لأنهم لايثبتون النبوات، ولا يَرَوْن لها حقيقة، فكان أقوى شيء عندهم في الدلالة على إثبات هذه الأمور ماتعلَّقوا به من الاستدلال بهذه الأشياء، فأما مثبِتو النبواتِ فقد أغناهم الله عز وجل عن ذلك، وكفاهم كُلفة المُؤْنة في ركوب هذه الطريقة المنعوجة التي لايُؤْمَن العَنَتُ على راكبها، والإبداع[1] والانقطاع على سالكها.

ثم ذكر أبو سليمان الخطابي بيانَ معرفة الصانع وإثباتَ توحيده من الطريق الذي ذهب إليه السلفُ من أئمة المسلمين. كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) من قولك: أبدعت الراحلة: إذا كلَّت وعطِبت. وقوله بعده «والانقطاع»: عطف تفسير.

فأولُ الواجبات معرفةُ ربِّ الأرض والسموات، وهو الله، [لا النظر المؤدي إليها، خلافاً للأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني، ولاأول جزء من النظر[١]] المؤدِّي إلى معرفة الله تعالى، ولاقصد النظر المذكور، خلافاً لمن شرط ذلك في أول الواجبات، بل معرفةُ الله عز وجل أولُ الواجبات، قال الله عز وجل: ﴿فاعلم أنه لاإله إلا الله﴾.

ـ قيل: هذا الخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة ـ.

وهذا الوجه مأخوذ من قول الله عز وجل: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ لم يذكر الله عز وجل هنا من أسمائه الحسنى غيرَ الاسم الأعظم الذي هو (الله) لأن عامة الناس في العالم معترِفون بأن لهم خالقاً وهو الله، لكثرة استجابة دعائهم إياه من دون الأنام، ومفاجأة الفرج عنهم إذا استغاثوا به عند الحوادث العظام، فهم معترفون له بالإلهية والقدرة لكن يشركون معه غيره، فسبحان الله عما يشركون، وتعالى عما يصفون. قال الله عز وجل: ﴿ولئن سألتَهم من خلقهم ليقولُنَّ الله﴾.

فذكر سبحانه في هذه الآية الشريفة أشهر أسمائه وهو (الله) المعروف عند المؤمن والكافر، والبر والفاجر، لما ذكَّرهم نعمته على المؤمنين ببعثة رسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ليعرفَ المؤمن والكافر والخاصُّ والعامُّ أن خالقهم المعترِفون له بالإلهية وهو (الله) هو الذي منَّ ببعثة هذا الرسول، ليكون أبلغَ في تذكيرهم بهذه النعمة، وأجلبَ لإيمانهم ودخولهم في هذه الأمة.

وأيضاً معرفة بعثة الرسل تتوقَّف على معرفة من أرسلهم، فيستدعي ذلك معرفةَ الصانع خالقِ الخلق وباعثِ الرسل، وهو الله عز وجل الموجودُ الحقُّ والإلهُ الصدق الواحدُ الأحد الفرد ﴿الصمد لم يلد ولم

---

(١) زيادة أثبتُّها من أول المجلس ص ٧١، ليفهم الكلام الآتي، وانظر التعليق عليها هناك.

يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، له الأسماء الحسنى والصفات العُلَى.

وصفاته سبحانه على نوعين كما ذكره الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»[١].

أحدهما: صفات ذاتِه سبحانه، كالحي والقدير، والسميع والبصير.

والنوع الآخر: صفات فعلِه سبحانه، كالخالق والرازق، والمحيي والمميت[٢].

---

(١) صفحة ١٣٧. وهذا النقل ومابعده إلى آخر أبيات المصنف الرائية الآتية سيكرره المصنف بالحرف تقريباً، وذلك في ورقة ١٥٧/ب، لذلك حذفته، لكن في أوله كلامٌ بعضُه جديد مفيد، وهذا نصه بعد ماكتب المصنف الآية الكريمة:

«من وجوه الكلام على هؤلاء الآيات العظام، فيما يتعلق بفن واحد من فنون البلاغة، وهو أحد قسمي الإشارة، المسمى عند أهل النقد والبلاغة: بالوحي والإشارة، ومعناه أن يجيء كلام قليل المباني يشير إلى كثير من المعاني، ينبه عليها ويشير إليها، ويقال له عند أهل العبارات: اللطائف والإشارات.

فمن لطائف الآية وإشاراتها إلى عظيم أحكامها: ذكرُ اسم الله الأعظم فيها وهو (الله) أكبر الأسماء وأجمعها للمعاني، ومعناه ـ فيما قاله الحاكم أبو عبدالله الحَلِيمي في «المنهاج» ١:١٩١، وتفسير المعنى الآتي منه أيضاً ـ أنه سبحانه القديمُ التامُّ القدرة.

ومعنى القديم: الموجود الذي ليس لوجوده ابتداء، ومعنى التام القدرة: أنه سبحانه أوجد المعدوم وصرَّف ماأوجده على مايريد.

فهو الله الموصوف بقوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾، وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ماتدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ فأثبت سبحانه أن له الأسماء الحسنى، وفي إثبات أسمائه إثبات صفاته».

(٢) تعريف صفات الذات: أنها ما اتصف به سبحانه وتعالى دون ضدها، أزلاً وأبداً، كالحياة والقدرة. . ، فهو متصف بهما أزلاً زأبداً، ولايصح أن يوصف بضدهما. وتعريف صفات الأفعال: أنها مايجوز اتصافه جل وعلا =

فمن صفات ذاته سبحانه: العلم والإرادة، والحياة والكلام، والقدرة، والسمع والبصر، وإلى جميعها تشير هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾. ففي قوله تعالى ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ لاخلاف بين المفسرين أنه القرآن، ولاخلاف أن معلّمه للمؤمنين عن الله عز وجل هو الذي منّ الله على المؤمنين ببَعْثه رسولاً وهو محمدُ بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم أبو القاسم المذكورُ في قوله سبحانه: ﴿محمدٌ رسول الله والذين معه أشِداء على الكفار﴾ والكتابُ الذي علّمهم أنزله الله تعالى عليه. قال الله عز وجل: ﴿وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكونَ من المنذِرين﴾.

وفي نزول القرآن الإشارة إلى صفة العلم. قال الله عز وجل: ﴿لكنِ الله يشهدُ أنزله بعلمه، والملائكةُ يشهدون، وكفى بالله شهيداً﴾.

ويؤخذ من الآية أيضاً وصف الله عز وجل بالإرادة والمشيئة، لأنه سبحانه لو لم يُرِدْ مابَعَثَ هذا الرسول، ولامنَّ.

ويؤخذ منها أيضاً وصف الله عز وجل بالحياة لقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله﴾ ذكر هذا الاسم الشريف دون غيره لعموم صفات الإلهية التي مِن بعضها الحياة، كما صرَّح بها وصفاً في قوله تعالى: ﴿الله لاإله إلا هو الحيُّ القيومُ﴾.

ويؤخذ منها أيضاً وصف الله عز وجل بالكلام لأن قوله تعالى ﴿يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب﴾ وهذا بالاتفاق هو القرآن وهو كلام الله المصرَّح به في قوله تعالى: ﴿وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأَجِرْهُ حتى يسمع كلام الله﴾.

ويؤخذ من الآية أيضاً وصف الله عز وجل بالقدرة التي بها بعث هذا الرسول، وأجْرَى على يديه ما أجرى من تلاوة الآيات، وهدايةِ المؤمنين

= به وبضده، كالإحياء، وضده الإماتة، والرّزق وضده الإفقار.

وتزكيتهم، وجلبِ المنافع لهم، ودفع المضارٌ عنهم.

ويؤخذ من الآية وصف الله بالسمع والبصر لقول الله عز وجل: ﴿ويعلِّمهم الكتاب﴾ ومما علَّمهم من هذا الكتاب قولُ الله عز وجل فيه وصفاً له سبحانه: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

ويؤخذ من الآية أيضاً وصف الله بالبقاء لأنه من معاني الاسم الشريف المذكور في قوله تعالى: ﴿لقد منَّ الله﴾.

وقال الله عز وجل: ﴿كلُّ من عليها فانٍ * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

وهذه الصفات السبعُ الأوَلُ المشارُ إليها اتفق أهل النظر عليها أنها من صفات الله الذاتية، وأثبت الجمهور مع ذلك صفة البقاء، وقد نظم الثمانَ أبو القاسم الشاطبيُّ رحمة الله عليه في قصيدته في المرسوم[١].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الشرف محمد بن عبد الله بن المحتسِب إجازةً إن لم يكن سماعاً، أنبأنا أبو محمد الحسن بن عبد الكريم الغُمَاري قال: أنشدنا العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبيُّ سماعاً، أنشدنا ولي الله أبو القاسم بن فِيرُّه بن أبي القاسم الرُّعَينيُّ الشاطبيُّ رحمه الله قال:

حيٌّ، عليمٌ، قـديرٌ، والكـلام لهُ   باقٍ، سميعٌ، بصيرٌ، ماأراد جَرَى[٢]

---

(١) أبو القاسم الشاطبي هو الإمام المقرىء العَلَم الفرد في فنونه ومواهبه (٥٣٨-٥٩٠). وقصيدته هي «عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد»، وهي في ٢٩٨ بيتاً من قافية الراء المفتوحة، وهي في علم رسم القرآن العظيم، وعبَّر المصنف بـ «المرسوم» لقول ناظمها في البيت السادس منها:

وبعد، فالمستعان الله في سبب   يهدي إلى سَنَن المرسوم مختصرا

(٢) هذا البيت هو البيت الثالث منها، ولفظه هناك:

حيٌّ عليم قدير والكلام لهُ   فردٌ سميع بصير ماأراد جرى

وأنا أنقل عن طبعة العلامة الحجة الشيخ علي محمد الضباع رحمه الله =

وأنشدنا العلامة الحافظ أبو حفص عمر بن أبي الحسن الأنصاري[١] لنفسه كتابةً من مصر:

حياةٌ، وعلم، قدرةٌ، وإرادةٌ   كلامٌ، وإبصارٌ، وسمعٌ، مع البقا

ولو أشار شيخنا إلى أن هذه صفات لله عز وجل كان أبينَ وأمتنَ. وقد نظمت ذلك مع الإشارة إلى غيره من صفات الذات، كما ذكرها الإمام أبو بكر البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» فقلت:

صفاتٌ لذاتِ الله: علمٌ، إرادةٌ   حياةٌ، كلامٌ، قدرةٌ، السمعُ، والبصرْ

قد اتفق النُّظَّارُ في عدِّ هذه   وجمهورُهم زاد البقاء وماانحصر

فما قد أتى في الذِّكْر أو صحَّ سنةً   بوصفٍ لذاتِ الله أو فعلٍ اشتهر

فنثبتُه للّه علماً بأنَّه   تعالى عن التشبيه والمِثْل والغِيَر

هذا من الأحكام الأصولية المستنبطة من هذه الآية الشريفة، وهي من الآيات المحكَمات المشارِ إليها ـ والله أعلم ـ بقوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب﴾.

لأن هذه الآية مبيِّنةٌ غايةَ البيان بمنِّ الله على المؤمنين وبعثته خيرَ المرسلين، وتعليم الكتاب والسنة على يديه، وإنقاذهم به من الضلال الذي كانوا عليه، فهي من هذا الوجه محكَمة.

وهي أيضاً من أحد أقسام المتشابه في القرآن، وهو التشابه في اللفظ، كأول آية الكرسي ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الم * الله لاإله إلا هو الحي القيوم﴾.

= للقصيدة التي طبعها مع تسعة متون أخرى في القراءات سنة ١٣٥٤ هـ بمطبعة مصطفى البابي الحلبي، بل كذلك جاء في شرحَيْها للجَعبري وعلي القاري (فرد) لا (باقٍ)، فالله أعلم.

(١) هو الإمام ابن الملقن، من شيوخ المصنف بمصر بالإجازة.

وهذه الآية الشريفة أنزل الله مايشابهها في سورتَي البقرة والجمعة.
قال الله عز وجل إخباراً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

وقال تعالى في سورة الجمعة: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

فهذه الآية متشابهة من هذا الوجه، محكمة على الوجه الأول.

وفي قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ وقع التعليم كما أخبر العزيز الحكيم، فنقل إلينا الكتاب ـ وهو القرآن ـ نقلاً متواتراً بالوسائط الثقات الأعيان، وقد تقدمت الإشارة إلى قسمي الوسائط[1]، وأن كل قسم يرجع إلى قسمين، ومنهم التابعون للصحابة رضي الله عنهم، والتابعون على قسمين: مخضرَمون وغير مخضرَمين، وكلٌّ منهما على قسمين، فغير المخضرَمين حفاظ وغير حفاظ، وكل منهما على قسمين: ثقات وغير ثقات.

ولايخلو مَن بعد الصحابة من الرواة من هذين القسمين، وكل منهما ـالثقات وغير الثقاتـ على مراتبَ تُفهَم من نوع واحد من أنواع الحديث وهو التعديل والتجريح.

فأعلى مراتب التعديل: تكرار لفظ قولهم «ثقة» كما رُوِّينا عن سفيان ابن عيينة رحمه الله قال: حدثنا عمرو بن دينار، وكان ثقة ثقة ثقة ثقة، كرَّر ذلك سفيانُ أربعَ مرات[2].

---

(١) المجلس الثاني ص ٥٥ فما بعدها.
(٢) انظر التعليق على صفحة ٢٦٦.

وأدنى مراتب الثقات قولهم: فلان شيخ[١] ونحوه.

وأسوأ مراتب التجريح قولهم: فلان كذاب، ونحو ذلك، كدجال، وشِبْهه، وأقل مراتب ذلك ـ وهو أسهلها ـ فلان فيه خُلْفٌ[٢]، أو سيء الحفظ، أو في حفظه شيء، ونحو ذلك[٣].

وفي الرواة من يكون حجةً في حديثِ أناسٍ ليّناً في حديث غيرهم، كالحافظ هُشَيم بن بَشِير، فهو ليّن في روايته عن الزهري[٤]، حجةٌ مقبول في روايته عن غيره بلا عنعنة، فإذا رَوَى بالعنعنة ـ أو نحوها ـ ولم يُبيِّن سماعاً أوجب وَهْناً ما[٥]، لكنْ ما وقع في الصحيحين عن هُشَيم وأمثاله من ثقات المدلِّسين بالعنعنة أو بلفظ مُوهِم: فهو محمولٌ

---

(١) كلمة «شيخ» تعني أن المذكور راوٍ من الرواة. وليس فيها مدح ولا قدح. انظر ماكتبته في دراسات «الكاشف» للذهبي رحمه الله ١: ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) يحسِّن عدد من الأئمة حديث من تكافأ فيه الجرح والتعديل، وعلى هذا فلا يبقى ضعيف الحديث، ويختلف التكافؤ من راوٍ إلى آخر، ومن ناظرٍ إلى آخر.

(٣) اتفق المتأخرون على أن مراتب التعديل ستة، ومراتب التجريح ستة. انظر بيانها في كتاب الإمام اللكنوي رحمه الله تعالى «الرفع والتكميل» ص ١٥٥ فما بعدها.

(٤) وقصة ذلك ـ كما في «تاريخ بغداد» ١٤: ٨٧ ـ: «أن هشيماً كتب عن الزهري نحواً من ثلاث مئة حديث، فكانت في صحيفة، وإنما سمع منه بمكة، فكان يظن أن الصحيفة في المحمِل، فجاءت الريح فرمت بالصحيفة، فنزلوا فلم يجدوها، وحفظ هشيم منها تسعة أحاديث». وقال الحافظ ابن حجر ـ كما في «النكت الوفية» ٤١/آ، ونقله عنه في «التدريب» ١: ١٢٩ ـ: «ضُعِّف ـهشيم في الزهري ـ لأنه كان رحل إليه فأخذ عنه عشرين حديثاً، فلقيه صاحب له وهو راجع، فسأله رؤيته ـ أي رؤية ما كتب ـ وكان ثَمَّ ريح شديدة، فذهبت بالأوراق من يد الرجل، فصار هشيم يحدِّث بما علِق منها بذهنه من حفظه ولم يكن أتقن حفظها، فوهم في أشياء منها، ضُعِّف في الزهري بسببها».

(٥) يستفاد هذا التعبير من المصنف، فإن التدليس وهن خفيف، فليتنبَّه له.

على ثبوت سماعهم لذلك من وجه آخر[١].

فهشيم من أعيان الثقات، لكنه معدود في المدلِّسين، وقد رَمَاه باللَّحْن النَّضْر بن شُمَيل، وذلك فيما:

أخبرنا المسنِد أبو الخير سَعْد بن عبد الله النُّوبي البهائي[٢] مولاهم المُجْمِر، بقراءتي عليه بمسجد القصب سنةَ ثمانٍ وتسعين وسبعمائة، أخبرك أبو إسحاق إبراهيم بن بركات بن أبي الفضل بن ألقى ريشه[٣] قراءةً عليه وأنتَ تسمع قال: أخبرنا الإمام التقي أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أحمد الفقيه سماعاً، أخبرنا أبو طاهر بركات بن إبراهيم،

---

(١) هذا يتفق مع كلام العلائي في «جامع التحصيل» ص١١٣، قال: «هم ـ أي المدلسون ـ على طبقات.. وثانيها: من احتمل الأئمة تدليسه وخرَّجوا له في الصحيح وإن لم يصرح بالسماع.. كالزهري.. وهشيم، ففي الصحيحين وغيرهما لهؤلاء الحديث الكثير مما ليس فيه التصريح بالسماع، وبعض الأئمة حمل ذلك على أن الشيخين اطلعا على سماع الواحد لذلك الحديث..».
وخالف في ذلك الحافظ ابن حجرفي جزئه طبقات المدلسين، وفي «النكت على ابن الصلاح» ٢: ٦٤٣، فجعل هشيماً في الطبقة الثالثة، وهم الذين أكثروا من التدليس فلا يحتج من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع.
كما خالفه في الجزم بأن ذلك محمول على ثبوت سماعهم، فنقل عن السبكي عن المزي أن هذا من باب حسن الظن.

(٢) سَعْد: كما هو بخطه، وسعيد: تحريف، والبهائي نسبة إلى معتِقه الإمام بهاء الدين السبكي ابن التقي السبكي، وأخو التاج السبكي، (٧١٩ـ٧٧٣)، قال عنه الذهبي في «المعجم المختص» ص٢٩ (٢٨) بعد أن وصفه بالإمامة: «ساد وهو ابن عشرين سنة!».

(٣) هكذا جاء رسم هاتين الكلمتين بخط المصنف واضحاً دون لبس، وهو في مصادر ترجمته: ابن القرشية، انظر «معجم الشيوخ» للذهبي ١: ١٣١ (١٢٦)، و «الدرر الكامنة» ١: ٢٠ ـ وفيه: إبراهيم بن أبي البركات ـ بزيادة أداة الكنية، خطأ ـ و «الشذرات» ٦: ١٢٤.

أنبأنا أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري النحوي[1] قال: أخبرنا أبو علي علي بن عيسى التستري، عن حَمِيْه القاضي أبي القاسم عبد العزيز بن محمد العسكري، عن أبي أحمد الحسن بن سعيد العسكري اللغوي، عن أبيه، عن إبراهيم بن حامد، عن محمد بن ناصح الأهوازي قال: حدثني النضر بن شميل قال:

كنت أدخل على المأمون في سَمَره، فدخلت ذاتَ ليلة وعليَّ قميصٌ مرقوعٌ، فقال: يانضرُ ماهذا التقشُّفُ حتى ـ يعني: تدخلُ على أمير المؤمنين في هذه الخُلْقان ـ قلت: ياأمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف، وحرٌّ مروَ شديد فأتبرَّدُ بهذه الخُلْقان. قال: لا، ولكنك قَشِفٌ.

ثم أَجْرَيْنا الحديث، وأجرى هو ذكر النساء فقال: حدثنا هُشَيم، عن مُجالِد، عن الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «إذا تزوج الرجلُ المرأةَ لدينها وجمالها كان فيها سَدادٌ من عَوَز»[2] فأورده بفتح السين، فقلت: صدق ياأمير المؤمنين هشيم. حدثنا عوف ابن أبي جميلة، عن الحسن، عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، قال رسول الله ﷺ: «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِداد من عَوَز».

قال: وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً فقال: كيف قلتَ سِداد؟

---

(١) هو الإمام العلامة صاحب «المقامات» الذائعة الصيت، وصاحب «درة الغَوَّاص»، وفيه ذكر هذه القصة ص١٤١(٩٣)، ومنه نقلها ابن خلكان ٥:٣٩٧، وأفاد أن أصل القصة رواها أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى في «مثالب أهل البصرة» والنضرُ بنُ شميل منهم.

(٢) عزاه في «كنز العمال» ١٦:٢٨٩ (٤٤٥٢٠) إلى «الشيرازي في الألقاب، عن ابن عباس وعلي» رضي الله عنهم. ويرى القارىء هنا رواية الحديث عنهما. والعَوَز: الحاجة، والمرأة إذا اتصفت بهذين الوصفين كان فيها سِداد لدين زوجها، وصيانةٌ له من التفلُّت، وحمايةٌ لها من الزواج عليها.

قلتُ: لأن السَّداد هنا لحن، قال: أَوَ تُلَحِّنُني؟![١] قلتُ: إنما لحن هشيم، وكان لحَّانةً، فتبع أميرُ المؤمنين لفظَه، قال: فما الفرقُ بينهما؟ **قلتُ: السَّداد ـ بالفتح ـ القَصْد في الدِّين والسبيل، والسِّداد ـ بالكسر ـ** البُلْغَة، وكلُّ ماسددتَ به شيئاً فهو سِداد، قال: أَوَتعرفُ العربُ ذلك؟ قلتُ: نعم، هذا العَرْجيُّ[٢] يقول:

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ... ليوم كريهة وسِداد ثَغْرِ

فقال المأمون: قبَّح الله مَن لاأدب له !! وأطرق مَلياً ثم قال: مامالُكَ يانضرُ؟ قلت: أُرَيْضة لي بمروَ أَتَصَابُّها وأَتَمَزَّزُها[٣]، قال: أفلا نُفيدُك مالاً؟ قلت: إني إلى ذلك لَمحتاج، قال: فأخذ القِرطاس وأنا لاأدري مايكتب، ثم قال: كيف تقول إذا أمرتَ أن يُتَرَّب الكتاب؟ قلت: أَتْرِبْه،

---

(١) قال المأمون ذلك ثقة بعلمه بالعربية، لاتكبُّراً وغروراً، وعلمه لايحتاج إلى دليل ولاشاهد.

(٢) نسبة إلى العَرْج، وهو «موضع بمكة» في قول السمعاني، و «بين مكة والمدينة» في قول ابن الأثير، و «قرية جامعة في وادٍ من نواحي الطائف إليها ينسب العَرْجي الشاعر » في قول ياقوت، واعتمده الزِّركلي في «الأعلام»، كما تجده فيما علَّقتُه على «الأنساب» للسمعاني، طبعة محمد أمين دمج، وسَرَقها عبد الله عمر البارودي، طبعة دار الجنان!!.
والعرجي: هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي، وكان من أشعر بني أمية، ومن الفرسان المعدودين. ثم رأيت في ترجمته في «الأغاني» ١ :١٥٥ من مصورة دار الفكر: «كان يسكن بمال له في الطائف يسمى العرج، فقيل له: العرجي، ونسب إلى ماله» .

(٣) أُريضة: تصغير أرض. والصُّبابة: البقية من الماء واللبن. والتَّمَزُّز: مصٌّ الشراب. فالمعنى: عندي قطعةُ أرض صغيرة أعيش منها عيشة ضعيفة، كعيشة من لديه شيء يسير من الماء أو اللبن يخشى إنْ أكثر منه أن ينفد. وهذا جواب فيه استجداء من حيث الجملة، وإن كان حقاً وصدقاً، لذلك ذكره أبو عبيدة في «مثالب أهل البصرة». لكن لاتنس أن أبا عبيدة شُعوبي، والنضر: عربي أصيل مازنيّ.

قال: فهو ماذا؟ قلت: مُتْرَب، قال: فمن الطِّين؟ قلت: طِنْه، قال: فهو ماذا؟ قلت: مَطِيْن، قال: هذه أحسن من الأولى، ثم قال: ياغلام أَتْرِبْه وطِنْه.

ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه: تَبلَّغ[1] معه إلى الفضل بن سهل. قال ـ يعني ـ فأتيته فلما قرأ الكتاب قال: يانضرُ إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألفَ درهم، فما كان السبب فيه؟ فأخبرته ولم أَكْذِبه، فقال: أَلَحَّنتَ أمير المؤمنين! فقلت: كلا، إنما لَحَن هشيم، وكان لحانة، فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تُتَبَّعُ ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار. ثم أَمَر لي الفضل بثلاثين ألفَ درهم، فأخذت ثمانين ألف درهم بحرفٍ استُفِيد مني.

هذه القصة رواها مطولةً الإمام أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي في كتابه «الحكم والأمثال» كما رويناه[2] من طريقه، لكن في كتاب «الحكم» رواه[2] أيضاً من طريق أخرى فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي يحيى، حدثنا إبراهيم بن ناصح، حدثنا النضر ابن شميل.

وكأنّ الحريري الذي رَوَينا القصة من طريقه اختصر هذه الطريق واقتصر على رواية العسكري عن أبيه[3].

ومذهب الأصمعي كمذهب النضر في أن السَّداد من عَوَز بكسر أوله

---

(١) الشدة على اللام من قلم المصنف، وفي «القاموس»: «تبلَّغ المنزلَ: تكلَّف إليه البلوغَ حتى بلغ» فالمعنى: أن المأمون يلزم خادمه بإيصال النضر بن شميل إلى الفضل بن سهل مهما كلَّفه ذلك من مشقة. والله أعلم.

(٢) هكذا ذكَّر المصنف الضمير في الموضعين بقلمه، والوجه تأنيث الضمير.

(٣) وللقصة رواية من وجه آخر، رواها ابن عساكر منه، انظر «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص ٣٧٥.

لايجوز فتحه، وقاله بالفتح غيرُهما، وذكر أن فيه الوجهين: الفتح والكسر[١].

وقولهم «فيه سِداد من عوز»: معناه ـ فيما قاله الأصمعي ـ: إنْ أعوز الأمر كله ففي هذا ما يَسُدُّ بعضَ الأمر، وقيل: معناه ما تُسد به الخَلة. والله سبحانه أعلم.

* * *

(١) مذهب الأكثر كالأصمعي والنضر ووافقهما الحريري نفسه، ويستفاد من «الصحاح» للجوهري أن القول السديد يقال فيه بالفتح لاغير: سَدَاد. وأن ماكان حسِّيّاً ويُسدُّ بأمر حسّيّ فهو سِداد ـ بكسر السين ـ كالقارورة وغطائها، والثَّغر الذي يُحمى من العدو بالخيل والرجال، يقال فيهما: سِداد.
وأن ماكان خَلّة معنوية ويسدُّ بأمر حسِّيّ، كالفقر يسدُّ بالعطاء والمال: ففيه الوجهان: الكسر والفتح، والكسر أفصح.
فكسر السين في هذا البيت أفصح من فتحها، على قول الجوهري، ويَلتزم غيره كسرَها فقط.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٤ ـ

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

من وجوه الكلام على هؤلاء الآيات العظام من طريقي التفسير والتأويل: ذِكْرُ مواطن التنزيل، لأن القرآن نزلَ سماوياً وأرضياً، والأرضيُّ نزل حضراً وسفراً، وشتاء وصيفاً، وليلاً ونهاراً، ونزولُ القرآن على قسمين:

أحدهما: ماله سبب نزل لأجله[١]، وقد صنَّف الأئمة في ذلك، ومنهم: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتّويه النيسابوريُّ الواحدي[٢].

والقسم الآخر: نزل بغير سبب.

وهذه الآية، من القسم الأول، وسبب نزولها: الدعوة الإبراهيمية التي أخبر الله تعالى عنها بقوله تعالى إخباراً عن إبراهيم عليه الصلاة

---

(١) شاع جداً إدخال اللام على كلمة «أجْل»، حتى في كتب النحو المتأخرة، فيقولون: باب المفعول لأجله، ، وقد نبَّه الإمام النووي رحمه الله تعالى إلى خطأ هذا الاستعمال في عدة مواضع من «المجموع» وأن الصواب: من أجل كذا، انظر منه ٢:٥٢٢، ٣:١١، ٤:٢٦٥.

(٢) وهو نفيس مطبوع متداول، لذلك سيكرر المصنف ذكره، وقد ضمَّنه ـ من حيث الجملة مع اختزال شديد ـ السيوطيُّ في كتابه «لباب النقول» مع زيادات عليه، وأول من صنف في هذا الباب الإمام علي بن المديني رحمه الله، وكتابه غير موجود.

والسلام: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً . . .﴾ الآية.

والآيات التي تلوناها من الآي المدنيِّ، لأنها من سورة آل عمران، وهي مدنية بلا خلاف، وثالثُ سورةٍ نزلت بالمدينة، كما رَوَيناه من حديث خُصَيف بن عبد الرحمن الجزري، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فأنزل الله عز وجل بالمدينة: البقرة، والأنفال، وآل عمران[١].

ورَوَيناه بـ «ثم» بدل الواو من حديث عثمان بن عطاء بن أبي مسلم، عن أبيه [عن ابن عباس] قال: ثم كان أولَ ماأنزل بالمدينة سورةُ البقرة، وقال: ثم الأنفال، وقال: ثم آل عمران[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالإسناد السابق تعليقاً إليه[٣]، أن آخرَ مانزل بالمدينة سورة التوبة، وأولَ مانزل بمكة: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، وآخر مانزل بمكة: سورة ﴿ويل للمطففين﴾.

ومن الاتفاق: أن هؤلاء الآيات، ذُكِرتْ بنحوها في سورة البقرة، وسورة الجمعة، وهؤلاء الثلاث نزلن بالمدينة، وترتيبهن في النزول كترتيبهن في المصحف.

وعلمُ نزول القرآن ومواطن التنزيل، أحدُ أقسام علوم القرآن، وعلومُه

---

(١) الخبر في «دلائل النبوة» للبيهقي ٧: ١٤٤ من طريق عبدالعزيز بن عبد الرحمن القرشي، عن خصيف، به. وعبد العزيز: أمر الإمام أحمد بالضرب على أحاديثه وقال: هي كذب، كما في «العلل» من جمع ابنه عبد الله ٣(٥٤١٩). وخُصيف وإن كان صدوقاً لكنه سيّء الحفظ واختلط.

(٢) هو كذلك عند ابن الضُّرَيس في «فضائل القرآن» ص٧٣ (١٧) وما بين المعقوفين أضفته منه. وفي سنده عمر بن هارون البلخي، عن عثمان بن عطاء، به، وتحرف إلى عمر بن عطاء. والبلخي: متروك تالف، وعثمان: ضعيف. فمثل هذا لايعوّل عليه سواء أكان بالواو أم بـ: ثم.

(٣) وقد عرفت مافيه من ضعف.

كثيرة، منها: بيانُ ماهو مبهم غيرُ معلوم من المنطوق والمفهوم، ومنه في هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ المراد بهم هذه الأمة، وهي أمة الإجابة، لأن الأمة على ضربين: أمة دعوة، وهم جميع الثقلين، وأمة إجابة: وهم مَن أجاب إلى الإسلام[١]، وذُكِروا في هذه الآية بالمؤمنين، وهم الذين وُصِفوا بالأمّيّة، كما صرِّح بذلك في آية سورة الجمعة في قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم...﴾ الآية.

ومن ذلك: أن الرسول الذي منّ الله به على المؤمنين هو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بلا خلاف بين الأمة.

ومن ذلك: أن الكتاب المذكور هو القرآن جلَّ منزِّله، لاخلاف في ذلك، وهو بمعنى المكتوب، مصدر سُمِّي به المفعول، ولم يكن مكتوباً وقتَ نزوله على النبي ﷺ، مع أنه أُطلق عليه ذلك، لكنْ من قواعد كلام العرب أنهم تارةً يَصِفون الشيء بما هو ملابِس له حقيقة، نحو زيد قائم، إذا كان قائماً حالَ الإخبار عنه، وتارة يصفون الشيء باعتبار مايؤول إليه.

والحكمة فسِّرت هنا بسنة النبي ﷺ. والحكمة تُطلق ولها معانٍ، منها:

١ ـ القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿أُدْعُ إلى سبيل ربك بالحكمة﴾ فسِّرت هنا بالقرآن[٢].

---

(١) وجعل بعضهم القسمة ثلاثية، ففي «فتح الباري» ١١: ٤١١ في شرح حديث «سبقك بها عُكّاشة»: «قال الكلاَباذي: إن أمته ﷺ على ثلاثة أقسام، أحدها أخصُّ من الآخر: أمة الاتباع، ثم أمة الإجابة، ثم أمة الدعوة. فالأولى: أهل العمل الصالح، والثانية: مطلق المسلمين، والثالثة: مَن عَدَاهم ممن بُعث إليهم». وانظر الحاجة إلى هذا التقسيم فيما كتبته في شرح الحديث السابع عشر من «الأحاديث القدسية» ص٩١.

(٢) قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة ١٤: ١٩٤: «بالحكمة: =

٢ ـ ومنها: أن الحكمةَ علمُ تفسير القرآن، كما فُسِّر بذلك قوله تعالى: ﴿ومن يُؤْتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً﴾ قيل: علم القرآن[١].

وقال يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقي في «تفسيره»: حدثنا سعيد بن محمد، عن جُوَيْبِر[٢]، عن الضحاك: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ قال: يعني القرآن في هذه المواضع.

٣ ـ ٨ ـ وتطلق الحكمة أيضاً على المواعظ والآداب، وعلى العلم، والعدل، والحلم، والمنع، والإتقان.

والحكمةُ في عرف الفلاسفة علومُها، ولأَنْ تسمى بلازم الحكمة أولى من أن تُسمَّى بالحكمة، لما فيها من الدواهي الغائلة، والسموم القاتلة، ومن زعم أن حكمة الفلاسفة هي المذكورة في القرآن فقد تجرَّأ وافترى، وكذب فيما رأى، وإنما الحكمة المشار إليها في القرآن على وجوهٍ ذكرها الأئمةُ ومن صنَّف في الأشباه والنظائر. منها: أن المراد بالحكمة في قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ سنةُ النبي ﷺ

= بوحي الله الذي يوحيه إليك، وكتابه الذي ينزله عليك». وجاء في «سنن الدارمي» ٢: ٥٣٠ (٣٣٤٥): «حدثنا مروان بن محمد، حدثنا رِفْدَة الغساني، حدثنا ثابت بن عجلان الأنصاري قال: كان يقال: إن الله ليريد العذاب بأهل الأرض، فإذا سمع تعليم الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم. قال مروان: يعني بالحكمة: القرآن». ورفدة ضعيف.

(١) قال ابن جرير في تفسيره لهذه الآية الكريمة ٣: ٨٩: «هي القرآن والفقه به» ثم أسند معناه إلى ابن عباس، وقتادة، وأبي العالية، ومجاهد، وانظر «الدر المنثور» ١: ٣٤٨ وكأن المصنف يلخص من «نزهة الأعين النواظر» لابن الجوزي ص٢٦٠ ومابعدها، أو من كتاب مثله لغيره. وينظر أيضاً «مفردات الراغب».

(٢) هو جويبر بن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي، ضعيف جداً. كما في «التقريب» (٩٨٧). وجملة «في هذه المواضع» لعلها مرتبطة بالآيات الأخرى التي فيها ذكر الحكمة، فأشار إليها بقوله هذا.

كما تقدم، وممن فسَّرها بذلك ابن عباس ومجاهد وقتادة وآخرون[١] منهم: الشافعي رضي الله عنهم.

قال الشافعي رضي الله عنه في كتابه «الرسالة»[٢]: وقد فَرَض الله تعالى على الناس اتِّباع وحيه وسننِ رسوله ﷺ فقال في كتابه: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾. وقال تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وذكر الشافعي آياتٍ في ذلك آخرُها قولُه تعالى: ﴿واذكُرْنَ مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾.

قال الشافعي: فذَكَرَ الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت مَن أَرْضَى يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى.

ومعاني الكتاب والسنة كثيرة لاتعدُّ، ولاسبيل إلى معرفة ذلك إلا من جهة التفسيرِ من طريق المنقول عن الأئمة المرضية، ومن التأويلِ الراجعِ إلى القواعد الشرعية والعقائد السَّنية، ومعاني اللغة ووجوه العربية.

وإنِ انضمَّ إلى ذلك معرفةُ المعاني والبيان والبديع كان بليغاً في فهم الحِكَم والآيات، وعِلْم الحُجَج والبراهين القاطعات.

والمعاني: جمع معنى، ومعنى الشيء: حالتُه التي يَصير إليها أمره، هذا موضوعه لغة[٣].

---

(١) قول ابن عباس: ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١:١٤٦، وقول قتادة في «تفسير ابن جرير» ١:٥٥٧، ٤:١٦٣، وأما قول مجاهد و(الآخرون): فينظر.

(٢) «الرسالة» ص ٧٦-٧٨ (٢٤٤-٢٥٢).

(٣) حكاه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣:٢١٣ عن الليث بن المظفر، ونحوه عن ثعلب (أحمد بن يحيى). وانظر «المصباح المنير».

وأما اصطلاحاً: فهو مايحترز به عن الخطأ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال المفتقَرِ في تأديته إلى أزيدَ من الدَّلالات الوضعية. فيعرفُ منه تتبُّع خواصِّ تركيب الكلام وقيود دلالاته.

وأما البيان: فموضوعه لغة: إخراجُ الشيء من حيِّز الإشكال إلى حيز التجلِّي والظهور.

وأما اصطلاحاً: فهو مايُحترز به عن الخطأ في دلالة المركَّب لتمام المراد منه بمخالفة الوضوح أو الخفاء، فيعرف منه كيفية إيراد مقتضَى الحال المفتقِرِ إلى أزيدَ من الوضعية بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة أوالنقصان.

وأما البديع فموضوعه لغة: المبتدَع العجيب، وأصله من البِدْع، وهو ما حَدَث مما لم يكن قبلُ.

وأما اصطلاحاً: فهو إبانة المعنى الحسن باللفظ المختار.

فإذا كان الكلام خالياً عن التعسُّف والتعقيد في معناه، عاطلاً من الكلمات الحُوشِيّة المتنافِرة المخارِج في مبناه كان بديعاً، يَعلَق بالأفهام سريعاً، لكنْ إذا وقع البديع اتفاقاً من غير تكلُّف، كان أبلغَ في التفنُّن والتصرُّف.

ولقد حدثنا شيخنا الإمام العلامة قاضي المسلمين وليُّ الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الحضرمي(١)، عن العلامة مؤرِّخ بلاد المغرب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغَرْناطي لسان الدين ابن الخطيب(٢) أنه قال: أشتهي مَن يتعاطى البديع في شعره

---

(١) هو ابن خلدون، وينتهي نسبه إلى سيدنا وائل بن حجر الحضرمي الصحابي المعروف، رضي الله عنه.

(٢) هو ذو الوزارتين: وزارة السيف والقلم، وذو العُمُرين: لاشتغاله بالتصنيف ليلاً، وبتدبير الملك نهاراً، المتوفى سنة ٧٧٦ عن ثلاث وستين سنة، =

أن يُعَزَّر ويُطوَّفَ به ويُنادَى عليه: هذا جزاء من يتعاطى البديع في شعره! أراد أن لايتكلّفه الشاعر بل يقعَ له انسجاماً وسجيّةً.

ومن علوم القرآن المتعلقة بهذه الآية: حسنُ بيانِ كَلِمِها، وتعديلُ معاني نظمها، ومناسبةُ فواصلها، وارتباطها بأوائلها، وهذا من أنواع ضروب نظم القرآن، وقد صنَّف فيه غير واحد، منهم: أبو علي الحسن ابن يحيى بن نصر الجُرْجاني، وكتابه غريبٌ بديعٌ في بابه، وغلط في تسميةِ مصنِّفه الفخرُ الرازي، فجعله عبدَ القاهر بنَ عبد الرحمن الجرجانيَّ صاحبَ «المقدمةِ في النحو» المشهورة بـ «الجُمَل» و «شرحِ الإيضاح» لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي في ثلاثين مجلداً![1].

نعم لعبد القاهر الجرجاني هذا مصنفان في إعجاز القرآن «الكبير»، وآخرَ دونه، فلعل الفخر الرازي أراد أحدَ مصنَّفَيْه في إعجاز القرآن فسماه «ضروب نظم القرآن»؟ والله أعلم.

ويؤخذ حسنُ انتظام الكلام واتّساقُ معانيه من مواضعَ في هذه الآية الشريفة، منها: أن الله تعالى قال: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً..﴾.

ذكر الله تعالى هذه المنة العظمى باسمه المظهَر دون المضمَر، فلم يقل سبحانه: لقد مننتُ، بل قال: ﴿لقد منّ الله﴾ وذلك ـ والله أعلم ـ لعِظَم شأن هذه المِنَّة التي لامِنَّةَ أعظمُ منها، وهي بعثةُ سيدنا رسول الله ﷺ رحمةً للعالمين، ونعمةً امتنَّ بها على المؤمنين.

= وباسمه ألَّف المَقَّري كتابه الممتع «نفح الطيب». انظر الأعلام ٦: ٢٣٥ ومصادره.

(١) لفظ السبكي في «الطبقات الكبرى» ٥: ١٥٠: «في نحو ثلاثين مجلداً» ثم اختصره في «المقتصِد» في ثلاث مجلدات». والمقتصد هذا طبع في بغداد سنة ١٩٨٢ في مجلدين.

فذكر المنَّ بهذه النعمة العظيمة باسمه الأعظم الذي هو (الله)[١].

نعم، ولم يذكر هنا من أسمائه الحسنى غيرَ هذا الاسم الشريف لفوائد، منها: أن هذا الاسمَ الشريفَ يعلمه المؤمن والكافر، والطائع والعاصي، وهم معترفون بأنه خالقهم وإياه يَدْعُون، وإليه عند الحوادث يفزعون، لكن الكفار يُشركون به غيره، كما كانوا يصنعون في التلبية يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك، إلا شريكاً [هو لك] تملِكُه وماملَك[٢]. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قال الله عز وجل: ﴿ولئن سألتَهم من خلقهم ليقولُن الله﴾.

فذكر سبحانه في هذه الآية الشريفة[٣] أعظمَ أسمائه وهو (الله) المشهورُ عند المؤمن والكافر، ليعرف الجميع أن خالقهم المعترفون له بالإلهية ـ وهو (الله) ـ هو الذي منَّ ببعثة هذا الرسول، ليكون أبلغَ في تذكيرهم بهذه النعمة، وأجلبَ لإيمانهم ودخولهم في هذه الأمة.

وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية وجوهاً من نِعَمه على المؤمنين ببعثة رسوله محمد ﷺ.

١ ـ منها: تلاوته آياتِ الله عليهم.

٢ ـ ومنها: تزكيتهم وتطهيرهم حساً ومعنىً.

٣ ـ ومنها: تعليمُه إياهم الكتابَ والسنةَ.

٤ ـ ومنها: إنقاذُهم على يديه من الضلال المبين، الموجِب للخِزْي والنَّكَال يوم الدين.

---

(١) كأنه يريد رحمه الله أن ينبه إلى تناسب ذكر أعظم نعمة مع أعظم اسم له سبحانه وتعالى.

(٢) حكاه عنهم ابن عباس رضي الله عنهما، فيما رواه مسلم في كتاب الحج ٢ : ٨٤٣ (٢٢) دون الجملة الأولى، ومابين المعقوفين زدته منه.

(٣) وهي الآية المتحدَّث عنها: ﴿لقد من الله على المؤمنين..﴾.

وكلُّ نعمة من هذه النِّعم المسمَّاة تشتمل على نِعَم كثيرة لايحصيها إلا الله، ولهذا ـ والله أعلم ـ عند ذكر المنِّ بهذه النِّعَم، ذكره الله باسمه الأعظم.

فكم حَوَى القرآن والسنة من عجائبَ ولطائفَ وأحكام، وقواعدَ وعقائدَ وبيانِ حلال وحرام، وأوامرَ وزواجرَ وترغيبٍ وترهيبٍ للخاص والعام.

وقد نبَّهْنا على بعض معاني هذه الآية من القرآن.

ونذكر الآن حديثاً من السنة التي أشرنا من أحسن الحسان، لنجمعَ في المجلس بين تلاوة الكتاب ورواية السنة، ويحصلَ لنا بركاتهما، راجين من الله أول وَهْلة، دخول الجنة.

أخبرنا الشيخان المسنِدان الكبيران أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمر البالِسي، وأبو هريرة عبد الرحمن ابن الحافظ أبي عبد الله محمد ابن الذهبي، وآخرون، قالوا: أخبرنا أبو العباس أحمد ابن الشِّحْنة أبي طالب الصالحي قراءةً عليه ونحن نسمع ـ زاد أبو هريرة فقال: وأخبرنا عيسى بن عبد الرحمن السِّمْسار قراءةً عليه وأنا حاضر، وأبو الفضل سليمان بن حمزة الحاكم، وأبو بكر بن أحمد الضرير، وإسماعيل بن يوسف السُّوَيدي، وزينب ابنة أحمد بن عمر بن شكر إجازةً، قالوا ـ سوى الضرير ـ:

أخبرنا عبد الله بن عمر بن علي الحَرِيمي سماعاً ـ وقال الحاكم أيضاً والضرير: أخبرنا الحسين بن المبارك بن محمد السَّلامي قراءةً عليه، قال الحاكم: وأنا حاضر، وقال الضرير: وأنا أسمع ـ قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى الهروي سماعاً، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي مسعودِ عبدِ العزيز الفارسي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن أبي شريح الأنصاري، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد، حدثنا العلاء بن موسى، حدثنا الليث بن سعد، عن نافع، عن

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة».

هذا حديث صحيحٌ عالٍ جداً، خرَّجه مسلم في «صحيحه» والنسائي في «سننه» عن قتيبة بن سعيد[(١)].

وخرَّجه مسلم أيضاً، وابن ماجه في «سننه» عن محمد بن رُمْح كلاهما عن الليث بن سعد، به، فوقع لنا بدلاً عالياً، وهو عند القَعْنَبي، وأبي بكر بن أبي شيبة، عن الليث. تابعه مالك، وعبيد الله بن عُمر، وعبد الله بن نُمَير، وأسامة بن زيد بن أسلم، عن نافع.

وله شاهد عن علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، والبراء بن عازب، وثوبان، وجابر بن عبدالله، وجرير بن عبدالله، وأبي ذر جُنْدُبِ ابنِ جُنَادة، وحذيفة بن اليَمَان، وأبي سعيد سعد بن مالك الخدري، وسَلَمة بن نُفَيل السَّكوني، وسَوَادة بن الربيع الجَرْمي، وأبي أُمامة صُدَيِّ ابنِ عَجْلان الباهلي، وعبد الله بن بُسر، وعبد الله بن عمرو بن العاصي، وعبد الله بن مسعود، وعتبة بن عبدِ السُّلَمي، وعروة بن الجعد ـ ويقال ابن أبي الجعد، ويقال عروة بن عياض بن أبي الجعد الأزدي البارقي ـ وعَرِيبٍ جَدِّ يزيدَ بنِ عبد الله بن عَرِيب المُلَيْكي، وعمرو بن العاصي، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، والمقدام بن مَعْدِي كَرِب، ويعلى بن مرة، وأبي كبشة الأنماري، وأبي هريرة، وابن الحَنْظَلية الأنصاري، وأسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنهم[(٢)].

---

(١) «صحيح مسلم» ٣:١٤٩٣ (بعد ٩٦)، والنسائي «الكبرى» ٣:٣٩ (٤٤١٥)، وابن ماجه ٢:٩٣٢ (٢٧٨٧). ورواية القعنبي وابن أبي شيبة عن الليث: لم أقف عليها، ومتابعة مالك ومن بعده: مذكورة في أسانيد مسلم.
وله أسانيد وطرق كثيرة في كتب السنة، منها في «صحيح البخاري» ٦:٥٤، ٦٣٣ (٢٨٤٩، ٣٦٤٤)، و «صحيح مسلم» غير ماذُكر.

(٢) فهؤلاء ثمانية وعشرون صحابياً، وزدت عليهم صحابياً واحداً، وثلاثةً من =

= التابعين، سأذكرهم آخر التخريج الآتي، وقد ذكر أصحاب كتب المتواتر منهم ثمانية عشر فقط!، وهذا الجمع الكبير من فوائد هذا الكتاب النادرة، وهي في غير مظنَّتها، وكأنه تلخيص لكتابه «نيل الأمنية بذكر الخيل النبوية». ولو توسَّعنا في اعتبار كل ماورد في فضل الخيل شاهداً للحديث لزاد العدد.

وقد ألَّف العلماء السابقون في الخيل كتباً كثيرة، طُبع بعضها، منها «كتاب الخيل» لأبي عبيدة معمر بن المثنى، طبع بدائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٥٨، و «أنساب الخيل» لابن الكلبي، طَبَعه الأستاذ أحمد زكي بمصر سنة ١٩٤٦، ثم أعاد تحقيقه الدكتور نوري القيسي والدكتور حاتم الضامن من العراق سنة ١٩٨٥، و «فضل الخيل» للإمام الحافظ الدمياطي، طَبَعه قبل هذين الكتابين الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله بحلب، وفيها كلها أحاديث مسندة، ومع كتاب الدمياطي: «رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد» للبخشي الحلبي المكي المتوفى سنة ١٠٩٨، وللعلامة المحدث أبي زكريا أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي المعروف بابن النحاس، المتوفى سنة ٨١٤، جمعٌ جيد واسع ومختصر مفيد للأحاديث الواردة في فضل الخيل والقيام عليها بالخدمة، وذلك ضمن كتابه النافع الماتع «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» - يريد الجهاد - ١ : ٣٢٤-٣٥٦، وأظن أن المصنف يلخِّص ماعنده مع زيادات عليه.

وإليك تخريج ماوقفت عليه مما ذكره المصنف، مع الاختصار الشديد في التخريج، وبترتيب المصنف.

١- حديث علي رضي الله عنه: رواه أبو عوانة في «صحيحه» ٥ : ١٨، والعقيلي في «الضعفاء» ٤ : ٤٥١، وعزاه ابن حجر في «الفتح» ٦ : ٥٧ إلى كتاب الجهاد لابن أبي عاصم، وليس في القسم المطبوع منه.

٢- وحديث أنس: رواه كثيرون، منهم البخاري ٦ : ٥٤، ٦٣٣ (٢٨٥١، ٣٦٤٥)، ومسلم ٣ : ١٤٩٤ (١٠٠).

٣ - وحديث البراء بن عازب: رواه أبو عوانة ٣ : ١٧، والعقيلي ٢ : ٢١٧.

٤ - وحديث ثوبان: لم أقف عليه بعد.

٥ - أما حديث جابر: فهو في «المسند» ٣ : ٣٥٢، قال الهيثمي =

= ٥:٢٥٩،٢٦١: «رجال أحمد ثقات».
٦ ـ وأما حديث جرير: فرواه مسلم ٣:١٤٩٣ (٩٧) وغيره.
٧ ـ وأما حديث أبي ذر: فرواه أحمد ٥:١٨١، وأبو عوانة ٥:١٩، وسعيد ابن منصور ٢:١٦٥ (٢٤٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» ٨:٣٨٥، وفيه عندهم أبو الأسود الغفاري، عن النعمان الغفاري، قال ابن معين في رواية عثمان الدارمي (٩٥٤): «ماأعرفهما». إلا أن النعمان ذكره ابن حبان في «ثقاته» ٥:٤٧٣، ونَقَل ابن حجر في «تعجيل المنفعة» ص٢٧٦ (١١١٠) عن أبي حاتم أنه قال فيه «مجهول» ـ فكأنه في غير «الجرح والتعديل» لابنه ـ.
وأما أبو الأسود: فالظاهر أن ابن عدي ٧:٢٧٤٨ وهم في نقله عن النسائي أنه قال فيه: ليس بثقة. إنما قال النسائي ذلك في أم الأسود، وذلك في آخر ترجمة في «ضعفائه». وتُوبع ابن عدي من الذهبي في «الميزان» ٤:٤٩١ (٩٩٦٤)، وابن حجر في «اللسان» ٧:١٠، والظاهر أن الهيثمي متابع أيضاً في قوله عنه في «المجمع» ٥:٢٥٨ـ٢٥٩: «ضعيف».
٨ ـ وحديث حذيفة: رواه البزار ـ «كشف الأستار» ٢:٢٧٢ (١٦٨٥) ـ قال الهيثمي في «المجمع» ٥:٢٥٩: «فيه الحسن بن عُمارة، وهو ضعيف».
٩ ـ وحديث أبي سعيد الخدري: أخرجه أحمد ٣:٣٩، والبزار ـ «كشف الأستار» ٢:٢٧٢ (١٦٨٦) ـ قال الهيثمي ٥:٢٥٨: «فيه عطية ـ العوفي ـ وهو ضعيف». وضعْفه من قبل حفظه، لذلك قال عنه في «التقريب» (٤٦١٦): «صدوق يخطئ كثيراً وكان شيعياً مدلساً»، وقد حسَّن له الترمذي عدة أحاديث: (٤٧٧، ١٩٥٥، ٣٧٢٧)، بل في بعض النسخ في الحديث (١٩٥٥): «حسن صحيح» وانظر ماعلَّقته على ترجمته في «الكاشف» للذهبي (٣٨٢٠).
١٠ـ وحديث سلمة بن نُفَيل: رواه أحمد ٤:١٠٤، والنسائي (الكبرى) ٣:٣٥ (٤٤٠١)، وأبو عوانة ٥:١٦، وإسناد أحمد صحيح.
١١ـ وحديث سوادة بن الربيع: رواه البزار: «كشف الأستار» ٢:٢٧٣ (١٦٨٨)، والطبراني في «الكبير» ٧:٩٧ (٦٤٨٠)، قال الهيثمي ٥:٢٥٩ ـ وعزاه إلى البزار فقط ـ: «رجاله ثقات»، وأبو عوانة ٥:١٦، وعزاه في «كنز =

= العمال» ١٢ : ٣٢٩ (٣٥٢٥٣) إلى الضياء المقدسي.

١٢ ـ وحديث أبي أمامة: أخرجه الطبراني في «الكبير» ٨: ٢٥٥ (٧٩٩٤). قال الهيثمي ٥: ٢٦٠: «فيه يحيى بن راشد المازني ضعَّفه ابن معين ووثقه ابن حبان وقال: يخطىء ويخالف» وينظر لزاماً «تهذيبُ الكمال» ٣١: ٢٩٩ مع التعليق عليه، والمطبوعُ من «ثقات» ابن حبان، وضعَّفه غير ابن معين، وكأن تضعيفهم له من قبل حفظه، كما يُفهم من كلام ابن حبان، وذِكْر ابن حبان له في «ثقاته» من قبيل ارتضاء عدالته.

على أن الراوي عن أبي أمامة هو لَقيط الباهلي أبو المَشَّاء ـ لا: أبو المثنى ـ ذكره ابن حبان أيضاً ٥: ٣٤٤ وقال فيه: «يخطىء ويخالف».

١٣ ـ وحديث عبد الله بن بُسر: لم أقف عليه.

١٤ ـ وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص: رواه أبو عبيدة معمر بن المثنى في «كتاب الخيل» ص٧ من رواية خالد بن معدان ـ أحد الثقات ـ عن رجل من أهل الشام، عن عبد الله بن عمرو. ففيه هذا الرجل المبهم.

١٥ ـ أما حديث ابن مسعود: فرواه أبو يعلى ٥: ١٧٥ (٥٣٧٥)، وأعلَّه الهيثمي ٥: ٢٨٠ بتدليس بقية بن الوليد، وعزاه ابن النحاس في «مشارع الأشواق» ١: ٣٤٢ إلى «تاريخ ابن عساكر» فأبعد النُّجعة، لكن استفدنا منه رحمه الله أن شيخ بقية بن الوليد هو علي بن أبي علي، والظاهر أنه الصواب، وسُمِّي في طبعة دار القبلة لمسند أبي يعلى: علي بن علي، ومثله في طبعة دمشق ٩: ٢٧٤ (٥٣٩٦) التي حققها الأستاذ حسين أسد.

وقد ترجم ابن عدي في «الكامل» ٥: ١٨٤٩ لعلي بن أبي علي القرشي، وأنه شيخ بقية، وأشار إلى تدليس بقية باسمه، وتابعه الذهبي في «الميزان» ٣: ١٤٧ (٥٨٩٦)، وابن حجر في «اللسان» ٤: ٢٤٥، قال ابن عدي: «مجهول منكر الحديث».

وعلَّة أخرى هي: أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود راويه عن عبد الله ابن مسعود كان يرسل عن ابن مسعود، كما في أول ترجمته من التهذيبين، و«جامع التحصيل» ص٢٣٢.

١٦ ـ وحديث عتبة بن عبدٍ السُّلَمي: رواه أحمد ٤: ١٨٣ عن عبد الرزاق، عن=

= سفيان، عن ثور بن يزيد، عن نصر ـ وفيه: نفير، تحريف مطبعي ـ عن رجل يقال له عتبة بن عبد السلمي. هكذا جاء في المطبوع من «المسند» ومثله في «أطرافه» لابن حجر ٤: ٢٨٦ (٥٩١٤)، ويؤيده إسناد الطبراني في «الكبير» ١٧: ١٣٠ (٣٢٠)، ونصر سمي في إسنادٍ لاحقٍ عند الإمام أحمد: نصر بن علقمة، وهو الحضرمي الحمصي، مترجم في «التهذيب» وفيه توثيق دحيم وابن حبان، فهو ثقة، لا «مقبول». لكنه لم يدرك عتبة بن عبد.
ورواه أبو داود ٣: ٤٦ (٢٥٤٢) وفيه: نصر الكناني، عن رجل، أو: عن شيخ من بني سليم، عن عتبة بن عبد. ففيه رجل مبهم، وفيه نصر الكناني، هو ابن عبد الرحمن. قال في «التقريب» (٧١١٦): «مجهول».
ونُسب في رواية الطبراني (٣١٩): نصر بن شفي، وقد ترجمه البخاري في «الكبير» ٨: ١٠٥ (٢٣٥٣) وابن أبي حاتم ٨: ٤٦٦ (٢١٣٨) وسكتا عنه، وليس للبخاري اصطلاح فيمن يسكت عنه، أما ابن أبي حاتم فاصطلاحه أنه مجهول عنده ـ لامطلقاً، فقد يعرفه غيره ـ.
وعلى كل ففي أسانيد هذه الرواية ضعف، للانقطاع، أو للإبهام، أو للجهالة.
١٧ـ وأما حديث عروة البارقي: فرواه البخاري ٦: ٥٤ (٢٨٥٠) ومواطن أخرى منها ٦: ٦٣٢ (٣٦٤٣) وقال فيه الراوي: وقد رأيت في دار عروة سبعين فرساً، ومسلم ٣: ١٤٩٣ـ١٤٩٤ (٩٨، ٩٩)، وغيرهما.
١٨ ـ وحديث عَريب المُلَيْكِي: رواه الطبراني في «الكبير» ١٧: ١٨٨ (٥٠٥)، و «الأوسط» ـ كما في «مجمع البحرين» ٥: ٤٨ (٢٦٨١) ـ وفي كليهما سعيد ابن سنان، قال في «التقريب» (٢٣٣٣): «متروك ورماه الدارقطني وغيره بالوضع»، فقول الهيثمي ٥: ٢٥٩ «فيه من لم أعرفه»: قصور في الإعلال.
١٩ـ وحديث عمرو بن العاص،
٢٠ـ ومعاوية بن أبي سفيان: لم أرهما أيضاً.
٢١ـ وأما حديث المغيرة بن شعبة: فرواه أبو عوانة ٥: ١٦، والطبراني ٢٠: ٤٣١ (١٠٤٨) ورجاله ثقات، وفيهم إسماعيل بن سعيد بن عبيد الله، ذكره ابن حبان في «الثقات» ٨: ٩٢، وقال أبو حاتم فيه ٢: ١٧٣ (٥٨٦): «شيخ» أي: راوي. =

= ٢٢ ـ وحديث المقدام بن معدي كرب،

٢٣ ـ ويعلى بن مرة: لم أقف عليهما أيضاً.

٢٤ ـ أما حديث أبي كبشة الأنماري: فهو في صحيح ابن حبان: «الإحسان» ١٠: ٥٣٠ (٤٦٧٤)، والطبراني في «الكبير» ٢٢: ٢٣٩ (٨٤٩). وقال الهيثمي ٥: ٢٥٩: «رجاله ثقات»، والحاكم ٢: ٩١ وصححه ووافقه الذهبي.

٢٥ ـ وحديث أبي هريرة: رواه مسلم ٢: ٦٨٢ (٢٦)، وأحمد ٢: ٣٨٣، وغيرهما.

٢٦ ـ أما ابن الحنظلية: فروى له الحاكم في «المستدرك» ٢: ٩١: «إن المنفق على الخيل في سبيل الله كباسط يديه بالصدقة لايقبضها» وقال: هو شاهد لحديث أبي كبشة، الذي فيه زيادة بهذا المعنى، ومثله الذهبي. وهذا من المصنف توسُّع زائد، فالحديث المخرَّج هو: الخير في نواصي الخيل، ونحوه، ولذا قلت أول كلامي: إن العدد يزيد على الثمانية والعشرين صحابياً لو توسعنا بإيراد كل ماورد في فضل الخيل.

٢٧ ـ وحديث أسماء بنت يزيد: رواه ابن أبي شيبة ١٢: ٤٨١ (١٥٣٣٤)، وأحمد ٦: ٤٥٥، وعزاه إلى مسند أبي يعلى ابن النحاس في «مشارع الأشواق» ١: ٣٢٦ وحسَّن إسناده ـ وليس في الرواية المطبوعة ـ مع أن في إسناده عند أحمد ـ وأبي يعلى ـ شهر بن حوشب، وبه ضعفه الهيثمي ٥: ٢٦١، والخلاف فيه قائم.

فهؤلاء سبعة وعشرون، يضاف إليهم ابن عمر الذي ساق المصنف الحديث من طريقه.

وروى الحديث غيرُ من ذُكر: النعمان بن بشير رضي الله عنهما، رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» ١: ٢٠٨ (٢٢٢)، والطبراني في «الكبير»، كما قاله الهيثمي ٥: ٢٥٩ـ٢٦٠، قال: «وفيه أبو زياد التيمي، قال الذهبي: مجهول». قلت: والراوي عنه أشعث بن سوار ضعيف أيضاً. وأما أبو زياد: فالذي جهَّله هو أبو حاتم ـ «الجرح» ٩: ٣٧٣ (١٧٢٤) ـ وأطلقها الذهبي على عادته فيمن لم يَنْسُب إليه الجهالة فهي من قول أبي حاتم.

وحديث النعمان هذا غير مذكور في المطبوع من «المعجم الكبير» مع أن =

وفي حديث ابن عمر زيادةٌ من قوله ليست في روايتنا الأولى.

قال إبراهيم بن محمد بن عَرْعَرة السامي: حدثنا محمد بن بكر، حدثنا عمر بن صُهْبان، أخبرني نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «الخيل معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة» وقال: ولقد رأيت لرسول الله ﷺ فرساً، فلقد رأيته يمسح بردائه أو بداخِلةِ إزارِه عن وجهه العرقَ[١].

ورُويتْ قصة مسح الفرس من مراسيل الحسن البصري، ونُعيم بن أبي هند الجُهَني، ومسلم بن يسار المُصْبِح[٢]. قال مسلم: أُخبرت أن

= قطعته الخطية موجودة عند ناشره ـ كما قال ذلك في تعليقه على «مسند الشهاب» ١ :٤٣ (١٥)، وأنه نسخها ورقَّمها ـ ولم يتيسر له طبعها بعدُ.
كما رأيته مرسلاً عن ثلاثة من التابعين: مكحول، وعطاء بن أبي رباح، وعبد الرحمن بن عائذ الثُّمالي.
أما مرسل مكحول: فأخرجه سعيد بن منصور في «سننه» ٢ :١٦٤ (٢٤٢٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٢ :٤٨١ (١٥٣٣٦)، والراوي له عن مكحول: سعيدٌ البزار لم أقف له على ترجمة. لكنه رواه من وجه آخر وبلفظ مطوَّل ـ وفيه الشاهد ـ أبو عبيدة في «كتاب الخيل» ص٦ـ٧، وفيه العلاء بن الحارث الحضرمي، وقد اختلط.
وأما مرسل عطاء: فرواه أبو عبيدة ص٥، وراويه عن عطاء: طلحة بن عمرو، متروك.
ومرسل عبدالرحمن بن عائذ: رواه ابن الكلبي في «أنساب الخيل» ص٢٢، وفي إسناده الأحوص بن حكيم، عن أبيه، والأحوص ضعيف من قِبَل حفظه، وأبوه في ضبطه كلام أيضاً. وقولُ محقِّقَيْه عن عبد الرحمن بن عائذ: إنه صحابي، وعزوُهما ذلك إلى ترجمته في «الإصابة»: غفلةٌ غريبة عن مصطلح ابن حجر في كتابه «الإصابة»!!.

(١) في إسناده عمر بن صهبان، متروك منكر الحديث. وهو من رجال «التهذيب». والفرس تقال للذكر والأنثى.

(٢) أما مرسل الحسن البصري: فرواه أبو عُبيدةَ في «كتاب الخيل» بلفظ: «وقال =

النبي ﷺ خرج ذات يوم فمسح وجه فرس له بردائه وقال: «إني عُوتبتُ الليلة في الخيل».

وهذه الفرس جاءت الرواية به مبهمةً.

وكان للنبي ﷺ عدةٌ من الخيل معلمة[1].

فأولها: الكُمَيْت ـ ويسمى السَّكْب ـ فيما رُوِّيناه، وهو أول فرس اقتناه، ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فَزارة بعشرِ أواقٍ، وكان اسمه

= وكيع: حدثنا الربيع بن صَبِيح، عن الحسن..» والربيع صدوق سيء الحفظ، وصيغته صيغة تعليق على وكيع. هكذا نقله في «مشارع الأشواق» ١:٣٥١ (٥٢٥) ولم أره في المطبوع من كتاب أبي عبيدة، على جودة الأصل الخطيّ الذي طبع عنه.

وأما مرسل نعيم بن أبي هند: فرواه أبو داود في «مراسيله» ص٢٢٨ (٢٩١)، ورجاله ثقات، إلا أن نعيماً أشجعي، لاجهني كما يقول المصنف!.

وأما مرسل مسلم بن يسار: فرواه سعيد بن منصور في «سننه» ٢:١٦٨ (٢٤٣٨)، وأبو عُبيدةَ أيضاً ـ كما في «مشارع الأشواق» ١:٣٥١ (٥٣٦) ولم أره فيه أيضاً ـ ورجاله ثقات، لكنه سُمِّي في «سنن سعيد»: محمد بن يسار، وغالب الظن أنه تحريف ناسخ أو مطبعة.

ورأيته أيضاً من مرسل واقد بن عمرو المدني، ويحيى بن سعيد الأنصاري عن رجل لم يسمَّ، وعبدالله بن دينار.

ـ أما مرسل واقد: فأخرجه ابن سعد في «طبقاته» ١:٤٩٠، ورجاله ثقات.

ـ ومرسل يحيى في «الموطأ» ٢:٤٦٨ (٤٧)، وهو موصول عنه، عن أنس. وهو في «المطالب العالية» ٢:١٥٨ (١٩٢٩) عن يحيى، عن رجل، وعزاه إلى «مسند مسدَّد». ونقل شيخنا الأعظمي رحمه الله في التعليق عليه عن البوصيري أن رجاله ثقات، ولفظ أبي عبيدة ص٤: «..يحيى بن سعيد، عن شيخ من الأنصار» وفيه: «إني عوتبت الليلة في إذالة الخيل». أي: إهانتها والاستخفاف بها.

ـ ومرسل عبدالله بن دينار: أخرجه أبو عبيدة أيضاً ص٥.

(١) جلُّ ماسيأتي عن الخيول السبعة مأخوذ من «طبقات» ابن سعد ١:٤٨٩ فما بعدها. وينظر «مشارع الأشواق» لابن النحاس ١:٣٤٥ـ٣٤٧.

عند بائعه الضِّرْس، فسماه النبي ﷺ السَّكْب، لأنه كان خفيفَ الجَرْي سريعَه، وكان أولَ ماغزا عليه أحداً، وليس يومئذ مع المسلمين فرسٌ غيرُه، وغيرُ فرسٍ لأبي بُردة بن نِيَار يقال له: مُلاوِح.

والسَّكْب هذا كان كُمَيْتاً لونُه بين الشُّقْرة والأُدْمة أغرَّ محجَّلاً مطلقَ اليمين.

والثاني من الخيل النبوية: سَبْحَة، من قولهم: فرس سابح، إذا كان حسنَ مدِّ اليدين في الجَرْي، وكانت سَبْحَةُ شقراءَ، ابتاعها النبي ﷺ من أعرابي من جُهَينة بعشرٍ من الإبل، وسابَقَ عليها مرةً فجاءت سابقةً، فهشَّ لذلك وأعجبه.

والثالث من الخيل النبوية: المُرْتَجِز، وهو الذي اشتراه النبي ﷺ من الأعرابي الذي جَحَد البيع فشهد خزيمةُ بنُ ثابت بتصديق رسول الله ﷺ، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمةَ بشهادتين[1].

---

(١) روى أبو داود ٤ : ٣١ (٣٦٠٧)، والنسائي ٤ : ٤٨ (٦٢٤٣) من طريق عمارة ابن خزيمة بن ثابت، عن عمه رضي الله عنه أن النبي ﷺ اشترى فرساً من أعرابي، ثم أراد نقض البيع وصار يحلف للنبي ﷺ بالله أنه ماباعه إياها ويقول له: هلم شاهداً يشهد لك، فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بعتَه من النبي ﷺ، فأقبل عليه النبي ﷺ وقال له: «بم تشهد؟» قال: بتصديقك يارسول الله! فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

وفي «التهذيب» عن ابن منده أن اسم عمّ عمارة بن خزيمة هذا: عمارة بن ثابت، وانظر «أسد الغابة» ٤ : ١٣٦.

وروى الحديث ابن أبي شيبة ـ وعنه أبو يعلى الموصلي ـ وابن أبي عمر العدني، ثلاثتهم في مسانيدهم، والطبراني في الكبير من طريق ابن أبي شيبة وأخيه عثمان ٤ : ٨٧ (٣٧٣٠) كلهم عن عمارة، عن أبيه خزيمة ـ لاعن عمه ـ والاختلاف في الصحابي لايضرُّ. وقال الهيثمي ٩ : ٣٢٠ عن إسناد الطبراني: رجاله ثقات، وانظر «المقاصد الحسنة» (٦٠٢) و «المطالب العالية» ٤ : ٩٢.

وقد جاءت الإشارة إلى هذه القصة في حديث زيد بن ثابت عند البخاري في =

واسم الأعرابي الذي جحد البيع: سَوَاء بن قيس بن الحارث المحاربي.

وكان المرتجِز فحلاً أشهب، وقيل أبيض، سمي المرتجز لحسن صهيله، ويقال لهذا الفرس أيضاً: الطِّرْف والنَّجِيب[١].

والرابع من الخيل النبوية: اللِّزاز - بكسر اللام وزايين، وقيل بفتح اللام مع التشديد - وهذا الفرس كان من جملة هدية جريج المقوقِس، وهو أحد الأفراس الثلاثة التي كانت للنبي ﷺ في حائط سَعْد بن سَعْد ابن مالك بن خالد الساعدي والد سهل رضي الله عنهما يَعْلِفُهنَّ. والآخران: اللَّحِيف والظَّرِب.

فالظَّرِب - وهو الخامس من الخيل النبوية - أهداه له فَرْوة بن عمرو الجُذَامي[٢]، واسمه بفتح الظاء المعجمة، وكسر الراء، يليها موحدة، وقيل فيه: الطَّرِب - بطاء مهملة - والأولُ المعروفُ، وكان هذا الفرسُ واللِّزازُ مع النبي ﷺ في غزوة المُرَيْسِيع.

والسادس من الخيل النبوية: اللَّحيف، أهداه للنبي ﷺ ربيعة بن أبي

= تفسير سورة الأحزاب ٨:٥١٨ (٤٧٨٤) وفيه: أن زيداً وجد عند خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين قولَ الله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه﴾.

وفي «المقاصد الحسنة» عزو الحديث إلى ابن خزيمة، وأبي يعلى، والدارقطني، وأن بعضهم قال: حديث خزيمة أخرجه ابن خزيمة.

(١) جاء مثل هذا في «المواهب اللدنية »وشرح الزرقاني عليه ٣:٣٨٨ نقلاً عن «المعارف »لابن قتيبة، ولم أر فيه ص١٤٩ شيئاً. وتأمل عبارة ابن النحاس ١:٣٤٦.

(٢) رضي الله عنه، انظر «طبقات» ابن سعد ١:٢٨١، ٤٩٠، ويصحح ما فيه: عمير، إلى عمرو.

براءِ ملاعبِ الأسنّة[١]، فأثابه عليه فرائض من نَعَم بني كلاب[٢]، وقد اختُلف في اسمه على خمسة أقوال[٣]، منها: اللَّحِيف، بالحاء المهملة، وزانَ شَرِيف.

وقيل: بالتصغير.

وقيل: كذلك مع إعجام الحاء.

وقيل: النُّجَيف، بنون وجيم، مصغر.

وقيل: بلام مفتوحة وجيم مكسورة، وهو أوهى الأقوال. وأُراه تصحيفاً. والله أعلم.

والسابع من الخيل النبوية: الوَرْد، وكان فحلاً بين الكُمَيت الأحمر والأشقر، أهداه للنبي ﷺ تميم الداري رضي الله عنه لما وفد عليه مع الداريين سنةَ تسع من الهجرة منصرَفَه من تبوك.

وهذه السبعة لاخلاف في نسبتها للنبي ﷺ[٤]. وقد نُسِب إليه عدَّة أفراس دخلنَ في مِلكه على خلافٍ في ذلك.

---

(١) كما قاله ابن سعد ١: ٤٩٠، ووهم من عزا إليه أن المُهدي هو فروة الجذامي أيضاً، كما وقع للزرقاني ٣: ٣٨٦، نعم، الذي ذكر أن المُهْدِي هو فروة الجذامي: هو ابن أبي خيثمة، كما في «فتح الباري» ٦: ٥٩.

(٢) الفرائض: «جمع فريضة، وهو البعير المأخوذ في الزكاة.. حتى سمي البعير فريضة في غير الزكاة» قاله ابن الأثير. والنَّعَم: «أكثر مايقع على الإبل.. وقيل: الإبل خاصة». من «المصباح المنير».

(٣) أما القول الرابع: فلم أره عند غير المصنف، والخامس: ذكر ابن الأثير في «النهاية» أنه يقال فيه بالجيم، لكن لم يضبطه، ويستخلص من «الفتح» زيادة: اللَّخِيف ـ مكبراً ـ والنحيف، من النحافة، وزاد الزرقاني عن البلاذري: الخليف، بتقديم الخاء على اللام، ولم يضبطه.

(٤) وهي التي ذكرها ابن سعد في «طبقاته» ١: ٤٨٩ـ ٤٩٠. وجعلها ابن الكلبي في «أنساب الخيل» ص٢٩ خمسة: اللزاز، اللحاف، المرتجز، السكب، اليعسوب.

منها: فرس يقال له ذو اللِّمة، فيما ذكره أبو جعفر محمد بن حبيب ابن محمد البغدادي وغيره[١].

ومنها: السِّرْحان، والمرتَجِل، والأدهم. ذكرهنَّ أبو عبد الله الحسين ابن أحمد بن خالويه.

ومنها: مُلاوِح، ذكره سليمان بن بَنين بن خلف الأنصاري المصري في كتابه «آلات الجهاد وأدوات الصافِنات الجياد»[٢] والمعروف أن مُلاوِح فرس أبي بُردةَ بن نِيَار شهد عليها أُحُداً، كما تقدم ذكره.

ومنها: ذو العُقَّال، بضم العين المهملة وفتح القاف المشددة ـ وخفَّفها بعضهم ـ وآخره لام.

ومنها: الأَبْلَق، ذُكِر في حديث من رواية مسعود بن الضحاك أن النبي ﷺ سماه مطاعاً وقال: «أنت مطاعٌ في قومك» وقال له: «امضِ إلى أصحابك»وحَمَله على فرس أبلق. الحديث[٣].

ومنها: اليَعْسُوب، ذكره قاسم بن ثابت في «الدلائل»[٤] وغيره.

---

(١) «المُنَمَّق» لابن حبيب ص ٤٠٦، و«عيون الأثر» لابن سيد الناس ٢: ٤٢١ وغيره من كتب السِّيَر.

(٢) ترجمه السيوطيُّ في «بغية الوعاة» ١: ٥٩٧، وذكر مؤلفاته الكثيرة، ومنها هذا، وأرخ وفاته سنة ٦١٧، ونسبه الزرقاني في «شرح المواهب» ٣: ٣٨٧ إلى ابنه عبدالغني بن سليمان، المتوفى سنة ٦٦١، وكأن سبب وهمه أنه نقل ترجمة ابن بَنين من «تبصير المنتبه»لابن حجر، وهو ذَكَر عبدالغني فقط، فَنَسب الكتاب إليه. والله أعلم.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٠: ٣٣١ (٧٨٥) وقال عنه الهيثمي في «المجمع» ٨: ٥٥: «فيه جماعة لم أعرفهم».

(٤) هو كتاب في غريب الحديث كالتكملة لكتاب أبي عبيد وابن قتيبة، بدأ به قاسم السَّرَقُسْطي المتوفى سنة ٣٠٢، وتوفي قبل إتمامه، فأتمه أبوه ثابت المتوفى سنة ٣١٣، ويوجد منه قطعة، وفقد باقيه.

ومنها: اليَعْبُوب، ذكره بعضهم، وجعله قاسم بن ثابت لقباً لليعسوب في رواية بعضهم.

ومنها: البحر، ذكره بعضهم.

وكذلك: المندوب.

ومنها: السِّجْل.

ومنها: السَّحَّاء ـ بسين وحاء مهملتين مع التشديد والمدّ ـ وقيّده أبو محمد الدِّمياطي وتبعه غيره الشَّحَّا ـ بشين معجمة بدل المهملة ـ[(١)].

ومنها: المِرْوَاح ـ بكسر الميم، وسكون الراء، وفتح الواو، ويليها ألف، ثم حاء مهملة ـ ذُكِر في هدايا الرَّهاويين للنبي ﷺ[(٢)].

وعدَّ بعضهم البُراق في خيل النبي ﷺ، ومنهم شيخنا شيخ الإسلام البُلْقِيني في كتابه «قَطْر السَّيْل في أمر الخيل».

وقد ذكر العلامة عز الدين أبو عمر عبد العزيز ابن الإمام أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة الشافعي في كتابه «مختصر السيرة النبوية» أن أباه جمع الخيلَ النبوية المتفقَ عليها في بيت واحد فقال:

والخيلُ: سكْبٌ لَحِيف سَبْحَةٌ ظَرِبٌ لِزازُ مرتجِزٌ وَرْدٌ لها اسْرارُ

لكن البيت يحتاج إلى تتمة من نسبة الخيل إلى النبي ﷺ وذِكْر أنها متفق عليها، وقد أشرت إلى ذلك في بيت واحد تلوته بآخَرين فيهما ذكر الخيل المختلف فيها، ومجموع ذلك كله أحد وعشرون فرساً، ذكرتُ في كل بيت سبعة فقلت:

---

(١) وبدون مدّ في آخره، كما نبَّه إليه الزرقاني في «شرح المواهب» ٣: ٣٨٨، لكن قال في «النهاية» ٢: ٤٥٠: الشحاء «هكذا روي بالمدّ، وفسِّر بأنه الواسع الخطو».

(٢) «طبقات» ابن سعد ٢: ٣٤٤.

خيلُ النبي اتفاقاً: سَبْحَةٌ ظَرِب سَكْبٌ لَحِيفٌ لِزازٌ وردُ مرتجِزُ
خُلُفٌ: بيعسوبَ ذي العُقّال مرتجِلٍ بحرٍ مُلاوحَ سَجْلٍ أدهمٍ بَرَزوا
سِرْحان ذي اللِّمة السَّحّاء أبلقِهم يَعْبُوبِ مندوبِ مِرْواحٍ بذا حُرِزوا

آخر المجلس، ولله الحمد حمداً كثيراً دائماً
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً

* * *

وجدت بخط غالي[١] بن أبي الفتح عثمان بن جِنِّيْ: قال أبو سعيد: كتبتُ من خطِّ ثعلبٍ أن رجلاً وصف خيلاً فقال: إنها لمَخِيلةٌ لكل خير، إنها لساميةُ العيون، لاحقةُ البطون، مُصْعَنَّات الآذان، أفتاءُ الأسنان، ضِخام الرُّكَبات، مُتَشَرِّكاتُ الحَجَبات، رِحابُ المناخر، صِلاب الحوافر، وَقْعُها تحليلٌ، ورَفْعُها تعليل، إن طَلَبتْ سَبَقت، وإن طُلِبتْ فاتت.

قال: الصِعْوَنُّ: الصغير الرأس.

أبو سعيد المذكورُ: أُراه أبا سعيد السَّيرافي، توفي سنة ثمان وستين وثلاث مئة. والله أعلم.

* * *

(١) انظر ترجمة غالي في «توضيح المشتبه» ٦: ٧٠، وترجمة أبيه ٣: ٣٩٦ وعلّق محققه على الموضع الأول أنه وقع بالعين المهملة محرفاً في: «إنباه الرواة» ٢: ٣٨٥، «ومعجم الأدباء» ١٢: ٣٩، «وبغية الوعاة» ٢: ٢٤. قلت: وأهمها «إكمال» ابن ماكولا ٢: ١٥٨٥!.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٥ ـ

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلّم ويسّر

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

هذه الآيات الشريفات، قد تلوناها في أوائل الدروس الماضيات، تبركاً بتلاوتها، وإيضاحاً لبعض معاني كلماتها، لأن الكلام فيها وماحَوَتْه معانيها من نيف وخمسين وجهاً، نذكُرها مجملةً، ثم نوضِّحها وجهاً وجهاً مفصَّلة، مع بيان مآخِذها من الآيات المذكورة، منطوقاً أومفهوماً على القواعد المأثورة، التي بناؤها على أصليْنِ كلٌّ منهما علم جليل، وهما: تفسير القرآن، والتأويل.

ومعنى التفسير في اللغة ـ ويقال له الفَسْر ـ: الكَشْف، يقال: فَسَرتُ الحديثَ ـ بالفتح ـ أَفْسِره ـ بالكسر ـ[1] فَسْراً، إذا بينتَه ؛ وفسَّرتُه ـ بالتشديد ـ تفسيراً، كذلك، والتَفْسِرةُ: ماء العليل الذي يُرفَع للطبيب، فإذا رآه كشف له عن العلّة[2]. هذا موضوعه لغةً.

وأما معناه اصطلاحاً: فهو الكلامُ على أسباب نزول القرآن، وبيانُ أحكامه المجمَلة فيه من السنة، كبيان الصلوات.

وفي قوله تعالى ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾:

---

(١) في «القاموس» من باب ضرب ونصر، فيجوز: أفسُره.

(٢) في «القاموس» أيضاً: «الفَسْر: نظر الطبيب إلى الماء، كالتَّفْسِرة، أو هي البول، يستدل به على المرض» وهذا مايسمى في زماننا: التحليل.

إشارةٌ إلى الرحمة المصرَّح بها في قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، فكان ﷺ رحمةً للمؤمنين بالهداية، وللمنافقين بالأمان من القتل، وللمشركين بتأخير العذاب عنهم. وعلى قدر رحمته ﷺ للعالمين تكون رحمةُ الله إياه مع التضاعُف من غير تعيين وثوابٍ لايدخل تحت العدِّ والحصر ولا الإحصاء، فـ «الراحمونَ يرحمُهم الرحمنُ، ارحَمُوا مَن في الأرض يرحمْكم من في السماء».

وهذا الحديث رُوِّيناه من طرقٍ تقدم في المجلس الأول منها طريقان مسندان، وهذا طريق ثالث.

أخبرنا الأمير أسد الدين عبدالرحمن بن محمد القُطْلوبكي[١]، وهو أول حديث سمعته منه بمنزلي من دمشق، قال: أخبرنا محمد بن أحمد المفيد، وهو أول حديث سمعته منه حضوراً[٢]. قال: وأخبرنا عيسى ابن يحيى الأنصاري بمصر، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا بشير

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن طولوبغا، ترجمه السخاوي في «الضوء اللامع» ٤: ١٣٢، وأرخ ولادته في شهر ربيع الأول سنة ٧٤٦، ووفاته سنة ٨٢٥.

(٢) شيخه المذكور هو الإمام الحافظ الذهبي، كما صرح به المصنف في ص٢١ من «المجلس الأول من أماليه»، فوصْف تلميذه أسد الدين له بـ «المفيد» تقصير غير مَرضي، وكانت وفاة الذهبي رحمه الله تعالى في ليلة الثالث من ذي القعدة سنة ٧٤٨، فيكون عُمُر أسد الدين هذا نحو اثنين وثلاثين شهراً ـ لا: إحدى وعشرين شهراً وأياماً، كما في التعليق على «الضوء اللامع» ـ لذلك يقول: حضوراً.

وقد ساق الذهبي أول «معجمه الكبير» هذا الحديث من عدة وجوه عن عدة شيوخ له، اختار القطلوبكي هذا الوجه منها، ولذلك تجد الواو العاطفة في أول كلامه: وأخبرنا عيسى بن يحيى. . .

وعيسى بن يحيى هذا ترجمه الذهبي في «معجمه» المذكور ٢: ٨٧، وهو من شيوخه في الحديث والتصوف.

ابن حامد بمكة، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا محمد بن مَعْمَر القرشي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا زاهر بن طاهر المستَمْلي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أحمد بن عبد الملك المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش بن علي بن داود بن أيوب الزِّيَادي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا أهل الأرض يرحمكم مَن في السماء».

هذا حديث حسن لقصور درجة أبي قابوسَ عن ثقات الصحيح، وارتفاعه عن مستوى الضعفاء، لكونِهِ وثِّق، وتفرَّد به سفيان كشيخه عمرو عن أبي قابوسَ، وقد صحَّح الترمذي حديثه هذا[1]، لكنه عنده

---

(١) في «سننه» ٤: ٢٨٥ (١٩٢٤) ولفظه: حسن صحيح، وصححه الحاكم في «المستدرك» ٤: ١٥٩، ووافقه الذهبي، وصرح به في مقدمة «معجمه الكبير» ١: ٢٣، وذكر ابن حبان أبا قابوس في «ثقاته» ٥: ٥٥٨، فحال أبي قابوس كما يقول المصنف، لاكما يقول ابن حجر في «التقريب» (٨٣٠٩): «مقبول»! وتحسين الأئمة أو تصحيحهم لحديث رجل، تصديق أو توثيق له، كما قررته بشواهده في «دراسات الكاشف» ص٢٤.
ويراجع لزاماً ماعلَّقته على ترجمة أبي قابوس في «الكاشف» (٦٧٨٤)، ومما فيه أني جزمت بوقوع خطأ مطبعي فيما جاء في ترجمته من «تهذيب التهذيب»: «ذكره البخاري في الضعفاء من الكبير له»، وأن غالب ظني صوابه: ذكره البخاري في «الكنى» من الكبير له.
ويزاد على هذا: أني رأيت هذا الاستظهار للعلامة أحمد شاكر رحمه الله في =

بغير تسلسل.

وهذا[١] أحد وجوه الكلام على الحديث.

والكلام عليه يرجع إلى أمرين: أحدهما يتعلق بالإسناد، والثاني بالمتن.

فالأول: الإسناد ـ ويقال السند ـ وهو لغةً في أحد معانيه: ماارتفع في قَبَل جَبل أو وادٍ. ومصطلحاً: هو الإخبار عن طريق المتن. ومذهب الجمهور أنه لافرق بين الإسناد والسند، وقيل: السند ـ كما تقدم ـ الإخبار عن طريق المتن، والإسناد: رفع الحديث إلى قائله.

ويتعلق بالسند نيّفٌ وأربعون نوعاً من أنواع علوم الحديث، منها هذا النوع، وهو المسلسل: مأخوذ من تَسَلْسَلَ الشيءُ إذا اتصل بعضه ببعض على صفة واحدة، كسِلسلة الحديد وسِلْسلة الرمل. وفي المصطلح: المسلسل ماكان إسناده على صيغة واحدة إلى منتهاه، وتارة يأتي كاملاً، وتارة مقطوعَ الأول، وتارة مقطوعَ الوسط، وتارة مقطوع الآخر.

والمسلسل كثير الأنواع، منها التسلسل بقول الراوي عمن روى عنه: وهو أول حديث سمعته منه، كهذا الحديث، ويسمى المسلسل بالأولية، لكنه مقطوع الأول[٢]، كما هو المشهور في تسلسله إلى عبد الرحمن بن بشر بن الحكم أنه أول حديث سمعه من سفيان.

والتسلسل بزيادة على ذلك لايصحُّ، سواء قَلَّ: كرواية أبي عاصم عبدالله بن محمد الشَّعيري[٣]، أو كَثُر: كرواية أبي نصر محمد بن طاهر

= تعليقه على «المسند» ٩:٢٠٥ (٦٤٩٤)، فوثقت بما قلته أكثر؛ وينبغي الحذر ـ والتحذير ـ من الوقوع في متابعة هذا الخطأ وأمثاله. والله المستعان.

(١) أي التسلسل

(٢) يريد بأول السند أعلاه.

(٣) انظر المجلس الأول صفحة ٣٥.

ابن محمد بن الحسين بن الوزير الوَزِيري الواعظ[١]، فإنه وصل التسلسل إلى النبي ﷺ، كما رويناه من طريقه، وتُكُلِّم فيه لذلك.

وقد رَوَيناه بغير تسلسل في «سنن» أبي داود والترمذي وغيرهما من طريق سفيان بن عيينة.

وحدَّث به أحمد بن حنبل في «مسنده» عن سفيان.

وأبو قابوسَ عِداده في الكوفيين، وقيل هو مكي، لايُعرفُ له اسم، ولا له ذِكْر في كتاب «الكنى» لمسلم بن الحجاج، وذكره يحيى بن معين في «تاريخه»[١] ولم يسمِّه، وكذلك أبو عبد الله بن مَنْدَهْ في «الكنى» وغيرُهما فلم يسموه، وإنما جاءت تسميته عن ثابت بن محمد المَدِيني فذكر أن اسم أبي قابوس: المبرد، وقولُ ثابتٍ ليس بثابت[٢].

وجاء من طريق الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر، حدثنا سفيان ابن عيينة، عن ابن دينار، عن قابوسَ، عن عبد الله بن عمرو، فذكره، وهذا خطأ، إنما هو عن أبي قابوس، والمنكدريُّ هذا يتكلّمون فيه، فيما قاله البخاري[٣].

---

(١) ليس في الروايات المطبوعة شيء: الدوري، والدارمي، وابن الجنيد، والدقاق، وابن محرز، وابن مرثد الطبراني، إلا أنه جاء في «معرفة الرجال عن يحيى بن معين »لابن محرز ٢: ٢٢٣ (٧٦٣): «وسمعت ابن نمير يقول: ابن قابوس بن أبي ظبيان لم يكن يسوى تمرة» وكلمة (ابن) صحيحة ـ كما يظهر من مراجعة ترجمة قابوس في التهذيبين ـ وإن استظهر محققاه أن الصواب: أبو قابوس، وأن المراد به هو صاحبنا هنا مولى عبدالله بن عمرو!. على أن هذا النقل عن ابن نمير لا ابن معين، كما ترى.

(٢) انظر ص ٣٥١.

(٣) نقله عنه ابن عدي ٢: ٧٤٥، ومعلوم أن ابن عدي والعقيلي والدولابي ينقلون كلام البخاري من كتابه «الضعفاء الكبير» المفقود. لكن ختم ابن عدي ترجمته بقوله: «أرجو أنه لابأس به»، وجزم بذلك النسائي في «أسماء شيوخه» =

وجاء من رواية أبي أحمد بشر بن مَطَر الواسطي، عن سفيان، فذكره موقوفاً على عبدالله بن عمرو قولَه، والصوابُ رفعه.

وقد رَوَيناه في كتاب «المحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي»[١] لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن الرَّامَهُرْمُزِي قال: حدثنا أبي، حدثنا عبدالله بن محمد الزهري، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الله، فارحموا مَن في الأرض يرحمكم من في السماء».

قالوا: ياأبا محمد[٢] أَعِدْه، فقال: سمعت الزهري يقول: إعادةُ الحديث أشدُّ من نقل الصخر.

عمرو بن أوس بن أبي أوس الثقفيُّ المكيُّ تابعيٌّ[٣]، وأبوه صحابي، مشهوران، ولامدخل لعمرو بن أوس في هذا الحديث. والله أعلم.

وقد تفرَّد بذكر عمرو بن أوس إسناداً، وبذكر اسم (الله) بدل اسمه (الرحمن) متناً: عبد الله بنُ محمد بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ الزهري، عن سفيان بن عيينة، دون بقية أصحابه[٤]، والصواب مارَوَيناه

= واعتمده ابن حجر في «التقريب» (١٢٣٩) إلا فيما يرويه عن معتمر بن سليمان، لصغر سنه حين تحمله عنه، ومع ذلك فلا يقبل منه التفرد والمخالفة.

(١) صفحة ٥٦٦ (٧٧٥). وانظر «تاريخ بغداد» ٣: ٢٦٠.

(٢) أبو محمد كنية كلٍّ من ابن عيينة وشيخه عمرو، والمراد ابن عيينة، بقرينة تمام الكلام، وللتصريح باسمه الذي جاء في «تاريخ بغداد» ٣: ٢٦٠.

(٣) على الراجح الذي ذهب إليه الإمام مسلم، في «طبقاته» ١: ٢٧٩ (١١٥٣) ـ وكأنه طائفيّ ثم مكّي ـ وذكره ابن منده في الصحابة، أما ابن حبان فذكره في قسم الصحابة ٣: ٢٧٧، وأعاده في قسم التابعين ٥: ١٧٣، ١٧٥. انظر «تهذيب التهذيب» ٨: ٧.

(٤) فلمخالفته سائر أصحاب سفيان، ولِما أشار إليه الدارقطني من وقوع خطأ =

أولاً عن سفيان، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس.

وقول سفيان فيه «عن عمرو بن دينار»: هذا معنعَنٌ، وقد اختُلِف فيه هل يُحمَل على الاتصال أوْ لا؟ والجمهور أنه متصلٌ محتج به مع اشتراط عدالة الراوي وثبوت لقائه لمن روى عنه بالعنعنة؛ وهذا موجود في سفيانَ وروايته عن عمرو، ولاتضرُّ عنعنته هنا وإن كان مدلساً، فتدليسُه التدليسُ المبيَّن، وإنما سُمِّي المبيَّن لأن المدلِّس إذا استُفْهِم عنه بيَّنه. قال أبو حاتم بن حِبان[١]: ولايكاد يوجد لابن عيينة خبرٌ دلَّس فيه إلا وقد بيَّن سماعه عن ثقةٍ مثلِ ثقته. انتهى.

ومع ذلك فقد جاءت روايةٌ عن سفيان قال: حدثنا عمرو، بلفظ التحديث بدل العنعنة، فيما رَوَيناه من طريق أسعد بن أحمد بن محمد ابن حيان النَّسَوي، عن أبي صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، فذكره[٢].

وجاء الحديث عن بِشر بن الحكم بدلَ ولده عبد الرحمن، وهما من رجال الصحيحين، وهو غريب، ويحتملُ سماعُ أبي حامد بن بلال منهما لقرب وفاة بشر من وفاة ولده عبد الرحمن[٣]، فإن بشراً توفي في سنة سبع وثلاثين ومئتين، ومات ابنه عبدالرحمن ليلة الأربعاء لثمانَ

= قليل في روايته ـ مع توثيقه له ـ حكم عليه المصنف بالخطأ، وأن الصواب ماتقدم عن سفيان.

(١) في مقدمات «صحيحه»: «الإحسان» ١:١٦١.

(٢) لكن جاءت روايته هذه موصولة التسلسل إلى النبي ﷺ، والحمل فيها على أسعد النَّسَوي، كما قاله المصنف في «المجلس الأول من أماليه» المطبوع ص٢٤، فلا يعتد بهذا التصريح بالسماع.

(٣) لذلك قال الحافظ في «التقريب» (٦٨٣) عن بشر: «من العاشرة»، وقال عن ابنه عبد الرحمن (٣٨١٠): «من صغار العاشرة»، ومقتضى الفرق بين الوفاتين أن يُفاوِت بينهما في الطبقة، لكن الركن الأول في تحديد الطبقة هو سنُّ الطلب والأخذ عن الشيوخ، لاسنة الولادة، ولاسنة الوفاة، والركن الثاني هو سنة الولادة. وانظر ماكتبته في «دراسة تقريب التهذيب» ص٤٣ـ٤٤...

عشرةَ خَلَتْ من شهر ربيع الآخر سنة ستين ومئتين، ودفن من الغد بنيسابور.

وسماعُه وسماعُ أبيه من سفيان مشهور، قال الحاكم أبو عبدالله في كتابه «تاريخ نيسابور»: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانى يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب، سمعت عبد الرحمن بن بشر ـ يعني ابن الحكم ـ يقول: حملني بشر بن الحكم على عاتقه في مجلس سفيان بن عيينة فقال: يامعشرَ أصحابِ الحديث! أنا بشرُ بن الحكم بن حبيب النيسابوريُّ، سمع أبي الحكمُ بنُ حبيب من سفيان بن عيينة، وقد سمعتُ أنا منه وحدثتُ عنه بخراسان، وهذا ابني عبد الرحمن قد سمع منه.

وقد وقع لي من حديث عبدالرحمن بن بشر، عن سفيان بن عيينة سبعٌ وسبعون حديثاً غيرَ الآثار التي منها ماقال الحاكم أبو عبد الله في «تاريخ نيسابور»: أخبرنا أحمد بن محمد الخطيب بمرو، حدثنا محمود ابن والان، حدثنا عبد الرحمن بن بشر النيسابوري قال: سمعت سفيان ابن عيينة يقول: من استغنى بالله أحوجَ الله إليه الناسَ.

هذا مما يتعلق بالإسناد.

وأما المتن فهو لغةً: ماصلُب من الأرض وارتفع. وفي المصطلح: المتن: ما انتهى إليه السند من الكلام.

وسيأتي إن شاء الله تعالى في المجلس الآتي ذكرُ بعض مافيه من الأحكام. والله الموفق لكل جميل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وهذه الحَسْبَلَة قالها خلق من السلف، واقتدى بهم جماعة من الخلف، استنصاراً لما نابهم من الشرور، وتوكلاً على الله تعالى في جميع الأمور، ومنهم المدرِّسُ الثالثُ بهذا المكان، وهو الإمام العلامة المجتهد أبو شامة عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان.

وقد أنبأنا جماعة منهم أبو حفص عمر بن محمد الملقِّن، عن القاسم ابن محمد الحافظ قال: وفي سابع عشر جمادى الآخرة ـ يعني سنة خمس وستين وست مئة ـ جرتْ للشيخ شهاب الدين أبي شامة مفتي دمشق محنةٌ بداره عند طواحين الأشنان، دخل عليه شخص[1] معه فتوى، فلما صار معه في الدار ضَرَبه وآذاه، وذكر الناسُ أنه كان حُمِل على ذلك، وصَبَرَ الشيخ لذلك ولم يَشْكُ إلى أحد.

زاد غير الحافظ قال: ولم يزل متمرِّضاً إلى أن مات في شهر رمضان سنة خمس وستين وست مئة، وأنهم كانوا جماعةً، فضربوه حتى ظنوا أنه مات، ثم ذهبوا وتركوه، وعرفهم، فقيل له: ألا تشتكي؟ فأنشأ يقول ـ فيما أنبأنا محمد بن محمد بن عبدالله النُّعالي، عن الحافظ أبي محمد عبدالمؤمن بن خلف ـ؛ وأنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحافظ، وأبو هريرة عبد الرحمن بن الذهبي، وأبو الخير أحمد بن الحافظ العلائي وغيرهم، عن أبي الصبر أيوبَ بنِ نعمة بن محمد قالا: أنبأنا الشيخ شهاب الدين أبو شامة أنه قال في محنته:

قلتُ لمن قال: ألا تَشتكي ماقد جَرَى فهو عظيمٌ جليلْ:

يـقَـيّـض الله تـعـالـى لـنـا من يأخذ الحقَّ ويَشفي الغليلْ

إذا تـوكَّـلنـا عـلـيـه كـفـى فحسبنا الله ونعم الوكيلْ

* * *

(١) في ترجمة أبي شامة من «طبقات الشافعية» للسبكي ٨:١٦٧، وابن كثير ٢:٨٩١، والإسنوي ٣:٣١، و «فوات الوفيات» ٢:٢٧١ أنهم كانوا اثنين. وأبو شامة لقب له، لشامة كبيرة كانت على حاجبه الأيسر، وكنيته أبو القاسم. انظر ترجمته في المصادر المذكورة، وغيرها كثير.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٦ ـ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

معنى منَّ الله: أحسنَ وأنعمَ. والله أعلم.

والمنُّ على وجوه منها: الطلُّ الحلوُ ينزل على الأشجار والأحجار فيكون كالصَّمْغ يُجتنَى منه ويؤكل، ومنه ـ والله أعلم ـ قوله تعالى: ﴿وظلَّلْنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى﴾، قال مجاهد: المنّ صمغة، والسَّلوى الطير، علَّقه البخاري في «صحيحه»[1] عن مجاهد، وهو في تفسير شيخه محمد بن يوسف الفِرْيابي، عن ورقاء، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد.

وعلماء النبات يعدُّون المَنُون سبعةً بهذا المَنِّ، وغَفَلوا عن الكَمْأَة فلم يذكروها، وقد جعلـها النبي ﷺ من المنِّ، فقال فيما صحَّ من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الكَمْأة من المنِّ وماؤها شفاء للعين»[2].

---

(١) كتاب التفسير، الباب الرابع ٨:١٦٣، وهو في «تفسير مجاهد» ١:٧٦.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع، أولها في الموضع المذكور قبل، برقم (٤٤٧٨)، ومسلم في كتاب الأشربة ـ باب فضل الكمأة ٣:١٦١٩ـ١٦٢١ =

ومن وجوه المنِّ: المِنَّة، وهي أن يَعتدَّ المعطِي بصنيعته على المعطَى، فيمنَّ بها عليه تقريعاً له، وهذا محرَّم ومعدود من الكبائر[١]، لأنه متوعَّد عليه بما صحَّ من حديث أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثةٌ لايكلِّمهم الله يوم القيامة، ولاينظر إليهم، ولايزكِّيهم، ولهم عذاب أليم» قال فقرأها رسول الله ﷺ ثلاثَ مرار، قال أبو ذر: خابوا وخَسِروا مَنْ هم يارسول الله؟ قال: «المُسْبِلُ، والمنَّانُ، والمنفِّقُ سِلعتَه بالحلِف الكاذب» خرَّجه مسلم وغيره[٢].

ومع هذا الوعيد الشديد يبطُل أجر العطية بالمنِّ. قال الله عز وجل: ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾.

وقال تعالى قبل هذا فيما أثنى به على من لايمنُّ بعطيته ولايؤذي فقال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايُتْبِعون ماأنفقوا مناً ولاأذىً لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾.

وقال بعض العلماء: المنّ من الله تعالى هو التعريف، والمنّ من

= (١٥٧_١٦٢) كلاهما عن سعيد بن زيد رضي الله عنه.

ووجه كونها من المنِّ أنها تُجنَى من غير بذر وسقي، وماؤها: يستخلص منها بعد سلقها فيعصر ويقطر في العين. ولابد مع هذا الاستعمال وكافة الاستعمالات الطبية النبوية من صدق الاعتقاد وقوة اليقين بإرشادات النبي ﷺ وتعليماته. وانظر ـ مثلاً ـ «فتح الباري» ١٠:١٦٥، والنووي على مسلم ١٤:٥.

(١) انظر بيان ذلك وأدلته في «الزواجر عن اقتراف الكبائر» للإمام الفقيه ابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله تعالى ١:٣١١، وهي الكبيرة الخامسة والثلاثون بعد المائة، ومما ذكره حديث أبي ذر الآتي.

(٢) «صحيح مسلم» كتاب الإيمان ـ باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار.. ١:١٠٢ (١٧١)، وأبو داود في اللباس ـ ماجاء في إسبال الإزار ٤:٣٤٦ (٤٠٨٧)، والترمذي في البيوع ـ ماجاء فيمن حلف على سلعته كاذباً ٣:٥١٦ (١٢١١) وقال: حسن صحيح، وأحمد في «مسنده» ٥:١٤٨، و١٥٨.

العباد هو التعنيف[(١)].

وقد قيل في المأثور عن السلف: المنُّ أخو المنِّ، فالمنّ الأول امتنانُ المعطِي بالعطية على مَن أسداها إليه، والمنُّ الثاني القطع والهدم، وهو أحد وجوه المنّ، من قولهم: مَنَنْتُ الشيءَ مناً إذا قطعتَه، ومنه قوله تعالى: ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ كما فسره جماعة، وقيل فيه غير ذلك[(٢)]. والله أعلم.

فمعنى الأثر: أن مَنْ منّ بعطيته فكأنما قَطَع وصول أجرها إليه، وهَدَم البناء الذي أسسها عليه، لأن العطية تَسرُّ مَن أُسدِيت إليه، وتُوجِب الأجر لمن أعطاها، والمنَّ يسوء الذي أُسديت إليه، وتُوجب إثماً على المنان مع حبوط أجره الذي لو لم يمنَّ لكان ثابتاً له.

وتارة يكون المنّ ظاهراً، كأن يقول: أطعمتك، أو كسوتك، أو أحسنت إليك، ونحو هذا.

وتارة يكون المن تلويحاً، وقد عدُّوا في المنّ ذكرَ العطية[(٣)]، لأن من

---

(١) قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى في «الزواجر» ١:٣١٢: «وإنما كان المنُّ من صفاته تعالى العلية، ومن صفاتنا المذمومة، لأنه منه تعالى إفضال وتذكير بما يجب على الخلق من أداء واجب شكره، ومنا: تعيير وتكدير. إذْ آخذ الصدقة ـ مثلاً ـ منكسر القلب، لأجل حاجته إلى غيره، معترف له باليد العليا، فإذا أضاف المعطي إلى ذلك إظهار إنعامه تعديداً عليه أو ترفعاً أو طلباً لمقابلته عليه بخدمة أو شكر: زاد ذلك في مضرة الآخذ وانكسار قلبه، وإلحاق العار والنقص به، وهذه قبائح عظيمة!».

(٢) سينقل المصنف في صفحة ٢٤٩ عن ابن عباس: أنه غير مقطوع. أي: أن الأجر لهم متصل مستمر ولو انقطعوا عن العمل الصالح في كبرهم لضعف جسماني أو عقلاني. وفي تفسير القرطبي ١٥:٣٤١ـ٣٤٢: عن ابن عباس ومقاتل: «غير منقوص. . .، وعن مجاهد: غير محسوب، وقيل: غير ممنون عليهم».

(٣) سواء أكان للآخذ أم لمن لايحب الآخذ اطلاعه عليها. قاله في «الزواجر» ١:٣١٢.

شروط المعروف تعجيلَه، وإتمامَه، وتصغيرَه، ونسيانَه بعد فعله.

ومن وجوه المنّ[١]: الإنعام والإحسان، ومنه في أسماء الله تعالى المنَّان، وقد تقدَّم أن المنان الذي يبتدى بالنَّوَال قبل السؤال، ويجودُ بالعطاء قبل الدعاء، وقيل: هو العظيم المواهب، فإنه سبحانه أعطى الحياة والعقل والنفس، وصوَّر فأحسن الصُّوَر، ورزق من الطيبات، وأنعم بما لايحصَى من النعم والهبات، والعطايا والمِنَح السنيَّات، ومنه قوله تعالى في هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ أي أحسنَ فأجمل، وأنعمَ فأجزل.

ومن الإحسان المشار إليه: بَعْثُه رسولَ الله ﷺ إلى المؤمنين يتلو عليهم آياتِ الله فيسمعونها ويتعلَّمونها ويعملون بمقتضاها بتوفيق الله تعالى لذلك، وإذا وفَّقهم فقد زكَّاهم وأصلحهم، كما أُشير إليه بقوله تعالى: ﴿ويزكيهم﴾.

وقوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ الكتابُ: القرآنُ، والحكمةُ عند الجمهور: السنَّة، وكلاهما علمُ الدين. والعلمُ إذا أُطلق: المراد به هذا، وهو على أقسام:

١ ـ منها: علم الأصل، وهو معرفة الله جل وعلا.

٢ ـ ومنها: علم الأحكام من الكتاب والسنة مجملاً ومفصلاً مع معرفة مراتب النصوص، والناسخ والمنسوخ، والاجتهاد في إدراك المعاني، وتمييز شروط القياس، ومعرفة أقاويل السلف، وما أجمعوا عليه واختلفوا فيه.

---

(١) يريد: مِن وجوه مَنِّ الله تعالى. وفي تسمية الإنعام والإحسان مناً ملاحظةٌ لمعنى القطع، «لأن المنعِم يقطع من ماله قطعة للمنعَم عليه» كما قاله ابن حجر الهيتمي أيضاً ١:٣١٢. وقال الآلوسي في «تفسيره» ٤:١١٢: «سميت النعمة منةً لأنه يُقطع بها عن البلية».

٣ ـ ومنها: علم مابه تُعْرَف الألفاظ ومراداتها، وهو معرفةُ لسانِ العربِ ووجوه العربية واللغة.

٤ ـ ومنها: علم اتصال الأحكام من الكتاب والسنة إلينا ومايحصُل ذلك إلا بمعرفة الأسانيد التي بها نُقِلت هذه العلوم، ورُوِيت على أنواع كلٌّ منها عند أهله معلوم، منها: المتواتر، ومنها: المستفيض، ومنها: المشهور، ومنها: الأفراد، ومنها: ماجتمعتْ فيه شروط الصحة، أو نَقَص عنها من غير ضعف في إسنادها، أو كان فيه ضعف.

وثَمَّ أنواعٌ أُخَرُ كالمسند، والمرسل، والمتصل، والمنقطع، والمسلسَل الذي يأتي إسناده بصفة واحدة، كالحديثِ الذي رَوَيناه قبلُ من طُرُق، وهذه طريقٌ رابعةٌ من طرقه.

أخبرنا العلامة أبو البقاء محمد بن أبي الفضل القرشي الخَصِيلي بقراءتي عليه بكَفْرسُوسَة، وهو أول حديث سمعتُه منه، أخبرنا أبو طلحة محمد بن علي، وهو أول حديث سمعته منه بمصر، أخبرنا أبو أحمد بن خلف التُّوني، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا محمد بن الحسن بنِ المقدسيةِ، وعلي بن أبي الفضائل اللَّخْمي، وهو أول حديث سمعته منهما متفرِّقَين قالا: أخبرنا أحمد بن محمد الأصبهاني الحافظ ـ قال الأول: وهو أول حديث حضرتُه عنده، وقال الثاني: وهو أول حديث سمعته منه ـ قال: حدثنا أبو محمد جعفر بن أحمد، وهو أول حديث سمعته منه، حدثني أبو نصر عبيد الله بن سعيد الوائلي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلَّبي، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن ابن بِشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله

ﷺ قال: «الراحمونَ يرحمُهم الرحمنُ تبارك وتعالى، ارحموا مَن في الأرض يرحمْكم من في السماء».

هذه الطريق التي روينا منها هذا الحديث هي من أعلى طرقه علواً معنوياً لجلالة قدر رجالها وثقتهم.

والعلوُّ على أقسام[1]، أعلاها وأجلُّها:

١ ـ ما قَرُب إسناده إلى رسول الله ﷺ برواةٍ ثقاتٍ، فإنْ كان والحالةُ هذه من الأحاديث الإلهية ـ ويقال لها القدسية لصدورها عن حظيرة القدس ـ: فناهيك به علواً وشرفاً.

٢ ـ ومنها: قرب الإسناد من إمام كمالك بن أنس ونحوه.

٣ ـ ومنها: علوُّ الموافقات ونحوها، وتسمى علوَّ التنزيل.

٤ ـ ومنها: علوُّ تقدمِ وفاة راوٍ على وفاةِ آخرَ اشتركا في الأخذ عن شيخ، كأبي عبدالله البخاري صاحب الصحيح، وأبي عمرو عثمان بن أحمد بن السمَّاك، اشتركا في الرواية عن أبي جعفر بن أبي داود بن المنادي، وبين وفاة البخاري وابن السماك ثمانٍ وثمانون سنة، فالبخاري مات سنة ست وخمسين ومئتين، ومات ابن السماك سنة أربع وأربعين وثلاث مائة.

---

(١) هما قسمان رئيسيان: علوٌّ مطلق، وهو القسم الأول الذي ذكره المصنف، وعلو نسبي، وهو الثاني والرابع والخامس والسادس، أما القسم الثالث: فأدرجه ابن الصلاح رحمه الله تحت: العلو بالنسبة لكتاب، وذكر تحته أربعة فروع: الموافقة، والبدل، والمساواة، والمصافحة، وهذا ماعَنَاه المصنف بقوله «علو الموافقات ونحوها». وأما القسم السابع العلو المعنوي: فهذا قسيم للأقسام الستة، وليس قسماً من أقسام العلو. إذ العلوّ: صُوريٌّ شكلي، فينظر فيه إلى عدد الرواة، ومعنويٌّ ينظر فيه إلى عدالة الرواة. انظر النوع التاسع والعشرين من مقدمة ابن الصلاح. وانظر الاستدراك ص٤٧٧.

٥ ـ ومن أقسام العلو: قدمُ سماع الراوي من شيخ على سماعِ مَن شاركه في الأخذ منه، وهو قريب من الّذي قبله.

٦ ـ ومنها: العلوُّ إلى أحدٍ من مصنفي الكتب، كالبخاري ومسلم.

٧ ـ ومنها: العلوُّ المعنوي. قال الحافظ أبو طاهرٍ السِّلَفيُّ فيما رُوِّيناه عنه قال: والأصلُ في الطلب الأخذُ عن العلماء وإن كانت رواياتهم نازلةً من حيثُ العدُّ والإحصاءُ، فنزولُهم أولى من العلوِّ عن الجَهَلة، على مذهب المحققين من النَّقَلَة. انتهى[١].

وفي معناه قلت:

إذا أحببتَ تخريج العوالي عن الراوين حَقِّقْ ماأقولُ
نزولٌ عن ثقاتهم علوٌّ علوٌّ عن ضعافهمُ نزولُ

ومن هذا القسم: علوُّ هذا الحديث الذي رَوَيناه، وإن كان نازلاً بدرجة عما في المجلس الأول أمليناه[٢]، مع أنه وقع لنا من هذه الطريق عالياً بدرجة.

أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله المقدسي مشافهةً بالإجازة، أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب وغيره سماعاً قالا: أنبأنا عبد اللطيف بن محمد، أخبرنا أحمد بن المقرِّب الكرخي، وهو أول حديث

---

(١) ثم إنه رحمه الله نظم هذا المعنى وزيادة ـ حتى على بيتَيْ المصنف ـ في ثلاثة أبيات ذكرها له السخاوي في آخر بحث العالي والنازل من كتابه «فتح المغيث»، وهي:

ليس حسنُ الحديث قربَ رجال عند أرباب علمه النقَّاد
بل علوُّ الحديث بين أولي الحفـ ـظ والاتقان صحةُ الإسناد
وإذا ماتجمَّعا في حديث فاغتنمْه، فذاك أقصى المراد

(٢) فعدد رجاله هنا أربعة عشر رجلاً، وعددهم هناك ص٣٣ ثلاثة عشر رجلاً.

سمعته منه، حدثنا جعفر بن أحمد أبو محمد اللغوي[١]، فذكره.

وأخبرناه أعلى من هذه بدرجة ومن التي قبلها بدرجتين من غير تسلسل: أبو هريرة عبدُالرحمن بن الذهبي بقراءتي عليه، أنبأنا أبو الفضل سليمان بن حمزة ويحيى بن سعد، عن الحسن بن يحيى المخزومي ـ زاد سليمان فقال: وأنبأنا أيضاً محمد بن عماد ـ قالا: أخبرنا عبدالله بن رِفاعة، أخبرنا علي بن الحسن الفقيه، أخبرنا عبدالرحمن بن عمر النحاس، أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابي، حدثنا الحسن ابن محمد الزَّعْفَراني، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن أبي قابوسَ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، يبلُغ به النبيَّ ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحيم، ارحموا أهلَ الأرض يرحَمْكم أهل السماء».

لكنْ وقع في هذه الرواية: عن أبي قابوسَ، عن ابن لعبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو. فقوله «عن ابن» خطأ، ذكر الذهبي أنها كانت: مولى لعبدالله، فصحَّف «مولى »بقوله: عن ابن؛[٢] وماذكره الذهبي صحيح، لأن متقني الحفاظ من أصحاب سفيان بن عيينة لم يرووه عنه إلا على الصواب.

فصار الحديث مروياً بهذه الطريق على ثلاثة أوجه، أولها ـ وهو المشهور المعروف ـ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»[٣]، وفي رواية الرامَهُرْمُزِي «الراحمون يرحمهم الله»، وفي هذه الرواية «الرحيم».

---

(١) أبو محمد هنا هو الرجل الخامس، وهو في السند الذي قبله الرجلُ السادس.

(٢) لعل هذا القول في جزئه الذي أفرده للحديث المسلسل بالأولية؟ واسمه «العذب السلسل في الحديث المسلسل» الذي أشار إليه السيد عبدالحي الكتاني في «فهرس الفهارس» ١ : ٩٤، وذكره الدكتور بشار عواد في كتابه عن «الذهبي» ص١٤٤.

(٣) وتقدم تخريجها في ص٣٣، وتخريج رواية الرامهرمزي ص١٢٧.

١ ـ وهذا من وجوه الكلام فيما يتعلَّق بالسند الذي هو طريق الإخبار عن المتن. والمتن ـ في اللغة ـ: ماصلُب وارتفع من الأرض، وهو في المصطلح: ماانتهى إليه السند من الكلام، وهو أعمُّ من أن يكون مرفوعاً أو موقوفاً أو مأثوراً عمَّن دون الصحابة رضي الله عنهم.

فإن كان مرفوعاً إلى النبي ﷺ فهو دائر بين أقواله وأفعالِه وتقريرِه على مايطَّلع عليه، وهي وجوه السنن، لكن التقريرُ يدخل في الأفعال، لأنه كفٌّ عن الإنكار، والكفُّ ـ على المختار عند محققي الأصوليين ـ فعلٌ.

وزادوا في وجوه السنن مالايسلمُ من الاعتراض: كالإشارة، وهي من الأفعال ؛ والهَمَّةِ، وهي إرادة الفعل، وتدخل في الفعل، لأنها من أعمال القلوب.

وسكوتُ النبي ﷺ مع علمه داخلٌ في تقريره، وكلُّ ذلك دليل على الجواز، وسواء كان سكوته ﷺ مستبشراً بالمسكوت عنه أو[١] غيرَ مستبشر، والأولُ فيه إعلام بأنه أولى وأقوى مما سكت عنه مع عدم الإستبشار، كسكوت النبي ﷺ حين سمع كلام مُجَزِّزِ بنِ الأعور بنِ جَعْدة الكِناني المُدْلِجي لما رأى أقدامَ زيد بن حارثة وابنه أسامة رضي الله عنهم: «إن هذه الأقدامَ بعضُها من بعض»[٢] فسكت النبي صلى الله

---

(١) شاع استعمال (أو) في معادلة همزة الاستفهام التي بعد (سواء)، والصواب أن يقال: أم، كما قال تعالى: ﴿وسواء عليهم ءَأَنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون﴾. والأكثر استعمالاً أن تأتي بعدها الهمزة، ويسمونها همزة التسوية، ويجوز حذفها، ويُؤْتَى بـ: أَمْ، كما قرأ ابن محيصِن شذوذاً: وسواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم، بهمزة واحدة أصلية في الكلمة. انظر «مغني اللبيب» ١:١٥، و «روح المعاني» للآلوسي ١:١٢٨.

(٢) الحديث معروف، وهو في مواضع من «صحيح البخاري» عن عائشة رضي الله عنها، أولها في صفة النبي ﷺ ٦:٥٦٥ (٣٥٥٥)، ثم في مناقب زيد بن =

عليه مستبشراً ولم ينكر على مُجَزِّز ما قاله، فدلَّ ذلك على جواز القِيَافة واعتبارها في النسب.

ومُجَزِّزٌ أحدُ الصحابة الذين روى عنهم النبي ﷺ[1].

= حارثة ٧: ٨٧ (٣٧٣١)، وكتاب الفرائض ١٢: ٥٦ (٦٧٧٠، ٦٧٧١) وهنا عزا الحافظ الحديث إلى ما تقدم وحصل له أوهام في تعيين الطرق وعزوها، فليتنبه له.
ورواه مسلم أيضاً ٤: ١٠٨١ ـ ١٠٨٢ (٣٨ ـ ٤٠).

(١) هذا التنبيه من طرائف فوائد هذا الكتاب ونوادره، فإن مَن كتب في علوم الحديث ذكر عدة أمثلة على رواية الأكابر عن الأصاغر من صنيع النبي ﷺ وغيره، وفاتهم هذا المثال.
ومُجَزِّز: لقبٌ، لأنه كان إذا أسر أحداً في الجاهلية جزَّ منه ناصيته وأطلقه، كما في «الفتح» ١٢: ٥٧.
وقال المصنف رحمه الله في ورقة ١٠٩ من القسم غير المرتَّب كلاماً شمل ما تقدم وزيادة، وهذا نصه: «وأما الأفعال والتقريرات فتشاركُ أقواله في بعض ما تقدم وتختص بأمور أُخَر.
وأفعال النبي ﷺ على سبعة أقسام، فلا يخلو فعلُه ﷺ إما أن يكون امتثالاً، كالإتيان بالشهادة وبقية أركان الإسلام من الصلاة وغيرها، أوْ لا، والأول لا كلام فيه، لاستواء الأمة معه ﷺ في امتثاله، لوجوب الاقتداء به.
والثاني: لا يخلو إما أن يكون من أفعاله الجِبِلِّيَّة، كقيامه وقعوده وحركاته وسَكَناته التي هي من لازم طباع البشر، أوْ لا.
والأول لا يُشْرَع اتباعه فيه، وإلاّ لكان كالمحاكاة التي يتبرَّم بها مَن يُحاكَى فعلُه، لكن مَن استحب مِن الأمة أن يُوقعَ فعلَه على صفة فعل النبي ﷺ اتباعاً لهديه وتبركاً بآثاره: كان مشروعاً، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن أحسنَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدَثاتُها، وإن ما تُوعدون لآتٍ، وما أنتم بمعجزين. [رواه البخاري (٧٢٧٧)].
وحكي الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسْفَرايِيني في الجِبِلِّيِّ من فعل النبي ﷺ وجهين: أحدهما: الندب، لاستحباب التأسّي به ﷺ، وعليه الأكثرون. =

= والثاني ـ وهو مذهب الأقل ـ: أنه يُستدلُّ بذلك على الإباحة.
ففي ذهابِ النبي ﷺ إلى العيد في طريق ورجوعِه في آخر: وجهان حكاهما الرافعي، وذكر أن الأكثرين على التأسِّي فيه بذلك.
وإذا لم يكن فعلُه ﷺ من أفعال الجِبِلَّة: فلا يخلو: إما أن يكون من خواصِّه، أوْ لا، والأول على ثلاثة أقسام: خاصٌّ به واجباً، كالضحى والأضحى، فيقع من فعل غيره مستحباً، وخاصٌّ به تحريماً يستحبُّ لغيره التنزُّه عنه كالصدقه لقوله ﷺ «إن هذه الصدقةَ إنما هي أوساخُ الناس، وإنها لاتَحِلُّ لمحمد ولا لآل محمد». [رواه مسلم ٢: ٧٥٤ (١٦٨)].
وخاصٌّ به إباحةً كالجمع بين مازاد على أربع زوجات، ليس لأحد أن يتشبَّه به فيه، وإلا لزالت الخصوصية.
وغيرُ الخاصِّ لايخلو: إما أن يكون بياناً لحكم مجمَل، كقطع يد السارق من الكُوع، بياناً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فاقطعوا أيديَهما﴾ أوْ لا، والأولُ يتعيَّن فعلُه، لإيقاع المأمور به مجمَلاً على الوجه الذي بيَّنه مفصَّلاً.
والثاني: إذا لم يكن بياناً فلا يخلو: إما أن تُعلَم صفةُ الفعل من وجوب وندبٍ، أوْ لا، فإن عُلمتْ تلك الصفة وكانت الأمة معه في عموم ذلك ـ كأركان الإسلام ـ: فهذا من القسم الأول الذي لاكلام فيه.
وإن خصَّته الصفة: كان من قسم الخاصِّ به، فلا يُعَدُّ هذا قسماً.
والثاني: إن لم تُعلَم الصفة: فلا يخلو: إما أن يظهر في ذلك قصدُ القُربة أوْ لا، فإنْ ظهر فيه قصد القُربة: ففيه مذاهب، منها: الوجوب، وذكر السمعاني أنه الأشبه بمذهب الشافعي وأنه الصحيح.
ومنها: الندب، وعزاه بعضهم للشافعي.
ومنها: الإباحة، وهو اختيار الإمام في «البرهان». [لإمام الحرمين ١: ٣٢٢، ٣٢٥].
ومنها: الحظر، وحكاه العلامة أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو شامة.
ومنها: ترجيحُ الفعل على الترك من غير تعيينِ وجوبٍ ولاندب، حكاه أيضاً أبو شامة. ومنها: الوقفُ إلى أن يثبتَ الحكم بدليل من خارج يدلُّ على =

= ماأُريد منا، وعلى هذا جمهورُ المحققين وصححه القاضي أبو الطيب الطبريّ.

ومعلومٌ من سيرة الصحابة رضي الله عنهم حسبما رَوَيناه وخَبَرْناه أنهم كانوا يَرجِعون في الأحكام الشرعية إلى فعل النبي ﷺ رجوعَهم إلى أقواله، ويتقرَّبون بها ويحافظون عليها، كصلاتهم في نعالهم اقتداءً بفعله ﷺ وخَلْعهم إياها في الصلاة حينَ رأوه ﷺ فعل ذلك. وكلبسهم الخواتيم ثم طَرْحها من أيديهم، اقتداء بفعله ﷺ.

وكانوا يحافظون على الاقتداء بأفعاله وإن لم تَلُحْ فيها قُربة، فهذا يُبطِل قول الحظر والوقف.

نعم، ويدلُّ اقتداؤهم بأفعاله ـ والله أعلم ـ أنهم فهموا أنه شُرِع لهم مثل ذلك الفعل قربةً، وإلا لما فعلوه، فَيَبطل بهذا قول الإباحة.

والثاني: وهو مالم يظهر فيه قصد القُربة، فخلافه مرتَّب على ماظهر من ذلك فيه وأولى بترك الوجوب والندب، لكن من يقول بترجيح الفعل على الترك يحملُه على القدْر المشترك بين الوجوب والندب والإباحة، وهو رفع الحرج عن الفعل لاغير.

والمختار ـ كما ذكره الإمام أبو شامة ـ الندب في القسمين، وهو فيما قُصد به القُربة آكد، إلا أن يقترن بقرينة تدلُّ على غير ذلك. والله أعلم.

هذا بعضُ مايتعلَّق بفعل النبي ﷺ الذي هو من سنته، وفي إطلاقهم على ذلك سنةً إشارةٌ إلى أنه تشريع، وإذا كان تشريعاً فلا يتصور من فعله ﷺ وقوع مكروه، فإنه إذا فعل شيئاً وهو مكروهٌ فعلُه بالنسبة إلينا، فليس بمكروه من النبي ﷺ، إذ هو تشريعٌ منه وبيانٌ للجواز، ويكون ـ والحالةُ هذه ـ فعلُه ﷺ ذلك أفضلَ في حقه.

قال شيخ الإسلام أبو زكريا النووي رحمة الله عليه في وضوء النبي ﷺ مرةً مرةً، ومرتين مرتين: قال العلماء: هو في ذلك الوقت أفضلُ في حقه من التثليث، لأجل بيان التشريع. انتهى. [من شرح مسلم ٣: ١٢٣، والمجموع ١: ٤٣٥].

وأما أقوال النبي ﷺ، فقد قدَّمنا أنها أقوى دلالةً من الأفعال وأعمُّ فائدة، وقد=

وهذا أحدُ فوائد الحديث وأحكامه: الاستدلالُ بأحد وجوه السنن وهي الأقوال.

ومن فوائد الحديث:

٢ ـ الحثُّ على التراحم بين الأمة، لأن من صفاتها فيما بينهم الرحمة، قال الله عز وجل: ﴿محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار، رحماء بينهم﴾.

٣ ـ ومنها: إثباتُ الثواب على الأعمال، وحصولُ الجزاء في الحال والمآل، لعموم الحديث بقوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن» لما في معنى الرحمن من الرحمة في الدنيا والآخرة.

٤ ـ ومنها: أن الجزاء من جنس العمل، لقوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن» الحديث.

وقال أبو السَّرِيِّ هَنّادُ بنُ السَّرِي في كتابه «الزهد»[1]: حدثنا عَبْدة، عن محمد بن عمرو، حدثنا محمد بن المنكدر قال: جاءت امرأة إلى

= حُفظ منها الألوف من العدد، ودوِّنت منها الدواوين وأُلِّفت منها الكتب، وانتفع الخلق بأحكامها المحكَمة الباهرة، فيما ينفعهم دنيا وآخرة، ومن أقواله السنية: الحديثُ الذي وقع لنا مسلسلَ السماع بالأولية، وقد رويناه في هذا المكان من طرقٍ عدَّة تعلم، ونُمليه الآن من طريقٍ غيرِ ماتقدم».

(١) «الزهد»٣:٢٠٣ (١٣٥٢)، وإسناده حسن، ومراسيل ابن المنكدر قوية، ففي «تهذيب التهذيب» ٩: ٤٧٤ ـ ٤٧٥: «قال ابن عيينة: مارأيت أحداً أجدر أن يقول «قال رسول الله ﷺ» ولايسأل عمن هو، من ابن المنكدر، يعني: لتحرِّيه». ولابن عيينة كلمة أخرى نحوها ذُكرت في التهذيبين عن ابن راهويه، عنه.
وروي الحديث مسنداً نحو هذا، رواه عبد بن حميد في «المنتخب» ص١٦٧ (٤٥١)، والطبراني في «الكبير» ٦: ١٦١ (٥٨٥٤)، لكن في إسناده عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف.

النبي ﷺ وهو جالسٌ في المسجد والناسُ حولَه فأطافتْ به لتخلُص إليه، فقام عنها رجل لتخلُصَ إليه، فقال رسول الله ﷺ: «أمُّكَ هي؟» قال: لا، قال: «أختُك هي؟» قال: لا، قال: «فرحمتَها رحمك الله».

٥ ـ ومنها: أنه يستحب لمن رغَّب غيره في عملِ خيرٍ أن يذكر له شيئاً من فوائده ومايترتب عليه من المصالح، تنشيطاً له وانبعاثاً على العمل، كهذا الحديث.

٦ ـ ومنها: أن العالم المعلِّمَ غيرَه يعمل بعلمه أولاً، ثم يعلِّمه، فإنه أبلغ في الإفادة وأرسخُ للعبادة، وإذا نظرنا إلى صفة نبينا ﷺ الذي أمر بالرحمة ورغَّب فيها بهذا الحديث ونحوه: وجدنا رحمتَه قد عمَّتْ الخلق. قال الله عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، ومن ألقابه: نبي الرحمة(١).

---

(١) جاء ذلك في أكثر من حديث، منها: حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عند مسلم ٤: ١٨٢٨ (١٢٦): كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءً فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة». ورواه أحمد عنه ٤: ٣٩٥. ورواه من الصحابة أيضاً عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرج حديثه ابن حبان في «صحيحه»، عزاه إليه السيوطي في «الرياض الأنيقة» ص٢٧، وساق سنده إلى ابن حبان، ثم ساق سند ابن حبان به، وثبت ذلك في أصل ابن بَلْبان والهيثمي من «صحيح ابن حبان»، يدل على ذلك ذكر ابن بلْبان له في «الإحسان» ٨: ٧٦ (٦٢٨٢) طبعة الحوت، والهيثمي في «موارد الظمآن» (٢٠٩٥). والسند الذي ذكره السيوطي كما هو في المطبوعتين، فيستغرب إبدال عبد الله بن مسعود بحذيفة بن اليمان في طبعة مؤسسة الرسالة لـ «الإحسان» ١٤: ٢٢١ (٦٣١٥)!!.
ومنها: حديث عثمان بن حُنيف رضي الله عنه الذي رواه الترمذي في الدعوات ٥: ٥٣١ (٣٥٧٨) وقال: حسن صحيح، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٦: ١٦٨ ـ ١٦٩ (١٠٤٩٤ ـ ١٠٤٩٦)، وابن ماجه في صلاة الحاجة ١: ٤٤١ (١٣٨٥)، وهو المعروف بحديث توسل الأعمى، وفيه: فأمره ﷺ أن يتوضأ =

وجاء أنه لم يكن أحدٌ أرحمَ بالعيال من رسول الله ﷺ[١].

٧ ـ ومنها: أنه إذا عرض أمر يُحتاج فيه إلى ذكرِ اسمٍ من أسماء الله الحسنى يُذْكَر ذلك الاسم المناسبُ لما عَرَض، ليكون أرجى لبلوغ الغَرَض فيما عَرَض، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾.

ولما كان التراحمُ مندوباً إليه، والجزاءُ من الله تعالى موعوداً عليه: ذكر اسمٌ من أسماء الله تعالى مناسبٌ للتراحم، وهو الرحمن جل وعلا.

٨ ـ ومنها: وصف الله تعالى بالرحمة، وأن الرحمن من أسماء الله الحسنى، وقد جاء به الكتاب والسنة.

قال الإمام أبو بكر البيهقي في كتابه «أسماء الله عز وجل وصفاته الواردة في الكتاب والسنة» في قسم الأسماء التي تَتْبَع إثبات التدبير لله سبحانه دون ماسواه[٢]، قال: ومنها الرحمنُ، الرحيم. قال الله عز وجل: ﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾ وقال: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ وقال: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ وقال في فاتحة الكتاب: ﴿الرحمن الرحيم﴾ وقال: ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ وقال في فواتح السور [غير التوبة]: بسم الله الرحمن الرحيم.

ثم ذكر البيهقي كلام الخطابي الذي قاله في كتابه في «الدعاء ومعاني

= فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة، يامحمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفِّعْه فيَّ».

(١) قاله أنس بن مالك رضي الله عنه، رواه مسلم في كتاب الفضائل ـ باب رحمته ﷺ الصبيانَ والعيال ٤ :١٨٠٨ (٦٣)، وأحمد في «مسنده» ٣ :١١٢.

(٢) صفحة ٦٩، ومابين المعقوفين زيادة منه. ومن هنا يستفاد أصل اسم الكتاب.

أسماء الله تعالى» وهو ما أنبأنا غير واحد منهم أبو الحسن علي بن محمد ابن سعيد بن ريان الطائي، عن زينب ابنة أحمد، أن عبد الخالق بن الأنجب أخبرها كتابةً من مارِدِين، عن أبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهَرَوي، أخبرنا أبو نصر بن أبي طاهر الحداد سماعاً، أخبرنا عبد الوهاب بن أبي سهل الأديب، أخبرنا الإمام أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البُسْتي الشافعي رحمه الله قال[١]: اختلف الناس في تفسير الرحمن ومعناه، وهل هو مشتقٌّ من الرحمة أم لا؟ فذهب بعضهم إلى أنه غير مشتق، واحتج بأنه لو كان مشتقاً من الرحمة لاتَّصل بذكر المرحوم، فجاز أن يقال: الله رحمان بعباده، كما يقال: رحيم بعباده، فلما لم يَستقِم صِلَتُه بذكر المرحوم دلَّ على أنه غير مشتق من الرحمة. قال[٢]: ولو كان هذا الاسم مشتقاً من الرحمة لم تُنكره العرب حين سمعوه، إذْ كانوا لاينكرون رحمة ربهم، وقد حكى الله عنهم الإنكار له والنفور عنه في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ الآية.

وزعم بعضهم أنه اسم عِبراني، وذهب الجمهور من الناس إلى أنه مشتق من الرحمة مبني على المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة الذي لانظير له فيها، ولذلك لايثنَّى ولايجمع كما يثنَّى الرحيم ويجمع، وبناءُ فَعْلان في كلامهم للمبالغة، يقال لشديد الامتلاء: ملآن، ولشديد الشبع: شبعان.

ويدلُّ على صحة مذهب الاشتقاق في هذا الاسم حديثُ عبدالرحمن ابن عوف.

حدثناه أحمد بن عبدالحليم[٣] الكُريزي وعبد الله بن شاذان الكُرَانيُّ

---

(١) صفحة ٣٥ـ٣٨.

(٢) القائل هو «بعضهم» المشار إليه قبل قليل. وانظر ص ١٩٦.

(٣) هكذا، وفي المطبوع من كتاب الخطابي: عبد الحكيم، لكن في فهرسه: =

قالا: حدثنا محمد بن يحيى بن المنذر القزاز، حدثنا حجاج بن المنهال، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، أن أباه عاد أبا الرَّدَّاد، فقال له أبو الرداد: ما أَحَدٌ من قومي أوصلُ لي منك! قال عبد الرحمن: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربه عز وجل: «أنا الرحمن، وهي الرَّحِم شققتُ لها من اسمي، فمن وَصَلَها وصلتُه، ومن قطعها قطعتُه ثم أَبَتُّه»[1] اللفظ للكُريزي.

فالرحمن: ذو الرحمة الشاملة وسِعت الخلقَ في أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم، وعمّت المؤمن والكافر والصالح والطالح. وأما الرحيم فخاصٌّ للمؤمنين[2]، كقوله تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين

= عبد الحليم!.

(١) صحابيُّ هذا الحديث هو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، والحديث رواه عبد الرزاق ١١: ١٧١ (٢٠٢٣٤)، والحميدي ١: ٣٥ (٦٥)، وابن أبي شيبة ٨: ٣٤٧ (٥٤٣٩)، وأحمد ١: ١٩٤، والبخاري في «الأدب المفرد» ١: ١٣٢ (٥٣)، وأبو داود ٢: ٣٢٢ (١٦٩٤)، والترمذي ٤: ٢٧٨ (١٩٠٧)، وابن حبان ٢: ١٨٦ (٤٤٣)، والحاكم ٤: ١٥٨ من طريق الحميدي، وطرق أخرى.

وفي الحديث إشكال من جهة أنه أبو الرداد، أو الرداد ، ورجحوا الأول، ومن جهة أن أبا سلمة ـ وهو ابن عبد الرحمن بن عوف ـ يرويه عن أبي الرداد، عن عبد الرحمن بن عوف ـ كما جاء في بعض الطرق ـ أو يرويه عن أبيه مباشرة، مع أن الأئمة: عليَّ بن المديني ونظراءَه جزموا بعدم سماعه من أبيه لصغر سنه. وانظر كلام العلامة الشيخ فضل الله الجيلاني رحمه الله في شرحه على «الأدب المفرد» ١: ١٣٤ـ١٣٦.

نعم الحديث رواه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في مناسبة أخرى، انظره في «المسند» ١: ١٩١، ١٩٤.

(٢) كذا، وتعديةُ (خصَّ) باللام استعمال شائع، والصواب تعديته بالباء، فينبغي أن يقال: خاص بالمؤمنين، على معنى الانفراد. فإن استعملتْ بمعنى التفرُّغ عُدِّيت باللام، كقولك: تخصصت له: تريد تفرغت له. نبّه إليه الأستاذ محمد=

رحيماً﴾[١].

وبالإسناد إلى الخطابي قال[٢]: ويقال: إن الرحمن خاصٌّ في التسمية، عامٌّ في المعنى، والرحيم عامٌّ في التسمية، خاصٌّ في المعنى.

والذي حكاه الخطابي ولم يسمِّ قائلَه: هو ما حكاه أبو القاسم الحسن ابن محمد بن حبيب المفسِّر[٣]، عن عبدالرحمن بن يحيى أنه قال: الرحمن خاص في التسمية عام في الفعل، والرحيم عام في التسمية خاص في الفعل.

وكأن هذا إشارة إلى أن الرحمن اسم من أسماء الله تعالى لايُدعى به غيره، وليس لأحد أن يتسمَّى به إلا الله، كما دلَّ القرآن على ذلك بقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾، فهذا خصوصية في التسمية وأما معناه فعامّ، لأن الرحمن يرحم الراحمين من عباده، وقد رُوي عن إسرائيلَ، عن سِمَاك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿هل تعلم له سمياً﴾ قال: لم يُسمَّ أحدٌ الرحمن غيره[٤].

= العدناني في كتابه «معجم الأخطاء الشائعة» ص٧٨ (٢٧٩).

(١) هذا كله كلام الخطابي.

(٢) صفحة ٣٩.

(٣) انظر تعريفاً موجزاً به ومصادرَ ترجمته ص١٩٨، وعبد الرحمن بن يحيى لم أقف على ترجمة له، وكأن سبب إغفال الخطابي اسمه تعدُّد من يُنسب إليه هذا القول، فقد رأيت الإمام الفخر الرازي رحمه الله نقل في شرحه لأسماء الله الحسنى ص١٧٦ عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه قوله «اسم الرحمن خاص بالحق عام في الأثر، واسم الرحيم عام في الاسم خاص في الأثر».

(٤) رواه من هذا الوجه الحاكم في «المستدرك» ٢: ٣٧٥ ـ وصححه ووافقه الذهبي ـ وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص٧٢، و «شعب الإيمان» =

وأما الرحيم: فعامٌّ في التسمية، لقوله تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿بالمؤمنين رؤف رحيم﴾، وتقولُ العرب: كنْ بي رحيماً، فهذا العموم في التسمية.

وأما الخصوص في المعنى: فجاء عن عكرمة وغيره أن الرحمن برحمة واحدة، والرحيم بمئة رحمة، إشارة إلى رحمةِ الرحيمِ في الآخرة، وأنها هناك مختصَّة بالموحِّدين، وإن كانت التسميةُ بالرحيم في الدنيا غيرَ محظورة، فهو عامٌّ في التسمية خاصٌّ في المعنى.

والرحمن: يكتب بالألف إلا في البسملة بلا خلافٍ يُكتبُ بغير ألف، وقيل: يُكتبُ بلا ألف حيثُ جاء في القرآن، ولايكتب كذلك فيما سواه إلا بألف.

وهذان الاسمان وهما (الرحمن الرحيم) دالان على رحمة الله التي وسعت كل شيء دنيا وآخرة.

وأصناف رحمة الله تعالى في الدنيا لاتُحصَر ولاتُحصَى، وهي في الآخرة أجلُّ وأعظم من أن تُستقصَى.

قال أيوب بن أبي تَميمة السَّخْتِياني رحمة الله عليه: إن رحمة واحدة قَسَمها الله تعالى في دار الدنيا، وأصابني منها الإسلام، إني لأرجو من تسع وتسعين رحمة ماهو أكثر من ذلك.

وحَكَى معناه الإمام شيخ الإسلام أبو زكريا النواوي رحمة الله عليه فقال: قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار: الإسلامُ والقرآنُ والصلاةُ والرحمةُ في قلبه وغيرُ ذلك مما أنعم الله تعالى به، فكيف الظنُّ بمئةِ رحمةٍ في الدار الآخرة، وهي دار القرار ودار الجزاء؟!والله أعلم. قاله في «شرح

= ١ : ١٤٤ (١٢٣) = ١ : ٣٧٠ (١٢٢).

صحيح مسلم»[١].

وهو من أجلِّ مصنفاته التي رفعها الله وشَهَرها، وبإخلاصه ونيته الصالحة نفع بها من قرأها أو كتبها أو نظرها.

ولقد كان مصنفها الشيخ محيي الدين على غاية من الزهد والتقوى والورع، ومحبة أهل السنة، ومجانبة أهل البدع، معمورَ الأوقات بالقُرَب لله والطاعات، مع إفادته العلم النفيس، وبما يصنعه ويلقِّنه في التدريس، ولقد درَّس بهذه الدارِ دارِ الحديث حين وَلِيها بعد الشيخ شهاب الدين أبي شامة في سنة خمس وستين وست مئة، وكان رابعَ مَن وَليها، ولم تَزَلْ بيده إلى أن توفي بعد رجوعه من بيت المقدس في شهر رجب سنة ست وسبعين وست مئة ببلدِهِ نَوَى، وبها دُفِن رحمة الله عليه.

ولم يتناول من معلوم دار الحديث شيئاً، وأُتِي مرةً بمعلومها فلم يأخذه وقال: اشتروا به بُسُطاً للمكان، ففعلوا، فكان يجلس[٢] على تلك البُسُط أيام الدروس إلى أن وَلي دارَ الحديث العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن عليُّ بن عبدالكافي السُّبْكيُّ، وكان عاشرَ من وَلِيها، وأول مباشرته إياها كان يوم الأربعاء سابعَ شهرِ ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة، فأُخبِر خبَرَ تلك البُسُط، وأن الشيخ محيي الدين النواوي كان يمشي عليها ويجلس، فتبرَّك السُّبْكي بها: كان يطوف ويصلِّي عليها وينشِد ما أنشدنا أبو اليسر أحمد بن عبدالله بن محمد الأنصاري مشافهةً بالإجازة قال: أنشدنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السُّبْكي من لفظه لنفسه:

---

(١) ١٧: ٦٨ـ٦٩.

(٢) الظاهر جواز قراءة هذه الكلمة بالمبني للمعلوم (يَجلِس)، وبالمبني لما لم يُسمَّ فاعله (يُجلَس).

وفي دار الحديث أطلتُ مُكْثي   أطَوّف في جوانبها وآوي
عسى أني أَمَسُّ بِحُرّ وجهي   مكاناً مسَّـهُ قَدَمُ النواوي[١]

* * *

(١) كلمة «أَمَسُّ» جاءت في الأصل: أمرُّ، فأثبتُّها: أمسُّ، لما يأتي.
ثم إن هذه رواية المصنف للبيتين وحكايتهما عنده، وعند التاج السبكي في «الطبقات الكبرى» ٨:٣٩٦ وجه آخر. قال: «لما سكن -والده التقي السبكي- في قاعة دار الحديث الأشرفية في سنة اثنتين وأربعين وسبعِ مئة، كان يخرج في الليل إلى إيوانها ليتهجدَ تُجاه الأثر الشريف، ويمرِّغ وجهه على البساط، وهذا البساط من زمان الأشرف الواقف، وعليه اسمه، وكان النووي يجلس عليه وقت الدرس، فأنشدني الوالد لنفسه:
وفي دار الحديث لطيفُ معنىً   على بُسُط لها أصبو وآوي
عسى أني أَمَسُّ بِحُرِّ وجهي   بساطاً مسَّه قدم النواوي»
والأثر الشريف المذكور هو النعل النبوية الكريمة التي تقدم ذكرها والحديث عنها في المجلس الأول ص ٣١.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٧ ـ

الحمد لله رب العالمين

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

هذه الآيات الشريفات تبرَّكنا بذكرها في أوائل الدروس الماضيات، مع الكلام على بعض معانيها، والتنبيه على فوائد مما تحويها، والكلامُ عليها من نيف وخمسين وجهاً[١]، لأن القرآن لاتَفنَى عجائبه، ولاتنقضي غرائبه.

فمن الوجوه: كيفيةُ نزول القرآن وما يتعلّق بهذا الشان.

فنزوله كان على أحوال، وفي صفة ذلك أقوال، أحدها: وهو المشهور ـ وعليه الجمهور ـ أنه نزل في ليلة القدر جملةً واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل على النبي ﷺ مفرَّقاً.

روِّينا في كتاب «فضائل القرآن»[٢] لأبي عبيد القاسم بن سَلاَّم قال: حدثنا يزيد ـ يعني ابن هارون ـ عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أُنزِل القرآن جملةً واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نَزَل بعد ذلك في عشرين سنةً ﴿وقرآناً فَرَقْناه لتقرأَه على الناس على مُكْث ونزَّلْناه تنزيلاً﴾، وخرَّجه الحاكم في «مستدركه» وصحَّح إسناده[٣].

---

(١) ينظر تعدادها ص ٧١ ـ ٧٦.

(٢) صفحة ٢٢٢.

(٣) «المستدرك» ٢: ٢٢٢ ـ وصححه ووافقه الذهبي ـ ورواه البيهقي في «الأسماء =

والقول الثاني: أن القرآن كان يَنزلُ منه من اللوح المحفوظ في ليلة القدْر من كلِّ سنة قدرُ مايُنْزِله الله عز وجل على رسوله ﷺ في تلك السنة، فنزولُه من اللوح المحفوظ في عشرين ليلةً، كلُّ ليلة منها كانت ليلةَ القدر، ونَزَل على النبي ﷺ في عشرين سنة.

قال أبو محمد عبد الله بن ثابت بن يعقوب المقرىء القاضي: حدثني أبي، حدثني الهُذَيل بن حَبيب أبو صالح الأزدي، عن مقاتل بن سليمان[١] قال عن القرآن: أنزله الله عز وجل من اللوح المحفوظ إلى

= والصفات» ص٣٠٣، و«الدلائل» ٧: ١٣١، جميعاً من طريق يزيد بن هارون، به.

(١) مقاتل: متروك ساقط، لايعول على نقله، وقد ذكر هذا القولَ الماورديُّ أولاً في «تفسيره» ٦: ٣١١، وثنّى بقول الشعبي الآتي، فنُسب إلى الماوردي أنه يقول بمقتضاه لكونه قدَّمه.
وقد أنكر القاضي ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤: ٤٢٧ هذا القول جداً فقال: «من جهالة المفسرين أنهم قالوا: إن السَّفَرة ألقتْه إلى جبريل في عشرين ليلة، وألقاه جبريل إلى محمد عليهما السلام في عشرين سنة. وهذا باطل، ليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولابين جبريل ومحمد صلى الله عليهما واسطة». ووافقه القرطبي ٢٠: ١٣٠.
وفي ٢: ٢٩٧ من «تفسير القرطبي» نقل قول مقاتل هذا وعلّق عليه ٢٩٨ بقوله: «هذا خلاف مانقل من الإجماع أن القرآن أُنزل جملة واحدة». وقال عنه الحافظُ في «الفتح» ٩: ٥: «غريب».
فيكون في قول مقاتل منكران، وإن كان السيوطي في «الإتقان» ١: ١١٨ قال: «أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك، عن ابن عباس»، ولذلك نسبه الماوردي ٦: ٣١٢ إلى ابن عباس، لكني أخشى أن يكون من رواية جويبر التالف المتروك، عن الضحاك، وقد جاء هذا الخبر في كلام الإمام المقرىء العَلَم السخاوي في «جمال القراء» ١: ٢٠ على عكس مافي كلام مقاتل، قال: «... أمر الله جبريلَ عليه السلام بإملائه على السفرة الكرام البررة عليهم وإنساخهم إياه وتلاوتهم له». فجبريل عليه السلام أملاه على السفرة وأخذوه =

السَّفَرة ـ وهم الكَتَبَة من الملائكة ـ في سماء الدنيا، فكان يَنزل ليلةَ القدر من الوحي على قدرماينزلُ به جبريل على النبي ﷺ في السنة كلِّها إلى مثلها من القابل، حتى نزل القرآنُ كلُّه في ليلة القدر، ونزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ في عشرين سنة.

والقول الثالث: أن الله عز وجل ابتدأ بإنزال القرآن في ليلة القدر. قاله الشعبي، فيما حكاه أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي في «تفسيره»[١].

وروينا في كتاب «فضائل القرآن»[٢] لأبي عبيد القاسم بن سلام قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن داود بن أبي هند قال: قلت للشعبي: قوله: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ أَمَا نزل عليه القرآنُ في سائر السنة إلا في شهر رمضان؟ قال: بلى، ولكن جبريل عليه السلام كان يُعارِض محمداً ﷺ بما ينزل عليه في سائر السنة في شهر رمضان.

تابعه أبو بكر بن أبي شيبة، عن ابن أبي عدي[٣].

وجوَّز بعضهم في قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ ـ مع العلم بنزوله أيضاً في غير شهر رمضان ـ: أن يكون أُنزل جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في شهر رمضان، وأولُ نزوله إلى الأرض على النبي ﷺ كان في شهر رمضان، وعَرْضه مع جبريل عليه السلام في شهر رمضان[٤].

= عنه، لا أنه أخذ القرآن عنهم.

(١) تفسير سورة القدر ٦: ٣١٢.

(٢) صفحة ٢٢٣.

(٣) لم أجده في «مصنف ابن أبي شيبة» كتاب فضائل القرآن: ١٠: ٤٥٦ ـ ٥٦٥.

(٤) أما إنزاله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا: فانظر أدلته في «الإتقان» ١: ١١٦، وأما نزوله إلى الأرض في شهر رمضان: فلحديث واثلة ابن الأسقع رضي الله عنه عند أحمد ٤: ١٠٧: «أنزلت صحف إبراهيم عليه =

وفي إنزال القرآن جملةً واحدة إلى سماء الدنيا، ثم في إنزاله مفرَّقاً ـ كما تقدم ـ: تعظيمٌ لأمرِ القرآن وأمرِ مَن أُنزل عليه ذلك بإعلام سُكَّان السموات السبع أن هذا آخرُ الكتب، المنزلُ على خاتم النبيين، لأشرف الأمم، قد قرَّبه الله إليهم لينزِله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصولَه إليهم مفرَّقاً بحسَب الوقائع لَهُبِط به إلى الأرض جملةً كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله تعالى باينَ بينه وبينها فجمع لنبينا ﷺ الأمرين: إنزالَه جملةً، ثم إنزالَه مفرَّقاً.

وفيه أيضاً إشارة إلى زيادة شرفٍ لنبينا ﷺ، لأن كلَّ رسول أَنزل الله عليه كتابَه جملةً واحدة، كما أَنزل القرآن جملةً واحدة إلى سماء الدنيا، فشارك نبيُّنا ﷺ الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلام، وامتاز عليهم بإنزال القرآن أيضاً عليه مفرقاً.

ونزول القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا: هل كان بعد ظهور نبوة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، أم قبل بعثته؟ يَحتمِل كلاً من الأمرين، والظاهر أنه قبلها[1]، ومن فائدته: إعلامُ الملائكة بقرب ظهورِ الأمة المحمدية، وإرسالِ نبيهم خاتم الأنبياء الذي ينزل عليه هذا القرآن، كما

= السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزلت الإنجيل لثلاثَ عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان». وفيه عمران بن دَاوَر القطان يُحسَّن حديثه، وإن كان يشكل عليه أن أول نزول القرآن كان في ليلة القدر، والأحاديث الكثيرة دالة على أنها تكون في ليالٍ فردية لازوجية.

وأما عرضه مع جبريل في شهر رمضان: فثابت في عدة أحاديث، منها ماررواه البخاري في أول «صحيحه» ١ : ٣٠ (٥) وانظر أطرافه، ثم ٦ : ٦٢٨ (٣٦٢٤) و ١١ : ٧٩ (٦٢٨٥).

(١) ونقله الزركشي في «البرهان» ١ : ٢٣٠ عن أبي شامة المقدسي، ثم قال من عنده: «كلاهما محتمل، فإن كان بعدها فوجه التفخيم منه ماذكرناه ـ وهو ماسبق عند المصنف: إعلام سكان السموات. . . ـ وإن كان قبلها ففائدته أظهر وأكثر».

أعلم الله الملائكة بخلق آدم عليه الصلاة والسلام قبل إيجاده، فقال تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾.

وفي إنزالِ القرآن جملةً ثم نَزَلَ مفرقاً من الفوائد أيضاً: ماأشار الله عز وجل إليه بقوله تعالى جواباً عن مقالة الكفار التي أخبر الله تعالى بها في قوله عز وجل: ﴿وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة﴾ فقال تعالى في الجواب: ﴿كذلك﴾ أي نزَّلْناه مفرَّقاً ﴿لنثبِّت به فؤادَك ورتَّلْناه ترتيلاً﴾ أي: لنقوِّي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدَّد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشدَّ عنايةً بالمرسَل إليه، ويستلزم ذلك كثرةَ نزولِ جبريل إليه وسلامِه عليه، وتجديدِ العهد به وبما معه من الرسالة الواردة عن ذلك الجناب العظيم الإلهي، فيحدُث له بذلك من الخيرات والمسرَّات، ماتَضِيق عن تفصيله العبارات، ولهذا ـ والله أعلم ـ كان رسول الله ﷺ إذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجودَ بالخير من الريح المرسَلة[١].

واختلف: كم كان بين نزول أول القرآن وآخره على ثلاثة أقوال.

أحدها ـ وتقدم عن ابن عباس وغيره ـ: أنه عشرون سنةً، وعلى هذا الأكثرُ.

والثاني: أنه ثلاث وعشرون سنةً، وهو الأظهر لي[٢].

---

(١) رواه البخاري في مواضع من «صحيحه»، أولها ١: ٣٠ (٦)، ومسلم ٤: ١٨٠٣ (٥٠).

هذا، وقد كتب العلامة الداعية البارع الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله تعالى في كتابه البديع المظفَّر في جولاته كلها «مناهل العرفان» ١: ٥٣ـ٦٢، كتب في حِكَم ذلك وأسراره مالايجده القارىء عند غيره ممن سبقه، ومايجده القارىء عند غيره ممن لحقه فهم آخذون من مَعِينه، وإن غمطوه حقه فلم يذكروه!.

(٢) وهذا مذهب من يجبر الكسر، وتحريرها أنها اثنتان وعشرون سنة، وخمسة =

والثالث: أنه خمس وعشرون سنة.

أما مدة نزوله بالمدينة فلا خلاف أنها كانت عشر سنين، وإنما الخلاف فيما نَزَل بمكة بعد البعثة.

وأولُ مانزل بمكة ـ بل مطلقاً ـ أول سورة: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ نزلتْ بغار حِراء، وهذا أول مرة نزل فيها جبريل عليه السلام على النبي ﷺ الوحي، ثم نزل بعد ذلك: ﴿ياأيها المدثر * قم فأنذر﴾ وقيل: أول مانزل: ﴿ياأيها المدثر﴾[١].

وقيل: أول مانزل من القرآن فاتحة الكتاب، ويُروَى في ذلك عن

= أشهر، وتسعة أيام، بناء على المشهور في ولادته صلى الله عليه وسلم وبعثته وهجرته ووفاته أنها كانت في ١٢ من شهر ربيع الأول، وأنه استكمل ﷺ من العمر ثلاثاً وستين سنة.
لكن ينقص منها الأشهر الستة الأولى من البعثة، إذ كانت فيها الرؤيا الصالحة والصادقة، ولم يكن فيها نزول قرآن، وذلك إلى١٢ من شهر رمضان. وينقص منها أيضاً ١٢ يوماً، تضاف إلى الأشهر الستة، وهي من١٢ رمضان إلى٢٤ منه، لحديث واثلة السابق قريباً.
وينقص من آخرها أيضاً تسع ليال، ذلك أن آخر مانزل هو قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ وحدَّد مجاهد وابن جريج ـ كما سيأتي قريباً ـ أنه صلى الله عليه وسلم عاش بعدها تسع ليال، فيكون نزولها في ٣ من شهر ربيع الأول. فمجموع ماينقص من الثلاثة وعشرين عاماً: ٦ أشهر و١٢ يوماً و٩ أيام. أي ستة أشهر وواحد وعشرون يوماً. وتكون مدة نزول القرآن الكريم خلال ٢٢ سنة وخمسة أشهر وتسعة أيام. والله أعلم.

(١) وهو ظاهر ماروي عن جابر رضي الله عنه، رواه البخاري عنه في تفسير سورة المدثر ٨: ٦٧٦ (٤٩٢٢) ومابعده، لكن في لفظٍ له (٤٩٢٥) ولفظ مسلم ١: ١٤٣ (٢٥٥، ٢٥٦) عن جابر: «سمعت النبي ﷺ وهو يحدِّث عن فترة الوحي» ثم ذكر نزول السورة، لذلك قالوا: إنها أولية مخصوصة مقيدة، فلا يُعارض أولية أول سورة اقرأ.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

ونُصر هذا القول لأن النبي ﷺ أقام بمكة بعد البعثة على المشهور ثلاث عشرة سنة، فما يُظَنُّ أنه في هذه المدة كان يصلِّي بغير فاتحة الكتاب. والله أعلم[2].

---

(١) عُزي هذا القول إلى أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل الهَمْداني المُخَضْرَم المتوفَّى سنة ٦٣ للهجرة، عزاه إليه العَلَم السخاوي في «جمال القراء» ١:١١ لكونه راوي الحديث، والحديث رواه ابن أبي شيبة ١٤:٢٩٢ (١٨٤٠٤) والبيهقي في «الدلائل» ٢:١٥٨ وهو مرسل ورجاله ثقات، كما قال السيوطي في «الإتقان» ١:٧١، وهو يشبه حديث بدء الوحي من بعض الوجوه، لذلك قال البيهقي عقبه: «هذا منقطع، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعدما نزلت: اقرأ باسم ربك، ويا أيها المدثر».
وأشار إليه الزركشي في «البرهان» ١:٢٠٧ ونقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني قوله في «الانتصار»: «هذا الخبر منقطع ـ أي مرسل ـ... وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول مانزل من الآيات: اقرأ، وأول مانزل من أوامر التبليغ: يا أيها المدثر، وأول مانزل من السور سورة الفاتحة».
ويبدو أن تعليل الحديث بالإرسال لايضره، فإرسال مثل أبي ميسرة الذي توفي في عصر كبار الصحابة لايضر إنما يضعفه ماأشار إليه البيهقي بقوله «إن كان محفوظاً» فهذه إشارة إلى أنه شاذ، وهو كذلك، والقصة تأبى الاحتمال الذي ذكره البيهقي، والله أعلم.
وأعود إلى قول المصنف إن هذا القول يروى عن علي رضي الله عنه، فأقول: روى حديث أبي ميسرة هذا الواحدي في «أسباب النزول» ص٥٥ مختصراً وقال بعده: «وهذا قول علي بن أبي طالب. أخبرنا أبو إسحاق.. عن علي ابن أبي طالب قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش». فكأن المصنف رحمه الله فهم من قول الواحدي «وهذا قول علي» أنه يقول بأنها أول مانزل، وهذا مقبول لو لم يذكر بعده قوله: نزلت فاتحة الكتاب بمكة...، فإن صنيعه هذا فسَّر قوله الأول «وهذا قول علي» بأن علياً رضي الله عنه يقول: إن فاتحة الكتاب مكية فقط، دون نسبة الأولية لها. والله أعلم.

(٢) قاله الواحدي في «أسباب النزول» ص٥٦، ولايخفى مافيه من نظر!.

وأما آخر مانزل من القرآن من آياته: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ الآية، كما رُوِّيناه في كتاب «فضائل القرآن»[١] لأبي عبيد قال: حدثنا حجَّاج، عن ابن جُرَيج، قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: آخر آية أنزلت من القرآن هي: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾[٢]. قال[٣]: زعموا أن رسول الله ﷺ مكث بعدها تسعَ ليالٍ. وبُدى[٤] به يوم السبت، ومات يوم الاثنين ﷺ.

وقيل: آخر آية نزلت آياتُ الربا، وهذا داخلٌ في القول الأول، لأن آخر آيات الربا ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ الآية. قال أبو عبيد ـفيما رُوِّيناه عنه ـ: حدثنا عبد الله بن صالح وابن بُكَير، عن الليث، عن عُقَيل، عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدَّيْن.

وقيل آخر آية نزلت آية الكَلالة: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ إلى آخرها[٥].

---

(١) صفحة ٢٢٤.

(٢) الخبر في «تفسير» ابن جرير أيضاً ٣: ١١٥، وابن جُريج لم يدرك ابن عباس، لكن روى البخاري في تفسير سورة البقرة ـ تحت باب ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا. يريد آيات الربا ومعها هذه الآية التي خُتمت بها.

(٣) هذا من كلام ابن جريج، لاابن عباس ـ وإن أوهم ذلك كلامُ بعضهم ـ ومثله عند ابن جرير، وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أن هذه الآية آخر مانزل، وأنه عليه الصلاة والسلام عاش بعدها تسع ليال أيضاً، كما في «الإتقان» ١: ٧٨.

(٤) هكذا بخط المصنف مع الضبط، وعند ابن جرير ٣: ١١٥: وبدا يوم السبت، وعُلِّق عليه لتأكيد التحريف: يريد أنه احتجب عن الناس لمرضه، ثم خرج لهم يوم السبت! ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم بدأ به المرض يوم السبت.

(٥) سيأتي تخريجه، وهذا ومابعده في آخره آية أو آخر سورة: آخرية مقيَّدة =

وقيل: آخر آية نزلت: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ إلى آخر الآيتين[١].

وكذلك اختُلف في آخر سورة نزلت، فصحَّ عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: آخر سورة نزلت: براءة[٢]، ورُوي ذلك عن أبي الشعثاء والجمهور.

وقيل: آخر سورة نزلت المائدة، وقد جاء حديثٌ مرفوع بذلك أن النبيﷺ قرأ سورة المائدة في حجَّة الوداع وقال: «يا أيها الناس إن آخر القرآن نزولاً سورة المائدة، فأَحِلُّوا حلالها وحرِّموا حرامها»[٣].

= لامطلقة، فلا تعكُّر على ماتقدم.

(١) هذا قول أبي بن كعب رضي الله عنه، رواه عنه الحاكم في «المستدرك» ٢:٣٣٨ وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وهو من وجه آخر عنه رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد المسند» ٥:١٣٤، وانظر «مجمع الزوائد» ٧:٣٥ـ٣٦.

(٢) روى البخاري آخر تفسير سورة النساء ٨:٢٦٧ (٤٦٠٥)، وأول تفسير سورة براءة ٨:٣١٦ (٤٦٥٤) عن البراء قال: آخر آية نزلت ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ وآخر سورة نزلت: براءة. وهو عند مسلم في كتاب الفرائض ٣:١٢٣٦ (١١، ١٢) وذكر مسلم أن بعض رواته رواه بلفظ: آخر سورة أُنزلتْ تامة، وبعضهم: أنزلت كاملة، وكذلك هو لفظ شيخه ابن أبي شيبة ١٠:٥٤٠ (١٠٢٦٢)، وهذا يعكِّر على قول ابن حجر ٨:٣١٦: «المراد بعضها أو معظمها».

(٣) عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس ـ من التابعين ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: «المائدة من آخر القرآن تنزيلاً، فأحلُّوا حلالها وحرِّموا حرامها». فهو مرفوع مرسل.

وروى النسائي ٦:٣٣٣ (١١١٣٨) والحاكم ٢:٣١١ وصححه ووافقه الذهبي، عن جبير بن نفير قال: دخلت على عائشة فقالت لي: هل تقرأ سورة المائدة؟ قلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وماوجدتم فيها من حرام فحرِّموه. =

وترتيب الآيات والسور كان في عهد النبي ﷺ بأمره، رُوِّينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن عثمان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو يَنزِل عليه السورُ ذواتُ العَدَد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكَر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآية يقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، خرَّجه الترمذي في «جامعه» وحسَّنه، والحاكم في «مستدركه» وصححه[1].

= وروى الترمذي آخر تفسير سورة المائدة ٥: ٢٤٣ (٣٠٦٣) وحسَّنه، والحاكم ٢: ٣١١ وصححه، عن عبدالله بن عَمرو قال: آخر سورة أنزلت المائدة. وعلَّق عليه الترمذي بقوله: «ورُوي عن ابن عباس أنه قال: آخر سورة أنزلت إذا جاء نصر الله والفتح» يشير إلى ماروواه مسلم عنه أواخر «صحيحه» ٤: ٢٣١٨ (٢١).

(١) رواه الإمام أحمد ٢: ٣٢٩، ٣٧٦ (٣٩٩، ٤٩٩) من طبعة شاكر، والترمذي في تفسير سورة التوبة ٥: ٢٥٤ (٣٠٨٦) وقال: حسن صحيح، وابن حبان ١: ٢٣٠ (٤٣)، والحاكم ٢: ٢٢١ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، و٣٣٠ وصحح إسناده ووافقه الذهبي أيضاً، والبيهقي ٢: ٤٢. وللأستاذ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الموضع الأول من «المسند» كلام حول هذا الحديث، قال في أوله: «في إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جداً، بل هو حديث لاأصل له». ثم رجح أن صواب قول الترمذي فيه: حديث حسن، لا: حسن صحيح، وختم كلامه بالنقل عن أستاذه رشيد رضا مايقارب حكمه عليه.

وفي كلامه هذا اجتهاد كبير وتوسُّع غير مقبول، ولم يجر على عادته رحمه الله في تحرير المسائل، فلم يحرر الكلام على يزيد الفارسي، يُعلم ذلك بالنظر المتأنّي في ترجمته، وإدخالُ ترجمته في ترجمة يزيد بن هرمز، غير مرضي، فيكفي تحرير المزي وابن حجر وغيرهما أنهما اثنان، ويكفي قول أبي حاتم في يزيد الفارسي: لابأس به، ولذا كان من الإجحاف في حقه قول ابن حجر في «التقريب»: مقبول! وقال الزركشي في «البرهان» ١: ٢٤٠: «جاء ذلك في =

وراويه عثمان بن عفان رضي الله عنه كان أحدَ كتَّاب الوحي للنبي ﷺ. فكُتّابه من الصحابة رضي الله عنهم: الخلفاء الأربعة، وأُبَيّ بن كعب ـ وهو أول من كتب للنبي ﷺ[1] ـ وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان[2] ـ وهما كانا مداومَيْن على الكتابة ـ وحنظلة بن الربيع الأُسَيّدي، وخالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة، وأبان بن سعيد بن العاصي بن أمية، والعلاء بن عبد الله الحضرمي[3]، والسِّجِل، وخبره

= أخبار ثابتة في الترمذي والمستدرك..» وذكر الحديث، وينظر «السنن الكبرى» للبيهقي ٢: ٤٢، و«كنز العمال» ٢: ٥٨٠.

والحديث ذكره ابن حجر في «الفتح» ٩: ٤٢ فقال: «وأخرج أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم...» فذكره ثم استنبط منه حكماً فقال: «فهذا يدل على أن ترتيب الآيات في كل سورة كان توقيفياً...» ولو كان حديثاً لاأصل له لما ساقه الحافظ هذا المساق، وإن كنت لا أرى أن سكوت الحافظ عن حديثٍ ما في «الفتح» و«التلخيص» علامة على صحته عنده، إلا في فوائده المتنية والإسنادية المتعلقة بالحديث إذا كان في البخاري، وإلا في مثل هذه القرينة مع سكوته عن تصحيح ابن حبان والحاكم.

(١) «حين قدم المدينة» كما قيّده بذلك أبو هلال العسكري في «أوائله» ص٢٩٦، وهذا أولى من إطلاق المصنف وابن حجر وهما متابعان فيه للواقدي، كما تجد كلامه في «الإصابة».

(٢) في «مختصر تاريخ دمشق» لابن عساكر ٤: ٣٩٩: «خال المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين» ونحوه في ترجمته من «التقريب»، والمعروف أنه من كتَّابه ﷺ إلى الملوك. ونقل الذهبي في «السير» ٣: ١٢٣ حديثاً عن «المسند» فيه: «وكان يكتب الوحي» لكنها ليست في المطبوع، فكأنه كتبها من حفظه. ثم رأيت النص على أنه من كتبة الوحي في «التراتيب الإدارية» ١: ١١٥، ١٢٢ وهذا الموضع الثاني نقله عن «الشفا» للقاضي عياض ٢: ٦١٧.

(٣) فهؤلاء أحد عشر كاتباً، وذكر ابن القيم في «زاد المعاد» ١: ١١٧ سبعة عشر كاتباً، وعند كلٍّ منهما مَن لم يذكره الآخر، لكن ينبغي التمييز بين كتَّاب الوحي وكتّاب الملوك، فظاهر صنيع المصنف هنا أنه يذكر كتَّاب الوحي، =

لايثبت[1]، قيل: وهو المراد في قوله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطيِّ

= وصنيع ابن القيم العموم. وذكر ابن سيد الناس في «سيرته» ٢:٤١٣ خمسة وعشرين كاتباً ـ جزماً ـ ويزاد: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فإنه وإن كان قد ارتد، لكنه عاد إلى الإسلام وحسُن إسلامه، وكان له فضل عظيم في فتوح إفريقية. ثم قال: «وذُكِر في كتّابه عليه الصلاة والسلام...» وذكر اثني عشر كاتباً. ثم ذكر السِّجِلّ.

وذكر القسطلاني في «المواهب» ٢:١٢٥ـ١٣٠ سبعة وعشرين. أما ابن حديدة الأنصاري في كتابه «المصباح المضي في كتّاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي» فذكر اثنين وأربعين كاتباً، يضاف إليهم رجلٌ من بني النجار ارتد ولما مات لَفَظَتْه الأرض، والسجلُّ، وسيأتي الكلام عليه عقب هذا. وكأن القسطلاني عنى هذا الكتاب أول كلامه، وأشار في آخره أنه ينقل عن كتاب للدمياطي، وسبق الكلَّ عمر بن شبة حيث أفردهم بكتاب.

وانظر لزاماً «التراتيب الإدارية» ١:١١٥.

(١) روى أبو داود في كتاب الخراج والإمارة ـ باب في اتخاذ الكاتب ٣:٣٤٨ (٢٩٣٥)، والنسائي ٦:٤٠٨ (١١٣٣٥) وغيرهما، عن ابن عباس أنه قال: «السجل كاتب النبي ﷺ». وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٤:٣٤٠ إلى «البيهقي في سننه وصححه» وينظر؟.

وقد قال ابن جرير في «تفسيره» ١٧:١٠٠: «لايعرف لنبينا ﷺ كاتب اسمه السجل، ولافي الملائكة ملك ذلك اسمه». ونقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله في «حواشيه على تهذيب سنن أبي داود للمنذري» ٤: ١٩٦ أنه قال عن الحديث: موضوع، لِما جاء في كلام ابن جرير، وزاد: أن الآية مكية، ولم يكن لرسول الله ﷺ كاتب بمكة.

وكذلك مال ابن كثير في «تفسيره» إلى رد الحديث وقال ٤:١٧٤: «صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان في سنن أبي داود، منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي».

وترجم الحافظ في «الإصابة» ٣:٦٥ في القسم الأول من حرف السين: «سجل، كاتب النبي ﷺ» وذكر رواية ابن عباس المذكورة، ثم زاد من عند ابن مردويه وابن منده و«تاريخ بغداد» ٨:١٧٥ روايته عن ابن عمر، وقال: =

السِّجِل للكتب﴾. والمشهور من الكتَّاب، المذكورون قبله رضي الله عنهم.

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمة الله عليه: واعلم أن القرآن كان مجموعاً كلُّه في صدور الرجال أيامَ حياةِ رسول الله ﷺ، ومؤلَّفاً هذا التأليف الذي نشاهده ونقرؤه إلا سورةَ براءة، فإنها كانت من آخر مانزل من القرآن ولم يُبيِّن رسول الله ﷺ لأصحابه موضعَها من التأليف حتى خرج من الدنيا، فقرنها الصحابة بالأنفال، وبيان ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمانَ رضي الله عنه: ما حملكم على أن عَمَدتم إلى براءة - وهي من المثين - وإلى الأنفال -

---

= «فهذا الحديث صحيح بهذه الطرق وغفل من زعم أنه موضوع».

قلت: حديث ابن عمر ذكره ابن كثير في «التفسير» وقال: «هذا منكر جداً من حديث نافع عن ابن عمر، لايصح أصلاً»، وكذلك قال الذهبي في «الميزان» ٤: ٦٠٢ (٢٢٨٦) ترجمة حمدان بن سعيد أحد رواته، وتعقبه الحافظ في «اللسان» ٢: ٣٥٦ بطريق ابن عباس، وبأن حمدان لم يضعفه أحد قبل المؤلف.

لكن كلام الخطيب يؤيد كلام ابن كثير، ففيه: «قال البَرْقاني: قال أبو الفتح الأزدي: تفرد به ابن نمير. إن صح» والحافظ نقل قوله «تفرد به ابن نمير» فقط وقال: «ابن نمير من كبار الثقات، فهذا الحديث صحيح..» وكأن قوله «إن صح» إن لم يكن سقط من نسخته من «تاريخ بغداد» فيكون قد حذفه الحافظ لعدم رضاه به، والله أعلم. وهذا التعليق سواء أكان من الخطيب أم من شيخه البرقاني أم من الأزدي يخدش الاعتماد على السند من حيث هو، ويعكِّر على ابن حجر تصحيحه له. والخلاصة أن القلب إلى كلام منكريه أميل.

يبقى لفت النظر إلى قول ابن تيمية رحمه الله: لم يكن لرسول ﷺ كاتب بمكة، إن كان يريد كاتباً للملوك: فهذا واضح، وإن كان يريد كاتباً للوحي: فهذا فيه نظر، إذ نزل من القرآن بمكة شيء كثير لابدَّ له من كتابة، وقد ذكروا أن ابن أبي سرح كان كاتبه بمكة، بل لفظ ابن حجر في «الفتح» ٩: ٢٢: «أول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح»، فأفاد أن له ثانياً و...، والله أعلم.

وهي من المثاني ـ فقرنتم بينهما ولم تجعلوا بينهما سطراً في بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطُّوَل ؟ فقال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان ينزل عليه من السور التي يذكر فيها كذا وكذا، فإذا أنزلت عليه الآيات يقول: ضعوا هذه الآيات في موضع كذا وكذا، فإذا نزلت عليه السورة يقول: ضعوا هذه في موضع كذا وكذا، وكانت الأنفال أولَ ماأنزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتُها تشبه قصتَها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبيِّن أمرها، فظننتُ أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أجعل بينهما سطراً فيه بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطُّوَل[١].

قال البيهقي: وفيما روينا من الأحاديث المشهورة في ذكر مَن جمع القرآن من الصحابة رضي الله عنهم على عهد رسول الله ﷺ[٢]، ثم ماروينا عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: كنا حول رسول الله ﷺ نؤلِّف القرآن[٣]، ثم ماروينا في كتاب السنن: أن النبي ﷺ قرأ في صلاةٍ كذا

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٦١.

(٢) روى البخاري في مناقب الأنصار ـ مناقب زيد بن ثابت ٧:١٢٧ (٣٨١٠) ـ ومواضع أخرى ـ ومسلم في فضائل الصحابة ـ فضائل أبي بن كعب وجماعة ٤:١٩١٤ (١٩) عن أنس أنه قال: جَمَع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبيّ، ومعاذ، وأبو زيد، وزيد بن ثابت. فقال قتادة لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي. وانظر «فتح الباري» ٩:٥١ـ٥٢، و«البرهان» ١:٢٤١.

(٣) وفيه: فقال ﷺ: «طوبى للشام» الحديثَ، رواه ابن أبي شيبة ٥:٣٢٥، ١٢:١٩١ (١٢٥١٢)، والإمام أحمد ٥:١٨٤، ١٨٥، والترمذي آخر سننه (٣٩٥٤) وقال: حسن غريب ـ وعند المنذري في «الترغيب والترهيب» ٤:٦٣ أنه صححه ـ وابن حبان ١٦:٢٩٣ (٧٣٠٤)، والحاكم ٢:٢٢٩ وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني ٥:١٥٨ (٤٩٣٣ـ٤٩٣٥)، وذكره الهيثمي ١٠:٦٠ وصححه، مع أنه ليس على شرطه في زيادات «مجمع الزوائد».

بسورةِ كذا[1]: دلالةٌ على صحة ماقلناه، إلا أنه كان مثبَتاً في صدور الرجال، مكتوباً في الرِّقاع واللِّخاف والعُسُب[2]، وأمر أبو بكر رضي الله عنه حين استحرَّ القتلُ بقرَّاء القرآن يوم اليَمَامة بجمعه من مواضعه في صُحُف، ثم أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه حين خاف الاختلاف في القراءة بتحويله منها إلى مصاحفَ[3]، مع بذل المجهود في معارضةِ

---

(١) هذا كثير في الأحاديث، ومنها: مافي «الموطأ» أن أبا بكر قرأ سورة البقرة، وفي الصحيحين في حديثِ «أفتَّانٌ أنت يامعاذ» أن معاذاً قرأ بهم سورة البقرة، وحديث حذيفة رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صلاة المسافرين ـ باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ١ : ٥٣٦ (٢٠٣) أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة ثم النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها . . الحديث. وفي «سنن أبي داود» باب مايقول الرجل في ركوعه وسجوده ١ : ٥٤٤ (٨٧٤)، و« مسند الطيالسي» ٥٦ (٤١٦) قال حذيفة: فصلى ـ النبي ﷺ ـ أربع ركعات فقرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ـ أو الأنعام ـ شك شعبة.

وفي «سنن أبي داود»: كتاب الصلاة ـ باب من رأى التخفيف في صلاة المغرب ١ : ٥١٠ (٨١٤) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: ما من المفصل سورة صغيرة ولاكبيرة إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة.

ومعلوم أن المفصَّل يبدأ من سورة الحجرات أو التي بعدها، إلى آخر القرآن الكريم.

وطوال المفصل تبدأ من هنا إلى آخر سورة البروج، وأوساطه من سورة الطارق إلى آخر سورة البينة، وقصاره من الزلزلة إلى آخره. انظر «مناهل العرفان» ١ : ٣٥٢.

(٢) هذه الكلمات جاءت في حديث زيد بن ثابت لما أمره أبو بكر وعمر بجمع القرآن، وهو في «صحيح البخاري» ٩ : ١٠ (٤٩٨٦) باب جمع القرآن.
والرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغَد. واللخاف: جمع لَخْفَة، وهي حجارة رقيقة. والعُسُب: جمه عسيب، وهو جريد النخل.
واستحرَّ: اشتد وكثر. كما في «فتح الباري».

(٣) هو في «صحيح البخاري» أيضاً عقب الرقم المتقدم.

ماكان في الصحف بما كان مثبَتاً في صدور الرجال، وذلك كلُّه بمشورة مَن حَضَر من علماء الصحابة، وارتضاه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحَمِد أثره فيه[١]. والله يغفر لنا ولهم.

ويشبه أن يكون رسول الله ﷺ إنما لم يجمعه في مصحف واحد لِمَا كان يعلم من جوازِ ورودِ النسخِ على أحكامه ورسومه، فلما خَتَم الله دينه بوفاة نبيه ﷺ، وانقطع الوحي قَيَّض لخلفائه الراشدين عند الحاجة إليه جمعَه بين الدَّفَّتين. وقد أشار أبو سليمان الخطابي رحمه الله إلى جملة ماذكرناه، وذكره أيضاً غيره من أئمتنا، والأخبارُ المشهورة ناطقةٌ بجميع ذلك، والحمد لله على ظهور دينه ووضوح سبيله. قاله البيهقي في كتابه «المدخل إلى السنن»[٢].

هذا مما أُشير به إلى ترتيب القرآن في المصحف.

أما ترتيب نزوله: فلم يكن كترتيبه في المصحف، ونزولُه على نيِّف وعشرين وجهاً.

فمنه مانزل بمكة، وعددُ السور المكِّيَّات أربعٌ وثمانون سورةً، أولُها ـ كما تقدم على الأكثر[٣] ـ ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، وآخرها في قول ابن عباس رضي الله عنهما: سورة العنكبوت، وفي قول الضحاك ابن مزاحم، وعطاء بن أبي رباح: المؤمنون[٤].

---

(١) روى ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» ص٢٩ـ٣٠ خبراً طويلاً، فيه قول علي: «.. والله مافعل عثمان الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً.. قال عثمان: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف. قلنا: فنِعْم مارأيت.. قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل» قال ابن حجر في «الفتح» ٩:١٨: إسناده صحيح.

(٢) وهو من النصوص المفقودة من الكتاب المطبوع. لكن معناه وقريب من لفظه تجده في أواخر «الدلائل» ٧:١٤٧ فما بعدها.

(٣) تقدم ص١٥٧.

(٤) كما في «البرهان» ١:١٩٣ـ١٩٤، وروى ابن الضُّريس ص٧٣ـ٧٤ عن ابن =

هذا من أنواع علوم القرآن الذي بُعِث نبينا ﷺ بتعليمه، كما قال تعالى في الآية: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾. وكلَّما تُدُبِّر القرآن وأُثير ثارتْ علومه، وأبرزَها منطوقه ومفهومه. روِّينا من حديث سفيان الثوري رحمة الله عليه، عن أبي إسحاق، عن مُرَّة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا أردتم العلمَ فأَثِيروا القرآن[1]، فإن فيه علمَ الأولين والآخرين.

و(الحكمة) المذكورة في الآية: هي السنة النبوية التي تلقَّاها خير القرون المشار إليهم في الآية الشريفة بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾.

والمؤمنون في هذه الآية الشريفة صحابةٌ وغيرُ صحابة، وأفضلُ القسمين الصحابةُ، وعنهم أُخِذَ دين الإسلام، وقامت شرائع الأحكام، والصحابة على أقسام وطبقات، كما أن التابعين في درجاتٍ، أعلاهم المخضرَمون، لكن وقع لنا مسلمٌ رَوَى عن النبي ﷺ سماعاً منه مشافهةً ورؤية له، وليست له صحبة[2]!.

* * *

= عباس أن سورة المطففين نزلت بعد سورة العنكبوت، لكن في إسناده عمر بن هارون وهو متروك. وانظر ص٩٠. ثم في تصريح المصنف بأن عطاء هو ابن أبي رباح: فيه وقفة، فالذي يُنقل عنه كلام في هذا الصدد في أكثر من موضع هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني الذي تقدم ـ انظر «جمال القراء» مابين ص٧ إلى ٢٠ وغيره ـ وكلام الزركشي في «البرهان» الذي نقله المصنف جاء فيه هكذا: وقال الضحاك وعطاء، دون نسب. والله أعلم.

(١) «أثيروا القرآن»: ابحثوا فيه، وتفكروا في معانيه.

(٢) هكذا انقطع الكلام مع أن السطر ـ في المخطوطة ـ لم ينته، مما يدل على أن المصنف رحمه الله لم يتمم كلامه. وهذا الرجل الذي يريد المصنف أن يُلغز به هو: كعب بن عدي العِبادي الحِيري، وسيذكره المصنف ص٢٨٧ فما بعدها.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٨ ـ

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

علوم القرآن التي اشتمل عليها كثيرة، ومعانيها المستنبطة منها خطيرة، والعلوم في القرآن إما مفصلة، وإما مجملة، نصاً أو دلالة، ومأخذ علومه تارةً تؤخذ من منطوقه نصاً، وتارة تؤخذ من مفهومه دلالةً. . .[1] وإلحاقاً للفروع بالأصول.

وهذه الآيات فيها علوم كثيرة، ومأخذها من المنطوق ومن المفهوم.

فمن الأول: الإشارة إلى كرم الله سبحانه وتعالى وأنه يُعطي مَن يشاء مِن عباده بلا سؤال، بل بمجرَّد منٍّ وإفضال منه سبحانه على المؤمنين ببعثة هذا الرسول ﷺ، إلى غير ذلك من العطايا المصرَّح بها في هذه الآيات مفصلةً ومجملةً.

ومن مفهوم الآيات: اقتضاءُ شكر الله تعالى على نِعَمه، إذ من لازم تذكير الله عبادَه بنعمه عليهم أن يشكروه، كما جاء التذكير مصرَّحاً به في غيرِ ماآية، منها قوله تعالى: ﴿ياأيها الناسُ اذكُروا نعمةَ الله عليكم هل من خالق غيرُ الله يرزقُكُم من السماء والأرض﴾.

ولايُتَوَصَّل إلى شكر النعم إلا بذكرها، وبحصول العلم القطعي أنها من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ وقال عز وجل: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾.

---

(١) كلمة غير واضحة جاءت على الحاشية الداخلية من الصفحة.

روِّينا في «كتاب الشكر» لابن أبي الدنيا من حديث القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شُكْرَها» الحديثَ[1].

وعن الحسن البصري قال: أَكْثِروا ذِكْر هذه النعم، فإن ذكرها شكر[2].

وعن عمر بن عبدالعزيز قال: ذِكرُ النعم شُكْرُها[3].

وعن أبي عبد الرحمن الشامي، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعم شكر وتركها كفر، ومن لايشكر القليل لايشكر الكثير، ومن لايشكر الناس لايشكر الله، والجماعة بركة، والفُرْقة عذاب» ورواه بنحوه عبد الله بن الإمام أحمد من «زوائده في مسند أبيه»[4].

---

(١) هو عند ابن أبي الدنيا برقم (٤٧)، ومن طريقه البيهقي في «الشُّعَب» ٤: ٩٢ (٤٣٧٩) = ٨: ٣٣٤ (٤٠٦٩) وفي إسناده هشام بن زياد أحد المتروكين، ورواه الحاكم في «المستدرك» ١: ٥١٤ وقال: «لاأعلم في إسناده أحداً ذكر بجرح» فتعقَّبه المنذري في «الترغيب» ٣: ٩٤ بقوله: «كذا قال» والذهبي في «تلخيصه» بقوله: «بلى، قال ابن عدي ـ ٦: ٢٢٧٤ ـ: محمد بن جامع العطار لايتابع على حديثه»، بل قال عنه أبو زرعة، كما في «الجرح والتعديل» ٧: ٢٢٣ (١٢٣١): «ليس بصدوق ماحدثت عنه شيئاً» ولم يَقرأ حديثه.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» ص٥٠٣ (١٤٣٤)، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٣٣)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٤: ١٠٢ (٤٤٢١) = ٨: ٣٦٥ (٤١٠٧).

(٣) رواه المروزي في زوائده على «الزهد» لابن المبارك ص ٥٠٣ (١٤٣٦) وابن أبي شيبة ١٣: ٤٦٥ (١٦٩٣٦)، وابن أبي الدنيا (٥٨)، ومن طريقه البيهقي (٤٤٢٠) = (٤١٠٦)، ومن طريق غيره (٤٤٢٢) = (٤١٠٨)، لكن لفظ يحيى ابن سعيد عند ابن أبي شيبة: بلغني عن عمر. ومن مراسيل قتادة عند عبد الرزاق ١٠: ٤٢٥ (١٩٥٨٠): «مِن شكر النعمة إفشاؤها».

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٣)، وعبدالله بن الإمام أحمد في «زوائده =

= على مسند أبيه» ٤ : ٢٧٨ من وجهين، و٣٧٥، وهو في «المسند» المطبوع من حديث الإمام أحمد، وهو خطأ مطبعي، نبَّه إليه الأخ الفاضل الدكتور الشيخ زهير الناصر في تعليقه على «أطراف المسند» ٥ :٤١٣ (٧٤٥٧)، ونبَّه إلى تحريفات أخرى فيه.

والحديث عزاه الهيثمي في «المجمع» ٥ :٢١٧-٢١٨ إلى البزار أيضاً والطبراني وقال: «رجالهم ثقات». لكنه قال في ٨ :٨٢ - وقد اقتصر على عزوه إلى زوائد عبد الله -: «راويه عن الشعبي لم أعرفه». وقال المنذري في «الترغيب» ٢ :٧٨: «لابأس به».

- ومسند النعمان بن بشير من «المعجم الكبير» موجود عند ناشره، كما تقدم ص١١٥ -.

ورواه البيهقي في «الشعب» في موضعين: ٤ :١٠٢ (٤٤١٩) = ٨ :٣٦٣ (٤١٠٥)، و٦ :٥١٦ (٩١١٩) من طبعة بيروت فقط.

وإسناد ابن أبي الدنيا المذكور أولاً هو: حدثنا عمر بن إسماعيل الهمْداني، حدثنا إسحاق بن عيسى، عن أبي وكيع، عن أبي عبدالرحمن الشامي، عن الشعبي.

أما عمر بن إسماعيل - حفيد مجالد بن سعيد -: فمتروك، لكن تابعه في الموضع الأول عند البيهقي الإمام إبراهيم الحربي.

وإسحاق بن عيسى: في طبقته رجلان مترجمان في «التقريب» (٣٧٥، ٣٧٦)، وكلاهما صدوق.

وأبو وكيع: هو والد الإمام وكيع: الجراحُ بنُ مَليح، كما جاء مصرَّحاً به في رواية عبد الله بن الإمام أحمد.

وأما أبو عبد الرحمن: فنُسب شامياً في إسناد ابن أبي الدنيا، ومن طريقه البيهقي - الموضع الأول - وترجم البخاري في «الكنى» (٤٤١) - وابن أبي حاتم ٩ :٤٠٣ (١٩٣٣) - لأبي عبدالرحمن - غير منسوب - وأشار إلى هذا السند وحديثه وقال: «لايتابع في هذا».

أما ابن عبد البر في «الاستغنا» ٣ :١٣٨٤ (٢٠٥١) فكذلك، لكنه زاد نقلاً عن أبي أحمد الحاكم قوله «قد قيل: إنه القاسم بن الوليد الهمْداني، فلا أدري أيصح ذاك أم لا؟».

فالتحدثُ بالنعم والعلمُ بأنها من الله عز وجل: ركنان من أركان الشكر. والشكر نصف الإيمان، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر[1]. ورُوِيَ أيضاً عن

= ومستند أبي أحمد الحاكم - والله أعلم - وروده مسمىً كذلك في بعض أسانيده، من ذلك: ماجاء في «مسند الشهاب» ١: ٦١ (٤٤) من طريق ابن أبي الدنيا، ثم (٤٥) من طريق أبي وكيع نفسه عن القاسم بن الوليد أبي عبد الرحمن. لكن لم يقل: همداني أو شامي! فيبقى توقف ابن عبد البر قائماً.
والقاسم هذا إن صح أنه الهمْداني فهو صدوق، لكنه كوفي لاشامي، ولذا لم يتابع الذهبيُّ أبا أحمد الحاكم في «المقتنى» ففصل بين الترجمتين (٣٨١٤، ٣٨٨٤). وأعقب ابن عبد البر هذه الترجمة بترجمة أبي عبد الرحمن الشامي (٢٠٥٣) - وكذا الذهبي في «المقتنى» - وقال ابن عبد البر: «قال الحاكم: وخليقاً أن يكون محمدَ بنَ سعيد المصلوب». وهذا مايبدو لي - والله أعلم - فالطبقة الزمنية مناسبة جداً، وإن لم يذكروا رواية بين هذا الكذاب المصلوب على الزندقة، وبين الإمام الشعبي رضي الله عنه.
أما من قال إنه القاسم بن عبد الرحمن صاحب أبي أمامة: فبعيد، إذ القاسم هذا من طبقة الشعبي، وأيضاً فإن وفاته سنة ١١٢، وكانت وفاة الجراح بن مليح سنة ١٧٥، أو ١٧٦، فبينهما فترة زمنية طويلة، وليسا من بلدة واحدة ليقال: تحمَّل الجراح عنه وهو صغير السن. والله أعلم.
فالحديث لايصح، ومتابعة عبد الحميد له عن الشعبي، الواردة في كتاب «الأمثال» لأبي الشيخ ص٦٨ (١١١) لاقيمة لها، لأنها من رواية سوار بن مصعب، عن عبد الحميد، وسوار متروك الحديث، عند أبي حاتم، ومنكر الحديث عند البخاري!.

(١) هذا اللفظ في «إحياء العلوم» للإمام الغزالي ٤: ٦٦، وكأن المصنف ينقله منه، أما لفظه المروي عند الطبراني في «الكبير» ٩: ١٠٤ (٨٥٤٤) فهو: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان»، وسنده صحيح، كما قال الهيثمي في «المجمع» ١: ٥٧، وابن حجر في «الفتح» ١: ٤٨. وقد علَّق الجملة الثانية منه الإمام البخاري في «صحيحه» آخر الباب الأول من كتاب الإيمان.
وروي هذا القول عنه مرفوعاً، رواه أبو نعيم في «الحلية» ٥: ٣٤، والبيهقي =

الشعبي من قوله[١].

وجاء مرفوعاً في «مسند الفردوس» لأبي منصور الديلمي من طريق يزيدَ الرَّقَاشي ـ وهو متروك ـ عن أنس رضي الله عنه[٢].

وقد جمع الله سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ في أربع سور من القرآن:

في سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال الله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أنْ أَخرِجْ قومك من الظلمات إلى النور وذكِّرْهم بأيام الله إن في ذلك لآياتٍ لكل صَبَّارٍ شكور﴾.

وقال تعالى في سورة لقمان عليه السلام: ﴿ألم تَرَ أن الفُلك تجري

= في «الشعب» ٧: ١٢٣ (٩٧١٦)، والخطيب في «تاريخه» ١٣: ٢٢٦، وضعِّف جداً إلا ما قاله العراقي في «تخريج الإحياء» أول كتاب الصوم: سنده حسن! . وانظر التعليق على «الزهد» لوكيع ٢: ٤٥٦ (٢٠٣)، و«مسند الشهاب» ١: ١٢٦ (١٥٨)، و«الشعب» للبيهقي ١: ١٩٠ (٤٧) من طبعة الهند.
ويلاحظ أنه لاذكر للشكر في اللفظ المروي.

(١) «كتاب الشكر» لابن أبي الدنيا (٥٧)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٤: ١٠٩ (٤٤٤٨) = ٨: ٣٨٤ (٤١٣٤). وجاء إسناده على الصواب في كتاب ابن أبي الدنيا، وطبعة الهند لـ «الشعب». وفي طبعة بيروت منه: أبو عوانة، عن المغيرة بن عامر قال. فأبو عوانة: هو الوضاح اليشكري، والمغيرة: هو ابن مِقْسَم، لا ابن عامر، إنما هو: عن عامر، وعامر هو الشعبي. والتعليق الذي على «مسند الشهاب» ١: ١٢٧ يدل ـ والله أعلم ـ على أنه تحريف قديم.

(٢) «الفردوس» ١: ١١١ (٣٧٨)، ورواه السَّهمي في «تاريخ جُرجان» ص٤١٠ (٧١٢)، والقُضاعي في «مسند الشهاب» ١: ١٢٧ (١٥٩)، والبيهقي في «الشعب» ٧: ١٢٣ (٩٧١٥)، كلهم من طريق العلاء بن خالد القرشي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، والراوي عن العلاء بن خالد عند القضاعي: عتبة بن السكن، وهو مثل يزيد الرقاشي.

في البحر بنعمة الله ليريَكم من آياته إن في ذلك لآياتٍ لكل صبار شكور﴾.

وقال تعالى في سورة سبأ: ﴿فجعلناهم أحاديثَ ومزَّقناهم كل ممزَّق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾.

وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿ومن آياته الجوارِ في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾.

فالصبر والشكر هو الإيمان[1]، لأن جميع مايباشره العبدُ في هذه الدار لايخرج عن حصول أمرٍ إما ينفعه في الدنيا والآخرة، وإما يضرُّه فيهما، وإما ينفعه في أحد[2] الدارين ويضره في الأخرى، وأشرف الأقسام أن يفعلَ العبد ماينفعه في الآخرة ويتركَ مايضره فيها. وهذا حقيقة الإيمان. ففعلُ ماينفعه هو الشكر، وتركُ مايضره هو الصبر.

والشكر والصبر متلازمان، لكن اختُلِف أيهما أفضل: مقام الشكر أو مقام الصبر؟ على ثلاثة أقوال، الثالثُ: أنهما سواء[3].

ومن الأدلة على تفضيل الشكر على الصبر: أن الله عز وجل قَرَن ذكره الذي هو المراد من خَلْقه بشكره فقال تعالى: ﴿فاذكروني أذكرْكم واشكروا لي ولاتكفرونِ﴾.

---

(١) انظر لتفصيل ذلك «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي رحمه الله تعالى ٤: ٦١ فما بعدها.

(٢) كذا كتب رحمه الله، والأولى أن يقال: إحدى، فقد قال في «القاموس»: الدار قد تُذَكَّر.

(٣) وهو قول الإمام أبي سهل الصُّعلوكي، قال ـ وقد سئل: أيهما أفضل؟ ـ: هما في محل الاستواء، فالشكر وظيفة السراء، والصبر وظيفة الضراء. نقله البيهقي في «الشعب» ٤: ١٠٧ (٤٤٤٠) = ٨: ٣٧٨ (٤١٢٦)، ولابدَّ من تفصيل مع كل قول، وانظر بيان ذلك في «الإحياء» ٤: ١٣٥ و«شرحه» ٩: ١٥٠.

وقد أخبر سبحانه أنه إنما يعبده من يشكُره، فمن لم يشكُره لم يكن من أهل عبادته، فقال تعالى: ﴿واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ وجعل سبحانه وتعالى الشكر هو الغايةَ التي خَلَق عباده لأجلها[١]، فقال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾.

ومن الأدلة على تفضيل الشكر: أنه مراد لنفسه، والصبرَ مراد لغيره، وإنما حُمِد الصبر لإفضائه وإيصاله إلى الشكر، فهو بمنزلة الخادم للشكر.

وقد صح أن النبي ﷺ كان يقوم حتى تفطَّرت قَـدَماه فيقال له: قد غفـر الله لك ماتقـدم من ذنبـك وماتأخر! فيقول: «أفلاأكون عبداً شكوراً»[٢].

ولو لم يكن من فضل الشكر إلا أن النِّعَمَ به موصولة، والمزيدَ لها مرتبطٌ به لكان كافياً، ولهذا كانوا يسمُّون الشكر (الحافظ)ويسمونه[٣] (الجالب)، فهو حافظ للموجود من النعم، جالب للمفقود منها بالمزيد، وقالوا: الشكر يُقيِّد النعم الموجودة، ويَصِيد النعم المفقودة.

وقد رُوِّينا من حديث عبد الله بن صالح قال: حدثنا أبو زهير يحيى ابن عُطارد القرشي، عن أبيه، قال رسول الله ﷺ: «لا يرزق الله عبداً الشكرَ فيحرِمَه الزيادة، لأن الله تعالى يقول: ﴿لئن شكرتم

---

(١) انظر التعليق على أول المجلس الرابع ص ٩٨.

(٢) الحديث مشهور جداً، وممن رواه البخاري في مواضع، أولها كتاب التهجد ٣: ١٤ (١١٣٠)، ومسلم آخر كتاب صفات المنافقين ٤: ٢١٧١ (٧٩، ٨٠) كلاهما من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، ورواه البخاري أيضاً في تفسير سورة الفتح ٨: ٥٨٤ (٤٨٣٧)، ومسلم (٨١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: قيِّدوا نعم الله عز وجل بالشكر لله تعالى. رواه عنه ابن أبي الدنيا (٢٧).

لأزيدنكم﴾»[1].

والشكر أحد نوعَيْ حقوق الله على عباده، فإن لله تعالى على عبده نوعين من الحقوق لاينفكُّ عنهما العبد.

أحدهما: أمر الله ونهيه، وذلك محضُ حقِّه سبحانه على عباده.

والثاني: شكر الله على نِعمه التي أنعم بها عليهم.

وهو سبحانه يطالب عباده بالقيام بطاعته في أمره ونهيه، ويطالبهم بشكر نعمته.

فمن طالعَ شهودَ الواجب عليه لايزالُ يَشهد تقصيرَه وتفريطَه، وأنه محتاج إلى عفو الله ومغفرته، فإن لم يتداركْه بذلك هلك، وكلما كان العبد أفقهَ في دين الله كان شهودُه للواجب عليه أتمَّ، وشهودُه لتقصيره أعظمَ.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الشكر» (٣)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٤: ١٢٤ (٤٥٢٦) = ٨: ٤٣١ (٤٢٠٨)، ثم أعقبه بروايته من طريق الليث بن سعد، عن عبد الله بن صالح، عمن أخبره...، وأن ابن دِيزيل أحدَ الأئمة وأحد رواته سأل عبد الله هذا عمن أخبره؟ فقال له: هو يحيى بن عطارد بن مصعب، وقد نقل الذهبي في «السير» ١٠: ٤٠٦ هذا الوجه وعلَّق عليه بأنه: «مرسل، لا بل معضل». ففهم بعضهم من هذا أن الذهبي يحكم بالإعضال على رواية عطارد بن مصعب، وليس كذلك، بل إنه أراد الإسناد الأول: عبدالله بن صالح، عمن أخبره، أما الإسناد الثاني فلا. وذلك لأن عبدالله بن صالح ولد سنة ١٣٧، وتوفي سنة ٢٢٢، ومن يولد في هذا التاريخ المبكر، ثم يذكر راويين فوقه: لايقال عن حديثه معضل. على أني لم أرَ ترجمة ليحيى ولا لأبيه عطارد.
وفي «كتاب الشكر» لابن أبي الدنيا شواهد له، ويزاد عليها شاهد من حديث أنس مرفوعاً، أخرجه الضياء المقدسي في «المختارة» ٥: ١٩٢ (١٨١٤)، وفيه: «ومن أُلهِم الشكر لم يُحرم الزيادة لأن الله تعالى يقول: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾» وشواهد أخرى في «شعب الإيمان».

ومن طالعَ شهودَ نِعم الله عليه لم يَدَعْ له رؤيةَ حسنةٍ من حسناته أصلاً، ولو عمل من الصالحات أعمال الثقلين، فإن نعم الله عليه أكثر، وأدنى نعمةٍ من نعم الله تستغرقُ جميع أعماله.

وفي كتاب «الشكر» لابن أبي الدنيا[١] عن وهب بن منبِّه قال: عَبَدَ الله تعالى عابدٌ خمسين عاماً، فأوحى الله تعالى إليه: أني قد غفرتُ لك! قال: ياربِّ وماتغفرُ لي ولم أذنب؟! فأذِن الله لعِرْق في عنقه فضرب عليه، فلم يَنَمْ ولم يصلِّ، ثم سكن فنام، فأتاه مَلَك فشكا إليه فقال: مالقيتُ من ضَرَبان العِرْق؟! فقال الملَك: إن ربك يقول: عبادتُك خمسين سنة تَعدِل سكونَ ذا العِرْق.

وقال ابن أبي الدنيا[١]: حدثني أبو أيوب القرشي مولى بني هاشم قال: قال داود عليه الصلاة والسلام: ربِّ أَخبِرني ما أدنى نعمِك عليّ، فأوحى الله تعالى إليه: ياداود تنفَّسْ، فتنفسَ، قال: هذا أدنى نِعَمي عليك.

وقال أحمد بن أبي الحَوَارِيّ[٢]: قالت لي امرأة: أنا في شيء قد شَغَل قلبي، قلت: وماهو؟ قالت: أريد أن أعرِف نعمةَ الله عليَّ في طرفة عين، أو أعرفَ تقصيري عن شكر النعمة على طرفة عين، فقلت: تُريدينَ مالاتهتدي إليه عقولنا.

ومعنى الشكر: الثناء على المحسِن بما أَوْلاكَه من معروف. قاله الجوهري في «صحاحه»[٣] يقال: شَكَر له النُّعمى شُكراً وشُكْراناً، عَرَف النُّعمى للمنعِم فأظهرَها، ولايكادون يقولون شكرتك، وباللام أفصح.

وقيل: الشكر الاعتراف بنعمة المنعِم على وجه الخضوع.

---

(١) ص ٥٩ (١٤٥، ١٤٦).

(٢) «كتاب الشكر» أيضاً ص٥٨ (١٤٢)، ولفظ ابن أبي الحواري: «قالت لي مؤمنةٌ المتعبدة» وفيه أيضاً في المرتين: عليَّ في طرفة عين، وماأثبته من خط المصنف.

(٣) ٢: ٧٠٢.

وقيل: الشكر مشاهدة المِنَّة، وحفظ الحرمة، والقيام بالخدمة.

وقيل: شكر النعمة: أن تَرى نفسَك فيها طُفيلياً.

وروي نحوه عن الجنيد رحمة الله عليه أنه قال: الشكر أن لاتَرَى نفسك للنعمة أهلاً.

وقيل: الشكر معرفة العجز عن الشكر[١].

وفرقوا بين الشاكر والشكور، فقيل: الشاكر الذي يشكر على الموجود، والشكور الذي يشكر على المفقود.

وقيل: الشاكر على العطاء، والشكور على البلاء.

وأما الشكور في أسماء الله تعالى ففسِّر بأنه المُجَازِي بالجزيل على القليل، والمُثْني على المطيع في الملأ الرفيع، كمباهاته الملائكةَ بالحاجّ وغيره.

وقد جاء الخلاف في الحمد والشكر في أمرين:

أحدهما: هل معناهما واحد، أو لكلٍّ معنى؟.

---

(١) تجد هذه الأقوال معزوة لقائليها عند الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في «الإحياء» ٤: ٨٤ـ٨٥ أوائل كلامه عن الشكر، والمصنف نقلها بواسطته دون عزو، وليس هذا من الخلاف في شيء إنما هو اختلاف عبارات، لاختلاف المناسبات، أو لاختلاف الملاحظات.
ومما يدل على ذلك: أن المصنف ذكر قولاً للجنيد، وعنه قول آخر، نقله أبو نعيم في «الحلية» ١٠: ١١٩ ترجمة خاله السَّرِي السَّقَطي، و٢٦٨ ترجمة الجنيد نفسه، وهو في «شعب الإيمان» ٤: ١٣٠ (٤٥٥٠) = ٨: ٤٤٦ (٤٢٢٩)، قال: «الشكر عندي أن لايُستعان على المعاصي بشيء من نعمه».
ونحوه قول سفيان بن عيينة لمن سأله: ماالشكر ؟ قال: أن تجتنب ما نهى الله عنه. وهو في «شعب الإيمان» أيضاً ٤: ١٠٦ (٤٤٤٠) = ٨: ٣٧٧ (٤١٢٤).
ونحوه عن عدد من السلف.

وعلى الأول طائفة، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الحمد هو الشكرلله، والاستخذاء لله، والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه ـ يعني بالنعم ـ وغير ذلك.

والثاني عليه الجمهور، وصُحِّح، لأن الحمد: ثناء على المحمود بصفاته الجميلة وأفعاله الحسنى، والشكر: ثناء على المحسِن بما أولى من الإحسان.

والأمر الثاني: في العموم والخصوص بين الحمد والشكر.

فقيل: الحمد أعمُّ من الشكر، كما تقدم في معنى الفرق بينهما، وقيل: الشكر أعمُّ، لأن الحمد باللسان. قال الله عز وجل: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾، والشكر بالقول وسائر الأعمال. قال الله عز وجل: ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾[1]، وقيل كلٌّ منهما أعمُّ من وجهٍ وأخصُّ من آخر، وهذا ظاهر، لأن الشكر أخصُّ بالأفعال، لأنه لايكون إلا على إحسانٍ للشاكر من المشكور.

والحمدُ أخصُّ بالأقوال، لقول كلٍ من المنعَم عليه والمبتلَى: الحمد لله، ولايقع الشكر إلا ممن أولاه المشكور إحساناً.

وسببُ الحمد أعمُّ من سبب الشكر، لأن ما يُحمَد عليه الربُّ تبارك وتعالى أعمُّ مما يُشكَر عليه، فإنه سبحانه يُحمَد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونِعَمه، ويُشكر سبحانه على نِعَمه، فكان سببُ الحمد أعمَّ.

ومتعلَّق الشكر ومابه: أعمُّ مما به الحمد، فالحمد يطلق على القول، لأن الله سبحانه وتعالى يُحمد بالقلب واللسان، والشكر يطلق على القول

---

(١) والعمل يشملُ: النطقَ باللسان، والفعلَ بالجوارح، وأحوالَ القلب من خوف ورجاء، ومحبة وكراهة. . .، ولذلك يقول سبحانه وتعالى دائماً في كتابه العزيز: ﴿. .وعملوا الصالحات﴾ لئلا يتكلم المسلم إلا بالصالحات، ولايفعل إلا صالحاً، ولايحمل في قلبه إلا صالحاً.

والفعل جميعاً، لأن شكر الله تعالى يتعلّقُ بالقلبِ واللسانِ وبقيةِ الجوارح، فالقلبُ لمعرفة الله ومحبته وتوحيده، واللسانُ للثناء عليه وحمده وتمجيده، والجوارحُ في استعمالها بطاعة الله وكفِّها عن معاصيه. وأنشد بعضهم:

أفادتكُمُ النَّعماءُ عندي ثلاثةً يدي، ولساني، والضمير المحَجَّبا

ولو قال:

أفادتنيَ النعماءُ شكراً لفضلكم بقلبي ونُطقي والجوارحِ مُرْسَلا

وتوفيقِكم للشكر يَلزَمُ شُكرُه كذا كلُّ شكرٍ بعده متسلسلا

وماثَمَّ إلا العجزُ عن شكرِ ربِّنا كما ينبغي سبحانه متفضِّلا

كان أجودَ في الكلام، وأمجدَ لله الملك العلاّم.

فالشكر من وجهٍ متعلَّقِه أعمُّ. والشكر ـ كما قدمناه ـ واجبٌ بحسب الشرع، حسْبما قام الدليل عليه نقلاً وعقلاً.

فمن المنقول: قولُ الله عز وجل: ﴿وما كنا معذِّبين حتى نبعثَ رسولاً﴾. نَفَى الله تعالى التعذيبَ مطلقاً إلى بعثة الرسول، فلو كان الشكرُ واجباً بحسب العقل لعذَّب الله تاركَه قبل الشرع، لكنه بمقتضَى الآية الشريفةِ لايعذِّبُه الله حتى تُقَام عليه الحجةُ ببعثة الرسول. والله أعلم.

وأما الدليل على ذلك عقلاً: فلأنّ شكرَ المنعِم لو وجب عقلاً، فلا يخلو إما أن يكون لغير فائدة، أوْ لا. وعلى الأول: يلزم العَبَثُ، وهو غير جائز عقلاً.

وإما أن يكون لفائدة: إما للمشكور ـ وهو باطل قطعاً ـ لِتَعالي الله سبحانه عنها.

وإما للشاكر: وعلى هذا: فلا يخلو: إما أن تكون الفائدةُ في الدنيا، فذلك مشقةٌ بلا حَظٍّ، أو في الآخرة: فلا استقلالَ للعقل في الآخرة. والله أعلم.

وللشكر فوائدُ عظيمةٌ منها:

التوفيق له، وهو أحد أنواع النعم، ولهذا جاء الحديث بالدعاء للإعانة عليه من دعاء النبي ﷺ بذلك، ومن الوصية به.

أخبرنا أبو هريرة عبدالرحمن بن محمد بن الذهبي بقراءتي عليه، أخبرنا يحيى بن محمد بن سعد، أخبرنا الحسن بن يحيى بن الصبَّاح إجازة، أخبرنا عبدالله بن رفاعة سماعاً، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن القاضي، أخبرنا القاضي أبو الحسن الخَصِيب بن عبدالله بن محمد بن الخَصِيب إملاءً، حدثنا عبدالله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب، حدثنا خالد بن يزيد المكي، حدثنا ابن أبي ذئب، عن صفوان ابن سُلَيم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: اللهم أَعِنِّي على شُكْرك وذِكْرك وحسن عبادتك: فقد اجتهد في الدعاء»[١].

وأنبأنا الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المقدسي[٢] قال: أخبرتنا زينب ابنة الكمال أحمدَ بنِ عبد الرحيم بقراءتي عليها، عن عبد الرحمن ابن مكي، عن أبي طاهر أحمد بن محمد الحافظ. وقالت زينب: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الفهم اليَلْداني إجازة أيضاً، عن الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد سماعاً، أخبرنا أبو طاهر الحافظ سماعاً، أخبرنا أبو طالب أحمد بن أبي هاشم الكُنْدُلاني، أخبرنا أبو سعيد محمد ابن علي النقاش، أخبرنا عبدالله بن منصور بن محمد الكاغَدي

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخه» ٥:١٥٨ من طريق ابن أبي شعيب، عن خالد المكي، به، وخالد المكي ـ ويقال له خالد العمري أيضاً ـ كذَّبه ابن معين وأبو حاتم، كما في «الجرح والتعديل» ٣ (١٦٣٠).

(٢) هو المعروف بأبي بكر ابن المحب، أو: الصامت، وكانت وفاته سنة ٧٨٩، وعُمُر المصنف اثنتا عشرة سنة، فهو من متقدِّمي شيوخه.

بنيسابور، حدثنا إبراهيم بن محمد بن هَجْمُويه النَّصْرَاباذي، حدثنا أحمد ابن عاصم المصري الحافظ، حدثنا جعفر بن سليمان النَّوْفَلي، حدثنا عَتيق بن يعقوب، حدثنا عبدالله ومحمد ابنا المنذر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «من أحبَّ أن يجتهد في الدعاء فليقلْ: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[١].

وقال شيخنا الحافظ أبو بكر أيضاً: أخبرنا أبو بكر بن أحمد الضرير، قراءة عليه وأنا أسمع في محرَّم سنةِ ثمانَ عشْرةَ وسبع مئة، أخبرنا محمد ابن إبراهيم بن مُسَلَّم قراءة عليه وأنا حاضر في الخامسة، أخبرتنا شُهْدَة ابنة أحمد الكاتبة سماعاً، أخبرنا أحمد بن عبدالقادر بن محمد اليوسفي، أخبرنا أبو القاسم عبدالرحمن بن عبيدالله الحُرْفي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن سَلْمان الفقيه، أخبرنا أبو بكر عبدالله بن محمد القرشي، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا أبو معاوية وجعفر بن عون، عن هشام بن عروة، عن ابن المنكدر قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم أَعِني على شكرك وذكرك وحسن عبادتك»[٢].

وأخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن ابن الذهبي قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا يحيى بن محمد بن سعد، أخبرنا جعفر بن علي المقرىء قراءة

---

(١) عزاه في «كنز العمال» ٢: ٢٢٥ (٣٨٦٥) إلى ابن النجار من حديث عائشة رضي الله عنها، وانظر تمام تخريجه ص١٨٥.

(٢) يرويه المصنف من طريق ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤)، ورواه بزيادة في متنه ابن أبي شيبة ١٠: ٢٨٤ (٩٤٤٩) من طريق هشام، عن ابن المنكدر مرسلاً، ورواه عبد الرزاق ١٠: ٤٣٩ (١٩٦٣٢) عن معمر، وابن أبي شيبة ١٠: ٤٢٧ (٩٨٧٤) عن جعفر بن عون، كلاهما عن هشام بن عروة، عن أبيه مرسلاً أيضاً. وهو في «شعب الإيمان» ٤: ١٠٠ (٤٤١١) = ٨: ٣٥٨ (٤٠٩٨).

عليه وأنا في الخامسة، وأبو الحسن علي بن محمود ابن الصابوني وآخرون إجازةً قالوا: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ سماعاً، أخبرنا أبو عبدالله القاسم بن الفضل، حدثنا أبو بكر أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن جعفر القاضي إملاء في جُمادى الأولى سنة تسع وأربع مئة، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن جعفر بن أحمد بن فارس، حدثنا محمد بن محمد بن صخر، حدثنا أبو عبدالرحمن عبدالله بن يزيد المقرىء، حدثنا حَيْوَة، عن عقبة بن مسلم، عن أبي عبدالرحمن[1]، عن الصُّنَابحي، عن معاذ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ يوماً: «يامعاذ والله إني لأحبك» فقلت: بأبي أنت وأمي وأنا والله أحبك، قال: «يامعاذ لاتَدَعَنَّ أن تقول في دُبُر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

قال: فأوصى بذلك معاذٌ الصُّنَابحيَّ، وأوصى به الصُّنَابحيُّ أبا عبد الرحمن، وأوصى به أبو عبد الرحمن عقبةَ بنَ مسلم.

وأخبرنا الشيوخ المسنِدون: أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن محمد بن محمد المعظَّمي، وأبو العباس أحمد بن أبي العزِّ بن أحمد بن أبي العزِّ الثوري، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصوفي بقراءتي عليهم متفرقين قالوا: أخبرنا أحمد ابن الشُّحنة أبي طالب، والعفيف إسحاق بن يحيى الآمدي، قال الأول: أنبأنا جعفر بن علي المقرىء، وعبدالله بن عمر العَتَّابي قال جعفر: أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ سماعاً، وقال العتَّابي: أخبرنا أبو علي الحسن بن جعفر قراءة عليه ونحن نسمع، قال هو والحافظ: أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد البَرْقاني.

وقال الآمدي: أخبرنا يوسف بن خليل الحافظ، أخبرنا أبو سعيد

---

(١) هو أبو عبدالرحمن الحُبُلي، عبدالله بن يزيد المَعَافري، أحد الثقات.

خليل بن أبي الرجاء الرَّارَاني، وأبو الحسن مسعود بن أبي منصور قالا: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الحداد، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله، قال هو والبَرْقاني: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر البُنْدار، حدثنا ابن أبي العوام، حدثنا أبو عاصم، حدثنا حَيْوَة بن شُريح، عن عقبة بن مسلم، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن الصُّنَابحي، عن معاذ رضي الله عنه قال: لقيني النبي ﷺ فأخذ بيدي فقال: «يامعاذ إني أحبك» قلت: يارسول الله وأنا والله أحبك، قال: «أفلا أُوصيك بكلمات تقولهن في دُبُر كل صلاة! قل: ربِّ أَعِني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

تابعه أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي قال: حدثنا محمد بن أحمد ابن أبي العوام، حدثنا الضحاك بن مَخْلَد، فذكره.

وحدَّث به أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي في «معجم الصحابة» عن علي بن مسلم، عن أبي عاصم النبيل.

وخرَّجه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» عن عبد الله بن يزيد المقرىء، وخرَّجه أبو داود في «سننه» عن عبيد الله بن عمر بن ميسرة ـ هو القَوَاريري ـ عن عبد الله بن يزيد المقرىء، وخرَّجه النسائي في «سننه» عن يونس بن عبدالأعلى، عن ابن وهب، كلاهما عن حَيْوَة بن شُرَيح بنحوه.

وخرجه أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبو حاتم محمد بن حِبَّان في صحيحيهما وهو في «مستدرك الحاكم» وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ورواه أبو بكر أحمد بن محمد ابن السُّنِّي في كتابه «عمل اليوم والليلة» فقال: أخبرني محمد بن محمد الباهلي، حدثنا الحسن بن حماد، حدثنا يحيى بن يعلى ـ يعني القَطَواني ـ عن حَيْوَة بن شُرَيح ـ هو

أبو زُرعة المصري ـ فذكره[(١)].

وروِّيناه من طُرُق غير ماذُكر.

والصُّنَابحي راويه عن معاذ هو أبو عبدالله عبدالرحمن بن عُسَيْلَة بن عِسْل بن عسَّال المرادي، منسوب إلى صُنَابح بن زاهر، بطن من مُراد، رحل من اليمن إلى النبي ﷺ فلم يُدركه، لأن النبي ﷺ قُبِض والصنابحي قد وَصَل إلى الجُحْفَة فقدم المدينة بعد خمسة أيام من وفاة النبي ﷺ، فهو تابعي[(٢)] ووقعت روايته عن النبي ﷺ في «سنن ابن

(١) اشتهر وصحَّ هذا الحديث عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه، فهو في «المسند» ٥: ٢٤٤ـ٢٤٥، ٢٤٧، و«سنن أبي داود» ٢: ١٨٠ (١٥٢٢)، و«عمل اليوم والليلة» من «سنن النسائي الكبرى» ٦: ٣٢ (٩٩٣٧)، وفي «سننه الصغرى» ٣: ٥٣ (١٣٠٣)، وابن خزيمة ١: ٣٦٩ (٧٥١)، وابن حبان ٥: ٣٦٤ـ٣٦٥ (٢٠٢٠، ٢٠٢١) والحاكم ١: ٢٧٣، وعبد بن حميد ص٧١ (١٢٠) من «المنتخب» والطبراني «الكبير» ٢٠: ٦٠، ١١١، ١٢٥ (١١٠، ٢١٨، ٢٥٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» ص١٠٦، ١٦٣ (١١٨، ١٩٩)، وابن أبي الدنيا (١٠٨)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٤: ٩٩ (٤٤١٠) = ٨: ٣٥٦ (٤٠٩٦). والموضع الأول عند ابن السني هو الذي ذكره المصنف، والثاني لم يذكره.
واشتهر الحديث بأنه من المسلسلات القولية، يقول كل راو لمن بعده: وأنا أحبك فقل، كما تسلسل بالفعل: بالأخذ باليد، ففي الرواية الأولى من «المسند» ورواية أبي داود والنسائي: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد معاذ وقال له. . . ، فهو من الأمثلة على التسلسل القولي والفعلي.
وأرويه بإسناد جيد مسلسلاً بكليهما عن شيخنا العلامة المحدث الشيخ عبد الله الصديق الغماري رحمه الله، بإسناده.

(٢) قال المصنف رحمه الله في (الأوراق المشوشة): «وهو غير الصُّنَابِحِ الصحابيِّ رضي الله عنه. وللحديث شاهد عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وعائشة أم المؤمنين».

قلت: تقدم حديث أبي سعيد وعائشة، وبقي حديث أبي هريرة، وهو في =

ماجه» فهي مرسلة(١).

شهد الصُّنَابحي فتح مصر، ونزل دمشق، وبها توفي رضي الله عنه.

= «المسند» ٢: ٢٩٩، قال الهيثمي ١٠: ١٧٢: «رجاله رجال الصحيح غير موسى بن طارق وهو ثقة» لكنه من غير تحديد أن يكون دُبُر الصلاة، ومثله رواية «المستدرك» ١: ٤٩٩ وصححه، ووافقه الذهبي مع ماتجده في ترجمة خارجة بن مصعب السرخسي في «الميزان»، وإن كان هذا لايؤثِّر على الحديث، فقد سلم إسناد أحمد منه. وروي الحديث عن ابن مسعود من غير تحديد أيضاً، رواه البزار ـ ٤: ٥٨ (٣١٨٩) من «كشف الأستار» ـ وقال الهيثمي ـ الموضع السابق ـ: «رجاله رجال الصحيح غير عمرو بن عبدالله الأودي، وهو ثقة».

والصنابح الصحابي: هو الصنابح بن الأعسر الأحمسي. وأما هذا فتابعي كما قال هنا، ويكنى أبا عبد الله كما قال المصنف، وكما في بعض الروايات التي ستأتي في التعليقة الآتية، ووقع خطأ مطبعياً في «تهذيب الكمال» ١٧: ٢٨٣: أبو عبيد الله، وقد يذكر في بعض الروايات: عبد الله دون أداة الكنية.

ووهَّم البخاري مالكاً في ذلك، والكلام طويل في تحرير المسألة، وللسراج البُلقيني جزء في هذا سماه «الطريقة الواضحة في تمييز الصنابحة» ذكره في كتابه «محاسن الاصطلاح» ص٤٤٩، ٦٢٦، وفي «الإصابة» ترجمة الصنابح ابن الأعسر تلخيص وضابط مفيد للتمييز بينهما، وانظر رحلة ابن رُشَيد «ملء العيبة» ٥: ٤٥ـ ٥٩ و «فتح المغيث» ١: ٢٣٨.

(١) هما حديثان، الأول: رواه مالك في «الموطأ» ١: ٣١ (٣٠) عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن الصنابحي، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه، وإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه..». ومن طريقه النسائي في «الكبرى» ١: ٨٦ (١٠٦)، ورواه ابن ماجه ١: ١٠٣ (٢٨٢) عن سويد بن سعيد، عن حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، به. والثاني: رواه مالك أيضاً ١: ٢١٩ (٤٤) بالإسناد السابق أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان، فإذا ارتفعت فارقها..» ـ ومن طريقه النسائي ١: ٤٨٢ (١٥٤٢) ـ وعبد الرزاق ٢: ٤٢٥ (٣٩٥٠) عن معمر، عن زيد بن أسلم، به، ومن طريقه ابن ماجه ١: ٣٩٧ (١٢٥٣).

ومما قلته في معنى الحديث نظماً، نجعله لِمَا ذكرناه ختماً، وهو:

أوصيكمُ بالذِّكْر ياإخوتاهْ ذكرِ الإله الحقِّ فيه النجاةْ
خصوصاً المأثورَ فهو الذي قبولُه يُرجَى لمن قد رجاه
ومنه ما أَوصَى معاذاً به نبيُّنا صلى عليه الإله
بدعوةٍ جامعةٍ للغنى يدعو بها الرحمنَ دُبْرَ الصلاة
إعانةِ الربِّ على ذكْره وشكْره معْ حُسْنِ فرضٍ قضاه
فادعوا بهنَّ الله فهو الذي يعطي ولايمنع عبداً دعاه
سبحانه من ماجدٍ واجدٍ ربِّ الورى لاربَّ حقاً سواه

آخره، ولله الحمد

وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلَّم

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٩ ـ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

في هذه الآية الشريفة معانٍ عظيمةٌ وحِكَمٌ لطيفةٌ، منها: أن الله تعالى ذكَّر عباده نِعَمه وإحسانه، وعرَّفهم ببعض الآيةِ امتنانَه، كما ذَكَر ذلك في آيات كثيرة من القرآن، ليشكُروه على ما أنعم، وليعبدوه كما أمر وعلَّم، وليبعثَهم ذِكْرُ نِعَمه على محبته ـ والله أعلم ـ لأن القلوب جُبِلت على حبِّ مَن أحسن إليها.

ومن الآيات المشار إليها قولُه تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً، والسماء بناءً، وصوَّركم فأحسن صُوَرَكم، ورزَقَكم من الطيباتِ﴾ الآية.

ومنها: هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾. وهذه النعمة التي امتنَّ الله بها على المؤمنين، وأحسنَ إليهم أجمعين، أعظمُ نعمةٍ أنعم بها عليهم، لأن نعم الله الظاهرة دائرةٌ بين أمرين:

أحدهما: يتعلَّق بأمور الدنيا.

والثاني: بأمور الدين.

ويرجِعان إلى المبدأ والمعاد، ولم يحصل العلمُ بذلك، وكيفيةُ العمل بما شُرع أمراً ونهياً وغيرِ ذلك، إلا من جهة نبينا محمد عليه

أفضل الصلاة والسلام ؛ فلولاه ما عُرِف الهدى من الضلال، ولاالحرام من الحلال، ولا قواعدُ العقائد أصلاً وفرعاً، ولا شعائرُ الشرائع نقلاً وشرعاً، ولاأمرُ المعاد ومافيه من الأخطار: كالحشر والنشر، والجزاء والقصاص، والجنة والنار، وكيف طريقُ السلامة في الدنيا، والنجاة يوم القيامة، مما بيَّنه النبي صض لهذه الأمة، فأيُّ نعمةٍ أعظمُ من بعثة هذا النبيِّ، نبيِّ الرحمة، الذي عُرف كل ذلك من قِبَله واعتُمِد عليه، وحصلت سلامة المؤمنين ونجاتهم على يديه ؟!.

ولعظم هذه النعمة التي هي أجلُّ الإنعام، أخبر الله تعالى عنها مؤكَّدة باللام فقال تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾، ولم يذكر سبحانه اسماً من أسمائه الحسنى في هذه الآية سوى هذا الاسم الشريف وهو (الله) إشارة - والله أعلم - إلى أنه لما كان قدْر هذا الرسول عظيماً ذكر مرسلُه سبحانه اسمَه الأعظمَ الدالَّ على العظمة حين ذكَر مَنَّهُ ببعثته في المؤمنين رسولَه محمداً، كما قال في الآية الأخرى: ﴿محمدٌ رسول الله، والذين معه أشداءُ على الكفار رُحَماءُ بينهم﴾.

وأيضاً أهل الملل الذين يعتقدون الصانع، وأنه الله، يعلمون أن النِّعم كلَّها من الله، فذَكَر الربُّ سبحانه عند ذِكْر نعمته ببعثة رسوله محمدٍ ﷺ اسمَه الذي هو (الله) ليعلَم المؤمنُ والكافرُ أن بعثة هذا الرسول من نِعَم الله الذي جميعُ النِّعَمِ منه. قال الله عز وجل:

﴿قلْ مَن ربُّ السمواتِ السبع وربُّ العرشِ العظيم ؟ سيقولون: الله، قل أفلا تتقون * قلْ مَن بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ وهو يُجيرُ ولايُجارُ عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون: الله، قلْ فأنَّى تُسْحَرون * بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون * ما اتخذَ الله مِن وَلدٍ وما كان معه مِن إلهٍ، إذاً لذهبَ كلُّ إلهٍ بما خَلَق ولَعَلا بعضُهم على بعض، سبحان الله عما يَصِفون * عالمِ الغيبِ والشهادةِ فتَعَالى عما يُشرِكون﴾.

وهذا الاسم الشريف وهو (الله) أول أسماء الله الحسنى ذِكْراً، وأجمعُها للمعاني، وأدلُّها على الإلهية، وأثبتُها للربوبية، ولم يسمَّ به أحدٌ سوى الله.

قَبَضَ الله تعالى القلوب عن التجاسر على إطلاق هذا الاسم الشريف على غيره سبحانه، فلم يُطْلَقْ على أحدٍ سواه، لامن قبلُ ولامن بعدُ، مع كثرة أعداء الدين، ومعارضة بعضهم للقرآن.

والعلماء مختلفون هل هو مشتقٌ، أو هو كالأسماء الأعلام موضوعٌ غيرُ مشتق؟ على قولين.

فكثير من الأئمة الورِعين أَلجمتْهم هيبةُ هذا الاسم وعظمتُه عن التماس علم اشتقاقه من لغة العرب، وأجمعوا على تعظيمه بالاتفاق.

وعن أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفَرَاهِيديِّ الأزْديِّ روايتان، إحداهما: أنه اسم علمٍ غير مشتق، ولايجوز حذف الألف واللام منه، كما يجوز من الرحمن الرحيم.

وهذه أشهر الروايتين عن الخليل، وقد بَلَغَنا أنه رُئي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غَفَر لي بقولي في اسم الله تعالى إنه غير مشتق[١].

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ: وأكره أن أذكر جميع

---

(١) لم أر هذا الخبر في مصدر آخر، إنما رأيت الآلوسي ذكره في «روح المعاني» ١: ٥٧ تعليقاً عن الإمام الأشعري والله أعلم. وهذا القول عليه جمهور أهل العلم من مختَلِف فنونهم، ففي «البحر المحيط» ١: ١٤ أنه مذهب الأكثرين، وخصهم الرازي في «تفسيره» ١: ١٦٢ بأكثر الأصوليين والفقهاء، وتبعه الآلوسي وزاد أنه مذهب الأشعريِّ وغالب أصحابه، ونسبه ـ تبعاً للقرطبي في تفسيره ١: ١٠٣ ـ إلى الشافعي وإمام الحرمين والخطابي، وزاد: سيبويه والمازني وابن كيسان، ومحمد بن الحسن.

ما قال النَّحْويون في اسم الله جلَّ وعزَّ أعني قوله (الله) تنزيهاً لله جلَّ وعزَّ. قاله في كتابه «معاني القرآن»[(١)] ولم يتعرَّضْ لشيء من الكلام في اشتقاقه.

ولما حَكَى البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» القولين في اسم الله عز وجل، والأقوالَ عن القائلين بالاشتقاق، قال[(٢)]: وأَحَبُّ هذه الأقاويل إليَّ قولُ مَنْ ذهب إلى أنه اسم علم، وليس بمشتق كسائر الأسماء المشتقة، والدليلُ على أن الألف واللام من بُنْيَة هذا الاسم ولم يَدخُلا للتعريف: دخولُ حرف النداء عليه كقولك: يا الله، وحرفُ النداء لايجتمع مع الألف واللام للتعريف، ألا تَرَى أنك لاتقول: يا الرحمن، ولا يا الرحيم كما تقول ياالله، فدلَّ أنهما من بُنْيَة الاسم، والله أعلم. انتهى قول البيهقي.

وعند أكثر العلماء أن اسم الله الأعظم هو (الله)[(٣)].

---

(١) ١: ٤٣، وكذا «معاني أسماء الله الحسنى» له ص٢٥، لكن انظر ٥: ١٥٢ من «معاني القرآن».

(٢) صفحة ٣٥، ونقل قبله كلام الإمام الخطابي فانظره فيه، أو في كتاب الخطابي نفسه «شأن الدعاء» ص٣٠ـ٣٥، وهو وغيره سَلَفُ البيهقيِّ وغيره في ترجيح ماتراه.

(٣) اشتهر هذا القول، وجابر بن زيد هو أبو الشعثاء الأزدي، من التابعين، وكانت وفاته سنة ٩٣ أو ١٠٣. وممن قال بذلك الإمام الأعظم، أسنده إليه الطحاوي في «مشكل الآثار» ١: ١٦١، وهو أقدم من رأيته بحث هذه المسألة، وقال الخطابي في «شأن الدعاء» ص٢٥: «جاء في بعض الروايات أن اسم الله الأعظم: الله». فإن كان مراده بالروايات الأحاديث المرفوعة وصحَّ النقل: تعيَّن المصير إليه. وانظر جزء المصنف «التنقيح في حديث التسبيح» ص١٠٤ فما بعدها، و«مصنَّف ابن أبي شيبة» ١٠: ٢٧١.
وانظر كتاب «الدعاء» للطبراني ٢: ٨٣١ـ٨٣٥ (١١٣ـ١٢٠). وللإمام الفخر الرازي كلام مسهب في شرح أسماء الله الحسنى له من صفحة ٩٢ـ١٠٣، =

قال جابر بن زيد: اسم الله الأعظم هو الله، ألم تَرَوْا أنه يُبدأ به في القرآن قبل الأسماء كلها.

وقال وكيع بن الجراح: رأيتُ رجلاً في المنام له جناحان، قلت: من أنت؟ قال: مَلَك، قلت: مااسم الله الأعظم؟ قال: الله، قلت: وما بيانُ ذلك؟ قال: قوله لموسى: ﴿إنني أنا الله﴾ ولو كان اسمٌ أعظمَ منه لقاله له.

وخرَّج أبو نعيم الأصبهاني في كتابه «حِلية الأولياء»[1]، وأبو الحسن علي بن جَهْضَم في كتابه «بهجة الأسرار»[2] ـ واللفظ له ـ من طريق أحمد بن أبي الحَوَارِيْ، حدثني أبو اليَمَان الحمصي قال: كان لنا شيخٌ يقال: إنه كان يعرف اسم الله الأعظم، فأتيته فقلت له: يا عمٌّ قد بلغني أنك تعرف اسم الله الأعظم، فقال: يابن أخي أَتعرف قلبك؟ قال: قلت: نعم. فقال: إذا رأيتَه قد أقبل، وخَشَع ورَقَّ، ودمعتْ عينك فاسأل الله عند ذلك حاجتَك، فهو اسم الله الأعظم.

قلت: إن أنعمتَ النظرَ في هذا الأثر، وجدت الشيخَ المسئولَ قد صرح لأبي اليمان، بالاسمِ الأعظمِ العظيمِ الشان، ويكفيك من التفسير،

= واستطرد لذلك الحافظ في «الفتح» ١١: ٢٧٤ـ٢٧٥ فجمع الأقوال مع أدلتها بإيجاز، وتبطَّن كلامه السيوطي في «الدر المنظم» المطبوع آخر الجزء الأول من «الحاوي»، وللسيد علي بن حسن العطاس الحضرمي المتوفى سنة ١١٧٢ جزء «خلاصة المغنم في الاسم الأعظم» ذكره الأستاذ الزركلي في ترجمته من «الأعلام» ٤: ٢٧٥، وأنه مطبوع، ولم أقف عليه، وفي «تحفة الذاكرين» للشوكاني ص ٦٥ـ٦٧ مايستفاد، لكنه ذكر أن في تعيينه «أربعين قولاً قد أفردها السيوطي بالتصنيف» مع أن السيوطي ذكر عشرين قولاً فقط!.

(١) ١٠: ١٦٣ ترجمة أبي اليمان. وفي رسالة السيوطي خبر نحو هذا عزاه لأبي نعيم عن أبي سليمان الداراني، ولم أره في ترجمته في «الحلية».

(٢) انظر عن الكتاب ومؤلفه «سير أعلام النبلاء» ٧: ٢٧٥ ومصادر ترجمته هناك.

النظر إلى الضمير، لكنه وَرَّى ـ والله أعلم ـ بالكلام الذي قدَّم، غيرةً منه على كشف الاسم الأعظم.

ولهذا الاسم الشريف من الخصائص اللفظية والمعنوية مالا يُحصَى، وقد افتتِحتْ به البسملة أولَ القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

ذكر بعض المفسرين أنه لما نَزَل قوله تعالى: ﴿بسم الله﴾ وقع الخلق في الفَزَع والهيبة، فلما نزل قوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم﴾ استقرُّوا وسَكَنوا، وذاك لأن من معاني اسم الله الجلالَ والعظمة، ومعنى الرحمن الرحيم، رحمة الله التي عمَّت الخلق في الدنيا، وتعمُّهم في الآخرة. قال الله عز وجل: ﴿ورحمتي وَسِعتْ كلَّ شيء﴾ فهي في الدنيا عامة، وفي الآخرة تختص الرحمة بالمؤمنين.

وجاء ذكر رحمة الرحمان في أحاديثَ، منها الحديثُ السابقُ ذكرُه الذي رَوَيناه من طُرُق خمسة، وهذه طريق سادسة:

أخبرنا الشيخ عبد الرحمن بن محمد القَنَواتي المتقِن، وهو أول حديث سمعته منه يومَ جمعةٍ بمنزلي، أخبرنا محمد بن أحمد الفارقي، وهو أول حديث سمعته منه وأنا شاهد، أخبرنا علي بن أحمد الغَرّافي بالثَّغر، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا محمد بن أحمد البغدادي من القَطِيعة، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو الحسين عبد الحق ابن يوسف، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا جعفر بن أحمد، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا عبيد الله بن سعيد البكري[١]، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا حمزة بن أبي محمد بنيسابور، وهو أول

---

(١) هو أبو نصر السجستاني ـ أو: السِّجزي ـ الوائلي، المتوفى سنة ٤٤٤، وكأنه اشتهر وكثر دوران حديث الأولية عليه، فعرَّفه به الذهبي في «السير» ١٧: ٦٥٥.

حديث سمعته منه بقراءتي عليه، أخبرنا أحمد بن محمد البِلالي، وهو أول حديث سمعته منه سنة ثلاثين ومائتين، حدثنا عبد الرحمن بن بِشْر العَبْدي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته من سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهمُ الرحمن تبارك وتعالى، اِرحَموا أهل الأرض يرحمْكم من في السماء».

هذا أحد الوجوه الثلاثة التي رُوي هذا الحديث عليها: «الراحمون يرحمهم الرحمن»، والثاني: «يرحمهم الله»، والثالث: «يرحمهم الرحيم». والمشهور الأول.

وقد تقدم بعض الكلام على سنده وعلى متنه.

ومن الأول أيضاً: أن الحديث يدخلُ في باب (المزيد في متصل الأسانيد) لأنا رَوَيناه من طريق أبي سعيد أحمد بن محمد ابن الأعرابي، حدثنا الحسن بن محمد الزَّعفراني، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن أبي قابوسَ، عنِ ابنٍ لعبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، يبلُغُ به النبيَّ ﷺ، فذكره.

فقوله «عن ابن لعبد الله»: هو زيادة رجل مبهم، فيدخل الحديث في نوع المبهمات في أحدِ قسميْها، ويدخل في باب المزيد في متصل الأسانيد، وهو من أحد أقسامه، لأنها إما أن يكون المزيدُ صواباً وغيرُه خطأً، أو خطأً وغيرُه صوابٌ، أو يكون كلٌّ منهما صواباً. وصورته: أن يسمع الرجل حديثاً من شيخٍ عن آخر، ثم يَلْقَى الرجلُ شيخَ شيخِه، فيسمعَ منه ماحُدِّث به عنه، فتارة يرويه بنزول، وتارة يرويه بعلوّ، وكلاهما صحيح.

ومن القسم الثاني: رواية ابن الأعرابي للحديث الذي رَوَيناه، فالمزيد في إسناده خطأ، لأن لفظةَ «عن ابن لعبد الله» تصحيفٌ، كانت

«عن مولى»، فصحِّفت.

وهذه علة للحديث لكنها غير قادحة، فلا تأثير لها في الحديث، ولهذا لما رَوَى الحافظ أبو عبدالله الذهبي هذا الحديث[١] من طريق ابن الأعرابي حذف لفظةَ «عن ابن» فلم يذكرها، وقال بعدُ فيما وجدته بخطه: صُحِّف «مولى» عن «ابن»؟! وإذا كان كذلك يجوز حذفه من الرواية إذْ لم نَحذِف رجلاً من السند، وإنما حذفنا زيادة لاتفيد، فاعلم ذلك. انتهى.

وهذا من بعض الكلام على سند الحديث.

وقد رَوَيناه في هذا المجلس لأجل ذكر اسم الله عز وجل (الرحمن)، وأن الله تعالى موصوف بالرحمة.

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه «أسماء الله عز وجل وصفاته الواردة في الكتاب والسنة» فقال في قسم الأسماء التي تتبع إثبات التدبير لله سبحانه دون ماسواه[٢]: ومنها الرحمن الرحيم. قال الله عز وجل: ﴿الرحمنُ * علَّم القرآنَ * خَلَق الإنسانَ * علَّمه البيان﴾ وقال تعالى: ﴿قُل ادْعُوا الله أوِ ادْعُوا الرحمنَ﴾ وقال تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ وقال في فاتحة الكتاب: ﴿الرحمنِ الرحيمِ﴾ وقال: ﴿حم * تنزيلٌ من الرحمن الرحيم﴾ وقال في فواتح السور [غير التوبة]: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. ثم ذكر البيهقي كلام الخطابي الذي قاله في كتابه في «الدعاء ومعاني أسماء الله تعالى»[٣] وهو ما أنبأنا غير واحد، منهم: أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد بن ريان[٤]

---

(١) في جزئه «العذب السلسل في الحديث المسلسل» والله أعلم.

(٢) «الأسماء والصفات» ص٦٩، ومابين المعقوفين زيادة منه، وتقدم هذا النقل في المجلس٦ ص١٤٥.

(٣) المطبوع باسم «شأن الدعاء»، والنص الآتي تجده فيه ص٣٥ـ٣٨.

(٤) هكذا رسم في الأصل بالراء المهملة، لكن دون علامة إهمال على الراء، =

الطائي، عن زينب ابنة أحمد، أن عبد الخالق بن الأنجب أخبرها كتابةً من مارِدين، عن أبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهروي، أخبرنا أبو نصر بن أبي طاهر الحداد سماعاً، أخبرنا عبد الوهاب بن أبي سهل الأديب، أخبرنا الإمام أبو سليمان حَمْد ابن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البُسْتي الشافعي رحمه الله، قال:

اختلف الناس في تفسير الرحمن ومعناه، وهل هو مشتقٌّ من الرحمة أم لا، فذهب بعضهم إلى أنه غير مشتق، واحتج بأنه لو كان مشتقاً من الرحمة لاتَّصلَ بذكر المرحوم، فجاز أن يقال: الله رحمان بعباده، كما يقال: رحيم بعباده، فلما لم يَستَقِمْ صلته بذكر المرحوم، دل على أنه غير مشتق من الرحمة، قال[١]: ولو كان هذا الاسم مشتقاً من الرحمة لم يُنكره العربُ حين سمعوه، إذْ كانوا لاينكرون رحمة ربهم، وقد حكى الله عنهم الإنكار له والنفور عنه في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن، قالوا وماالرحمن؟﴾ الآية.

وزعم بعضهم أنه اسم عبراني[٢].

= وجاء في «لحظ الألحاظ» ص٣١٨ وهو يعدِّد شيوخ المصنف: بن زيان، بالزاي المعجمة.

(١) أي: البعضُ المحكيُّ مذهبه.

(٢) الكلام مايزال متصلاً للخطابي، ولم يسم القائل، ونسبه القرطبي في «تفسيره» ١٠٤:١ إلى المبرِّد، نقلاً عن ابن الأنباري في «الزاهر» وإلى ثعلب (أحمد ابن يحيى) نقلاً عن الزجَّاج في «معاني القرآن». أما ابن الأنباري فرأيته في «الزاهر» ٥٩:١ كما قال، وأما الزجاج فلم أر في مظان المسألة شيئاً من مطبوعة «معاني القرآن».

واستدل المبرِّد على ماذهب إليه ببيتين لجرير، الشاهد في ثانيهما ـ وليس في مطبوعة دار الكتاب العربي لعام ١٤١٣، ورقم القصيدة ٢٨٨ ـ وهو:

أو تتركون إلى القَسَّيْن هجرتكم ومَسْحَكم صُلْبَهم رحمان قربانا

هكذا في «تفسير القرطبي» و «الزاهر»: رحمان ـ بالحاء المهملة ـ وبه يضيع =

وذهب الجمهور من الناس إلى أنه مشتقٌ من الرحمة، مبنيٌّ على المبالغة، ومعناه ذو الرحمة الذي لانظيرَ له فيها، ولذلك لايُثنَّى ولايُجمع كما يُثنَّى الرحيم، ويجمع. وبناءُ فَعْلان في كلامهم للمبالغة، يقال لشديد الامتلاء: ملآن، ولشديد الشبع: شبعان، ويدل على صحة مذهب الاشتقاق في هذا الاسم حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

حدثناه أحمد بن عبد الحليم الكُريزي وعبد الله بن شاذان الكُرَاني قالا: حدثنا محمد بن يحيى بن المنذر القَزَّاز، حدثنا حجَّاج بن المِنْهال، حدثنا حماد بن سَلَمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، أن أباه رضي الله عنه عاد أبا الرَدّاد، فقال له أبو الردّاد: ما أحدٌ من قومي أوصلُ لي منك، قال عبد الرحمن رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربه عز وجل «أنا الرحمن، وهي الرَّحِم، شَقَقتُ لها من اسمي، فمن وَصَلها وصلتُه، ومن قطعها قطعتُه ثم أَبُتُّه»[١]. اللفظ للكُرَيزي.

فالرحمن: ذو الرحمة الشاملة [التي] وسعتْ الخلقَ في أرزاقهم وأسبابِ معاشهم ومصالحهم، وعمَّتْ المؤمن والكافر، والصالح والطالح.

وأما الرحيم فخاص للمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين

= الشاهد، لكن جاء في «الدر المصون» ١: ٣٤: رخمان قربانا، وهكذا أثبته العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى في تفسيره «التحرير والتنوير» ١: ١٦٩ وأكد ذلك فقال: «الرواية بالخاء المعجمة». وبه يصح المراد والاستشهاد. وقد نَسَب هذا القول إلى ثعلب عدد من الأئمة، منهم الإمام الفخر الرازي في شرحه على أسماء الله الحسنى، واستدل له بأربعة أدلة، وأجاب عنها، واستدل لمذهب الأكثرين، فانظره ص١٦٤ـ١٦٦.

(١) انظر تخريجه فيما تقدم ص ١٤٧.

رحيماً﴾.

وبالإسناد إلى الخطابي قال[1]: ويقال إن الرحمن خاصٌ في التسمية، عامٌ في المعنى، والرحيم عام في التسمية، خاصٌ في المعنى.

والذي حكاه الخطابي ولم يسمِّ قائلَه: هو ما حكاه أبو القاسم الحسن ابن محمد بن حبيب المفسِّر[2]، عن عبد الرحمن بن يحيى أنه قال: الرحمن خاصٌ في التسمية، عامٌ في الفعل، والرحيمُ عامٌ في التسمية، خاصٌ في الفعل.

وكأن هذا إشارة إلى أن الرحمن اسم من أسماء الله تعالى لايُدْعَى به غيره، وليس لأحد أن يتسمَّى به إلا الله، كما دلّ القرآن على ذلك بقوله تعالى: ﴿قلِ ادْعُوا الله أوِ ادْعُوا الرحمنَ﴾، فهذا خصوصية في التسمية، وقد رُوي عن إسرائيل، عن سِمَاك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿هل تعلمُ له سَمِيّاً﴾ قال: لم يسمَّ أحد الرحمن غيرُه[3].

ومعنى الرحمن عام [في الفعل][4] لأنه يرحم الراحمين من عباده.

وأما الرحيم: فعام في التسمية[5]، لقوله تعالى في وصف نبيه

---

(١) صفحة ٣٩.

(٢) ونقله عنه مشافهة البيهقي في «الأسماء والصفات» ص٧٢. وأبو القاسم هذا كانت وفاته سنة ٤٠٦، وهو شيخ الثعلبي المفسِّر، والسَّهمي صاحب «تاريخ جرجان» وله ترجمة عنده ص١٨٨، وفي «معجم الأدباء» ٣:٩٩٦، و«السِّيَر» ١٧:٢٣٧، و «الوافي» للصفدي ١٢:٢٣٩ مع مصادر ترجمته في التعليق عليها. ومن طُرَف مؤلفاته «عقلاء المجانين» المطبوع قديماً وحديثاً.

(٣) تقدم تخريجه صفحة ١٤٨ من المجلس السادس، وهذا تفسير لقوله «الرحمن خاص في التسمية».

(٤) زياة مني للتوضيح.

(٥) أي: يجوز إطلاق هذا الاسم على الله عز وجل، وعلى غيره.

ﷺ: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾، وتقول العرب: كنْ لي رحيماً، فهذا العموم في التسمية.

وأما الخصوص في المعنى: فجاء عن عكرمة وغيره أن الرحمن برحمة واحدة، والرحيم بمائة رحمة، إشارة إلى رحمة الرحيم في الآخرة وأنها هناك مختصَّة بالموحِّدين[1]، فالرحيم عام في التسمية، خاص في المعنى.

هذا الذي عليه الجمهور، لكنه قد جاء أن الله عز وجل رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وذلك فيما رُوِّيناه في «جزء أبي القاسم إبراهيم بن محمد المعاديلي»: حدثنا أبو الحسن محمد بن عمر الذهبي، حدثنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق، حدثنا أبو داود، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن وهب، أخبرني حفص بن ميسرة، عن موسى بن عقبة، عن عطاء بن [أبي][2] مروان، عن أبيه، أن كعباً حلف له بالذي فَرَق البحر لموسى عليه السلام أن في التوراة ثلاثةَ أملاكٍ أُمِروا إذا قال أحدٌ من العباد راهباً أو راغباً: بسم الله، قال له: هُدِيتَ، ثم يقول: توكلت على الله، قال الثاني: كُفِيت، ثم يقول: لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، قال الثالث: حُفِظت.

ثم إن كعباً حَلَف له بالذي فَرَق البحر لموسى أن في التوراة: أن الرب عز وجل يَستجيبُ للعبد عند نزول القَطْر، ويستجيب له عند السَّحَر، وعند السجود، وعند الفِطْر، وفي السَّحَر تُفْتحُ أبواب السماء لكل داعٍ راهب أو راغب.

وقال: إن كعباً حَلَف له بالذي فرق البحر لموسى: أن في التوراة:

---

(١) كما قال تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾.

(٢) زيادة مني، وعطاء وأبوه من رجال «التهذيب». وقد وضع المصنف رحمه الله فوق كلمة «بن» علامة توقف، فنبَّهني بها إلى مراجعة اسم الرجل.

أن عبداً من عباد الله عندما يقول: اللهم يافارجَ الهمِّ، وياكاشفَ الغَمِّ، ومجيبَ دعوةِ المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمَهما أنتَ ارحمني رحمةً تُغْنيني بها عن رحمة مَن سواك، واقْضِ عني دَيني، واكبِتْ عدوّي: إلا كُفِيَ ذلك كلَّه.

وهذا الدعاء جاء مرفوعاً في الحديث المأثور في الدعاء لقضاء الدَّيْن، وإسناده واهٍ جداً، ومن ألفاظه ـ وهو موافق لمذهب الجمهور ـ ما قال أبو بكر ابن أبي عاصم: حدثنا حُميد بن كاسب، حدثنا أنس بن عياض، عن يونس بن يزيد الأيْلي، عن الحكم بن عبد الله، عن القاسم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ أبو بكر رضي الله عنه فقال: هل علَّمكِ رسولُ الله ﷺ دعاءً علَّمَنيه؟ كان عيسى ابن مريم عليهما السلام يعلِّمه أصحابَه ويقول: لو كان على أحدكم جبلُ ذهبٍ ثم دعا به قضاه الله عنه، «اللهم فارجَ الهمِّ، كاشفَ الغمِّ، مجيبَ دعوةِ المضطرين، رحمن الدنيا ورحيمَ الآخرة ورحيمَهما، ارحمني رحمةً تُغنيني بها عن رحمة مَن سواك».

خرَّجه أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في كتابه «الدعوات» من طريق ابن أبي عاصم، والحكمُ بنُ عبد الله هو الأيْلي ـ يقال له: ابن خُطَّاف، ويقال: هما اثنان[1]، كان ابن المبارك شديدَ الحمل عليه،

---

(١) وهو الصواب، فابن خُطَّاف هو أبو سلمة العاملي، من رجال «التهذيب»، أما الأيلي فكنيته أبو عبد الله، وقد فرَّق بينهما الذهبي في «الميزان» ١: ٥٧٢ (٢١٧٩، ٢١٨٠) وقرَّب احتمال كونهما واحداً، فتعقبه الحافظ في «اللسان» ٢: ٣٣٣ بقوله: «الصواب عندي التفرقة» ونقل عن ابن عساكر أيضاً التفرقة بينهما وقال: «هما اثنان بلا شك». وكلاهما تالف هالك متهم.
وقول المصنف «لكن حديثه هذا في الترغيب في الدعاء» يستفاد منه، أو يحفظ عليه، فهو في هذا القول يشبه صنيع المنذري في «الترغيب والترهيب». والكلام طويل. وقد أبعد المصنف النُّجعة بإخراجه الحديث من رواية الواحدي له أو ابن أبي عاصم، فالحديث في«المستدرك» ١: ٥١٥ من =

ورُمي بالكذب، لكنْ حديثُه هذا في الترغيب في الدعاء، وفيه جملةٌ من آدابه، منها: تمجيدُ الربِّ سبحانه، والثناءُ عليه، وهذا أول آداب الدعاء الواردة في السنة الشريفة، وقد جمعتُها في أبياتٍ نختم بها مجلسنا هذا، وهي:

= طريق يونس بن زيد، عن الحكم، به، وذكر في آخره أنه كان على أبي بكر دين فدعا به، فقضاه الله عنه، وكذلك عائشة، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح، غير أنهما لم يحتجا بالحكم» فتعقبه الذهبي بأن الحكم ليس بثقة.
ورواه البزار أيضاً ـ «كشف الأستار» ٤: ٥٢ (٣١٧٧) ـ من طريق أنس بن عياض، عن يونس، به، وضعَّفه بالحكم وقال: «إنما ذكرنا إذ لم نحفظه عن غيره، وقد حدَّث به أهل العلم على مافيه».

وروى الطبراني في «معجمه الصغير» ١: ٣٣٦ (٥٥٨) محل الشاهد منه هنا، عن أنس، أنه ﷺ علَّم معاذاً دعاء لقضاء الدين، وفيه «رحمن الدنيا والآخرة» وهو بهذا اللفظ في «مجمع الزوائد» ١٠: ١٨٦، و«مجمع البحرين» ٨: ٤٤ (٤٦٧٩)، وقال عنه الهيثمي: «رجاله ثقات»، وذكره المنذري في «الترغيب» ٢: ٦١٤ وقال عنه إسناده جيد، لكن في مطبوعته زيادة «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما»؟.

وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٠: ٤٤١ (٩٩١٥) عن عبد الرحمن بن سابط قال: كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات ويُعظمهنَّ: «اللهم فارج الهمّ، وكاشف الكرب، ومجيب دعوة المضطرين، ورحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، ارحمني اليوم رحمة واسعة تغنيني بها عن رحمة من سواك» وهو صحيح مرسل.

ويلاحظ أن في الرواية التي أخرجها المصنف: «رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ورحيمهما» وفيهما تكرار وزيادة كلمة «ورحيم» وقد خَلَت رواية الحاكم منها، فلفظه: «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما».

وقد قال ابن جرير رحمه الله تعالى في «تفسيره» ١: ٥٦: «ربُّنا جل ثناؤه رحمن جميع خلقه في الدنيا والآخرة، ورحيم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة» إلى آخر كلامه.

بتمجيدٍ ابدأْ، صلِّ، ثلِّثْ: تَضَرَّعَنْ
أَلِحَّ بِسَرّا[١] طاهراً وقتَ نافعِ

ومستقبِلاً بالحلِّ جاز، ومعرِباً
دَعِ السَّجعَ، بالمأثور شرِّك وجامعِ

وأَمِّنْ، ولاتَعْجَلْ، مع الرَّفع، وامسحنْ
فهذي شروطٌ في دعاءٍ لطائعِ

* * *

(١) بِسَرّا: أصلها: بسرّاء، فقصرها لضرورة الشعر.

بسم الله الرحمن الرحيم

-١٠-

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

تقدم الكلام على بعض مافي هذه الآية الشريفة من المعاني والأحكام، وهي من جوامع آيات القرآن، القائمِ خطابُه في كل عصر وأوان، وكيف ماتُدُبِّر مافيه وأُثير، ظهرتْ معانيه لمتأمِّليه على التحرير.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الشرف أبي عبد الله محمد بن المحتسِب مشافهةً بالإجازة، أنبأتنا أم الحسن فاطمة ابنة سليمان بن عبد الكريم، عن أبي البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله، أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله سماعاً، أخبرنا أبو المعالي محمد بن إسماعيل بن محمد الفارسي قراءةً عليه، أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا هارون بن سليمان الأصبَهاني، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن مرَّة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا أردتم العلم فأَثِيروا القرآن، فإن فيه علمَ الأولين والآخرين.

وإذا تدبَّرنا قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ الآيةَ، ظهر لنا كثير من أنواعِ علومها المأخوذةِ من منطوقها ومفهومها.

فمن منطوقها: ثناء الله تعالى على من بَعث فيهم رسولَه محمداً خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وذلك إذْ وَسَمهم بالإيمان، وأعلم بنعمِهِ عليهم بالامتنان، وذكر بعضَ ماأحسن إليهم، وبيَّن عدةَ

مما أنعم به عليهم، فقال عز وجل: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ الآية.

ومن مفهومها: الإشارةُ إلى القضاء السابق في اللوح المحفوظ بإيمان مَن بَعَث فيهم رسولَه ﷺ، إذْ سماهم قبلَ البعثة مؤمنين، باعتبار ماقضاه وقدَّره، وفي اللوح المحفوظ قبل إخراجهم إلى الوجود سطَّره، فقال تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ قال: ﴿على المؤمنين﴾ للبيان بقضائه السابق لهم بالإيمان، وهذا من بعض فضل الله عليهم والامتنان.

والمؤمنون المصدِّقون واحدهم مؤمن، والمؤمن: من اعتقد بقلبه دينَ الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك، ونطقَ بالشهادتين مع القدرة على النطق بهما. فهذا يُحكَم بأنه من أهل القِبلة ولايخلَّد في النار، كما حكاه شيخ الإسلام أبو زكريا النواوي رحمة الله عليه عن اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين[1].

ولايشترط في المؤمن الذي اعتقد بقلبه التوحيدَ ونَطَقَ بالشهادتين أن يقول مع ذلك حين يُسلم: وأنا بريء من كل دين يخالفُ دينَ الإسلام إلا إذا كان من كفارٍ يعتقدون اختصاصَ رسالة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام إلى العرب، فهذا لايُحكَم بإسلامه إذا نطق بالشهادتين حتى

---

(١) «شرح صحيح مسلم» ١: ١٤٩ـ ونحوه ٢١٩ـ في شرح حديث جبريل، وتعقَّبه العلامة ابن حجر المكي رحمه الله في شرح الحديث نفسه من «شرحه على الأربعين النووية» ص٦٦ بقوله: «وأما ماوقع في «شرح مسلم» للمصنف من نقله اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلَّداً في النار: فمعترَضٌ بأنه لا إجماع على ذلك، وبأن لكل من الأئمة الأربعة قولاً أنه مؤمن عاصٍ بترك التلفظ، بل الذي عليه جمهور الأشاعرة وبعض محققي الحنفية ـ كما قاله المحقق الكمال ابن الهمام وغيره ـ أن الإقرار باللسان إنما هو شرط لإجراء أحكام الدنيا فحسب».

يقول: وأنا بريء من كل دين يخالف دين الإسلام، وقد شرط بعضهم قول ذلك على كل كافر يدخل في الإسلام، وليس العمل على هذا.
والله أعلم[١].

---

(١) إلى هنا كلام النووي، وقد حدَّد في كلامه هناك مَن (البعض) الذي شرط ذلك بأنهم من أصحاب الشافعي، ونقل المصنف هذا الكلام في مجلس آخر، جاء في الأوراق المبتورِ أولُها، وزاد عن النووي ـ بتصرف ـ مايحسن إلحاقه هنا، فقال: «بقي مالو اقتصر على أول الشهادتين ولم يقل «محمد رسول الله» فالمشهور من المذهب ومذاهب العلماء أنه لايكون مسلماً، ومِن الأصحاب وغيرهم مَن قال: يكون مسلماً بنطقه بالشهادة الأولى ويطالَب بالشهادة الثانية، فإن أبى جُعل مرتداً، واستدلَّ قائلو هذا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لاإله إلا الله، فإذا قالوها عَصَموا مني دماءَهم وأموالَهم. .» الحديثَ.
ولادليل فيه لهذه المسألة لأمرين:
أحدهما: أن الحديث عند الجمهور محمولٌ على قول الشهادتين معاً، واستغنيَ بذكر إحداهما عن الأخرى لارتباطهما وشهرتهما.
والثاني: أن الحديث جاء مقيَّداً بالشهادتين، فيحمل ذاك المطلَق على هذا المقيَّد، وهو ماصحَّ عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» الحديثَ.
وإذا صار العبد من المؤمنين بما قدَّمناه هل يجوز أن يقول عن نفسه: أنا مؤمن من غير استثناء؟ ـ أي من غير أن يقول: إن شاء الله ـ.
فالمختار جواز ذلك من غير استثناء. وقيل: لايقول أنا مؤمن إلا مقيَّداً بقوله: إن شاء الله.
وذهب الأوزاعي وخلقٌ ـ وهو قول أهل التحقيق ـ إلى جواز الأمرين معاً، فمن أَطلق نظر إلى الحال، وأن أحكام الإيمان جارية عليه حينئذ.
ومن قيَّده بالاستثناء يكون إما للتبرك، كقوله في حديث السلام على أهل المقابر: «وإنا إن شاء الله بكم للاحقون».
وإما لاعتبار العاقبة المغيَّبة عن الإنسان ولايدري بما يُختَم له. وهذا القول =

= بالتخيير ـ كما قاله الإمام أبو زكريا النووي رحمة الله عليه ـ حسن صحيح نظراً إلى مأخذ القولين الأولين(*).

نعم، وفي قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ ولم يقل: إليهم رسولاً، إشارةٌ ـ والله أعلم ـ إلى رفع العذاب عن المؤمنين وبشارةٌ لهم بذلك، لقوله تعالى: ﴿وماكان الله ليعذِّبهم وأنتَ فيهم وماكان الله معذِّبهم وهم يستغفرون﴾ رُوي أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «قد أنزل الله عز وجل عليّ أمانَيْنِ لأمتي» ثم تلا: ﴿وماكان الله ليعذِّبهم وأنتَ فيهم، وماكان الله معذِّبهم وهم يستغفرون﴾ «فإذا مضيتُ تركتُ فيكم الاستغفار» (**).

وهذا من بعض النعمة التي امتن الله بها على المؤمنين وأشار إليها بقوله تعالى: ﴿وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾. وقد وصفه الله بالرأفة والرحمة في قوله تعالى: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾، ومن ألقابه عليه أفضل الصلاة والسلام: نبي الرحمة ونبي المَرْحَمَة،(***) ووُصفت أمته بأنها أمة. . . . =

(*) إلى هنا انتهى النقل ـ بتصرف ـ عن النووي رحمه الله.

(**) سيأتي تخريجه ص٣٨٩.

(***) أما «نبي الرحمة» ﷺ: فهو في حديث دعاء صلاة الحاجة، المعروف بحديث توسل الأعمى، وذكرته في التعليق على ص١٤٤، وأما «نبي المرحمة»: فقد جاء ذلك في حديث أبي موسى الذي ذكرته هناك من «صحيح مسلم» ٤: ١٨٢٨ (٢٦) ولفظه «أنا محمد، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة». قال القاضي عياض في «المشارق» ١: ٢٨٥: «كذا للسجزي، ولغيره: المرحمة». وقال النووي في«شرحه» ١٥: ١٠٦ بعدما شرح «المقفِّي»: «وأما نبي التوبة والرحمة والمرحمة: فمعناها متقارب. .» فتكون هذه الإضافة منه إشارة إلى رواية غير السجزي. ولهذا نسب الزرقاني في «شرح المواهب» ٣: ١٨٣ الحديث إلى رواية مسلم جزماً ولم ينبه إلى شيء. وساق السيوطي في «الرياض الأنيقة» ص٢٤ حديث أبي موسى بإسناده من طريق أبي داود الطيالسي بلفظ مسلم الذي ذكرته ـ مع أنه =

= مرحومة(*)، وقال الله تعالى: ﴿رحماء بينهم﴾. وأوصاهم بالتراحم وحثَّهم على الرحمة في أحاديثَ كثيرة وأخبار خطيرة، منها قوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن» وقد رويناه قبلُ من طرق ستة وهذه طريق سابعة:

أخبرنا الشيخان الصالحان العالمان النجْم أبو الصبر أيوبُ بن سعيد بن عَلَوي ابن شاكر بن علوي بن مرهوب الخالدي الشافعي، والصلاح أبو المحاسن يوسف بن علي الحنبلي بقراءتي عليهما متفرِّقَيْن، وهو أول حديث سمعته من كلٍّ منهما، قالا: أخبرتنا أم محمد ستُّ العرب ابنة محمد بن علي، وهو أول حديث سمعناه منها قالت: أخبرنا جدّي أبو الحسن علي بن أحمد السعدي، وهو أول حديث سمعته منه حضوراً، أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد الحساني، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبدالباقي بن محمد البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، حدثني القاضي أبو =

في مطبوعة الطيالسي ص٦٧: نبي الملحمة ـ ثم إنه في ص٢٦٢ ذكر «نبي المرحمة» وأحال على حديث أبي موسى المتقدم، فكأن ما جاء فيه ص٦٧: «نبي الرحمة» تحريف عن: نبي المرحمة. والله أعلم.

ثم إن السيوطي قال في ص ٢٦٢: «المرحمة هي الرحمة». لكنهم قالوا: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

(*) ورد هذا الوصف للأمة المحمدية في حديث رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «إن أمتي مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب..» وله ألفاظ متعددة، أشير إلى الأماكن التي ورد فيها الوصف فقط. فهو في «سنن أبي داود» ٤:٤٦٨ (٤٢٧٨)، و «مسند أحمد» ٤:٤١٨، وفي إسنادهما المسعودي، وهو مختلط.

ورواه أحمد ٤:٤٠٨ من طريق أبي سعيد النصري ـ بالنون ـ وهو مجهول.

وهو في «المعجم الصغير» ١:٢٦ (٥) و «مسند عمر بن عبد العزيز» بتحقيقي (٦٢) وإسناد كل منهما حسن. =

= الحسن علي بن المفرج بن عبدالرحمن السقلي(*)، من لفظه بمكة في المسجد الحرام تُجاه الكعبة زادها الله شرفاً وتعظيماً وكرامةً، وهو أول حديث سمعته منه، حدثني أبو نصر عبيد الله بن سعيد الحافظ، وهو أول حديث سمعته منه ، أخبرنا أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلّبي، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه سنة ثلاثين وثلاث مئة، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته من سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

هذا حديث مشهور من حديث سفيان بن عيينة رواه عنه طائفة كثيرة أكثرهم بغير تسلسل، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» ومحمد بن عباد المكي، ومحمد بن أبي عمر العَدَني، وعبدالله بن الزبير الحميدي، وأبو بكر عبد الله بن أبي شيبة، ومحمود بن آدم، ومسدَّد بن مُسَرْهَد، وهارون بن معروف.

لكن الحديث على شهرته فرد، لم يروه عن أبي قابوسَ غيرُ عَمرو بن دينار، ولاعن عَمرو سوى سفيان بن عيينة فيما نعلم.

فهذا هو من الأفراد، والأفراد في الحديث على أقسام تَرجِع إلى قسمين:=

= ورواه من حديث أنس بن مالك ابن ماجه ٢:١٤٣٤ (٤٢٩٢) وفيه ضعيفان.

ورواه الحاكم ٤:٢٥٤ من حديث رجل من الأنصار، وصححه ووافقه الذهبي، مع أن الراوي عن الأنصاري ـ وهو ابنه ـ مبهم غير مسمى.

(*) كذا بخطه وعلى السين علامة الإهمال، وهو وجه اسم إلى صقلّـيّة، كما قاله ياقوت، والمشهور بالصاد: الصقلّي، ويجوز في الصاد والقاف كسرهما وفتحهما.

= مطلق ومقيَّد، فمن أقسامه: تفرُّد أهل بلدةٍ بحديث أو بسنة، وهذا قد صنَّف فيه أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني صاحبُ «السنن» مصنفاً، وتعرَّض في سننه إلى أحاديثَ من هذا الضرب، كأنْ يقال: هذا حديث تفرد به أهل مكة، أو هذه سنة تفرد بها أهل البصرة.
ومن الأفراد: زيادات الثقات، وهو ماينفرد بالزيادة ثقة عن غيره.
منها: ماليس له إلا إسناد واحد، وقد صنَّف فيه أبو الحسن الدارقطني مصنفاً حافلاً، وجعل له أبو عبد الله محمد بن طاهر المقدسي أطرافاً، و «معجم الطبراني الأوسط» في الأفراد. ويدخل فيها الشاذ، والمنكر، والغريب، فإن انفرد به ثقة متقن غيرُ مخالف لغيره فهذا حديثُه الذي انفرد به صحيح أو حسن يحتجُّ به، ومنه أفراد الصحاح، ويسمَّى غرائب الصحاح، كحديث النهي عن بيع الوَلاء وعن هِبته، تفرَّد به عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقد استفاض ممن دون عبدالله بن دينار إلينا. ومن هذا القسم: هذا الحديثُ فإنه مرويّ من طرق إلى سفيان بن عيينة، وقد انفرد به عن عمرو، كما انفرد عمرو عن أبي قابوس، وهذا التفرد لايقدحُ في الحديث، لأن سفيان وشيخَه عَمراً ثقتان متقنان جبلان في الحفظ والثقة والإتقان، ولأبي قابوس متابع على حديثه رَوَيناه(*) في مسندي أحمد بن حنبل وعبد بن حميد من حديث أبي خِداش حِبان بن زيد الشَّرْعَبي الحمصي أحد الثقات، عن عبد الله ابن عمرو بمعناه، وللحديث شاهد عن نيف وعشرين صحابياً: منهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم، ذكرتهم في كتابي «نفحات الأخيار في مسلسلات الأخبار».
وفي الحديث سنداً ومتناً فوائدُ أُخر، ذكرنا بعضها على سبيل التَّذكار لمن حضر، فقد أنبأنا الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله السعدي، أخبرنا أحمد بن أبي طالب البيّاني سماعاً، أنبأنا جعفر بن علي المقرى، أخبرنا أحمد بن محمد الأصبهاني الحافظ سماعاً، أخبرنا أبو الخطاب نصر بن أحمد، أخبرنا محمد بن أحمد بن رِزْقويه، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا جعفر بن=

(*) يريد الحديث الذي تقدم في ص٣٨: «ارحموا ترحموا. .».

والمؤمنون أقسام: منهم الملائكة، وهم على طبقات ومنازل.

ومنهم الإنس والجن، ومن الإنسِ: الأنبياءُ، وفيهم الرسل، وهم على درجات. قال الله تعالى: ﴿تلك الرسلُ فضَّلنا بعضهم على بعض منهم من كلَّم الله ورفع بعضهم درجات﴾.

ومنهم مَن دونهم مِن المؤمنين، كمؤمني الأمم المتقدِّمة، ومؤمني هذه الأمة المحمدية، وهم أمة الإجابة، وأفضلُهم مطلقاً الصحابةُ، وهم في قولِ المشارُ إليهم بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

والمؤمنون: أهل عصر النبي ﷺ، وكانوا على قسمين: قسم آمنوا به وحَصَلت لهم صحبته، وقسم كذلك في الإيمان، لكن فاتتْهم صحبته، وهم بعضُ المخضْرَمين[1].

والصُّحبةُ: عامةٌ، وخاصة، فالعامة: يدخل تحتها كل مَن صاحَبَ غيره، وإن اختلفا في جنس أو دين أو منزلة، يقال صَحِبه ـ بالكسر ـ يصحَبه ـ بالفتح ـ صُحبة ـ بالضم ـ وصَحابة ـ بالفتح ويكسر ـ: إذا

= شاكر، حدثنا ابن الغَلابي، حدثنا سعيد بن عامر، عن عوفٍ الأعرابي رحمة الله عليه أنه كان يقول لجلسائه: والله مانُعلِّمكم من جهالة، ولكنّا نذكركم بعض ماتعرفون لعل الله أن ينفعكم.

وبالتَّذكار تحصل المذاكرة، وبها حياة العلم النافع دنيا وآخرة.

وقد أنشدونا عن حافظ الإسلام وشيخ بلاد الشام أبي الحجاج يوسف بن الزكي المزي رحمه الله أنه أنشد لنفسه:

من حَازَ العلمَ وذاكَرَهُ ... صلُحَتْ دُنياهُ وآخرتُهْ
فأدم للعلمِ مذاكرةً ... فحياةُ العلمِ مذاكرتُهْ

آخره ولله الحمد وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً».

(١) هذا يتفق مع ماقالته السيدة عائشة: «هذه للعرب خاصة» رواه عنها البيهقي في «الشعب» ٢:٢٣٢ (١٦١٥) = ٤:٢٤٦ (١٥٠١) و «مناقب الشافعي» ١:٣٢، لكن انظر ماسبق من المصنف ص٥٧ فإنه أولى، لتعميمه.

عاشَرَه، فهو صاحب له، وجمعه صَحَابة - بالفتح - وأصحاب، وصَحْب، وصِحاب، وصُحْبان. هذا معناه لغةً.

وأما اصطلاحاً: فالصاحب - ويقال له الصحابي، وهو الأكثر -: مَنْ لقيَ النبيَّ ﷺ في حياته، بعد المبعث، من المسلمين، ممن يَعقِل، ثم مات مسلماً.

وقيل في تعريف الصحابي غير ذلك.

ومعرفة الصحابة من أوكد العلوم وأهمّها، وهو علم جسيم لايُعذر أحدٌ [ينسب إلى علم الحديث] بجهله، ولاخلافَ علمتُه بين العلماء أن الوقوف على معرفة أصحاب رسول الله ﷺ من أوكدِ علم الخاصة، وأرفع علم الخَبَر، وبه ساد أهل السِّيَر، ومأظن أهلَ دينٍ من الأديان إلا وعلماَؤهم معتنون بمعرفة أصحاب أنبيائهم، لأنهم الواسطة بين النبي وبين أمته. قاله أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البَر النَّمَري رحمة الله عليه[١].

ومن تبحَّر في معرفة الصحابة فهو حافظ كامل الحفظ. قاله الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري[٢].

وطريق معرفة الصحابي من وجوه، منها: التواتر، كصحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه المنصوصِ عليها في أعظمِ قولٍ وأحكمِ معنى، قال الله عز وجل: ﴿ثانيَ اثنين إذْ هما في الغار إذْ يقول لصاحبه لاتحزنْ إن الله معنا﴾.

وكذلك تواترُ صحبةِ بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، وآخرين،

---

(١) في مقدمة كتاب «الاستيعاب في أسماء الصحاب» ١ :٩-١٠ على حاشية «الاصابة».

(٢) في «معرفة علوم الحديث» آخر النوع السابع - معرفة الصحابة، صفحة ٢٥ القسم الرابع.

كابن مسعود، وأبي هريرة، وخَلْق من الصحابة.

ومن وجوه معرفة الصحابة: الاستفاضةُ، وهي دون التواتر، كضِمام ابن ثعلبة السَّعْدي، وآخرين.

ومنها: إخبارُ بعض المشهورين من الصحابة بصحبة غيره.

ومنها: إخباره عن نفسه بذلك، لكنْ بشرط أن يقتضيه الحال مع وجود الثقة والأمانة، فإن كانت الحال لاتقتضيه، أو ظهرَ كذبُ المخبِر فيما يدَّعيه، فلايقبل - والحالةُ هذه - إخبارُه بذلك، ولاخبرُ مَن ادعاه له من الهوالك، مثل:

رتَن شاهون بن جندريق الهندي البِتْرَنْدي[١]، وجعفر بن نُسطور الرومي، ويُسر بن عبد الله الخادم، ومُعَمَّر بن بُرَيْك، وفهر بن تميم الكلابي[٢]، وربيع بن محمود المارديني وأمثالهم، وقع لي منهم أحد وعشرون نفساً[٣] ذكرتهم مع نحوهم ممن ادعَى أو ادُعي له أنه تابعي، مع تراجمهم، وذكر شيء مما رَوَوْه في مؤلَّف سميته «كشف القناع عن

---

(١) هكذا جاء بخط المصنف وضبطه، لم أزد عليه، وفي مطبوعة «الإصابة»: رتن ابن ساهوك بن جكندريو، قال ابن حجر: «هكذا وجدته مضبوطاً مجوَّداً بخط من يوثق به، وضبطه بعضهم بقاف بدل الواو» يعني: جكندريق، بدل: جكندريو.

(٢) هكذا بخط المصنف أيضاً، وقد ذكره الحافظ في «الإصابة» - القسم الرابع - في حرف القاف: قيس بن تميم الطائي - نَسَباً - الكَيْلاني بلداً، نسبة إلى مدينة كَيْلان، لدخوله إياها.

(٣) وأوصلهم شيخنا العلامة الضليع المحقق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة حفظه الله تعالى في تعليقه على «المصنوع» للقاري ص٢٣٨-٢٤٦ إلى ستة وعشرين رجلاً، ويضاف إليهم موسى بن عبدالله الطويل، فإنه ورد اسمه ضمن نقوله الكثيرة، في صفحة ٢٤٠، في كلام للذهبي نقله عنه العراقي، فيكون عددهم سبعة وعشرين رجلاً، ولموسى هذا ترجمة في «الميزان» ٤: ٢٠٩، و«اللسان» ٦: ١٢٢.

حال من افترى الصحبة أو الاتباع».

وقد صنف في أسماء الصحابة وذِكْرِهم كثيرٌ من الأئمة مع إفاضتهم في عددهم تقليلاً وتكثيراً، وكلٌّ من الأقوال رَوَيناه مأثوراً. ومنها ماقال أبو الحسن محمد بن الحسين الآبُري السِّجْزِي الحافظ[1]: أخبرني محمد بن رمضان المصري، أخبرنا محمد بن عبد الحكم، أخبرنا الشافعي قال: قُبِض رسول الله ﷺ والمسلمون ثلاثون ألفاً بالمدينة، وثلاثون ـ يعني ألفاً ـ في قبائل العرب وغير ذلك.

ومِن أكثر ماقيل فيهم: ماقال القاضي أبو عبد الله أحمد بن إسحاق بن خَرْبان، أخبرنا الحسن بن بكر الوراق، حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد التُّستَري، أخبرنا محمد بن سعيد بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن عيسى الهمَذاني قال: قال أبو زرعة الرازي: توفِّي النبي ﷺ ومَن رآه وسمع منه زيادةٌ على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة، وكلٌّ قد رَوَى عنه سماعاً أو رؤية.

روي من طريق أخرى عن أبي زرعة ـ وقيل له: حديثُ النبي ﷺ أربعة آلاف؟ ـ فقال: ومَن قال ذا؟! هذا قول الزنادقة! ومن يُحصي حديث رسول الله ﷺ؟! قُبض رسول الله ﷺ عن مائة ألفٍ وأربعةَ عشَر ألفاً من الصحابة ممن رآه وسمع منه. قيل له: هؤلاء أين كانوا؟ وأين؟ ـ يعني يَسَعُهم ـ قال: أهل المدينة، وأهل مكة، ومَن بينهما من الأعراب، ومَن شهد معه حجة الوداع، كلٌّ رآه وسمع منه بعرفة[2].

---

(١) لعل هذا في كتابه «مناقب الشافعي». وأبو الحسن: هكذا بخطه، وهو كذلك في غير مصدر. وانظر ترجمته عند التاج السبكي ٣:١٤٧ مع التعليق عليه، و١: ٣٤٤ منه أيضاً.

(٢) قال الحافظ في مقدمة «الإصابة»: «قال ابن فتحون في «ذيل الاستيعاب» بعد أن ذكر ذلك: أجاب أبو زرعة بهذا سؤال من سأله عن الرواة خاصة، فكيف بغيرهم؟!». وقد نقل السخاوي أيضاً في «فتح المغيث» ٤ :١٠٨ـ١٠٩ كلمة =

وأولُ من جمع أسماء الصحابة فيما نعلم، مرتَّبين في الأسماء على حروف المعجم: أبو عبد الله البخاري، وهو قسم من أقسام «تاريخه الكبير»[١] ثم تبعه الناس في الجمع الموصوف، فبعضهم على الطبقات، وآخرون على الحروف، مابين مختصَر ومطوَّل، وأصل ومذيَّل، فأخصرُ مصنَّف في ذلك «كتاب الصحابة» تأليف أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي[٢]، ومن ذلك «معجمُ» أَبَوَيْ القاسمِ: عبدِ الله بن محمد البغوي، وسليمانَ بنِ أحمد الطبراني، و«معجم» أبي الحسين عبد الباقي ابن قانع بن مرزوق القاضي، و«معجم» أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين، و«كتاب المعرفة» لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منْده،

= ابن فتحون هذه وزاد عليه فقال: «وكذا لم يدخل في ذلك من مات في حياته ﷺ في الغزوات وغيرها».
هذا، وللحافظ العراقي في «التقييد والإيضاح» ص٢٦٤ وَقْفة في ثبوت هذه الكلمة عن أبي زرعة، وقد تعقبه فيها السيوطي في «التدريب» ٢ : ٢٢٠.

(١) لكن لفظ المصنف في «تحفة الإخباري بترجمة البخاري» ص١٨٣ : «أشار إليه في: التاريخ الكبير»، ولفظ ابن حجر في مقدمة «الإصابة»: «أولُ من عرفتُه صنف في ذلك أبو عبدالله البخاري، أفرد في ذلك تصنيفاً، فنقل منه أبو القاسم البغوي وغيره»، وانظر لزاماً آخر مقدمة «فتح الباري»، فإنه زاد هذا المعنى تأكيداً، وأفاد أن للبخاري كتاباً آخر في الصحابة الذين ليس لهم إلا حديث واحد. و «التاريخ الكبير» مطبوع وليس فيه قسم مفرد لذلك، نعم يذكر أول كل حرف منه من سمِّي من الصحابة بهذا الاسم، ثم يُتبعهم بأسامي كبار التابعين، ثم بمن دونهم، وهكذا، تطبيقاً لاسمه الذي سماه به، وهو «كتاب الطبقات والتاريخ» كما تجده في «تصحيفات المحدثين» ١ : ١١٦.
ثم، إنه يبدو لي أن البخاري مسبوق في التأليف في الصحابة، ففي «فهرست ابن النديم» ص١١٢ ضمن مؤلفات الهيثم بن عدي: «من روى عن النبي من أصحابه». وكانت وفاة الهيثم سنة ٢٠٧، وهو من الأئمة الأخباريين على مافيه من جرح شديد.

(٢) طبع ببيروت سنة ١٤٠٦، وفيه ذكر ٧٢٨ صحابياً.

و«المذيَّل» عليه لحفيده أبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب، و«التتمة» على ذلك لأبي موسى محمد ابن أبي بكر المديني، و«كتاب المعرفة» لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، وكتاب «الاستيعاب لأسماء الأصحاب» لأبي عمر بن عبد البَر، والمذيَّل عليه[١] وغير ذلك من المؤلفات في أسمائهم، وكذلك المؤلفات في مسانيدهم كـ «مسند» الإمام أحمد بن حنبل، ومن ذلك التواريخ: كـ «تاريخ» أبي بكر أحمد ابن أبي خيثمة.

ومِن أجمع مؤلَّف أُفرِد للصحابة كتاب «أُسْد الغابة» للعلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أثير الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري، وجرّده الحافظ أبو عبد الله الذهبي باختصارٍ وزيادةِ صحابةٍ كثيرة في كتاب سماه «تجريد الصحابة»[٢].

وهم على طبقات كما تقدم[٣]، منها: أنهم طبقتان سابقون، وغير سابقين، ذكر الله تعالى الطبقتين في القرآن، فقال عز وجل: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورَضُوا عنه وأعدّ لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين

---

(١) لابن فتحون الأندلسي المتوفى سنة ٥١٩. وفي مقدمة كتاب «معرفة الصحابة» لأبي نعيم ذكر الدكتور محمد راضي (٥٨) كتاباً في هذا الصدد، وفاته أشياء حتى من «الرسالة المستطرفة»!.
وفاتَ المصنفَ وابنَ حجر وغيرهم أن يذكروا ممن ألَّف في الصحابة: الإمام أبا جعفر ابن جرير الطبري رحمه الله، فإن له جزءاً في «أسماء من روى عن النبي ﷺ» نقل عنه المزي في «تهذيب الكمال» ٣٤:٢٧٨ ترجمة أبي مروان الأسلمي، ووصْف المزي له بالجزء يشير إلى أنه مثل أو أصغر من كتاب الترمذي.

(٢) ثم جاء الحافظ ابن حجر رحمه الله فألف كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» فأربى على من تقدَّمه.

(٣) صفحة ٦٠، وما هنا تكرار له.

فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾.

ومراتب السابقين تسع: الأولى: كأبي بكر الصديق، وأم المؤمنين خديجة، ومن كان في حَجر النبوة ونشأ فيها كالذريَّة الطاهرة، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة رضي الله عنهم.

والمرتبة الثانية: كعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وبلال بن رَبَاح رضي الله عنهم.

الثالثة: أصحاب دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي رضي الله عنه، التي بمكة عند الصفا، وكانوا تسعة وثلاثين صحابياً، وبإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه كمَّلوا أربعين، جمعهم في مصنف يذكر تراجمهم ومايتعلق بهم الإمام أبو القاسم سعيد بن يعقوب بن شاه الكُشَاني، سمَّى مصنفه «السراج».

المرتبة الرابعة: مهاجِرة الحبشة. الخامسة: أصحاب العَقَبتين من الأنصار.

السادسة: من أدرك النبي ﷺ بقُباءَ لما نزلها في الهجرة قبل أن ينتقل إلى المدينة.

السابعة: من صلى القِبلتين مع النبي ﷺ.

الثامنة: أهل بدر. التاسعة: أهل بيعة الرضوان.

وبهم انقطع السابقون، وقد شُهِدَ لهم بأنهم من أهل الجنة لايدخلون النار.

أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن الذهبي الدمشقي، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن الشيخ عمر بن الشيخ القدوة أبي بكر ابن قَوام البالسي، وأبو الحسن علي، وأم محمد زينب: ولدا الفخر عثمان بن محمد بن الشمس لولو الحلبي، وأمُّ عبد الله زينبُ ابنةُ الإمام أبي محمد عبد الله بن الإمام أبي أحمد

عبدالحليم بن تيمية الحرانيةُ، بقراءتي على الأول بجامع كَفْر بَطْنا من الغُوطة، وعلى الثاني بزاوية جدِّه من سفح قاسيون، وعلى الأخوين بجامع بيت لِهْيا، وعلى ابنة تيمية بمنزلها داخل دمشق، قالوا: أخبرنا أبو العباس أحمد ابن أبي طالب الدُّيْرمقرني ـ قال عليّ وابنةُ تيمية: حضوراً، وقال الباقون: ونحن نسمع، زاد أبو هريرة فقال: وأخبرنا عيسى بن عبد الرحمن السِّمْسار الصالحي قراءةً عليه وأنا حاضر في الثالثة، وأجاز لي مايرويه، وأبو الفضل سليمان بن حمزة الحاكم، وأبو بكر بن أحمد ابن عبدالدائم المقدِسيان إجازة ـ قالوا سوى ابن عبد الدائم: أخبرنا أبو المُنَجَّا عبدالله بن عمر العَتَّابي، وقال الحاكم أيضاً وابن عبد الدائم: أخبرنا الحسين بن المبارك الزَّبيدي قراءةً عليه قال القاضي[١]: وأنا حاضر، وابن عبدالدائم: وأنا أسمع ـ قالا: أخبرنا عبد الأول بن عيسى السِّجْزي، أخبرنا محمد بن أبي مسعود الفارسي، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الهَرَوي، أخبرنا عبدالله بن محمد البَغَوي، حدثنا العلاء بن موسى البغدادي، أخبرنا الليث بن سعد المصري، عن أبي الزبير المكي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «لايدخل أحدٌ ممن بايع تحت الشجرةِ النارَ». هذا حديث حسن صحيح، قاله الترمذي بعد أن خرَّجه في «جامعه» كما خرجه أبو داود، والنسائي من حديث الليث بن سعد[٢].

وقال مسلم في «صحيحه»[١]: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا محمد بن رمح، أخبرنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه أن عبداً لحاطب جاء رسولَ الله ﷺ يشكو حاطباً فقال: يارسول الله ليدخلَنَّ حاطبٌ النارَ ! فقال رسول الله ﷺ: «كذبتَ،

---

(١) هو سليمان بن حمزة الحاكم نفسه، انظر ص٦٢.

(٢) تقدم تخريجه في ص٦٣، و«كذبت» معناه: أخطأتَ. وانظر الاستدراك ص٤٧٧.

لايدخلُها فإنه شهد بدراً والحُدَيبيَة».

لم يخرج البخاري ـ والله أعلم ـ حديث الليث الذي تقدم لعلّةٍ هي من باب المزيد في الأسانيد[١]، لكنها لاتقدح، وهي رواية جابر رضي الله عنه هذا الحديثَ عن أم مبشِّر، وهي بنتُ البراء بن مَعْرور الأنصارية الصحابية زوجُ زيد بن حارثة رضي الله عنهم.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي عبد الله بن المحتسِب إجازةً إن لم يكن سماعاً، أخبرنا أبو الفضل سليمان بن حمزة الحاكم سماعاً في صفر سنة تسع وسبع مئة، أخبرنا أبو الوفاء محمود بن إبراهيم العبدي وأختاه أسماء وحُميراء كتابةً قالوا: أخبرنا أبو الخير محمد بن أحمد بن الباغْبان سماعاً، أخبرنا إبراهيم بن محمد الطيان، وأبو بكر محمد بن أحمد السمسار، وأبو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق ابن منده قراءة عليهم وأنا أسمع قالوا: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد[٢]. . .، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله، حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله، عن أم مبشر رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة: «لايدخُلُ أحدٌ من أهل الشجرة الذين بايعوني تحتها النار إن شاء الله» فقالت: بلى! فانتهرها رسول الله ﷺ، فقالت: إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وإنْ منكم إلا واردها، كان على ربك حتماً مقضياً﴾! قال رسول الله ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا ونَذَر الظالمين فيها جِثِيًّا﴾.

تابعه ابن جريج، عن أبي الزبير.

---

(١) تقدم تعريفه أيضاً صفحة ٦٣.

(٢) كلمات غير واضحة أبداً، وأما أبو إسحاق هذا فهو المعروف بلقبه: خُرَّشيذ قُوله، وله ترجمة في «السِّيَر» ١٧: ٦٩.

أنبأنا الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المقدسي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفخرِ عليٍّ، وزينبُ ابنةُ الكمال أحمدَ، وحبيبةُ ابنةُ الزَّينِ عبد الرحمن المقدسيون قراءةً عليهم وأنا أسمع قالوا: أخبرنا محمد بن نصر بن أبي الفرج بن الحُصري إجازة ـ زادت زينب فقالت: ومحمد بن عبد الكريم بن السيِّدي كتابةً ـ قالا: أخبرنا أبو الفتح عبيد الله بن عبد الله بن شاتِيل قراءة عليه ونحن نسمع، قال ابن الحصري وأنا حاضر، أخبرنا أبو هاشم عيسى بن أحمد بن محمد الدُّوْشابي[١] سماعاً، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن البُسري، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان، أخبرنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس، حدثنا أحمد بن عبيد الله النَّرْسي، حدثنا حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: أخبرتْني أمُّ مبشِّر رضي الله عنها أنها سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «لايدخلُ النارَ إن شاء الله أحدٌ من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها». قالت حفصة رضي الله عنها: بلى يارسول الله! فانتهرها! فقالت حفصة: ﴿وإنْ منكم إلا واردُها كان على ربك حتماً مقضياً﴾! فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيّاً﴾».

حدَّث به الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» عن حجاج كذلك[٢].

وخرَّجه مسلم في الفضائل عن هارون بن عبدالله، والنسائي في التفسير عن هارون والحسن بن محمد، كلاهما عن حجاج بن محمد، به[١].

وقال أبو السَّري هنّاد بن السَّرِي في «كتاب الزهد»[٣]:حدثنا أبو

---

(١) تقدم صفحة ٦٤ أنه نسبة إلى الدوشاب، وهو الدِّبْس في العربية.

(٢) «المسند». ٦: ٤٢٠، وهو فيه من وجه آخر ٦: ٣٦٢.

(٣) ١: ٣٢٧ (٢٣٣).

معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة رضي الله عنهم قالت: قال ﷺ : «إني لأرجو أن لايدخل النارَ ـ إن شاء الله ـ أحدٌ شهد بدراً والحديبية» قال: فقلت: يارسول الله أليس الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾؟ قال: أفلم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾؟...[١].

والمشهور أنه من مسند أم مبشر الأنصارية. وعلى المشهور ماقال أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في «كتاب المعرفة»[٢]: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن الصبَّاح، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشِّر رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل النارَ أحدٌ شهد بدراً والحديبية».

وقال محمد بن سعد في «الطبقات الكبرى»[٣]: أخبرنا إسماعيل بن عبدالكريم الصنعاني، حدثني إبراهيم بن عَقيل بن مَعْقِل، عن أبيه، عن وهب بن منبِّه قال: سألت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنا أربعَ عشْرةَ مائةً، فبايعتُه[٤] تحت الشجرة وهي سَمُرَةٌ، وعمرُ رضي الله عنه آخِذٌ بيده، غيرَ جَدِّ بن قيس اختبأ تحت إبط بعيره!.

وسألته: كيف بايعوه؟ قال: بايعناه على أن لانَفِرَّ، ولم نبايعْه على الموت.

---

(١) كلمات على الحاشية غير واضحة أبداً.

(٢) ١:١٢٥ (١٢٦).

(٣) ٢:١٠٠.

(٤) في المطبوع: فبايعناه.

وسألته: هل بايع النبيُّ ﷺ بذي الحُلَيفة قال: لا، ولكنْ صلَّى بها ولم يبايع عند الشجرة، إلا الشجرةَ التي بالحديبية، ودعا النبي ﷺ على بئر الحديبية، وإنهم نحروا سبعين بدنةً بين كل سبعةٍ منهم بدنةٌ.

قال جابر: وأخبرتْني أم مبشِّر رضي الله عنها أنها سمعت النبيَّ ﷺ عند حفصة رضي الله عنها يقول: «لايدخلُ النارَ إن شاء الله أصحابُ الشجرة الذين بايعوا تحتها». قالت حفصة: [بلى يارسول الله، فانتهرها! فقالت حفصة:][1] ﴿وإنْ منكم إلا واردُها كان على ربك حَتْماً مقضياً﴾ فقال النبي ﷺ: «قال الله عز وجل: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيّاً﴾.

ورواه الحافظ أبو علي الحسين بن داود المِصِّيصي سُنَيْد في «تفسيره» فقال: وحدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمعَ جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: كنا في يوم الحديبية أربعَ عشْرةَ مائةً، فبايعْنا رسولَ الله ﷺ وعمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه آخِذٌ بيده تحت الشجرة، وهي سَمُرَة، فبايعناه غيرَ الجَدِّ بن قيس اختبأ تحت بطن بعيره! قيل لجابر: هل بايع النبيُّ ﷺ بذي الحُلَيفة؟ قال: لا، ولكنه صلَّى بها ولم يبايع تحت الشجرة إلا الشجرةَ التي عند الحديبية. قال أبو الزبير: قلت لجابر: كيف بايعوا ؟ قال: بايعناه على أن لانفرَّ، ولم نبايعه على الموت.

الجَدُّ بن قيس: من بني سَلِمة، وكان سيدَهم في الجاهلية، فجعل النبي ﷺ سيدَهم عمرو بن الجَموح، وكان الجَدُّ يُزَنُّ بالنفاق[2]، وقيل: إنه تاب وحسن إسلامه، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه[3].

---

(١) زيادة مما تقدم ص٦٥، ومن «الطبقات الكبرى».

(٢) أي: يتَّهم بالنفاق.

(٣) حكى هذا (القيل) ابن عبد البر في «الاستيعاب» ١:٢٥١ـ على حاشية «الإصابة» ـ وعنه ابن الأثير في «أسد الغابة» ١:٣٢٧، وابن حجر أيضاً، في =

وقد اختُلِف في عدَّة أهل الحديبية التي كانت بيعة الرضوان تحت سَمُرة من شجرها على أقوال، فقيل: بضع عشرة مائة، من غير تعيين، كما صحَّ من حديث عروة بن الزبير، عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة ومروان بن الحكم، يزيد أحدهما على صاحبه قالا: خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضعَ عشْرةَ مائة من أصحاب النبي ﷺ. الحديث[١].

وقيل: كانوا ألفاً وثلاث مئة كما علّقه البخاري في «صحيحه» فقال: وقال عبيد الله بن معاذ: حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، حدثني عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاث مئة وكانت أسلمُ ثُمُنَ المهاجرين.

تابعه محمد بن بشار: حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة[٢].

= القسم الأول، وفي «صحيح مسلم» ٣:١٤٨٣ (٦٩) قال جابر: «كنا أربع عشرة مائة، فبايعناه.. غير جَدّ بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره»، فنسبه أنصارياً، ولو كان بقي على نفاقه لما جعله من الأنصار، وهو من أعرف الناس به، لأنه ابن أخت الجدّ بن قيس.

وقول القاضي البيضاوي رحمه الله في الحديث الذي رواه الترمذي ـ وحسنه ـ ٥:٦٥٣ (٣٨٦٣): «ليدخلن الجنةَ مَن بايع تحت الشجرة إلا صاحبَ الجمل الأحمر»: «قيل هو الجدّ بن قيس» ـ كما في «تحفة الأحوذي» ١٠:٣٦٦ ـ يخالفه جزم علي القاري في «المرقاة» ١١:٤٣١ بأنه عبدالله بن أُبيّ رئيس المنافقين.

لكن يُنظر سبب نزول قول الله تعالى في سورة التوبة ـ الآية ٤٩ ـ: ﴿ومنهم من يقول ائذنْ لي ولاتَفْتِنّي، ألا في الفتنة سقطوا، وإن جهنم لَمحيطةٌ بالكافرين﴾، فقد اتفقت الروايات على أنها نزلت في الجدِّ، وكان ذلك يوم غزوة تبوك التي هي من آخر غزوات النبي ﷺ.

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي ـ باب غزوة الحديبية ٧:٤٤٤ (٤١٥٧، ٤١٥٨).

(٢) «صحيح البخاري» الكتاب والباب السابقان ٧:٤٤٣ (٤١٥٥).

حديث عبيد الله: حدث به أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني في «مستخرجه»[١] عن أبي عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا عبيد الله بن معاذ، فذكره.

وحديث محمدِ بن بشارٍ بُنْدارٍ رواه أبو بكر الإسماعيلي في «مستخرجه» فقال: حدثنا ابن عبد الكريم، حدثنا بُندار، حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة، عن عمرو، عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: كنا يومَ الشجرة ألفاً وثلاث مئة، وكانت أسلمُ يومئذ ثُمُنَ المهاجرين.

وهو في «مسند» أبي داود سليمان بن داود الطيالسي[٢] عن شعبة، كما تقدم.

وقيل: كانوا ألفاً وأربع مئة. قال البخاري في «صحيحه»[٣]: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه قال: تعدُّون أنتم الفتحَ فتحَ مكةَ، وقد كان فتحُ مكة فتحاً، ونحن نعدُّ الفتح بيعةَ الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي ﷺ أربعَ عشرةَ مئة وذكر الحديثَ.

تابعه زهير وشَرِيك، عن أبي إسحاق[٤].

وقال أبو حذيفة موسى بن مسعود: حدثنا عكرمة بن عمار، عن إياس

---

(١) على صحيح مسلم، كما صرَّح به الحافظ في «الفتح» ٧: ٤٤٤، ونبَّه إلى أن حديثه في «صحيح مسلم». انظر كتاب الإمارة ـ باب استحباب مبايعة الإمامِ الجيشَ ٣: ١٤٨٥ (٧٥)، فكأنه ضاق مخرج الحديث على أبي نعيم فرواه منَ طريق شيخ مسلم فيه.

(٢) ص ١١٠ (٨٢٠).

(٣) الكتاب والباب السابقان ٧: ٤٤١ (٤١٥٠).

(٤) متابعة زهير جاءت عند البخاري (٤١٥١). ومتابعة شريك عند ابن سعد ٢: ٨٩.

ابن سَلَمة، عن أبيه رضي الله عنه قال: قَدِمنا الحديبيةَ مع رسول الله ﷺ ونحن أربعَ عشرةَ مئة. وذكر الحديث[١].

وأنبأنا أبو حفص عمر بن الحسن المَرَاغي إذناً عاماً[٢]، وقرأته على أبي المعالي عبد الله بن إبراهيم الفَرَضي وغيره عنه قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد السعدي قراءة عليه وأنا أسمع قال: وأخبرناه حنبل بن عبد الله بن الفرج الرُّصافي قراءةً عليه وأنا أسمع، أخبرنا هبة الله بن محمد بن حصين، أخبرنا الحسن بن علي الواعظ، أخبرنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي[٣]، حدثنا عبد الوهاب ابن عبدالمجيد الثقفي أبو محمد، حدثنا خالد، عن الحكم ابن عبد الله الأعرج، عن مَعقِل بن يسار رضي الله عنه، أنه شهد رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو رافعٌ غصناً من أغصان الشجرة بيده عن رسول الله

---

(١) هذا إسناد ابن سعد في «طبقاته» ٢: ٩٨-٩٩، ورواه مسلم في الجهاد ـ باب غزوة ذي قَرَد ٣: ١٤٣٣ (١٣٢) عن إسحاق بن إبراهيم ـ هو ابن راهويه ـ عن العَقَدي، عن عكرمة، به.

(٢) المراغي نسبة إلى أكثر من موضع، لكن سيحدد المصنف في ص٣٥١ موضع نسبة شيخه هذا فيقول: «مراغة مصر لا العراق». وكانت ولادة أبي حفص هذا سنة ٦٧٩ أو ٦٨٢ ـ ووفاته سنة ٧٧٨، وقد أُحضِر أول ماأُحضِر وهو في السنة الأولى من عُمره! وقد تصدَّر للتحديث والإقراء نحواً من خمسين سنة، وأجاز لمن أدرك حياته خصوصاً الشاميين والمصريين، والمصنف شامي ولد سنة ٧٧٣، فيكون قد أدرك من حياة المترجَم خمس سنين، ولهذا يقول كلما روى عنه: إذناً عاماً، أو: إذناً مطلقاً!.
ولما كان في هذا الإذن العام توسُّع لايرضاه الحذّاق، نرى المصنف يردفه بالرواية قراءةً على غيره. فرحمه الله تعالى.
وتنظر ترجمة المراغي عند ابن حجر في «الدرر الكامنة» ٣: ١٥٩، و «إنباء الغمر» ١: ٢١٦.

(٣) «مسند أحمد» ٥: ٢٥.

ﷺ فبايعوه على أن لايفروا، وهم يومئذ ألف وأربع مئة.

خرجه مسلم في «صحيحه»[١]، عن يحيى بن يحيى التميمي، عن يزيد بن زُريع، عن خالد الحذاء، به. تابعه أبو كامل الجَحْدَري الفضيل ابن الحسين، عن يزيد بن زُريع. وقال الإمام أحمد بن حنبل[٢]: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول: كنا يومَ الحديبية ألفاً وأربع مئة فقال لنا رسول الله ﷺ: «أنتم خير أهل الأرض» وكنا ألفاً وأربع مئة، ولو كنت أُبصِر اليومَ لأريتُكم مكان الشجرة.

تابعهما عبد الله بن الزبير الحُمَيدي في «مسنده» فقال[٣]: حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، فذكره بنحوه.

وتابعه الأعمش، سمع سالماً، سمع جابراً: ألفاً وأربع مئة.

هذه المتابعة وصلها البخاري في آخر بابٍ من كتاب الأشربة فقال[٤]: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن الأعمش، حدثني سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد الله، فذكر الحديثَ، وفي آخره: قلت لجابرٍ: كمْ كنتم يومئذ؟ قال: ألفاً وأربع مئة.

وجاءت رواية ثانية ثابتة أيضاً عن جابر أنهم كانوا ألفاً وخمس مئة.

قال البخاري[٥]: حدثنا يوسف بن عيسى، حدثنا ابن فُضَيل، حدثنا

---

(١) ٣: ١٤٨٥ (٧٦).

(٢) في «مسنده» ٣: ٣٠٨.

(٣) ٢: ٥١٤ (١٢٢٥).

(٤) تحت باب شرب البَرَكة والماء المبارك ١٠: ١٠١ (٥٦٣٩)، وأشار إليها في المغازي ـ غزوة الحديبية ٧: ٤٤٣ (٤١٥٤)، وكذلك وصلها مسلم في كتاب الأمارة ـ باب استحباب مبايعة الإمامِ الجيشَ عند إرادة القتال ٣: ١٤٨٤ (٧٤).

(٥) المغازي ـ باب غزوة الحديبية ٧: ٤٤١ (٤١٥٢). ورواه الطيالسي في «مسنده» ص٢٣٩ (١٧٢٩) عن شعبة، وكذا مسلم ٣: ١٤٨٤ (٧٢) من طريق =

حُصَين، عن سالم، عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية، الحديثَ، وفيه: فقلت لجابر: كم كنتم ؟ قال: لو كنا مائةَ ألفٍ لكفانا ! كنَّا خمسَ عشرةَ مئة.

ورواه مسدَّد: حدثنا خالد بن عبدالله، حدثنا حُصَين، فذكره.

وقال البخاري أيضاً[١]: حدثنا الصَّلْت بن محمد، حدثنا يزيد بن زُرَيع، عن سعيد، عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيَّب: بلغني أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كان يقول: كانوا أربعَ عشْرةَ مئة؟ فقال لي سعيد: حدثني جابر رضي الله عنه كانوا خمس عشرة مئة الذين بايعوا النبيَّ ﷺ يوم الحديبية.

ورواه محمد بن المثنى: حدثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، فذكره[٢]، وتابعه قُرَّة بن خالد، عن قتادة[٣].

الحُدَيبيَة: قرية على طريق جُدّة دون مرحلة عن مكة، وتخفيفها أعرف عند أهل العربية، فيما قاله السُّهيلي[٤]، وذَكَر الجمهور الوجهين فيها، وممن حكاهما أبو الحسن علي بن سِيدَهْ في كتابه «المُحَكم»[٥].

ومنع بعضهم من تشديدها، ونُقِل عن الشافعي رضي الله عنه[٦].

= شعبة، عن عمرو بن مرة وحُصَين، به.

(١) الكتاب والباب السابقان ٧: ٤٤٣ (٤١٥٣).

(٢) أشار إليها المزي في «تحفة الأشراف» ٢: ١٨٢ (٢٢٥٧).

(٣) أشار إليها البخاري عقب الحديث المذكور، وقال الحافظ: «وصلها الإسماعيلي من طريق عمرو بن علي الفلاس، عن أبي داود الطيالسي».

(٤) في «الروض الأُنُف» ٤: ٣٣.

(٥) ٣: ١٩٧، وعبارته تشعر أن الأصل تشديد الياء الثانية.

(٦) عبارة المصنف رحمه الله تحتمل: ونُقل المنع من تشديدها عن الشافعي، ويؤيد هذا الاحتمال نقل البيهقي في «مناقب الشافعي» ٢: ٥٨، وابن الصلاح و النووي كليهما في «شرح صحيح مسلم» ص٢٤٩، و٢: ٦٠ عن الشافعي =

وأولُ من بايع بالحديبية بيعةَ الرِّضوان أبو سنان الأسديُّ، واسمه عبد الله بن وهب، وقيل وهب بن عبد الله، وقيل عبد الله بن مِحْصَن أخو عُكَّاشة[١]، وقيل اسمه عامر، بدري.

حدّث أبو بكر بن عياش قال: قال زِرٌّ - يعني ابن حُبَيش -: أول من بايع تحت الشجرة أبو سنان بن وهب رضي الله عنه، وهكذا روي عن الشعبي، وهذا يوهِّن قولَ مَن ذَكَر أن أبا سنان توفي سنة خمس من الهجرة[٢].

وأهلُ هذه البيعة كلٌّ منهم بايع مرةً مرةً إلا رجلين: أحدهما عبدالله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فإن أباه أرسله يومئذ إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتي به ليقاتِل عليه، ورسولُ الله ﷺ يبايع عند الشجرة، وعمرُ لايدري بذلك، فبايعه عبد الله بن عمر ثم ذهب إلى

= أنها بالتخفيف. وتحتمل: ونُقل التشديد عن الشافعي، ويؤيده نقل ياقوت في «معجم البلدان» ٢: ٢٢٩ عن الشافعي: الصواب تشديد الحديبية.
وممن اضطرب النقل عنه في هذه الكلمة: أهل العراق وأهل الحجاز. ففي نقل أبي عبيد البكري في «معجم ماستعجم» ٢: ٣٨٤ أن أهل العراق يشددونها، وأهل الحجاز يخففونها، والذي في «مشارق الأنوار» لعياض ١: ١٦٨، ٢٢٠-٢٢١، وابن الصلاح في شرح مسلم ص٢٤٩ العكس: أهل العراق يخففونها، وأهل الحجاز يشددونها، وكل منهما ينقل عن علي بن المديني!.

(١) قول زرّ بن حبيش: ذكره ابن منده في «معرفة الصحابة» وينظر في «أسد الغابة» ٦: ١٥٧، و«الإصابة» ٧: ٩٢، وقول الشعبي: رواه ابن سعد ٢: ١٠٠، والطبري في «تفسيره» - سورة الفتح - ٢٦: ٨٦، و«تاريخه» ٢: ١٢١. وقال الواقدي: يقال أول من بايع سنان بن أبي سنان بن مِحْصَن، وأن الذي توفي سنة خمس في حصار بني قريظة هو أبوه أبوسنان ابن مِحْصَن، أخو عُكَّاشة بن محصن. انظر «المغازي» له ٢: ٦٠٣، ٥٢٢.

(٢) انظر التعليقة السابقة.

الفرس، فجاء به إلى عمر وأخبره بأن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة. قال: فانطلق، فذهب مع أبيه حتى بايع رسولَ الله ﷺ. قيل: وبايعه ابن عمر ثانيةً بعد أبيه.

والثاني: أبو إياس ـ ويقال: أبو مسلم ـ سَلَمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع سنان بن عبد الله بن قُشَير الأسلمي، بايع يوم الحديبية مرتين. وثبت في «صحيح مسلم»من[1] حديث عكرمة بن عمار، حدثني إياس بن سلمة، حدثني أبي قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائةً وعليها خمسون شاةً لاتَروِيها. قال: فقعد رسول الله ﷺ على جَبَا الرَّكِيَّة[2]، فإما دَعَا وإما بَصَق فيها. قال: فجاشتْ فَسَقَينا واستقينا.

قال: ثم إن رسول الله ﷺ دعانا للبيعة في أصل الشجرة. قال فبايعته أولَ الناس، ثم بَايَعَ وبَايَعَ، حتى إذا كان في وسط الناس قال: «بايعْ ياسلمة» قال: قلتُ قد بايعتُك يارسول الله في أول الناس. قال: «وأيضاً» قال: ورآني رسول الله ﷺ عَزِلًا ـ يعني ليس معه سلاح ـ[3] قال: فأعطاني رسول الله ﷺ حَجَفة أو دَرَقة، ثم بايع، حتى إذا كان في آخر الناس قال: «ألا تُبَايِعُني ياسلمةُ!» قال: قلت: قد بايعتك يارسول الله في أول الناس وفي أوسط الناس، قال: «وأيضاً» قال: فبايعته الثالثة. . .، وذكر الحديثَ بطوله.

وكتب إليَّ بعضُ حفّاظ مكة[4] ـ زادها الله شرفاً ـ سؤالاتٍ، منها: وما الحكمةُ في مبايعة النبي ﷺ لسلمة بن الأكوع يوم الحديبية مرتين؟.

---

(١) كتاب الجهاد ـ باب غزوة ذي قَرَد ٣: ١٤٣٣ (١٣٢).

(٢) الجَبَا: ما حول البئر. والركية ـ والرَّكِيُّ ـ: البئر.

(٣) هذا التفسير جاء في أصل الرواية.

(٤) لعله الحافظ تقي الدين ابن فهد صاحب «لحظ الألحاظ»؟.

فكان من جوابي إياه: أن المحفوظ أن سلمة بايع يومئذ ثلاثَ مرات، وبايع على الموت، والذي يظهر ـ والله سبحانه أعلم ـ من الحكمة في تكرار مبايعة سلمة أنه صحَّ أن النبي ﷺ قال في غزوة عبدالرحمن الفَزَاري: «خيرُ فرساننا اليومَ أبو قتادة، وخيرُ رجّالتنا سَلَمة»(١).

وكان سلمة أيضاً حسنَ الرمي بالنبل، وكان سريعَ الجَرْي، بحيث إنه كان يسبِق الفرس إذا جَرَى معها، فهذه ثلاثُ خصال كانت فيه، فحسُن أن تكونَ مبايعته ثلاث مرار، لأنه بايع على الموت في أي حال كان من أحواله الثلاثة: إنْ قاتل راجلاً بسلاحه، أو رامياً عن قوسه، أو مبادراً بجرْيه في أَثَر العدو، أو إلى انتهاز فرصة ونحوها في القتال.

ويَحتمِل أن تكون البيعة الأولى على الجهاد بين يديْ رسول الله ﷺ، ثم رأى قُرناءَه من الصحابة بايعوا على أن لايَفِرُّوا ودعاه النبي ﷺ إلى المبايعة ثانياً فبايعه كأقرانه، ثم شحَّتْ نفسه بالقتل في سبيل الله ودعاه النبي ﷺ إلى المبايعة ثالثاً فبايعه على الموت.

ويَحتمِل أن تكرار المبايعة كان للتأكيد.

ويحتمل أن يكون لأمر ظهر لرسول الله ﷺ من حال سلَمة لايليق ببيعته إلا تكرارُها، فأمره النبي ﷺ بالمبايعة أيضاً ثانياً وثالثاً.

ويَحتمِل غير ذلك. والله أعلم.

وهذه البيعة يقال لها بيعة الرِّضوان، لقول الله عز وجل: ﴿لقدْ رَضِيَ الله عن المؤمنين إذْ يُبايعونَك تحتَ الشجرة﴾ الآية.

قال أبو العباس محمد بن إسحاق السَّراج: حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا محمد بن عبيد وأبو أسامة، عن إسماعيل، عن عامرِ الشعبي قال:

---

(١) هذه جملة من الحديث السابق، وهو طويل ممتع، وعبدالرحمن الفزاري هو الذي أغار على إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها وقتل راعيها، فلحق بهم سلمة رضي الله عنه، حتى استردها.

المهاجرون الأولون: الذين بايعوا بيعة الرضوان[١].

وحدَّث به الإمام أحمد عن هُشَيم، عن إسماعيل ومطرِّف، عن الشعبي قال: هم الذين بايعوا بيعة الرضوان[١].

وبأهل هذه البيعة خُتِم السابقون، فمن أسلم بعد هذه البيعة لم يُعدَّ من السابقين، لكنهم فيمن اتَّبعوهم بإحسان.

قال الله عز وجل: ﴿والسابقونَ الأولونَ من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان رضيَ الله عنهم ورَضُوا عنه﴾ الآية.

ومن السابقين: مهاجرون وأنصار، فأول المهاجرين ـ بل أول المسلمين من الصحابة مطلقاً إسلاماً على قول ابنِ عباس والجمهورِ ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه[٢]، وأول الأنصار مطلقاً إسلاماً إياسُ بنُ معاذٍ الأوْسيُّ الأشْهَليُّ، قدم مكة وهو غلامٌ قبل الهجرة في نفر من قومه يطلُبون الحِلْف من قريش على قومهم من الخزرج، بسبب الحرب التي كانت بين الأوس والخزرج، فسمع بهم رسولُ الله ﷺ فأتاهم، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن، فقال إياس لقومه: هذا ـ والله ـ خير مما جئتم له، فرجع ومات قبل الهجرة.

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنْدَة بعد أن ذكر إياس بن معاذ في الصحابة، قال: وذكر قومُه أنه مات مسلماً رضي الله عنه. قاله في كتاب «المعرفة».

وقال أبو نعيم: إياس بن معاذ الأشْهَلي قدم على النبي بمكة فعرض عليه الإسلام فأسلم، فتوفي قبل مَقْدَم النبي ﷺ المدينة. انتهى.

---

(١) وروى سُنَيد في «تفسيره» عن هُشَيم، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي أنه قال: «فَصْلُ مابين المهاجرين الأولين وسائر المهاجرين: بيعةُ الرضوان يوم الحديبية»، كما في أول «الاستيعاب» ص٧.

(٢) تقدم ص٦٦، وكذلك ماسيأتي، وانظر تخريجه هناك.

وقصةُ إياس وإسلامه وموته رَوَيناها بطولها من طريق محمد بن إسحاق في «المغازي»، وقد ذكرتُه مع ذكرِ ستةٍ سابقين من الأنصار وذكرِ أصحاب العَقَبَتَيْن في أبياتٍ وهي:

ألا أولُ الأنصار أسلمَ مطلقاً إياسُ معاذٍ، ستةٌ بعدُ تابعوا
بمكة هم: عوف وأسعدُ،جابرٌ وقُطبةُ، منهم عقبةٌ، ثم رافعُ
ومات إياسٌ ثم وَافَوْا بسبعة سوى جابر عهدَ النساء فبايعوا
عبادةُ عباسٌ عُوَيمٌ يزيدُ مع معوِّذَ، ذكوانُ، ابنُ تَيْهان سابعُ
وبعدُ أَتَوْا بضعاً وسبعين بايعوا على الهجرة الغرَّاءِ والسعد طالعُ
فحازوا رسولَ الله حياً ودفنَه بطيبةَ فضلاً عمَّ، والفضلُ واسعُ

آخر المجلس ولله الحمد حمداً كثيراً
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ١١ـ

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ على محمد وآله وصحبه وسلِّم، ويسر

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ﴾ الآية.

الكلام على هذه الآياتِ من وجوه كثيرة مبنية على أصلين:

أحدُهما: التفسيرُ المأخوذُ بطريق النقل والسماع.

والثاني: التأويل الراجع إلى القواعد الشرعية، والعقائد السَّنية، ومذاهب اللغة ووجوه العربية.

فمن وجوه الكلام على هذه الآيات: علمُ نزول القرآن، ومواطن تنزيله، وقد تقدَّم ذكْر شيء من ذلك[1]، فالقرآن نزل سماوياً، كنزوله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، وتقدم أن في نزوله كذلك قولين: أحدهما: نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلةً، من كلِّ سنة في ليلة القدر منها، فكان ينزلُ فيها بقدْر ماينزل على النبي ﷺ في تلك السنة.

والقول الثاني ـ وعليه الجمهور ـ: أنه نزل جملةً واحدةً إلى سماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض، فكان نزوله على قسمين أحدهما: ماله سببٌ نزل لأجله، والثاني: مانزل بغير سبب ظاهر.

وقد صُنِّف في القسم الأول، ومن ذلك كتاب أبي الحسن علي بن

---

(١) في أول المجلس٧ ص١٥٢.

أحمد بن محمد بن علي بن متُّويه النيسابوريّ الواحديّ رحمه الله.

ومن مواطن تنزيل القرآن: مكة والمدينة، وهذه الآيات الشريفات نزلْن بالمدينة، لأنهنَّ من سورة آل عمران، وهي مدنية بلا خلاف، وثالث سورة نزلت بالمدينة، كما رَوَيناه من حديث خُصَيف بن عبدالرحمن الجَزَري، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فأنزل الله عز وجل بالمدينة البقرة والأنفال وآل عمران[١].

ورَوَيناه بـ «ثم» بدل الواو من حديث عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني، عن أبيه، [عن ابن عباس] قال: ثم كان أول مانزل بالمدينة سورة البقرة، وقال: ثم الأنفال، وقال: ثم آل عمران[١].

ومن الاتفاق أن هؤلاء الآيات ذُكِرتْ بنحوها في سورة البقرة، وسورة الجمعة، وهؤلاء الثلاث نزلن بالمدينة، وترتيبهن في النزول كترتيبهن في المصحف.

والآيات داخلة أيضاً في وجه آخر من وجوه نزول القرآن، وهو ماله سببٌ نزل لأجله[١]، والسبب في نزول هذه الآيات غامضٌ، ولهذا ـ والله أعلم ـ لم يذكره أبو الحسن الواحدي في كتابه «أسباب نزول القرآن». وسببُ نزولها الدعوةُ الإبراهيمية التي أخبر الله تعالى عنها بقوله عز وجل إخباراً: ﴿ربَّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلِّمهم الكتاب والحكمة ويزكِّيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ فاستجاب الله عز وجل هذه الدعوة، وبعث هذا الرسولَ كما دعا إبراهيمُ عليهما السلام، وأنزل الله تعالى إعلاماً لهذه الأمة بإجابة الدعوة المشار إليها فقال تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياتِه ويزكِّيهم ويعلِّمُهم الكتابَ والحكمة﴾ الآية.

وقد أشار النبي ﷺ إلى إجابة هذه الدعوة الشريفة، فقال فيما خرَّجه

---

(١) انظر لزاماً أول المجلس الرابع ص٩٨.

أبو القاسم الطبراني في «معجمه الكبير» عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قيل: يارسول الله، ماكان بدءُ أمرك ؟ فقال: «دعوةُ أبي إبراهيم، وبشَّر بي عيسى، ورأتْ أمي أنه خرج منها نور أضاءتْ له قصور الشام».

وللحديث طُرُق خرَّجتها في كتابي «جامع الآثار»[1].

---

(١) عزاه المصنف إلى «المعجم الكبير» وهو فيه ٨:١٧٥ (٧٧٢٩)، ولاأدري لمَ أبعدَ النُّجعة فعزاه إلى الطبراني مع أنه في «المسند» ٥:٢٦٢، قال الهيثمي ٨:٢٢٢: «إسناده حسن، وله شواهد تقوّيه» ورواه أيضاً الطيالسي ص١٥٥ (١١٤٠) ومن طريقه البيهقي في «الدلائل» ١:٨٤، وهو كذلك عند ابن سعد ١:١٤٩.

ورواه غير أبي أمامة: العِرْباض بن سارية، وأبو مريم الغساني، وشداد بن أوس، وخالد بن مَعْدان أحد أجلاء التابعين عن نفر من الصحابة.

فحديث العرباض: رواه ابن سعد ١:١٤٩، وأحمد ٤:١٢٧،١٢٨، والبخاري في «تاريخه الكبير» ٦:٦٨ (١٧٣٦)، و «الصغير» ١:١٣، والبزار ٣:١١٢ (٢٣٦٥) من «كشف الأستار»، وابن جرير في «تفسيره» ١:٥٥٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضاً ٣٨٨ (١٢٦٤)، وابن حبان في «صحيحه» ١٤:٣١٣ (٦٤٠٤)، والطبراني في «الكبير» ١٨:٢٥٢ (٦٢٩ـ٦٣١)، والحاكم

في «المستدرك» ٢:٦٠٠ ـ شاهداً لحديث خالد بن معدان الآتي، وصححه، فتعقَّبه الذهبي بضعف أبي بكر بن أبي مريم الغساني ـ والبيهقي في «الدلائل» ١:٨٠،٨٣ و ٢:١٣٠.

وقال الهيثمي ٨:٢٢٣: «رواه أحمد بأسانيد، والبزار، والطبراني بنحوه..، وأحد أسانيد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان» وأيضاً قال فيه البزار عقب روايته هذا الحديث من طريقه: «ليس به بأس».

وقال الذهبي في «السيرة النبوية» ص٤٢: «حسن إن شاء الله». وحديث أبي مريم الغساني: رواه ابن أبي عاصم في كتابيه: «السنة» ١:١٧٨ (٤٠٨)، و«الآحاد والمثاني» ٤:٣٩٧ (٢٤٤٦)، والطبراني في «الكبير» ٢:٣٣٣ (٨٣٥). قال الهيثمي ٨:٢٢٤: «رجاله وثِّقوا».

قلت: فيهم بقية بن الوليد، وقد وثقه عدد من الأئمة إذا روى عن الثقات، =

وفي آية الدعوة الإبراهيمية قال تعالى إخباراً: ﴿يتلو عليهم آياتِك، ويعلِّمهم الكتاب والحكمة، ويزكِّيهم﴾ وقال تعالى في هذه الآية: ﴿ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾.

والتزكية هي: التقديس والتطهير، والنماء والتكثير، ووجه تأخير التزكية في آية الدعوة الإبراهيمية ـ والله أعلم ـ: أن التطهير والتقديس لايكون ذلك إلا بعد الإيمانِ وتلاوة القرآن، وتعليمِ الكتاب والحكمة، وطلبُ ذلك أهم من طلب التزكية، وتقديمُ الأهمِّ أولى وأعلى، فحَسُنَ تقديم طلب تعليم الكتاب والحكمة على التزكية هنا.

وأما تقديم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة في آية الإعلام بإجابة الدعوة الإبراهيمية: فإن الله عز وجل أثبتَ للمدعوِّ لهم ـ وهم هذه الأمة ـ الإيمانَ أولاً بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ فحصلت التزكية بالإيمان، وأيُّ تزكيةٍ أعظمُ منها! فقدَّم ذكرها في هذه

= وهنا كذلك، يرويه عن صفوان بن عمرو السكسكي، أحد الثقات، وقد صرح بالسماع منه، وفيه حُجْر بن حُجْر: وثقه ابن حبان ٤ :١٧٧، ووصفه الحاكم في «المستدرك» ١ :٩٧ مع آخَرَين: بأنهم من الثقات الأثبات من أئمة أهل الشام، وقد روى عنه هذا الحديثَ صفوانُ السكسكي، فانتفى بهذا الحصرُ الذي قاله الذهبي في «الميزان» ١ :٤٦٦ (١٧٥٧).
وحديث شداد بن أوس: ذكره الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» ١ :٨٣، وابن حجر في «تلخيصه» المطبوع آخر «الكشاف» ص١٠، وعزياه إلى أبي يعلى، ولم أره في المطبوعتين، ولافي «مجمع الزوائد» ولافي «المطالب العالية». وعلى كل فقد ساق سنده الزيلعي، وفيه عمر بن صُبْح ـ لا: صبيح ـ وهو متروك متهم.
وأما حديث خالد بن معدان، عن نفر من أصحاب النبي ﷺ: فرواه الطبري في «تفسيره» ١ :٥٥٦، والحاكم في «المستدرك» ٢ :٦٠٠ وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الدلائل» ١ :٨٣. ورواه ابن سعد ١ :١٥٠ بلفظ: «قال: قيل لرسول الله ﷺ. . .».

الآية قبل ذكر تعليم الكتاب والحكمة.

ووجه آخر: لما كان متعلِّمو العلمِ على قسمين: صالحُونَ وغيرُ صالحين، والصالح يفيد فيه التعليم، ويَبعثه العلم على العمل أكثرَ من غيره، لصلاحه الذي هو التزكية، وكان صلاحه متقدماً على طلب العلم، فحصلت له الفائدة بذلك، وهذه الأمة اختارها الله على سائر الأمم قبل بعثة نبيِّها ﷺ فيها، فلما بُعث فيها كانت زاكيةً، كما أُشير إليه في الآية بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ فقدَّم الإخبار بالتزكية على التعليم هنا، وأُخرتْ في آية الدعوة الإبراهيمية للاهتمام بطلب تعليم الكتاب والحكمة، على طلب التزكية. والله أعلم بما أراد.

وبهذا تدخل هذه الآية الشريفة أيضاً في علمٍ من علوم القرآن العظيم، وهو نوعٌ من أنواع علمِ المقدَّم والمؤخَّر في كتاب الله عز وجل، وهو أحد وجوه كلام العرب.

وتدخل أيضاً في علم من علوم القرآن وهو علم المتشابه، والمتشابه في القرآن إما يكون في المعنى، أو اللفظ، والأول: ماشتبهتْ وجوه المراد منه فلم يتعيَّن المقصود به، قال الله عز وجل: ﴿هو الذي أنزلَ عليك الكتابَ منه آياتٌ محكَماتٌ هنَّ أمُّ الكتابِ وأُخَرُ متشابهاتٌ﴾.

فالمحكَم المبيَّن الذي ارتفعت عنه وجوه الإجمال والاحتمال. والمتشابه مقابِله، وهو الوارد بصفة الإشكال.

وقد اختلف العلماء في تأويل المتشابهاتِ المشارِ إليها في الآية، فذهب خلق من الأئمة إلى أنه لايَعْلَم تأويلَه إلا الله، وممن رُوي عنه ذلك من الصحابة: عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله ابن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وأبو أُمامة الباهلي رضي الله عنهم.

ولم نُكَلَّف طلبَ معناه، وإنما كُلِّفنا الإيمان به لوجهين:

أحدهما: ليُظهر آثارَ نقصنا وقصورَ علمنا عن كمال العلم، كما قالت الملائكة: ﴿سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلّمتنا﴾.

والوجه الثاني: ليختبر الله بذلك حسنَ طاعتنا وقوةَ إيماننا في التصديقِ بذلك والتسليمِ له، وردِّ علمه إلى عالمه سبحانه[١].

---

(١) كرر المصنف رحمه الله في الأوراق المشوشة هذا المعنى ثم قال: «وكما أنه يصح ورود الخطاب بالمجمَل فكذلك بالمتشابه، لأن المجمَل هو: مالا يتعيَّن المراد من جهته، ولايتبيَّن المقصود من جملته، والمتشابه كذلك، لكنِ الفرقُ بينهما أن المجمَل يتعلّق به التكليف، فيُحتاج فيه إلى طلب مايبيِّن عنه، ولذلك لم يجب البيان قبل الحاجة إليه، ولايجوز تأخيره عن وقت الحاجة إليه.
وأما المتشابه: فلا يتعلّق به تكليف سوى الإيمان به، فلم يُحتج فيه إلى بيان معناه فنكلَّفَ طلبَه، قال الله عز وجل في المتشابه: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا﴾ وهذا المتشابه أحد الوجوه الخمسة التي أنزل الله القرآن عليها.
أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن ابن الحافظ أبي عبد الله محمد ابن الذهبي قراءةً عليه وأنا أسمع، أخبرنا يحيى بن محمد سماعاً، أخبرنا جعفر بن علي المقرىء قراءةً عليه وأنا حاضر، أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد ابن محمد الأصبهاني، أخبرنا القاسم بن الفضل، حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحَرَشيُّ بنيسابور، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوبَ الأصمُّ، قال: حدثنا محمد بن الجهْم بن هارون، حدثنا الهيثم بن خالد، عن عبيد بن عَقيل، أخبرني مُعارِك بن عبّاد، حدثنا عبدالله بن سعيد بن أبي سعيد المقبُري، حدثني أبي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعْرِبوا القرآن واتَّبِعوا غرائبه، وغرائبُه فرائضُه وحدودُه، فإن القرآن نَزَل على خمسة أوجه: حلالٍ، وحرام، ومحكَم، ومتشابِه، وأمثال، فاعْمَلوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتَّبِعوا المحكَم، وآمِنوا بالمتشابه، واعتبِروا بالأمثال»(*). =

(*) صدر هذا الحديث رواه ابن أبي شيبة ١٠: ٤٥٦ (٩٩٦١)، ومن طريقه =

= هذا الحديث له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «كان الكِتابُ الأولُ أُنزل من باب واحد على حرف واحد، فنزل القرآن على سبعة أحرف: نهيٍ، وأمرٍ، وحلال، وحرام، ومحكَم، ومتشابه، وأمثال، فأَحِلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه، وافعلوا ماأُمرتم به، وانتهُوا عما نُهيتم عنه، واعتبروا [بأمثاله، واعملوا] بمحكَمه، وآمنوا بمتشابِهه، وقولوا: ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾»(*).

وجاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قولَه من رواية الحسن البصري رحمة الله عليه قال: كان عمر رضي الله عنه يَضرِب على بعضِ التفسير للقرآن ويقول: إنما هَلَك مَن كان قبلكم بالتأويل، وإن القرآن أُنزل على خمسة أجزاء: جزءٍ حلال، وجزءٍ حرام، وجزء أمثال، وجزء محكم، وجزء متشابه، فأَحلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه، واعمَلوا بمحكَمه، وآمِنوا بمتشابهه، واعتبِروا بأمثاله.

ورُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله=

= الحاكم ٢:٤٣٩، وعن الحاكم: البيهقيُّ في «الشعب» ٢:٤٢٦ (٢٢٩٢) ٥:٢٣٩ (٢٠٩٤)، ثم رواه البيهقي تاماً عن القاضي الحَرَشي والحاكم، به، وفي أسانيدهم جميعاً عبدالله المقبري وهو متروك. وإعرابُ القرآن يكون بالمحافظة على الحركات الإعرابية فيظهرها، وإذا أظهرها لم يغيِّرها فيجعل الفتحة ضمة في مثل قوله تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وهكذا. انظر «شعب الإيمان» للبيهقي ـ وأصلُه للحليمي ٢:٢٣٧ ـ و «فيض القدير» للمناوي ١:٥٥٨.

(*) صدر هذا الحديث رواه الإمام أحمد ١:٤٤٥، والنسائي في «الكبرى» ٥:٤ (٧٩٨٤) ورواه بتمامه الطبري في «تفسيره» ١:٣٠، وابن حبان ٣:٢٠ (٧٤٥)، والحاكم ٢:٢٨٩ وصححه، فتعقبه الذهبي بالانقطاع وكذلك ابن حجر في «الفتح» ٩:٢٩ ونقل ذلك عن ابن عبد البر أيضاً. ورواه الطبراني في «الكبير» ٩:٢٦ (٨٢٩٦) من وجه آخر وضعَّفه الهيثمي في «المجمع» ٧:١٥٣. وما بين المعقوفين من مصادر التخريج.

= عنه يقرأ هذه الآية ﴿وقَضْباً * وزيتوناً﴾ إلى قوله: ﴿وفاكهة وأباً﴾ فلما انتهى إلى ذكر الأبُّ قال: كلٌّ هذا قد علِمناه، فما الأبُّ؟ ثم ضرب عصاه بالأرض وقال: نعم والله إن هذا لهو التكلُّف ﴿اتبعوا ماأُنزِل إليكم من ربكم﴾ ماتبيَّن لكم من هذا الكتاب فعليكم به، وما لا فَدَعوه(*).

وعن عَمْرو بن عثمان بن [عبدالله بن] مَوْهَب، أنه سمع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقرأ: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾ قال: انتهى علمُهم إلى أنْ قالوا: ﴿آمنا به﴾(**).

وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن المتشابهَ في القرآن المشارَ إليه في قوله تعالى: ﴿وأُخَرُ متشابهات﴾ إلى أنه يَعلم تأويله العلماء. . .(***).

والبحث عنه. واحتجوا بأمورٍ منها: أن القرآن [أنزل بلسان عربي] مبين، والمبين لايكون مشكِلاً، ووصف القرآن بأنه تِبيانٌ لكل شيء، وهذا ينفي اشتباه البيان فيه، لخروج المتشابه المشكِل عن وقوع التبيان فيه.

والحجةُ عليهم من الآية. قال الله عز وجل: ﴿منه آياتٌ محكَمات هنَّ أم الكتاب وأُخَر متشابهات﴾ صحَّ عن ابن أبي مُلَيكة [عن القاسم بن محمد] عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ إلى قوله ﴿الألباب﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيتَ الذين يتَّبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم»(****).

فالمصطفى وزاده شرفاً قد شَفَى في معنى هذه الآية وكَفَى، إذ حذَّر ممن يتَّبع المتشابه، فلو كان اتباعُ تأويلِ المتشابه جائزاً ما حذَّرَ ممن يفعله، وأيضاً =

(*) رواه ابن أبي شيبة ١٠: ٥١٢، والحاكم ٢: ٢٩٠، ٥١٤ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشُّعَب» ٢: ٤٢٤ (٢٢٨١) = ٥: ٢٢٩ (٢٠٨٤).

(**) رواه ابن جرير في «تفسيره» ٣: ١٨٣ ومابين المعقوفين منه.

(***) كلمتان غير واضحتين.

(****) رواه البخاري ٨: ٢٠٩ (٤٥٤٧)، ومسلم أول كتاب العلم ٤: ٢٠٣٥ (٢٦٦٥) ومابين المعقوفين زيادة منهما إلا إذا كان المصنف يشير إلى أحد أسانيد الترمذي ٥: ٢٠٧ (٢٩٩٣).

قال أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في كتابه «مسند شيوخ الشاميين الثقات»[١]: حدثنا عبيدٌ العِجْلُ، حدثنا هارون بن موسى المستملي. وحدثنا محمد ابن عبدوس بن كامل، حدثنا أبو الربيع سليمان ابن داود البغدادي قالا: حدثنا محمد ابن حرب، حدثنا أبو سلمة سليمان ابن سُلَيم، حدثنا أبو حَصين[٢]، عن أبي صالح مولى أم هانيء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أُنزِل القرآن على أربعة وجوه: فوجهٌ حلال وحرام لايَسَعُ أحداً جهالتُه، ووجهٌ عربي يعرفه العرب، ووجهٌ تأويل يعلمه العلماء، ووجهٌ تأويل لايعلمه إلا الله، مَن انتحلَ منه علماً فقد كذب.

والثاني من المتشابه في القرآن: المتشابه في اللفظ. وقد صنَّف فيه جماعة من أئمة القراء، ومن أغربها مصنَّفاً «كتاب المتشابه» لإبراهيم بن خالد الدقاق[٣] وهو يروي عن أصحاب أبي الوليد الطيالسي، وأبي نُعيم

= جعل الله عز وجل الذين يتَّبعون تأويل المتشابه أهلَ زيغٍ وفتنةٍ، فلو كان المتشابه مما يوصَل إلى علمه لوجب تتبُّعه، ولو وجب تتبُّعه لكان فاعله ممدوحاً غيرَ مذموم بنسبته إلى الزيغ والفتنة.

وجعل الله الفتنة معلَّقة بانتفاء تأويله، فلو كان التأويل مما يوصَل إلى علمه لم يكن طلبهُ محظوراً وزَيغاً وفتنة.

وأيضاً ففي قول الله عز وجل: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ نفيٌ وإثبات، فأثبتَ لنفسه.. علم تأويله، مانفاه سبحانه عن غيره، وما أثبته [هنا وقف الكلام].

(١) «مسند الشاميين» ٢:٣٠٢ (١٣٨٥)، ويستفاد من هنا أصل اسم كتاب الطبراني.

(٢) أبو حَصين هذا هو عثمان بن عاصم الأسدي، أحد الثقات، وليس هو الكلبيَّ، كما ظنه المعلق على «مسند الشاميين» وما كَنَى أحدٌ الكلبيَّ بأبي حصين!!. نعم شيخه أبو صالح مولى أم هانيء ضعيف. ورواه ابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» ٢:٧ ـ من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وفيه كلام مشهور.

(٣) لم أقف على ذكر للكتاب في موضع آخر، ولاعلى ترجمةٍ لمؤلفه، وقول المصنف عنه: يروي عن أصحاب فلان وفلان، استخرجه من رجال أسانيده، =

الفضْل بن دُكَين وأضرابهما. قال في كتابه المذكور في: بابٌ مافي كتاب الله من حرف واحد في ترجمةٍ: ومن سورة آل عمران، قال: وفيها: ﴿إذْ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو﴾: ليس في القرآن مثله.

يعني الدقاقُ: والباقي ﴿رسولاً منهم﴾ كما في آية البقرة: ﴿ربنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك﴾، وفي آية الجمعة كذلك: ﴿هو الذي بعثَ في الأميين رسولاً منهم﴾.

وفي آية آل عمران المتشابهُ أيضاً من وجه آخر، وهو قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾ فلفظة ﴿ويزكيهم﴾ هنا قبل قوله ﴿ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾، وكذلك مرتبتها في سورة الجمعة، وأُخِّرت في آية سورة البقرة بعد قوله: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾. وتقدم توجيه ذلك[1]. والله سبحانه أعلم.

ومن المتشابه أيضاً: مايجيء على الإطلاق فيُرجَع فيه إلى المقيَّد، كقوله تعالى: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ يُرجَع فيه إلى قوله تعالى: ﴿إن الله لايغفر أن يُشْرَكَ به﴾، وإلى قوله تعالى ﴿وإني لَغفارٌ لمن تاب وآمن﴾ الآية.

ومن أنواع المتشابه: أن هذه الآية أشبهتْ فاتحة الكتاب من وجه، لأن فاتحة الكتاب أُفْتُتِحت بذكرِ الله وحمدِه والإشارةِ إلى نِعَمه على خلقه مع الثناء عليه، وخُتِمت بذكر أهل الغضب والضلال ممن ساق الله الشقاوة إليه.

= فهو على هذا من رجال القرن الرابع. والله أعلم. ويبدو من النقل الآتي عنه أن كتابه مِن شاكلة كتاب بدر الدين ابن جماعة «كشف المعاني في المتشابه من المثاني»، وكتاب شيخ الإسلام زكريا الأنصاري «فتح الرحمن بكشف مايلتبس في القرآن»، وكلاهما مطبوع.

(١) صفحة ٢٣٥ فما بعدها.

وكذلك هذه الآيةُ الشريفةُ، أُفتتحتْ بذكر الله ومنّهِ على المؤمنين بالإنعام ببعثة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وخُتِمت بذكر الإنقاذ من الضلال المبين.

ومن المتشابه: متشابه السُّوَر، وهو على قسمين أحدهما: أن تُشبه قصةُ سورةٍ قصةَ أخرى، كالأنفال وبراءة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: قلت لعثمان رضي الله عنه ماحَمَلكم على أنْ عَمَدتم إلى براءةَ وهي من المئين، وإلى الأنفال وهي من المثاني، فَقَرَنتم بينهما ولم تجعلوا بينهما سطراً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطُّوَل؟ فقال عثمان رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ كان ينزل عليه من السور التي يُذكَر فيها كذا وكذا، فإذا أُنزلتْ عليه الآياتُ يقول: ضعوا هذه الآيات في موضع كذا وكذا، فإذا أُنزلتْ عليه السورة يقول: ضعوا هذه في موضع كذا وكذا، وكانت الأنفالُ أولَ ماأُنزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتُها تُشبه قصتها، فقُبِض رسول الله ﷺ ولم يبيِّن أمرها، فظننت أنها منها، فمن أجل ذلك قَرَنتُ بينهما ولم أجعل بينهما سطراً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطُّوَل[١].

والقسم الثاني من متشابه السُّوَر: في عدد الآي، كسورة الفاتحة وسورة أرأيتَ: كلٌّ منهما سبعُ آيات، وكسورة يوسف والإسراء والأنبياء، كلٌّ منهن مائةُ آيةٍ وإحدى عشْرة آية، وكسورة الجمعة والمنافقين والضحى والعاديات والقارعة، كل منهن إحدى عشْرة آية[٢]، وكسورة العصر والكوثر والنصر، كل منهن ثلاث آيات ؛ وهذا أقلُّ المتشابه من السور في عدد الآي، وأكثرُ مافي متشابه السور عدداً سورةُ براءة وطه، كلّ منهما مائة آية وثلاثون آية.

---

(١) تقدم تخريجه في المجلس ٧ ص١٦١.

(٢) سبق قلم المصنف رحمه الله فكتب: ركعة.

ومن المتشابه في القرآن: الأشباه والنظائر، وقد وقع في هذه الآية الشريفة من ذلك عدَّة، واستعمالُ ذلك في الكلام المنثور والمنظوم: من البلاغة، وهو أحد أصناف البيان، ويسمَّى التصريف، وليس المرادُ التصريفَ الذي هو الكلام على أسماءٍ وأفعالٍ يكون فيها أحدُ حروف العلة التي هي الياء والواو والألف ويجمعها قولك (آوي)[١] المذكور في قول الشاعر:

أطَوِّفُ ماأُطوِّف ثم آوي إلى بيتٍ قَعِيدتُه لَكَاعِ

وإنما المرادُ التصريفُ الذي هو أحدُ أصناف البيان التي ذَكَرها أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجُرْجاني في كتابه «ضروب نظم القرآن»[٢] وأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي صاحب «المجمَل» في كتابه «فيما ترجع إليه علوم الإسلام من الفهم والإفهام» وغيرهما، فذكروا من أصناف البيان: التصريفَ، وهو القليل من اللفظ

---

(١) كذا قال المصنف، ووضع المدَّ فوق الألف، واستشهد عليه ببيت الحطيئة، والمشهور في زماننا: واي، بألف ليِّنة بعد الواو، غير مهموزة ولاممدودة، وهو أولى. أما (آوي) فالألف الممدودة بحرفين، وتكون حروف العلة حينئذ أربعة، ويسوِّغ صنيعَ المصنف أن الألف اللينة لايمكن الابتداء بها نطقاً، فوضعوا لها الهمزة لإمكان ذلك، فالهمزة وبعدها الألف تشكل مدّاً، كما نقول: آدم، وآخر، وآخرة، لكنها هنا بمثابة حرف واحد، لهذا الاعتبار.

(٢) له ترجمة مختصرة في «تاريخ جرجان» للسهمي ص١٨٧ (٢٥٥)، وذكر كتابه هذا وقال عنه «مجلدتان» ولم أقف على أكثر من ذلك ترجمةً له أو شيئاً يتعلق بكتابه، غير أن الجمال القِفْطي ذكر في «إنباه الرواة» ٣١٦:٣ في ترجمة الإمام مكي بن أبي طالب أن له مختصراً لهذا الكتاب سماه «انتخاب كتاب الجرجاني في نظم القرآن وإصلاح غلطه، في أربعة أجزاء» حديثية. وذكر هذا الانتخابَ ابنُ خير في «فهرسته» ص٤١، وذكر سنده به: عن حفيد مؤلفه، عن أبيه، عن جده مكيّ. هذا، ويبدو من إسناد السهمي أن أبا علي هذا من رجال أوائل القرن الرابع.

يعرف من المعاني بزيادة تقع في البناء الأول، وهو على قسمين:

ـ تصريف المعنى في الدَّلالات المختلفة، كهذه الآية الشريفة، ذُكِرت كما تلوناها أولاً في سورة آل عمران: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ الآية، وذُكرت في سورة الجمعة: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾، وذُكرت في سورة البقرة في الدعوة الإبراهيمية قال الله تعالى إخباراً: ﴿ربنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلِّمهمُ الكتابَ والحكمةَ ويزكِّيهمْ إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

فآية آل عمران ذُكِرت تذكيراً لبعض نعم الله على المؤمنين، وحثاً لهم على شكرها، وإشارةً إلى إجابة الدعوة الإبراهيمية التي ذُكرت في سورة البقرة.

وقد ذكرت آية البقرة إخباراً عن شرف نبينا ﷺ وأنه دعوة أبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وإظهاراً لكرامة هذه الأمة المحمدية.

وآية الجمعة ذُكرت بعد تسبيح الله وتمجيده وتقديسه، وذِكْر عدة من أسمائه الحسنى، تعظيماً لشأن هذا الرسول المبعوث ﷺ، فاختلفت الدلالات في المعنى الواحد.

وهذا هو القسم الأول من التصريف.

ـ وأما القسم الثاني: فهو تصريف المعنى في المعاني المختلفة، وهو عَقْدها به على جهة المعاقبة، فالمنّ يطلق وتُصرف معانيه المختلفة بحسب الحال، فقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ هذا من المنّ الذي هو الإنعام والإحسان ابتداءً بغير سؤال، بل لمجرد منّ وإفضال.

ومن أسماء الله تعالى (المنان) ولاعبرةَ بقول مَن أنكر ورودَ هذا

الاسم في جملة الأسماء الحسنى مطلقاً، لكنْ إن قُيِّد بروايةٍ ليس فيها: سُلِّم، فأسماء الله الحسنى رُويتْ من طرق، وفي بعضها زيادة أسماءٍ على غيرها، وفي بعضها إبدال أسماءٍ بغيرها.

فمن الطُرُق مارواه أبو سعيد أحمد بن محمد الأعرابي قال: حدثنا سليمان بن الربيع النَّهْدي، حدثنا خالد بن مَخْلَد القَطَواني، حدثنا عبدالعزيز بن الحصين، حدثنا أيوبُ وهشامٌ، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» فذكر الأسماء وفيها «الرب، المنان»[1].

تابعه جماعة منهم محمد بن عثمان بن كرامة، عن خالد بن مخلد.

وجاء هذا الاسم أيضاً فيما رُوِّيناه في «مسند الإمام أحمد» و«سنن»

---

(١) ينقل المصنف عن كتاب «شأن الدعاء» للإمام الخطابي ص٩٩، إلا أن الخطابي ضعَّف الحديث هناك برواية عبدالعزيز بن الحصين بن الترجمان، وهو كذلك، فإنه ممن اتُّفِق على ضعفه بين النقاد: البخاري ـ في «التاريخ الكبير» ٦: ٣٠ (١٥٨٦) ـ ومسلم ـ في «الكنى» ١: ٤٠٠ (١٥١٠) ـ وغيرهم، إلا الحاكم فإنه روى هذا الحديث من طريقه في «المستدرك» ١: ١٧ ووثقه!!، انظر «الميزان» و «اللسان». وكذلك سليمان بن الربيع النهدي، فإنه متروك، لكنه كما قال المصنف توبع، أما ابن الترجمان فلم يتابع. لكن الخطابي قال: «غير أن أكثر هذه الأسماء مذكورة في القرآن» فسوَّغ بهذا اعتماده لها وتفسيره وشرحه لها. وشرح المنانَ بقوله «هو كثير العطاء. والمنُّ: العطاء لمن لا يَسْتَثيبه» أي: لايطلب منه ثواباً على عطائه، ولامقابلاً لإحسانه.

وقد قال سيدنا علي كرم الله وجهه: «الحنان الذي يُقبل على من أعرض عنه، والمنان: الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال» . أسنده إليه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١١: ٣٢ مسلسلاً برواية الأبناء عن الآباء، ـ وانظره في «التدريب» النوع الخامس والأربعين ٢: ٢٦٠، و «المناهل السلسلة» ص١١٩ ـ لكن الرجل الثاني في السند متهم بالوضع، كما أن آباءه غير معروفين.

النسائي وابن ماجه، وهذا لفظه: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمدَ لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المنانَ، بديعَ السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام. فقال: «لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئِل به أَعطى، وإذا دُعي به أجاب»[1].

وقوله تعالى ﴿لقد منّ﴾: يدلُّ على أن المنَّ حصل في زمن ماضٍ، لكنه مستمرٌّ، كما أشير إليه بلفظٍ يدلُّ على الحال في قوله تعالى: ﴿بلِ الله يمنُّ عليكم أنْ هداكم للإيمان﴾ فهذا لفظُه لفظُ الحال.

والمنُّ أيضاً: اعتدادُ المعطِي بصنيعته على من أعطاه، فيمنُّ بعطيته عليه تقريعاً له، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتُبْطِلوا صدقاتِكم بالمنِّ والأذى﴾.

والمنّ أيضاً: الطلُّ الحلو الذي ينزلُ على الأشجار والأحجار، فيكون كالصمغ يُجتنَى منه ويؤكل، وهو المشار إليه بقوله تعالى:

---

(١) رواه أحمد ٣: ١٢٠، ١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥، وأصحاب السنن الأربعة: أبو داود ٢: ١٦٧ (١٤٩٥)، والترمذي ٥: ٥١٤ (٣٥٤٤) وقال: غريب من حديث ثابت البناني، والنسائي في الكبرى ١: ٣٨٦ (١٢٢٣)، والصغرى ٣: ٥٢ (١٣٠٠)، وابن ماجه ٢: ١٢٦٨ (٣٨٥٨)، وابن حبان ٣: ١٧٥ (٨٩٣) طبعة مؤسسة الرسالة، و ٢: ١٢٥ (٨٩٠) طبعة الحوت، والحاكم ١: ٥٠٤، من طرق متعددة إلى أنس، وهو صحيح، وإن كان الترمذي استغربه من حديث ثابت البناني فقط. وليس في المواطن التي ذكرتها ـ على كثرتها ـ إلا ذكر اسم (المنان) فقط، وانفردت مطبوعة ابن حبان بزيادة «الحنان المنان» مع أنها غير واردة أيضاً في «موارد الظمآن» ص٥٩٢ (٢٣٨٢).
وورد اسم المنان أيضاً في حديث رواه أحمد ٣: ٢٣٠، وأبو يعلى ٤: ١٨٦ (٤١٩٥) من رواية أبي ظلال، عن أنس مرفوعاً: «إن عبداً في جهنم لينادي ألفَ سنة: ياحنان يامنان..» لكن أبو ظلال ضعيف. انظر «القول المسدد» ص٨٣، وانظر للفائدة «التلخيص الحبير» ٢: ١٧٢ـ١٧٤.

﴿وظلَّلْنا عليكمُ الغمامَ وأنزلْنا عليكم المنَّ والسلوى﴾، قال مجاهد: المنُّ صَمْغَةٌ، والسَّلوى الطير.

هكذا علَّقه البخاري في «صحيحه» بغير إسناد[١]، وهو في «تفسير» شيخه محمد بن يوسف الفِرْيابي: عن ورقاء، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد.

وعلماء النبات يعدُّون المَنُون سبعةً منها المنُّ المذكور، وغَفَلوا عن الكمأة فلم يذكروها، وقد صحَّ عن سعيد بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكَمْأةُ من المنِّ، وماؤُها شفاءٌ للعين»[٢].

والمنُّ أيضاً القطع والهدم، ومنه قوله تعالى: ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ فسَّره جماعة أنه غير مقطوع. وفي «مسائل نافع بن الأزرق»[٣]

---

(١) انظر أول المجلس ٦ ص١٣١.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٣١.

(٣) مسائل نافع بن الأزرق ـ أحد بني حنيفة ـ طويلة مروية بالإسناد، تزيد على المائتي سؤال، ذكر منها السيوطي رحمه الله تعالى في «الإتقان» في النوع السادس والثلاثين ٢:٥٥ـ٨٨ مائة سؤال وتسعة وثمانين سؤالاً، وقال في آخرها: «حذفت منها يسيراً نحو بضعة عشر سؤالاً». ومنها هذا السؤال الذي ذكره المصنف.
وقد روى بعضاً يسيراً منها الطبراني في «معجمه الكبير» ١٠:٢٤٨ـ٢٥٦، فذكر واحداً وثلاثين سؤالاً من رواية جويبر بن سعيد الأزدي، وهو متروك، وهو في «مجمع الزوائد» ٦:٣٠٤ـ٣١٠، ٩:٢٧٨ـ٢٨٣. وبعض يسير منها ذكره المبرِّد في «الكامل» ٣:١١٤٤ فما بعدها عن أبي عبيدة معمر بن المثنى.
وعزا السيوطي قسماً كبيراً منها إلى كتاب «الوقف والابتداء» لابن الأنباري، وساق سنده بها في الأول من طريق الطستي.
وقد طبع الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله هذه المسائل مع غريب القرآن الذي استخرجه من صحيح البخاري، كما أن الدكتورة عائشة بنت عبدالرحمن (بنت الشاطىء) استخرجت نصَّ السيوطي، وعملت دراسة لكل =

الحَنَفِيُّ الحَرُورِيُّ فقيهِ الخوارج لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وسأله عن قول الله عز وجل ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ فقال ابن عباس: غير مقطوع. قال: هل تعرفُ ذلك العرب، فقال: قد عرفه أخو بني يَشْكُر حيث قال:

وتَرى خلفهنَّ من سرعة الرَّجْـ ـعِ مَنيناً كأنه أَهباء[1]

يعني الغبار تقطعه قطعاً وراءها، والمَنين: الغبار الضعيف، ويقال مَنين وممنون: كقتيل ومقتول، وجريح ومجروح.

وقول بعض السلف: المنُّ أخو المنِّ: فالمنُّ الأول: امتنانُ المعطي

= سؤال وجواب، وذلك ضمن كتابها «الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق» من ص٣٠٩ـ٦٠٣، فجاءت دراسة موفقة رائدة، وقدَّمت لها بعشرين صفحة في وصف المخطوطات الثلاثة والمطبوعات الثلاثة التي اعتمدت عليها في إخراجها، وإن كانت من حيث الرواية تدور على جويبر الأزدي، وأبي بكر الهذلي، وكلاهما تالف ساقط.

وفي «لسان الميزان» ٦: ١٤٥ ترجمة نافع هذا: «له أسئلة عن ابن عباس مجموعة في جزء، أخرج الطبراني بعضها في معجمه الكبير» ولم يذكر الجامعَ له، فلعله جزء الخُتَّلي الذي اعتمدته الدكتورة عائشة.

ثم وقفت على طبعة الدكتور محمد أحمد الدالي لها، معتمداً على المخطوطات السابقة نفسها، مع تذييله عليها بضمّ ماجاء في المصادر السابقة إليها، فبلغ عدد المسائل ٢٨٧ سؤالاً، ففي عمله مزية من حيث الجمع على عمل الدكتورة بنت الشاطىء، وعلى عمل الدكتور إبراهيم السامرائي من حيث الإتقان، لكن في عمل الدكتورة بنت الشاطىء مزية كبرى من حيث الدراسة القرآنية والعربية.

(١) المصنف ينقل عن «الكامل» للمبرِّد ٣: ١١٥١ والتفسير منه، والبيت هو البيت الثاني عشر من معلَّقة الحارث بن حِلِّزة اليشكُري بلفظٍ نحوه، وإهباء يجوز في همزتها الكسر والفتح، والكسر أصح عند الأصمعي، ومعناه إثارة الناقة للهباء بسرعتها. انظر «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري ص٤٤٣، و «شرح القصائد العشر» للتبريزي ص ٢٩٤.

بالعطية على من أسداها إليه تقريعاً له، والمنُّ الثاني: القطع والهدم، فيكون معنى الأثر[١] أن من منّ بعطيته فكأنما قَطَع وصول أجرها إليه، وهَدَم البناء الذي أسسها عليه، لأن العطية تَسُرُّ من أُسدِيت إليه وتُوجِب الأجر لمن أعطاها[٢]. والمنُّ يَسوءُ الذي أُسدِيت إليه، ويوجب إثماً على المنَّان[٣] مع حُبوط أجره الذي لو لم يمنَّ لكان ثابتاً له. والـمُـنـة: القوة، وفي «كتاب الأضداد» للتَّوَّزيِّ[٣] أن المَنِين يكون القويّ أيضاً، فعيلاً، من المُنَّة.

فالمنُّ في هذه المواضع لفظُه متشابه، ومعانيه مختلفة، وهذا من تصريف المعاني من اللفظ الواحد.

ومن هذا الباب: قوله تعالى ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾. فمعنى بعث هنا ـ والله أعلم ـ أرسل، يقال: بعثت الرجل في حاجةِ كذا، وإلى كذا، أبعثه: إذا أرسلتَه، وبعثتُه على كذا: إذا أَرغبتُه فيه أن يفعله، ومصدر ذلك كله: البَعْثُ.

وله وجوه أيضاً، منها: البعثُ: الجندُ يبعثون في الأمر. والبعثُ أيضاً: النشور من القبور. والبعثُ: القومُ يؤمَر بهم إلى مكان، ومنه الحديث: أن آدم عليه الصلاة والسلام يقال له يوم القيامة أَخرِج بعثَ النار[٤].

---

(١) أي: الكلمة المنقولة عن بعض السلف.

(٢) يريد من وجوب الأجر ـ أو الإثم ـ ثبوتَه. وإلا فلا موجبَ على الله تعالى أن يعطي فلاناً من الناس أجراً على عطيته، أو إثماً.

(٣) عودٌ إلى النقل عن «الكامل» وزاد عنه: «والمعروف الأول» أي: الضعيف، والتَّوَّزيُّ: هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن هارون التَّوَّزي المتوفى سنة ٢٣٠، شيخ المبرد، ترجمه وذكر كتابه هذا الجمال القِفْطي في «إنباه الرواة» ٢:١٢٦، وانظر كتاب «الأضداد» للإمام ابن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٧، صفحة ١٥٥ـ ١٥٨.

(٤) رواه البخاري في مواضع، أولها: في أحاديث الأنبياء ـ باب قصة يأجوج =

والبعث أيضاً: المَبْعَث، ويقال له البِعثة أيضاً، وهي رسالةُ نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام المشارُ إليها بقوله تعالى في هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

ومن الأشباه والنظائر أيضاً: الرسول، وهو هنا نبينا محمدٌ عليه أفضل الصلاة والسلام، ويُطلَق الرسول أيضاً على المبعوث برسالةٍ مّا مِن ذَكَر أو أنثى، ويطلق على مَن أُرسل مِن الملائكة بأمرٍ مّا، قال الله عز وجل: ﴿الحمد لله فاطرِ السموات والأرض جاعلِ الملائكة رُسُلاً﴾ وقوله تعالى: ﴿رسلاً﴾ هو جمع رسول، ويجمع أيضاً على أَرْسُل.

ومن الأشباه أيضاً: قوله تعالى ﴿من أنفسهم﴾ جمع نَفْس. واختُلِف في المراد بها هنا، فقيل: العرب، وقيل: المؤمنون، وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: من أنفسهم بالإيمان والشفقة، لابالنسب، كما يقول القائل: أنت نفسي. انتهى.

وتطلق النفس أيضاً ويُراد بها نفس الإنسانِ وغيرِه التي يقوم بها جسمه، والخلاف فيها مشهور: هل هي الرُّوح أم لا؟ وقيل: الروح بها الحياة، والنفْس بها العقل، وعلى هذا قيل إذا نام: قَبَضَ الله نفسَه، وإذا مات: قبض الله روحه[1]، وحديثُ النوم عن صلاة الصبح في الوادي يردُّ على هذا ويُثبت أن الروح والنفْس شيء واحد[2].

= ومأجوج ٦: ٣٨٢ (٣٣٤٨)، ومسلم آخر كتاب الإيمان ١: ٢٠١ (٣٧٩).

(١) حكاه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٧: ١٣.

(٢) حكى ابن العربي هذا المعنى عن العلماء كافة في «القبس» ١: ١٠٤. والمصنف يشير إلى حديث أبي هريرة في عودة النبي ﷺ من غزوة خيبر وتعريسهم ليلاً بالوادي، وقوله لبلال: «اكْلأ لنا الليل» فغلبه النوم قبيل الفجر، فلم يستيقظ أحد منهم حتى أثّرت بهم الشمس، وكان أولَهم استيقاظاً رسول الله ﷺ، فنادى بلالاً، فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ ـ بأبي أنت وأمي يارسول الله ـ بنفسك. رواه مالك في «الموطأ» ١: ١٣ (٢٥)، ومسلم =

وتطلق النفْس على حقيقة الشيء، وعلى جملته، والنفس أيضاً: العظمة، والعزة، والهِمَّة، والأَنَفة، والعين المصيبة يقال: أصابت فلاناً نفسٌ، أيْ: عينٌ، والنفْس أيضاً: الخَلَد والرُّوع يقال: في نفْس فلانٍ أن يفعل كذا وكذا، والنفس أيضاً: ملءُ الكفِّ من الدِّباغ.

ومن الأشباه: قوله تعالى ﴿يتلو﴾ معناه هنا: يقرأ، يقال: تلوت القرآن: إذا قرأتَه، كأنك أَتْبَعْتَ آيةً في إِثْر آيةٍ قراءةً [١]، والمصدر: التِّلاوة ـ بكسر أوله ـ ويقال التُّلاوة بالضم لغتان، ويتلو أيضاً: يخبر، يقال: تلا الخبرَ يتلوه إذا أَخبر به، ويتلو الشيءَ أيضاً يَتَتَبَّعه، تَلْواً، فيهما.

ومن الأشباه أيضاً: قوله تعالى ﴿يتلو عليهم آياتِه﴾، الآيات هنا فسِّرت بالقرآن، وآيٌ أيضاً: جمع آية، والآية إنما سميت آيةً لأنها كلام متصل إلى انقطاع، وانقطاعُ معناه انقطاعُ قصةٍ ثم قصةٍ. قاله أبو عبيدة

= في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١:٤٧١ (٣٠٩)، ورواه الترمذي في تفسير سورة طه ٥:٢٩٩ (٣١٦٣) من طريق ابن أبي الأخضر ـ وهو ضعيف ـ عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، وأعلَّه.
ورواه مالك في «الموطأ» ١:١٤ (٢٦) عن زيد بن أسلم مرسلاً، وفيه قول النبي ﷺ: «ياأيها الناس إن الله قبض أرواحنا، ولو شاء لردَّها في حينٍ غيرِ هذا».
فعبَّر ﷺ عن حال النوم بقوله «قبض أرواحنا» وجاء تعبير بلال في القصة نفسها: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، فتمَّ للمصنف قوله: إن الروح والنفس شيء واحد، وهو قول حُكي في كتب اللغة، لكن اعتقادي أن العرب أدقُّ من هذا، وفروقُها الدقيقة بين كلماتها دليلُ ذلك، وإن كان يحصل أحياناً كثيرةً تجاوزٌ في الاستعمال يشوش على ادّعاء الفرق، بسبب الرواية بالمعنى.

(١) ولذلك يعبَّر في جانب القرآن العظيم بـ: التلاوة، على معنى مواصلة القراءة منه، فما يكاد ينتهي من مجلس التلاوة الأول حتى يجلس المجلس التالي لها، يوالي بين القراءتين والمجلسين.

في كتاب «مجاز القرآن»[1].

والآيةُ أيضاً العلامةُ، ومنه الحديث: «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ»[2]. والآيةُ أيضاً: المعجزةُ[3].

ومن الأشباه أيضاً في الآية: قوله ﴿ويزكِّيهم﴾، أي يُصلِحهم، فيما ذكره مقاتل بن سليمان وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿ولكنَّ الله يزكِّي مَن يشاء﴾، فالزكاة: الصلاح. والزكاة أيضاً: كلمة التوحيد، كما فُسِّر قولُه تعالى ﴿لايؤتون الزكاة﴾: لايشهدون أن لا إله إلا الله[4]. والزكاة أيضاً: التطهير. والزكاة أيضاً: النماء والزيادة. والزكاة: صدقةُ الفرضِ المشهورةُ. والزكاة أيضاً: البركة والمدح. ويقال أيضاً: زكا الرجلُ صار عدلاً مرضياً. وزكا أيضاً: أخصب. وزكا أيضاً: تنعَّم.

ومن الأشباه في الآية: قوله تعالى ﴿ويعلِّمُهُمُ الكتاب﴾ المراد به القرآن، وهو بمعنى المكتوب، مصدر سُمي به المفعول، ولم يكن

---

(١) ١: ٥.

(٢) حديث مشهور، رواه الشيخان في أوائل صحيحيهما: البخاري برقم (٣٣) ومسلم برقم (١٠٧) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) على فرق بينهما، فالمعجزة علامة دالة على صدقِ النبيِّ في دعواه النبوة، لكن المعجزة أمر خارق للعادة، ولايلزم من الآية أن تكون كذلك، فالآية أعم، والمعجزة أخصّ.

(٤) الآية رقم ٧ من سورة فصلت، وهذا التفسير رواه ابن جرير ٢٤: ٩٢ عن ابن عباس وعكرمة، ثم رجَّح تفسير الزكاة بالمعهودة المفروضة، لكن انظر توجيه قول ابن عباس في كتب التفسير الأخرى، ومما فيها: تفسير الزكاة بتزكية النفس، وذلك بالطاعة والاستقامة، وركنها: لا إله إلا الله.
وهذا التفسير من ابن عباس يذكرنا بتفسيره لقوله تعالى في سورة النحل: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان. .﴾ فسَّر العدل بـ: لاإله إلا الله، ولاغرابة في ذلك أبداً، لأن الله عز وجل قال: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ فأفهمنا سبحانه أن التوحيد هو العدل العظيم، وعنوان التوحيد وكلمته هي: لا إله إلا الله.

مكتوباً وقت نزوله على النبي ﷺ، مع أنه أُطلق عليه ذلك، لكنْ من قواعد كلام العرب أنهم تارةً يصفون الشيءَ بما هو ملابسٌ له حقيقةً، نحو: زيد قائم، إذا كان قائماً حالةَ الإخبار عنه، وتارة يصفون الشيء بما يؤول إليه مجازاً، كقول النبي ﷺ: «من قتل قتيلاً فله سَلَبُه»[1] فالقتيل: لايُقتَل، وإنما عُبِّر عنه بما يصير إليه، وتارة يصفون الشيء بما كان عليه أولاً، كقول الله عز وجل: ﴿وآتُوا اليتامى أموالَهم﴾ ولايسمَّى اليتيم بعد بلوغه يتيماً إلا باعتبار ماكان عليه.

والقرآن ـ جلَّ منزِّلُه ـ لم يكن وقتَ نزوله على النبي ﷺ مكتوباً، وإنما ذلك باعتبار أنه كان مكتوباً في اللوح المحفوظ، قال الله عز وجل: ﴿بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ﴾، ويَحتمل أنه سُمي كتاباً باعتبار مايؤول إليه، لأنه جُمع بعد نزوله وكُتب، والأول أظهر، لأن أبا بكر الصديق وغيره[2] رضي الله عنهم لما امتنعوا من كتابة القرآن حين اجتمعوا عند أبي بكر رضي الله عنهم لجمعه، لو فَهِموا عن الله عز وجل أن الكتاب سُمي بذلك باعتبار مصيره مكتوباً في المستقبل

---

(١) رواه البخاري في فرض الخمس ـ باب من لم يخمس الأسلاب ٦:٢٤٧ (٣١٤٢)، ومسلم كتاب الجهاد ـ باب استحقاق القاتل سلب القتيل ٣:١٣٧ (٤١) وغيرهما، عن أبي قتادة رضي الله عنه، بلفظ: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه»، ولفظ أحمد ٥:٣٠٦: «من قتل قتيلاً فسلبه له». ويسمي علماء البلاغة ـ والأصول ـ هذه العلاقة: اعتبار مايكون، ويسمون العلاقة التي ستذكر بعدها: اعتبار ماكان.

(٢) هو زيد بن ثابت رضي الله عنه، وذلك لما جاء عمر إلى أبي بكر باقتراح جمع القرآن عقب يوم اليمامة، والقصة مشهورة جداً، وهي في «صحيح البخاري» في آخر تفسير سورة براءة، ومواطن أخرى منه . ومصادر أخرى. ثم شرح الله صدر أبي بكر لذلك، ثم صدر زيد، وحصل من وراء ذلك الخير العظيم، ولله الحمد.

ماامتنعوا من الكتابة أولاً. والله أعلم[١].

ويطلق الكتاب أيضاً على الحكم، وبه فُسِّر قول الله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ أي: في حكمه، ومنه قول النبي ﷺ: «لأقضِينَّ بينكما بكتاب الله»[٢]. والكتاب أيضاً: الفرض، ومنه قوله تعالى: ﴿كتاباً موقوتاً﴾ وكَتَب الشيء: قضاه، وجَعَله، وأَمَر به، وفَرَغَ منه، وقدَّره، وأحصاه، وغير ذلك من الوجوه.

ومن الأشباه أيضاً في الآية: قوله تعالى ﴿والحكمة﴾ هي هاهنا سنة النبي ﷺ، وبذلك فسَّره ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عنه مجاهد، ورُوي عن قتادة وآخرين، وبه قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه، فقال في كتابه «الرسالة»[٣] من كتابه «الأم» ـ وهو أولها ـ: وقد فرض الله تعالى على الناس اتباع وَحْيه وسُنن رسوله ﷺ فقال في كتابه: ﴿ربَّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم﴾[٤].

* * *

---

(١) ينظر في قوة هذا التلازم؟ والله تعالى يقول في سورة البينة: ﴿البينةُ * رسولٌ من الله يتلو صُحُفاً مطهَّرة﴾.

(٢) هذا جزء من حديث العسيف الذي رواه البخاري في مواضع كثيرة، منها في كتاب الصلح - باب إذا اصطلحوا على صلح جور ٥: ٣٠١ (٢٦٩٥، ٢٦٩٦)، ومسلم في الحدود - باب من اعترف على نفسه بالزنى ٣: ١٣٢٤ (٢٠) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني معاً، وفيه: «لأقضين بينكما بكتاب الله، أما الوليدة والغنم فردٌّ عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام» ومعلوم أن التغريب ليس منصوصاً عليه في الكتاب الكريم، فيكون المراد حينئذ بقوله «بكتاب الله»: بحكم الله، كما قال المصنف.

(٣) «الرسالة» بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ص٧٦ (٢٤٤).

(٤) هكذا انقطع الكلام بين ١١٧/آ و١١٧/ب، والله أعلم بحقيقة الأمر.

بسم الله الرحمن الرحيم

-١٢-

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إِذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

ذكّر الله عز وجل المؤمنين بنعمة عظيمة من أمهات نِعَمه، وماأفاضه عليهم من بحار كرمه، وهي بعثةُ هذا الرسول سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وماحصل على يديه من الإنعام والإكرام، من ذلك: تلاوةُ آياتِ الله علينا أيها المؤمنون، إما: بغير واسطة لمن شاهدوا التنزيل، وكانوا يسمعونه من لفظ النبي ﷺ وعنه يأخذون، وهؤلاء هم السادة الصحابة خير القرون.

وإما: تلاوةُ الآيات بواسطة الصحابة مع بعضهم، ومع التابعين، وبواسطة التابعين لمن لم يسمع من الصحابة، وهلمّ جرّاً، إلى أنْ تليتْ علينا الآياتُ العظام، وتلقَّيناها سماعاً وتلاوة ممن أدركنا من الأعلام، وهكذا تُتْلى على مَن يأتي بعدُ من المؤمنين، إلى أن يُرفَع القرآن من صدور المسلمين[١].

---

(١) يشير إلى ماورواه ابن ماجه ٢:١٣٤٤ (٤٠٤٩) والحاكم ٤:٤٧٣، ٥٤٥ عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَدْرُسُ الإسلامُ كما يَدْرُسُ وَشْي الثوب، حتى لايُدرى ماصيامٌ ولاصلاة ولانسك ولاصدقة، ولَيُسْرى على كتاب الله عز وجل في ليلةٍ فلايبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائفُ من الناس: الشيخُ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لاإله إلا الله، فنحن نقولها». فقال صِلة بن زُفر لحذيفة: ماتغني عنهم لا إله إلا الله =

وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى - والله أعلم -: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾.

والتِّلاوة - بكسر المثناة فوقَ، وضمها، لغتان - ومعناها إتْباعُ بعض القرآن بعضَه قراءةً. والآيات هنا فُسّرت بالقرآن، وتلاوته أحدُ علوم القرآن العظيم، وعلومُه كثيرةُ الأنواع، ترجع إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: تلاوته بالإتقانِ، وتصحيحِ الإعراب، وحسنِ الأداء، ومنه الواجب والمستحب.

فمن الواجب: تصحيح التلاوة من اللحْن الجليّ، مثل تغيير الإعراب، لاسيما إذا غـيَّر اللحنُ المعنى، وكإخراج الحرف من غيرِ مخرجه، وربما تغيّر به المعنى، وكذلك عدم أصل التشديد.

ومن المستحبّ: تصحيحُ التلاوة من اللحن الخفيّ، كترك المدّ المتفَق عليه، وأحكام النون الساكنة والتنوين، ونحو ذلك من الترقيق والتفخيم[١].

= وهم لايدرون ماصلاةٌ ولاصيام ولانسك ولاصدقة؟! فأعرض عنه حذيفة، ثم ردَّها عليه ثلاثاً كلُّ ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: ياصلةُ تنجيهم من النار - ثلاثاً -.

وصححه البوصيري في «مصباح الزجاجة» ٢: ٣٠٧ (١٤٢٩)، والحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وكذلك قوّى سنده الحافظ في «فتح الباري» ١٣: ١٦.

(١) يكاد يتفق مع المصنف في هذا التقسيم والحكم العلامة عليٌّ القاري - وهو من الأئمة القراء - في شرحه «المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية» ص١٩، ٢٠، وآخرون. ويختلف معه آخرون. انظر «هداية القاري» للمقرىء الشيخ عبدالفتاح المرصفي ص٤٨، «وأحكام القاري» للمقرىء الشيخ محمود خليل الحصري ص٢٧ رحمهما الله، وتأملْ كلام ابن الجزري في «النشر» ١: ٢١١، فالظاهر أن قوله بين القولين، وقولُ المصنف وعلي القاري أرفقُ بالأمة، بل أرفق بمن هم من خاصة الأمة، فضلاً عن عامتها.

فهذا أحدُ أقسام علومِ القرآن معرفةُ تلاوته المشارِ إليها بقوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته﴾.

والثاني: معرفة وجوه القراءات المأخوذة عن الأئمة، كالسبعة[1]،

= ويلزم على القول الثاني أمران شديدان، أولهما: أن السواد الأعظم من الأمة آثم في قراءته. ثانيهما: أن من نجا من الإثم فإن قراءته للقرآن بلغت من الإتقان والدقة مبلغ الأئمة القراء العشرة وأشباههم، بل مبلغ الصحابة رضي الله عنهم، بل مبلغ خاصة الصحابة وعظمائهم كالأربعة الخلفاء، وأن قراءة الأربعة الخلفاء كقراءة سيدنا رسول الله ﷺ!! وهذا لازم باطل. والله أعلم.

(١) الحق الذي لايُلتفت إلى سواه: أن القراءات العشر كلها متواترة، ينظر لهذا كلام خاتمة الأئمة المقرئين: ابن الجزري رحمه الله في «النشر» أو جزئه اللطيف «منجد المقرئين»، فإنه لم يدع قولاً لقائل.

هذا، وقد قال المصنف رحمه الله في الأوراق غير المرتبة بعد أن قسم هذا التقسيم وتكلم على اللحن الجلي والخفي: «والقسم الثاني من أقسام علوم القرآن: معرفةُ وجوهِ قراءاته، وهي على أقسام، منها:

[القسم الأول]: معرفة وجوه القراءات عن الأئمة السبعة الذين جمعتُهم في بيت مفرَد للمعرفة بهم فقلت:

أئمةُ قرّاءِ القراءات سبعةٌ ضِيَا وهم كالزُّهْر في الناس لامعُ

همُ ابنُ كثير ابنُ العَلاء ابنُ عامرٍ كسائيٌّ الزياتُ عاصمُ نافعُ

وأولُ من جمع قراءاتهم الإمامُ أبو بكر أحمدُ بن موسى بن العباس بن مجاهد التميميُّ البغداديُّ كان في حلْقته أربعة وثمانون خليفةً (*)يأخذون على الناس، توفِّي في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاث مئة.

وإنما جمع قراءةَ هؤلاء السبعة ليكونَ موافقاً لعدد الحروف السبعة التي أُنزل القرآن عليها (**)، لأنها بعينها هي التي أُنزل القرآن عليها.

(*) أي: خَلَفاً ونائباً.

(**) هذا ما نقله شيخ المقرئين ابن الجزري «النشر» ١: ٣٩ عن الشيخ الإمام ابن تيمية رحمهما الله تعالى، لكن في «فتح الباري» ٩: ٣٢ نقلاً عن مكي بن أبي طالب: «.. وقد صنف ابن جبير المكي ـ وكان قبل ابن مجاهد ـ كتاباً في =

= والخلاف مشهور: هل مصحفُ عثمانَ المتضمِّنُ للعَرْضة الأخيرة التي عَرَضها رسول الله ﷺ على جبريل عليه السلام، هو أحدُ الحروف السبعة التي أُنزِل عليها القرآن، أم هذا المصحفُ مشتملٌ على الأحرف السبعة المشارِ إليها؟ قولان للعلماء، وجمهورهم على الأول(*)، وذهب إلى الثاني طوائفُ من الفقهاء والقراء والمتكلمين، بناءً على أنه لايجوز على الأمة أن تُهمِل نقلَ شيء من الأحرف السبعة، وقد اتفقوا على نقل هذا المصحف العثماني وعلى تَرْك ماسواه.

والقسم الثاني من وجوه القراءات: قراءةُ الأئمةِ الثلاثةِ بعد السبعة، وهم أبو جعفرٍ يزيدُ بنُ القَعْقَاع المدنيُّ التابعيُّ المشهور، وأبو محمد يعقوبُ بن إسحاقَ الحضرميُّ مولَاهم البصري، وأبو محمد خَلَف بن هشامٍ البزارُ الأسديُّ البغداديُّ.

والقسم الثالث: قراءةُ أئمةٍ غيرِ العشَرة الذين صحَّ الإسناد بقراءتهم وتشملهم الكتب المصنَّفة في ذلك، مثل كتاب «وجوه القراءات» لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم وغيره(**).

= القراءات، فاقتصر على خمسة اختار من كل مصرٍ إماماً، وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التي أرسلها عثمان كانت خمساً إلى هذه الأمصار، ويقال: إنه وجَّه بسبعة، هذه الخمسة ومصحفاً إلى اليمن ومصحفاً إلى البحرين، لكن لم نسمع لهذين المصحفين خبراً، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف فاستبدلوا من غير البحرين واليمن قارئين يكمل بهما العدد، فصادف ذلك موافقة العدد الذي ورد الخبر بهما..».

(*) وعبارة الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى في «النشر» ١: ٣١ أوفى وأدق: «ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحفَ العثمانية مشتملةٌ على مايحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعةٌ للعرضة الأخيرة.. لم تترك منها حرفاً، وهذا الذي يظهر صوابه..» وانظر تمام كلامه وبحثه.

(**) وهذا مايسمى عند أهل الفن بالقراءات الآحاد، وهي القراءات الأربعة=

= والقسم الرابع: سوى ماتقدَّم، وهو الشاذ، وهو على قسمين: شاذٌّ سنداً ومتناً، وشاذ متناً صحيحٌ سنداً، كما قد صحَّ من قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء رضي الله عنهما: «والليلِ إذا يغشَى، والنهارِ إذا تجلَّى، والذكرِ والأنثى»(*).

وكقول ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزل قوله تعالى: «وأَنذِرْ عشيرتَك الأقربين، ورَهْطَك منهم المخلَصين» صَعِد النبي ﷺ الصفا، وذكر الحديث(**).

والقسم الثالث من علوم القرآن التي تَرجِع أنواع علوم القرآن إليها: معرفةُ تفسيرِه واستنباطِ أحكامه، كما هو من شروط المجتهد، وهذا القسم هو غايةُ علوم القرآن، لأنه المقصود لمعرفة المتكلِّم به، وهو الله سبحانه، وما يتعلق بتوحيده وإخلاص الدين له، وكيفية عبادته سبحانه كما أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿يتلو عليهم آياتِه ويزكيهمْ ويعلمهمُ الكتاب والحكمة﴾.

ووجوه مأخَذِ علوم القرآن منه عدَّة، وأصلُها المنطوق والمفهوم، فأما المنطوق فهو: مادلَّ عليه اللفظ بغير واسطة في محلِّ النطق، ويأتي نصاً وظاهراً، فالنصُّ: مارُفع في بيانه إلى أقصى غايته، وهو ما استقلَّ بنفسه بنصِّه.

والظاهر: ما احتملَ أمرين أحدُهما أقوى من الآخر. =

التي تأتي بعد العشرة، وأصحابها: الحسن البصري ـ الإمام المشهور ـ وابن محيصن المكي، ويحيى بن المبارك اليزيدي، وأبو الفرج الشَّنَبوذي رحمهم الله تعالى جميعاً.

(*) انظر هذا في «صحيح البخاري» ٨: ٧٠٦، ٧٠٧ (٤٩٤٣، ٤٩٤٤)، و«صحيح مسلم» ١: ٥٦٥، ٥٦٦ (٢٨٢ـ٢٨٤).

(**) «صحيح مسلم» ١: ١٩٣ (٣٥٥). وهذه القراءة والتي قبلها كانت قرآناً يتلى ثم نسخ، كما قال العلماء. انظر «فتح الباري» وشرح النووي ٣: ٨٢ـ٨٣، و «تفسير القرطبي» ١٣: ١٤٣، واللام من قوله «المخلَصين» ضبطها الإمام النووي بالفتح.

ومايتعلق بذلك.

والثالث: معرفة تفسيره واستنباط أحكامه، كما هو من شروط المجتهد.

وهذا القسم هو غاية علومه، لأنه المقصود لمعرفة المتكلِّم به سبحانه، ومايتعلق بتوحيده وإخلاص الدين له، وكيفية عبادته سبحانه، كما أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿يتلو عليهم آياتِه ويزكيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾.

ومعنى التزكية: الإصلاح ـ والله أعلم ـ لأنه بتلاوة القرآن على المؤمنين انفتحتْ لسماعه آذانهم، وانشرحتْ لفهمه صدورهم، فصلحتْ بالتزكية، فتعلموا حينئذ الكتابَ ـ وهو القرآن المتلوّ على المؤمنين ـ.

و الحكمةَ ـ وهي سنة النبي ﷺ قولاً وفعلاً ـ فصاروا بذلك من المهتدين، كما أشار إليه سبحانه بقوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ أي: ﴿من قبل﴾ أن يَبعث الله فيهم هذا الرسول ﷺ بما بعثه به ﴿لفي ضلال﴾ وهو عدم الرَّشَاد والهدى ﴿مبين﴾ أي: بيِّن ظاهر. والله أعلم.

فأيُّ نعمةٍ توازي هذه النعم! وأي فضل يوازي هذا الفضل والكرم!.

وفي قول الله عز وجل: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياتِه﴾ أي القرآنَ الذي أنزله الله عليه. ونزول القرآن كان في شهر رمضان، كما قال الله عز وجل: ﴿شهرُ رمضان الذي أُنزِل فيه القرآن﴾

= وأما المفهوم: فهو مادلَّ عليه اللفظ في محلِّ السكوت، أما دلالةُ المفهوم فمختلَف فيها: هل هي قياسية؟ كما نُقِل عن الشافعي، وحُكي عن...(*).

(*) وقف الكلام هنا، وينظر كلام المصنف في النص والظاهر والمفهوم ص٤٦٣.

فقيل: ابتداء نزوله كان في شهر رمضان، ثم نزل مفرَّقاً في رمضان وغيره، وقيل: كان النزول في الشهر جملةً واحدةً، كما قال الله عز وجل: ﴿إنا أنزلْناه في ليلة القدر﴾ وهي الليلةُ المباركةُ عند الجمهور المشارُ إليها بقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما مايدلُّ على ذلك، جمعاً بين الآيات الثلاث وبين ماعُلم نزوله في غير شهر رمضان، وهو ماخرَّجه الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه «أسماء الله تعالى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة»[١] من حديث السُّدِّي، عن محمد بن أبي المجالد، عن مِقْسَم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه سأله عطيةُ بنُ الأسود فقال: إنه قد وقع في قلبي الشك، قولُ الله عز وجل: ﴿شهرُ رمضانَ الذي أُنزل فيه القرآن﴾ وقولُه تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾، وقولُه تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ وقد أُنزِل في شوال، وذي القعدة، وذي الحجة ـ يعني وغير ذلك من الأشهر ـ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل في رمضان، وهي ليلة القدر، وفي ليلة مباركة، جملةً واحدةً، ثم أُنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رِسْلاً في الشهور والأيام.

ومعنى رِسْلاً أي رِفْقاً، وقوله ﷺ[٢]: على مواقع النجوم: أي على مِثل مَسَاقط النجوم يتلو بعضُه بعضاً على تُؤَدَة ورِفْق.

ورُوِّينا في كتاب «فضائل القرآن»[٣] لأبي عبيد القاسم بن سلام قال: حدثنا يزيد، عن داود بن أبي هند، عن عِكرِمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أُنزل القرآنُ جملةً واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نَزَل بعد ذلك في عشرين سنة، وقرأ: ﴿وقرآناً فَرَقْناه لِتقرأه على الناس على مُكْث ونزَّلْناه تنزيلاً﴾. قال أبو عبيد: لاأدري كيف قرأه يزيد ـ يعني

---

(١) «الأسماء والصفات» ص٣٠٤، ويستفاد من هنا أصل تسمية هذا الكتاب.

(٢) كذا قال! وهو من كلام ابن عباس كما ترى.

(٣) صفحة ٢٢٢.

ابنَ هارون شيخَه في حديثه ـ إلا أنه لاينبغي أن يكون على هذا التفسير إلا فرَّقناه ـ بالتشديد ـ. والحديث خرَّجه الحاكم في «مستدركه»[1] ـ دون قول أبي عبيد ـ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

والسرُّ في إنزال القرآن جملةً واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نَزَل على النبي ﷺ مفرَّقاً: أن الكتب المنزلة قبل نزول القرآن أُنزلت إلى الأرض جملةً واحدة، فحَصَل للنبي ﷺ ماحَصَل للأنبياء الذين أَنزل الله عليهم كُتُبه جملةً واحدة، فأنزل القرآن جملةً واحدةً، ووُضع في بيت العِزَّة من سماء الدنيا، ثم زاده الله على الأنبياء نزولَ القرآن مفرَّقاً بعد نزوله جملةً، فكان نزولُ القرآن مرتين.

والمرةُ الأولى التي نَزَل فيها جملة: هل كانت بعد ظهور نبوَّة محمد ﷺ أم قبلها؟ كلٌّ منهما محتمِل، وعلى كلٍّ فيه تفخيمٌ عظيمٌ للنبي ﷺ إنْ كان بعد ظهور النبوة، وإن كان قبلها ففائدتُه أظهرُ وأكثرُ، لأن فيه إعلامَ الملائكة بقُرْبِ ظهور أمةِ النبي ﷺ الأمةِ المرحومةِ الموصوفة في الكتب السالفة، وبإرسالِ نبيِّهم أحمدَ خاتمِ الأنبياء، وأَرَقِّ الرحماء، خاتم النبيين، والمرسَلِ رحمةً للعالمين، الذي أَمَر بالتراحم ورَغَّب فيه، ووعد الثواب للراحم من جنس مايعطيه، فقال في أحاديثَ منها ذلك الحديثُ العظيمُ الشان «الراحمون يرحمهم الرحمن» الذي رَوَيناه فيما تقدَّم من طرق ثمانية إلى النبي ﷺ، وهذه طريقٌ تاسعة، هي لما قبلها تابعة.

أخبرنا الإمام أبو العباس أحمد بن أبي محمد بن موسى الحاكم، وهو أول حديث سمعته منه بمنزله بدمشق، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن محمد الثَّغْري، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا يحيى ابن محمد بن الحسن بن عبدالسلام، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبي أبو بكر محمد بن الحسن، وهو أول حديث سمعته منه،

---

(١) ٢ : ٢٢٢ ووافقه الذهبي.

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الأَصْبَهاني، وهو أول حديث سمعته منه وأنا حاضر، أخبرنا جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر ابن السراج، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو نصر عُبيدالله الوائلي بمكة، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا حمزة بن أبي محمد بنيسابور، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه، أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن بشر، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته من سفيان، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمُهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا أهلَ الأرض يرحمْكم من في السماء».

وأنبأناه أعلى من هذا بدرجةٍ المسنِدُ الكبيرُ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله النّعالي، عن الحافظ العلامة أبي محمد عبد المؤمن ابن خَلَف الدِّمياطي قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدالسلام في الرحلة الثانية إلى ثَغْر الإسكندرية سنة تسع وثلاثين وستمائة، وهو أول حديث سمعته منه فذكره.

وبالإسناد إلى أبي طاهر قال: قال لي ابن السَّرَّاج: لما دخلتُ مصر حضرتُ مجلس أبي إسحاق الحبَّال فأَخرج لي هذا الحديثَ وكان يرويه عن أبي نصر فقلت: هو سماعي منه. فقال: أَقرؤُه فتسمعُه أنتَ مني، وأسمعُه أنا منك، فقرأه رحمه الله.

هذا حديثٌ حسنٌ عالٍ من حديث أبي محمد سفيان بن عيينة بن أبي عِمران: ميمونٍ الهلاليِّ مولاهم، الكوفيِّ الأصلِ، المكيِّ الدار، عالمِ الحجاز. وكان أعورَ العين، أدرك من التابعين ستة وثمانين، وتفرَّد مدّة عن الزهريِّ وعمرِو بنِ دينار، في آخرين.

ولما مات الزهري سنة أربع وعشرين ومئة كان لابن عيينة من العُمُر

سبعَ عشْرةَ سنةً، وحين مات عمرو بن دينار في سنة ستٍ وعشرين ومائة كان لابن عيينة إذ ذاك تسعَ عشْرةَ سنةً.

قال البخاري: قال لنا عليٌّ، عن ابن عيينة: ولدتُ سنةَ سبعٍ ومائة، وجالست الزهريَّ وأنا ابن ستةَ عشَر سنة وشهرين ونصفٍ. رواه في «تاريخه الكبير»[١].

وكان قد رأى في حياة شيوخه في المنام كأن أسنانه كلَّها سقطتْ، فقصَّ رؤياه على شيخه الزهري فقال: تموتُ أسنانُك ـ يعني أقرانَك ـ وتبقى أنت. قال سفيان: فماتت أسناني وبقيتُ[٢].

ورُوي أن سفيان لما تفرَّد تمثَّل وأنشد:

خلَت الديارُ فَسُدْتُ غيرَ مسوَّد ومن الشقاء تفرُّدي بالسُّؤْدُد

هذا، والشافعي يقول عنه: ما رأيتُ أحداً فيه من آلة العلم ما في سفيان، وما رأيت أحداً أكفَّ[٣] عن الفتيا منه!.

وقال ابن المديني: ما بقيَ على وجه الأرض أحدٌ يشبهه.

وقال ابن وهب: مارأيتُ أعلمَ بكتاب الله منه.

وأثنى عليه الأئمة، وكان أحدَ علماء الأمة، وكان له أخوة تسعة هم به عشرة، منهم: محمد، وآدم، وعمران، وإبراهيم، وسفيان، وكلُّهم محدِّثون[٤]، وسفيانُ أجلُّ العشَرة قدراً، وأشهرهم ذِكْراً.

مولده بالكوفة للنصف من شعبان سنة سبع ومائة ثم نقله أبوه إلى

---

(١) ٤: ٩٤ (٢٠٨٢).

(٢) زاد في «تهذيب الكمال» ١١: ١٨٩ من كلامه: «فجعل الله كلَّ عدوٍّ لي محدثاً» وفيه: «كل عُدُولي» فيصحح.

(٣) تحرف في «تهذيب الكمال» ١١: ١٩٠ إلى: أكفأ.

(٤) «ثقات ابن حبان» ٦: ٤٠٤، وعنه «تهذيب الكمال» ١١: ١٧٨، وفيه ص١٩٤ قصة ذكر فيها هؤلاء الخمسة إلا آدم.

مكة، ثم دخل الكوفة وقد ناهز عشرين سنة فقال أبو حنيفة لأصحابه: جاءكم حافظُ علمِ ابن دينار، فجاء الناس إليه يسألونه عن عمرو بن دينار. قال ابن عيينة: فأولُ مَنْ صيَّرني محدثاً أبو حنيفة، فذاكرته.

وقد رُوي أن أولَ من أخذ عنه من أهل الكوفة مِسْعَر بن كِدَام. قال أبو غسان مالك بن إسماعيل النَّهْدي: سمعت ابن عيينة يقول: أول من جاءني يطلبُ مني الحديث مِسْعَر.

توفي مِسْعَر سنة خمس وخمسين ومئة قبل وفاة سفيان بثلاث وأربعين سنة.

توفي سفيان سنة ثمان وتسعين ومئة بمكة، ودُفن بالحَجُون وقبره ظاهر يُزار، وحجَّ سبعين حجة[1].

وهذا الحديث معروف به، وهو من أفراده عن عمرو بن دينار.

وهو أبو محمد المكي الجُمَحي الأَثْرَم، مولى موسى بن باذانَ مولى بني جُمَح، ويقال مولى باذانَ والدِ موسى المذكور، وقيل باذان مولى بني مخزوم، ويقال هو مولى باذانَ عاملِ كسرى على اليمن.

قال أحمد بن حنبل: كان مولىً فشرَّفه الله بالعلم. يعني عَمْراً.

وهذا غير عمرِو بن دينار الأعورِ قَهْرَمانِ آلِ الزبير، والقهرمانُ هذا

---

(١) عاش سفيان إحدى وتسعين سنة، وحج به والده لأول مرة وعمره ست سنوات، وحجَّ به سبعاً وعشرين حجة وقد بلغ سفيان نيفاً وثلاثين سنة، كما في «إكمال تهذيب الكمال» لمغلطاي ورقة ١١٠/آ نسخة قليج علي، فلا يستبعد منه ـ وقد أتم الواحدة والتسعين عاماً ـ أن يكون قد أتم سبعين حجة، والذي حدَّث عنه أنه حج هذه الحِجَج الكثيرة هو ابن أخيه الحسن بن عمران ابن عيينة، كما نقله عنه ابن سعد في «طبقاته» ٧: ٤٩٧ـ٤٩٨، بل في «الحلية» ٧: ٢٨٩ عنه أنه قال: شهدت ثمانين موقفاً!، وفي آخر ترجمة سفيان من «تهذيب التهذيب» أن انتقاله إلى مكة كان سنة (٦٣) بعد المائة ويبدو أنه تحريف صوابه ٢٢٣؟. والله أعلم.

متأخرٌ عن عمرو بن دينار المكيِّ الأثرمِ مولى عبد الله بن عمرو حسّاً ومعنىً، لأن المكيَّ لقيَ عدةً من الصحابة، منهم ابنُ عباس، وجابرٌ، وأبو شُرَيح الخُزَاعي، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو؛[(١)] والقَهرمانُ ليس له صحابي يروي عنه، إنما يروي عن سالم بن عبد الله بن عمر.

وأما تأخُّر القهرمان معنىً: فهو ضعيف، قال البخاري: فيه نظر، وقد ضعَّفه أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، ويحيى بن معين، والترمذي وغيرهم[(٢)].

وعمرو بن دينار المكيُّ التابعيُّ من كبار الثقات، ولقد حدَّث عنه سفيان بن عيينة مرةً فقال: حدثنا عمرو بن دينار وكان ثقةً ثقةً ثقةً ثقةً، وحديثاً أسمعه من عمرو أحبُّ إلي من عشرين من غيره[(٣)].

وذكر بعضهم عمرو بنَ دينار ثالثاً وهو أبو خَلْدَةَ الكوفي، من شيوخ

---

(١) وزاد المزي وابن حجر على هؤلاء: عبد الله بن الزبير، وأبا هريرة، وأبا الطفيل.

(٢) «التاريخ الكبير» ٦:٣٢٩ (٢٥٤٥)، و «الجرح والتعديل» ٦:٢٣٢ (١٢٨١)، و«سنن الترمذي» كتاب الدعوات ـ باب مايقول إذا رأى مبتلى ٥:٤٥٩ (٣٤٣١).

(٣) هكذا بخط المصنف تكرار «ثقة» أربع مرات وتقدم منه التصريح بأنه كررها أربع مرات في المجلس الثالث ص٩٤، ومثله في «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي ٢:٢٧ مع النصِّ على أنها أربع مرات أيضاً، لكن في المطبوع من مصدرهما الأصلي ـ وهو «الجرح والتعديل» ٦:٢٣١ (١٢٨٠) ـ تكرارها ثلاث مرات، وفي «فتح المغيث» ٢:١١١ ـ مبحث مراتب الجرح والتعديل ـ: «وكان ثقة ثقة، تسع مرات، وكأنه سكت لانقطاع نَفَسه». والأربع مرات لاينقطع عندها النفَس.
وقوله «وحديثاً أسمعه..»: هكذا بخطه مع الشكل، ومثله في «الجرح والتعديل» وطُبع في المصادر الأخرى: وحديثٌ، وسيأتي كذلك بخطه ص٣٠١.

سيف بن عمر صاحب «الفتوح» و «الرِّدَّة»[١]. وهذا من المتفِق والمفترِق، وهو أحد الأنواع التي يدخل فيها الحديث.

وأول الثلاثة عمرو بن دينار المكيُّ: أمثلُهم، وقد تفرد بالحديث عن أبي قابوسَ.

والصحيح فيه أن اسمه كنيته، وزعم ثابت بن محمد المديني أن اسمه المبرد[٢] قال الذهبي فيما أُخبِرنا وحُدِّثنا عنه: ومن زعم أن اسمه المبرد فقد تبارد. لكني قلت: وقولُ ثابت ليس بثابت.

وشيخُ أبي قابوسَ مولاه: عبدالله بن عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم بن سُعَيد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر القرشي السَّهمي، أبو محمد، وقيل أبو عبدالرحمن، وقيل أبو نصير، وهو وأبوه، وأمه رَيْطَة بنت مُنَبِّه بن الحجاج السَّهْمية صحابةٌ رضي الله عنهم. ورُوي أن النبي ﷺ قال فيهم: «نِعْمَ أهلُ البيت عبد الله وأبو عبد الله وأمُّ عبد الله»[٣] رضي الله عنهم.

---

(١) وذكره المزي في «تهذيبه» في الرواة عن سَهْم بن مِنْجاب بن راشد، ثم طبع كتاب الخطيب «المتفق والمفترق» ورأيته فيه كذلك ٣:١٦٩.

(٢) انظر ص ٣٤٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ٤:١٥٠، وفي «فضائل الصحابة» له أيضاً ٢:٩١٢ (١٧٤٤) عن عقبة بن عامر بإسناد صحيح، ورواه أيضاً فيهما: ١:١٦١، ٢:٩١١ (١٧٤٣) من رواية ابن أبي مليكة، عن طلحة بن عبيد الله مرفوعاً، وروى طرفاً آخر منه الترمذيُّ ٥:٦٤٦ (٣٨٤٥) من هذا الوجه وقال: «إسناده ليس بمتصل، وابن أبي مليكة لم يدرك طلحة»، وكأن للمزيِّ وقفةً في ذلك فإنه قال أول ترجمة ابن أبي مليكة في «تهذيب الكمال» ١٥:٢٥٦: «قيل لم يسمع من طلحة» وتبعه ابن حجر في «تهذيبه»، وبين وفاتيهما أزيد من ثمانين سنة، فالله أعلم. وقد اقتُصِر في التعليق على «سير أعلام النبلاء» ٣:٥٦ على تخريجه من «المسند» ١:١٦١ والترمذي من حديث طلحة فقط، وجعل الحديث منقطعاً، وهو قصور.

ولم يكن بين عبد الله وأبيه في السنِّ سوى إحدى عشْرةَ سنةً وقيل اثنتيْ عشْرةَ سنةً.

أسلم عبد الله قبل أبيه، وكان اسمه كاسم جدِّه: العاصي، فسماه النبيُّ ﷺ عبدَ الله[١]، وكان رجلاً طُوَالاً، أحمرَ، عظيمَ البطن، أبيضَ الرأس واللحية، وكان أحدَ فقهاء الصحابة وحفاظِها، مع ورع وصلاح وعبادة، سخيّاً كريماً متواضعاً.

اختُلِف في وفاته ومكانها، فقيل: سنة ثلاث وستين، وقيل سنة ثمان وستين، وقيل سنة ثلاث وسبعين، بمكة، وقيل بالطائف، وقيل بمصر، وقيل بفلسطين. وكان من المكثِرين أصحابِ المئين، قيل رَوَى سبع مئة حديث، أُخرِج له في الصحيحين خمسة وأربعون حديثاً، المتفقُ عليه فيهما سبعةَ عشَر حديثاً، وانفرد البخاري بثمانية أحاديث، وانفرد مسلم بعشرين حديثاً، وله في السنن عدَّة، وخرج له. . .[٢] مسنداً مفرداً.

وحديثه هذا حسن، كما تقدم، وصححه الترمذي[٣]، وهو من الأفراد.

---

(١) تقدم تخريجه من «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» ١: ٦٣٥ (١٨٤١).

(٢) بياض قدر كلمتين آخر السطر لتسمية من أفرد كتاباً خاصاً سماه مثلاً مسند عبد الله بن عمرو بن العاص. ولعبد الله بن عمرو (الصحيفة الصادقة) وهي معروفة، غير أنها ليست مرادة هنا، وقد جمع الإمام أحمد في «مسنده» جملة كبيرة من روايات عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ـ عبد الله بن عمرو ـ يَتْلو بعضها، فبلغت مائتي حديث وسبعة وأربعين حديثاً، انظرها في طبعة الأستاذ أحمد محمد شاكر رحمه الله ١٠: ١٤٣ (٦٦٥٩) ـ ١١: ١٢٦ (٦٩٠٦)، وضمن أحاديثه الأخرى أحاديثُ هي من رواية عمرو عن أبيه عن جده لم تذكر مع هذه المجموعة، وذكر ابن حزم في جزئه «أسماء الصحابة الرواة» (٩) أنه روى سبع مئة حديث.

(٣) تقدم التنبيه إلى أنه قال: حسن صحيح، وأنه ينبغي التقيُّد بنقل لفظ الترمذي.

ومن لطائف سنده: رواية الأقران عن أقرانهم، وهو على ثلاثة أجناس، منها المُدَبَّج: روايةُ كلٍّ من القرين عن الأخر، لأن ابن السرَّاج سمعه من لفظ أبي إسحاق الحبال، حدَّثه به عن أبي نصر الوائلي، وسمعه ابن الحبال بقراءته على ابن السراج عن أبي نصر.

ومن لطائف السند أيضاً: أنه يدخل في نوع من أنواع الحديث، وهو أن يأتي نَسَبُ رجل يُقْرأ من آخره كما يُقْرأ من أوله لايتغيَّر نطقاً ولاخطأً، لكن لم يذكره أحد في الأنواع، ولاأُفرِد بالتأليف فيما أداه إليَّ السماع، مع أن الحافظ أبا موسى المَدِيني صنَّف أنواعاً لطائفَ في الأسانيد منها: المتفِق من الأسماء على نَسَقٍ، ولم يعرِّج على هذا النوع الذي ذكرته، وقد لقَّبته: ذِكْر من له نَسَب يستقيم إذا انقلب، ووقع منه في هذا السند رجلان: أحدهما: أبو محمد ابن السرَّاج فهو جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر.

والثاني: الراوي عنه، وهو أبو طاهر الأصبهاني أحمد بن محمد بن أحمد.

وقد وقع لي عدَّةٌ صالحةٌ من هذا النوع، فمن المتقدمين: الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر القرشي الجُمَحي صحابي ابن صحابي، ولد بالحبشة، ومات أبوه بها مهاجراً، وسعيد بن العاصي أبي أُحَيْحَة بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبدِ شمسٍ الأموي المدني، كان من أشراف قريش وأجوادهم وفصحائهم، وأَحدَ من كتب المصاحف لعثمان، كان يقال له: عُكَّة العَسَل، له صحبة وروايةٌ مرسلة، وَلي الكوفةَ، وافتتح طَبَرستان، وقيل: وجرجان أيضاً، ووَلي المدينة زمن معاوية.

ووقع لي من هذا أيضاً عدَّة من شيوخنا، منهم: محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الغُلُفي، حدثنا عن العفيف إسحاق الآمدي، وأحمد بن الشِّحنة أبي طالب. ومنهم: أحمد

ابن علي بن محمد بن علي بن أحمد الحنفي ابن قاضي الحِصْن، حدثنا عن الحافظ المِزِّي وآخرين[١].

هذا بعض مايتعلَّق بسند هذا الخبر.

وأما فوائد متنه: ١ـ فمنها: أن أسماء الله الحسنى يُدْعا بها رَغَباً ورَهَباً وغير ذلك، والأبلغ في إجابة الدعاء بواحد من هذه الأسماء أن يكون الاسم المسئول به دالاً على السؤال، إما باشتقاق أو نحوه من غير مثال، كمن يَسأل في تدبير مصالحه رِفقاً بلا تكليف، فيقول يابَرُّ يالطيف[٢]، والشاهد لذلك من الحديث قوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»، وهو يحتمل أمرين: إما أن يكون معناه الخبر، كلفظه، وإما أن يكون لفظُه لفظَ الخبر، ومعناه الدعاء، كقولهم: رضي الله عنه، رحمه الله، غفر الله له، ومعناه على هذا الوجه: الراحمون أسأل أن يرحمهم الرحمن.

٢ـ ومن الفوائد أيضاً: قول سفيان: عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ، عن عبدالله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال. فذكر الحديث.

وفيه لفظان من ألفاظ الأداء:

أحدهما: «عن» وهي متصلة بإجماع أئمة النقل، على تورُّع رواتها عن التدليس، قاله الحاكم أبو عبد الله[٣]. ولفظة «عن» هي أعلى من لفظة «قال» التي هي أقل عبارات الأداء مرتبةً، كما أن أعلى عبارات الأداء مرتبةً لفظة «سمعت»[٤].

---

(١) وهذا فصل يتعذر استقصاؤه في الرواة والعلماء ونحوهم، ونظرة عَجْلى في فهارس كتب التراجم توقفك على بضع مئات من ذلك.

(٢) ومن الحماقة مايسمع من بعض الداعين: اللهم أهلك الكافرين يا أرحم الراحمين!!.

(٣) في «معرفة علوم الحديث» أول النوع الحادي عشر ص٣٤.

(٤) «الكفاية» للخطيب ص٢٨٤ أعلى الصفحة. وانظر نكتة لطيفة للفرق بين =

والثاني: لفظة «أنَّ» وحكمُها حكم «عن» عند الجمهور، كما حكاه عنهم ابن عبد البر، وقال أبو بكر البَرْدِيجي: حرف «أنْ» محمول على الانقطاع حتى يتبيَّن السماع في ذلك الخبر بعينه من جهة أخرى. قال ابن عبد البر لما حَكَى هذا: وعندي لامعنى لهذا. انتهى[١].

وقول عبد الله بن عمرو: إن رسول الله ﷺ قال، فذكر الحديث، قد جاء التصريح بالسماع من طريق أخرى، وهي قول عبد الله في بعض طرق الحديث: «وهذا أول حديث سمعته من رسول الله ﷺ بعد خطبة الوداع»[٢]. وماحكاه ابن عبد البر عن الجمهور يُشْعِر أنه لافرق بين «عن» و«أنَّ». وقد عقد الخطيب في كتاب «الكفاية»[٣] باباً للفرق بين «أنَّ» و«عن» ورَوَى عن أبي بكر الخَلال قال: أخبرنا سليمان بن الأشعث قال: وسمعتُ أحمدَ قيل له: إن رجلاً قال: قال عروة: إنّ عائشة رضي الله عنها قالت: يارسول الله. وعن عروة عن عائشة، سواءٌ؟ قال: كيف هذا سواء؟! ليس هذا سواءً.

وروى أبو بكر الخطيب مثل ذلك من طريق أيوب، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن عمر رضي الله عنه، أنه سأل النبي ﷺ أينامُ

= «حدثنا» و«سمعت» ص٢٨٧ منه.

(١) «التمهيد» لابن عبد البر ١:٢٦، وعلى هذا ابنُ الصلاح في مقدمته النوع الحادي عشر ـ المعضل، التفريع الثاني، وفي تحقيق الحافظ العراقي في «التقييد والإيضاح» ص٦٨ـ٧١ أن التسوية بين (أن) و (عن) أمر متفق عليه بين أهل النقل، وأن ابن الموَّاق سبقه إلى حكاية الاتفاق، لاكما يفيده قول ابن عبد البر: عند الجمهور، وانظر «النكت على ابن الصلاح» للحافظ ١: ٥٩٠ فإنه زاد في تحرير المسألة.

(٢) هذا لايصح، وانظر المجلس الأول ص٣٦ فما بعدها.

(٣) صفحة ٤٠٦ـ٤٠٨، وسليمان بن الأشعث هو الإمام أبو داود صاحب «السنن». وتكلم العراقي في «التقييد والإيضاح» على المثالين المذكورين في الموضع الذي ذكرته قبل.

أحدُنا وهو جنب؟ قال: «نعم، لِيتوضَّأْ ثم لْيَـنَمْ» ثم رواه من طريق عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، أن عمر رضي الله عنه قال: يارسول الله أيَرقُد أحدُنا وهو جنب. . . الحديث.

فظاهر الطريق الأولى ـ فيما ذكره الخطيب ـ أنها من مسند عمر، والثانية أنها من مسند ابن عمر[١] ـ فيما ذكره الخطيب ـ وقد أدخل الثانيةَ في مسند عمر محمدُ بنُ يحيى بن أبي عُمَر العَدَنيُّ في «مسنده» وفعله غيره[٢].

٣ـ ومن فوائد متن هذا الحديث: أن الدعاء بالأسباب أبلغُ في الإجابة، كمن أراد الله أن يستره فليستُر مسلماً[٣]، أو أن يَسُرَّه فليُدخِل السرور على مسلم، أو يرحمَه الله فليرحمْ عباده، كما في هذا الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن» الحديث.

٤ـ ومن فوائد الحديث: أن ظاهره يقتضي أن قوله «الراحمون يرحمهم الرحمن» كقوله «ارحموا أهلَ الأرض يرحمْكم من في السماء» لأن معناهما واحد، وهو حصول الرحمة من الله لمن يرحم عباده، لكن لما ذكر الثاني بلفظ غير الأول حسُن التكرار مع إفادة المعنى، وقد يكون الأول لأحد القسمين من الراحمين، والثاني للآخر منهم، فأحَدُ القسمين مَن لم يبلغه النصُّ في ثواب الرحمة لخلق الله، فأوَّلُ الحديثِ لهذا القسم، لأنه لابدَّ لهم من الثواب وإن لم يعلموا النصَّ عليه، لقوله

---

(١) ويؤيده رواية النسائي في «الكبرى» ٥: ٣٣٣ (٩٠٦٢) من طريق نافع قال: أصاب ابنَ عمر جنابةٌ، فأتى عمرَ فذكر ذلك له، فأتى عمرُ النبيَّ ﷺ فاستأمره، فقال: «يتوضأ ويرقد». وانظر «فتح الباري» ١: ٣٩٤، و«عمدة القاري» ٣: ١٣٩، و«مسند الفاروق الفقهي» لابن كثير ١: ١٢٧.

(٢) انظر «تحفة الأشراف» ٨: ٦٧ (١٠٥٥٢).

(٣) هكذا كتب المصنف رحمه الله، والمراد واضح، لكن لعل الأولى في التعبير أن يقال: كمن أراد أن يستره الله. . ، أو: كمن أراد من الله أن يستره. . .

ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»، والقسم الثاني مَن بلغهم النصُّ في ثواب الرحمة، فخُوطِبوا بقوله ﷺ: «ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

ويَحتمِل أن الرحمة لما كانت تصدر من المؤمنين والكفار، والله لا يُضيع عملَ عامل: أما الكفار فيجازيهم في الدنيا بحسناتهم حتى يَلْقَوُا الله ومالهم حسنة يُجْزَون بها، فأوَّلُ الحديث يتناولهم، وهو قوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن» لأن الرحمن ذو الرحمة الشاملة التي عمَّت المؤمن والكافر، والصالح والطالح في الدنيا، وآخر الحديث خاص بالمؤمنين. ولهذا ـ والله أعلم ـ خاطبهم بقوله: «ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

٥ـ ومن فوائد الحديث: أن من سمعه وعمل به إيماناً بالله واحتساباً للثواب الموعود به فيه زكَّى الله عملَه، وبلَّغه من الثواب أملَه، وكان من أهل السنة التي وَعَد الله متَّبعها بالجنة، كما أن من ابتدع، وأعرض عن السنة وما اتبع: فقد دنا حتفُه، ورغِم بإعراضه أنفُه.

وقد أخبرنا جماعة من الشيوخ منهم: أم يوسف فاطمةُ ابنةُ المحتسِب أبي عبد الله محمد، بقراءتي عليها، قالوا: أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب البيَاني[1]، قراءةً عليه ونحن نسمع، أخبرنا عبد الله بن عمر

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم نعمة بن حسن بن علي بن بيان الصالحي الحجار المولود قبل سنة ٦٢٤ والمتوفى سنة ٧٣٠، ألحق الأحفاد بالأجداد لكونه عُمِّر أكثر من مائة سنة مع التمتُّع بالقوى والحواس، ترجمه تلميذه الذهبي في «معجم شيوخه» ١: ١١٨ (١١٥) وابن حجر في «الدرر الكامنة» ١: ١٤٢، ونسبته هنا (البياني) إغراب وإبعاد، ولولا أن ابن حجر ساق نسبه إلى جده (بيان) لما اتضح المراد، فإنه مشهور بالحجار الصالحي، أو بابن الشحنة، وله ذكر كثير في الأثبات والمشيَخات، وأخذ عنه كثيرون من الأئمة حباً في علوّ سنده، وإلا فهو أميٌّ لايكتب ولايقرأ إلا قليلاً =

البغدادي إجازةً إن لم يكن سماعاً، أخبرنا أبو الفتوح محمد بن محمد ابن علي، أنشدنا الزاهد أبو عبد الله محمد بن أميرجه بن أشعث الهروي، أنشدنا أبو الحسن علي بن الحسين بن حمزة، أنشدنا السيد أبو الحسن المغرِبي لنفسه:

أفِقْ واطلبْ لنفسك مستواها ودعْ عُصَباً قد اتبعتْ هواها

وسنةَ أحمدَ المختارِ فالزمْ وعظِّمْها وعظِّم مَن رواها

وإنْ رغِمتْ أنوفٌ من أناسٍ فقلْ ياربُّ لاتُرْغِمْ سواها

آخر المجلس ولله الحمد حمداً كثيراً دائماً

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

= من القرآن الكريم، وكان يُقرأ عليه، وحصل عليه هذا الإقبال الكبير من المحدثين الكبار والصغار خلال أربع وعشرين سنة آخر حياته، إذ ظهر سماعه لبعض الأجزاء الحديثية سنة ٧٠٦، ومما قرىء عليه في هذه السنوات: «صحيح البخاري» أكثر من سبعين مرة! رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ١٣ـ

اللهم صلِّ على محمد وآله وصحبه وسلِّم ويسِّر

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِهِ ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

هذه الآية الشريفة فيها معانٍ لطيفة، وأحكامٌ عالية منيفة، تقدم ذكر بعضها في المجالس الماضية، ونذكر الآن ماتيسر من المعاني الباقية، بعد ذِكر مقدمة، هي كالمدخَل إلى ذلك معلِمة، وهي أن كل كلام مفيد إذا طَرَقَ السمع من قريب أوبعيد يحصُل به العلم.

والعلم يطلق لغةً واصطلاحاً على أمور، أولُها: الشعورُ، وهو أول مراتب العلم، فإذا شَعَر الإنسان بشيء فقد علِم به، ومما يُطلَق العلم عليه: الإدراكُ، والتصوُّر، والحفظ، والتذكُّر، والذُّكْر، والفهم، والفقه، والدراية، واليقين، والذِّهن، والفِكْر، والحَدْس، والذكاء، والفِطنة، والكَيْس، والرأي، والتبيُّن، والاستبصار، والإحاطة، والعقل، والحُسبان[1].

فكلٌّ من هذه الأمور يطلق العلم عليه، وإذا حصل العلم بكلام مفيد يتعلَّق النظر فيه بأطرافٍ من وجوه معانيه.

فمن أطرافه: بيان معاني ألفاظه المفردة من حيثُ المدلولُ، وهو علم اللغة كلفظة:

---

(١) أكثرها إطلاقات مجازية، والفرق بين بعضها وبين العلم كبير أحياناً.

ـ «مَنَّ» المذكورةِ في الآية، فمعناها أحسن وأنعم، وقيل: أوسع في العطاء وأعظم، وقيل: ابتدأ بالنوال قبل السؤال وأكرم.

و«منّ» في غير هذا الموضع لها وجوه، منها: اعتدادُ المعطِي بصنيعته على المعطَى تقريعاً له، وبه فُسِّر قول الله عز وجل: ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتُبْطِلوا صَدَقاتِكم بالمنّ والأذى﴾.

ومنها: الطَلُّ الحلوُ، المشارُ إليه في قوله تعالى: ﴿وأنزلنا عليكم المنَّ والسَّلْوى﴾.

ومنها: المنُّ: القطع والهدم، ومنه قوله تعالى: ﴿فلهم أجرٌ غيُر ممنون﴾ فسَّره جماعة بأنه غير مقطوع[1].

ـ وكذلك قوله تعالى: ﴿إذ بعث﴾ فـ «بعث»: لها وجوه، منها: بمعنى أرسل، وبمعنى: أيقظ، قال الله عز وجل: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم﴾ أي: أيقظناهم، والبعث: النشور من القبور، ومنه قوله تعالى: ﴿والموتى يبعثهم الله﴾.

ـ وكذلك قوله تعالى: ﴿من أنفسهم﴾ فالنفس تطلق ويراد بها أمور[2].

ـ وكذلك: الآيات، والتزكية، والكتاب، والحكمة، كلٌّ له عدة وجوه في كلام العرب[3].

ومن الأطراف التي يتعلق بها النظر في الكلام: حكمُ تركيب الألفاظ واختلافها على وَفْق كلام العرب، وهذا علم الإعراب، كرفع الاسم

---

(١) تقدم في المجلس ١١ص٢٤٨ أنه من أجوبة ابن عباس رضي الله عنهما لنافع ابن الأزرق الخارجي، وأنه قيل: معناه غير منقوص، وهو اختيار ابن جرير.

(٢) تقدم تعدادها في المجلس ١١ص٢٥٠.

(٣) تقدم الكلام عن هذه الكلمات الأربعة في المجلس ١١ من صفحة ٢٥١ ـ ٢٥٤.

الشريف في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله﴾ والجرّ في قوله تعالى: ﴿على المؤمنين﴾ والنصب في قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ واعتبار العوامل فيما ذُكر وألقابِها، ومافي الآية من الأسماء والأفعال والحروف، والمعرب من ذلك والمبني.

ومن الأطراف التي يتعلق بها النظر في الكلام: معرفةُ ماتدلُّ عليه الألفاظ، وهو علم الأحكام، ومن أحكام الآية: إثباتُ النبواتِ وبعثةِ الرسل، ووجودُ الملائكة، ووجوبُ الشكر واستدعاؤه، وذكرُ النعم على سبيل التعريف لا على جهة التقريع والتعنيف، وغير ذلك مما يؤخذ من منطوق الآية ومفهومها.

ومن الأطراف أيضاً: اعتبارُ ضروب نظم الألفاظ التي أفادها التركيب، وهذا علم المعاني والبيان الذي هو أحد أقسام البلاغة التي هي: إيصالُ المعنى المقصود إلى القلب بأحسنِ مايكون من اللفظ وأجودِه، وهي على وجوهٍ منها: البيانُ الذي من أقسامه الاعتبارُ، فإذا اعتبرنا قوله تعالى ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾: علمنا أنه أنعم عليهم وأحسن إليهم، ثم ننظرُ في معنى المنِّ على أحدِ وجوهه، فنعلم أنه سبحانه ابتدأهم بالإنعام بلا سؤال، ثم نعتبرُ وجوه إنعامه فنعلم أنها لاتحصى، كما جاء النصُّ بذلك في قوله تعالى: ﴿وإن تَعُدُّوا نعمة الله لاتحصوها﴾، وحينئذ يصير الفكر ملتفتاً إلى ذِكر ما منَّ الله به سبحانه على المؤمنين، فنسمع قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾، فيميل الفكر إلى هذا الرسول: ممن هو؟ فنجد قوله الله عز وجل بياناً لذلك: ﴿من أنفسهم﴾.

ثم نعتبر فائدة البعثة فنراها لجلب المنافع ودفع المضارِّ، وذلك مذكورٌ في هذه الآية الشريفة، فجلب المنافع في قوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وأما دفع المضار ففي قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين﴾.

وإذا اعتبرنا قوله تعالى ﴿من قبلُ﴾: ظهر لنا أن الإيمان لم يحصل للمؤمنين في الوجود الخارجي إلا من هذه البعثة، لقوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

ومن الأطراف التي يتعلق بها النظر في الكلام: اعتبار الوسائط بين القائل والناقل، وهذا علم الإسناد الذي هو من دين الإسلام، وبه حُفِظَت الشريعة، فلولا الإسناد لقال من شاء ماشاء.

ولافرق بين الإسناد والسند عند الجمهور، وعند غيرهم: أن الإسناد رفع الحديث إلى قائله، وكأنه من أسند في الجبل: إذا صَعِد فيه وعلا على سفحه، والسند: الإخبار عن طريق المتن الذي من معانيه: ماصَلُبَ من الأرض وارتفع منها.

ويطلق على المتن: الخبر، والأثر، والحديث، فالجمهور يستعملون هذه الألفاظ بمعنى ماجاء من المروي مرفوعاً وغيرَ مرفوع، وقد فرق قوم بين الخبر والأثر، ففي اصطلاح الفقهاء الخراسانيين أن مايُروَى عن الصحابة رضي الله عنهم يسمَّى بالأثر، والمرفوعَ إلى النبي ﷺ: بالخبر، كما حكاه عنهم من المتأخرين شيخ الإسلام أبو زكريا النووي وغيرُه[1].

وجاء عن آخرين تخصيصُ الخبر بما جاء غيرَ مرفوع، وإطلاقُ الحديث على المرفوع.

وجعل بعضهم بينهما عموماً من وجه وخصوصاً من وجه آخر، فيطلق الحديث على الخبر، ولايطلق الخبر على الحديث.

ومعنى الحديثِ لغةً في الأصل: ضدُّ القديم، ويطلق على الخبر قليلِه وكثيرِه، لأنه يحدُث شيئاً فشيئاً، فسمِّي حديثاً، وجمعه أحاديث، قال يحيى بن زياد الفرَّاء: نُرى أن واحد الأحاديث أُحدوثة، ثم جعلوه جمعاً

---

(١) وأصل الحكاية لابن الصلاح في «مقدمته» الشهيرة آخر النوع السابع: الموقوف، فانظره فيه وفي «تقريب النووي» وغيره.

للحديث، حكاه أبو نصر الجوهري[١].

وأما معنى الحديث اصطلاحاً: فالأقربُ أنه: نقلُ ماحَدَث من النبي ﷺ قولاً له أو فعلاً، وبمعنى نَقْل ذلك الخبر والأثر، ولهذا استعملَ الجمهور الحديثَ والخبرَ والأثرَ بمعنى واحد.

وناقلُ ذلك: هو الوسائط التي اعتبارُها أحدُ الأطراف التي يتعلق بها النظر في الكلام.

وللوسائط شروط: أحدها: العدالة، بإجماع أهل العلم، كما حكاه أبو بكر الخطيب في «الكفاية» على أنه لايقبل إلا خبر العدل[٢].

وأول شروط العدالة: الإسلام، وأجلُّ الأخبار أخبار الدِّين، ومعظمها الكتاب والسنة، وناقلوهما هم الوسائط.

ومأخذ ذلك من مفهوم هذه الآية الشريفة، لأنها وصلت إلينا مع جملة القرآن ـ ولله الحمد ـ بالإسناد الصحيح المتواتر المجمَع عليه بنقل الوسائط الثقات الضابطين، عن أمثالهم كذلك، حَتَّى إِلَى النبي ﷺ، والنبي ﷺ تلقَّى القرآنَ عن جبريل عليه الصلاة والسلام، عن رب العالمين عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾ وهي القرآن، تلقاه منه المؤمنون حين تلاه عليهم، وهم الصحابةُ خيرُ القرون، وأخذه عنهم التابعون، وهلمَّ جراً، حتى انتهى علم ذلك إلينا، وحصلت بركاته لدينا، وفاضت أنواره علينا.

وأعلى الوسائط في ذلك: الصحابة رضي الله عنهم، وتعريفُ الصحابي فيه أقوالٌ، أجمعها: أن الصحابي مَن لقيَ النبيَّ ﷺ في حياته،

---

(١) في «الصحاح» ١ :٢٧٨.

(٢) «الكفاية» ص٣٨.

بعد المبعث، من المسلمين، ممن يعقل[١]، ثم مات مسلماً.

وجميعُ الصحابة رضي الله عنهم عدولٌ، وهم على طبقات، من الأئمة مَن جعلهم خمسَ طبقات، كأبي عبد الله محمد بن سعد:

فالأولى: السابقون والبدْريون.

والثانية: أصحاب أُحُد ومابعدها من المشاهد.

والثالثة: أصحاب الخندق ومابعدها.

والرابعة: مُسْلِمة الفتح ومن بعدهم.

والخامسة: من لم يَغْزُ مع النبي ﷺ وتوفي عنهم وهم أطفال، منهم من له رؤية وبعضُ رواية، ومنهم من له رؤية فقط.

وجعلهم الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ثنتيْ عشْرة طبقة[٢]:

أولها: من أسلم بمكة كأبي بكر والسابقين.

وآخرها: من له رؤية فقط[٣].

والكلُّ يشملُهم اسم الصحبة، كما أن من لقيهم يقال لهم التابعون،

---

(١) تقدم هذا التعريف في المجلس٢ ص٥٩، وتقدم التعليق على هذا القيد.

(٢) في «معرفة علوم الحديث» النوع السابع ص٢٢.

(٣) لفظ الحاكم: «صبيان وأطفال رأوا رسول الله ﷺ يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرها، وعدادهم في الصحابة، منهم: السائب بن يزيد، وعبد الله بن ثعلبة بن أبي صُعَير. وأبو الطفيل عامر بن واثلة، وأبو جحيفة وهب بن عبد الله» فأثبت لهم الرؤية ولم ينفِ الرواية. وعبارة المصنف تفيد نفي الرواية، مع أن أسماء من مثَّل بهم على مايريد ـ وهم أربعة ـ ترجم لهم ابن حجر في «الإصابة» في القسم الأول، وهم من لهم رؤية ورواية، كما هو معروف، نعم لا أنفي الاختلاف في ذلك بين العلماء السابقين، كما هو واضح من كلام ابن حجر نفسه.

ورتَّبهم مسلم بن الحجاج صاحب «الصحيح» على ثلاث طبقات على البلدان بعد ترتيب الصحابة[١].

فمن الطبقة الأولى من التابعين: كبارهم، وهم المُخَضْرَمون ـ بالخاء المعجمة على الصحيح وفتح الراء وحكي كسرها ـ واشتقاق هذا اللقب من قولهم: لحم مخضرَم ـ بفتح الراء ـ: لايُدرى لحمُ ذكرٍ هو أم أنثى[٢].

وقيل: هو من الخَضْرَمة، وهي القطع، فكأن التابعي المخضرَم قُطِع عن أقرانه الذين لَقُوا النبيَّ ﷺ فحصلت لهم الصحبة وفاتَه ذلك دونه، فالمخضرم: من أدرك الجاهلية والإسلام فلم يُسلِم إلا بعد وفاة النبي ﷺ.

وقال أبو موسى محمد بن أبي بكر المَدِيني: فإن جماعة في أحياء العرب كانوا قد أسلموا ولم يهاجروا، فخَضْرَموا آذانَ إبلهم لتكون علامة لإسلامهم فلا يُغَار عليهم ولايقاتَلون، فسمُّوا: مخضرِمين، وأصحاب الحديث يفتحون الراء. قاله في كتابه «التتمة»[٣].

---

(١) في جزء خاص معروف باسم «الطبقات» وهو في عشرين أو ثلاث وعشرين ورقة، طبع في مجلدين كبيرين في ١٤٢٠ صفحة! وجعلهم رحمه الله على ثلاث طبقات، غالباً.

(٢) «الصحاح» ٥: ١٩١٤ وغيره. وفي اشتقاقه وجوه أخرى، حكى منها في «لسان العرب» معنى الكثرة والسعة والجود، وتأويله في حقّ الرجل الذي هذا شأنه مانقله ابن رَشيق في «العمدة» ١: ٢٣٤ عن الأخفش أنه قال: «يقال: ماء خِضْرم: إذا تناهى في الكثرة والسعة، فمنه سمِّي الرجل الذي شهد الجاهلية والإسلام: مخضرماً، كأنه استوفى الأمرين» ثم حكى القول المشهور فقال: «ويقال: أُذُن مخضرمة: إذا كانت مقطوعة، فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام».

(٣) يريد: كتاب التتمة لكتاب المعرفة لابن منده، في معرفة الصحابة رضي الله عنهم، كما سيأتي ص٣٨١، لاتتمة الغريبين لأبي عبيد الهروي.

وقيل: المخضرم مَن أسلم في حياة النبي ﷺ، ولم يَرَه.

والقول الأول المشهور وعليه الجمهور: أن المخضرَم مَن أدرك الجاهلية والإسلام فلم يُسلِم إلا بعد وفاة النبي ﷺ[١].

وقد ذكر مسلم بن الحجاج رحمة الله عليه المخضرَمين[٢] فبلغ بهم عشرين، وهم يزيدون على مائة وأربعين مخضرماً، عُدّ منهم جماعة في الصحابة[٣]، وهذه أسماؤهم مختصرة على حروف المعجم:

---

(١) وفي هذا الترجيح نظر طويل، ولم أره منقولاً صريحاً إلا عن الأصمعي، نقله عنه ابن قتيبة في كتابه «المعارف» ص٥٧٣. ويُشكل عليه ذكرهم أويساً القَرَنيّ في المخضرمين، وهو كان مسلماً في حياة النبي ﷺ، بل أثنى عليه ثناء عظيماً فقال ﷺ «إن خير التابعين أويس..» كما تراه في «صحيح مسلم» أواخر كتاب الفضائل ٤: ١٩٦٨ (٢٢٤) وانظر الذي قبله وبعده.
نعم الذي رجَّحه العراقي في «التقييد والإيضاح» ص٢٨٠ مطلق إسلام المخضرَم، سواء أكان إسلامه في حياة النبي ﷺ ـ ولم يره ـ أم بعد وفاته عليه الصلاة والسلام. وهذا هو الذي ينضبط مع من ذكروهم من المخضرمين، فمثال الأول: أويس القَرَني ـ كما تقدم ـ ومثال الثاني: جُبير ابن نُفير، قال العراقي: «أطلق المصنف ـ ابن الصلاح ـ ولم يقيِّده بحياته ﷺ، ويدل على ذلك أن مسلماً رحمه الله تعالى عدَّ في المخضرمين جبير ابن نفير، وإنما أسلم في خلافة أبي بكر. قاله أبو حسان الزيادي». لكن ذكر الإمام سبط ابن العجمي رحمه الله في «تذكرة الطالب المعلَم» جبير بن بن نفير هذا وقال: «أسلم في حياة النبي ﷺ».

(٢) وكأن ذلك في غير كتابه «الطبقات» السابق الذكر، إما في جزء خاص، أو فائدة علَّقها في ورقة، وقف عليها الإمام الحاكم فنقلها في «معرفة علوم الحديث» ص٤٤ بتمامها، فذكروا أن لمسلم مؤلَّفاً مفرَداً في المخضرمين. والله أعلم.

(٣) حاصل عدد من ذكره المصنف /١٣٣/ مخضرماً، والزيادة لم يذكرهم لترجيح جانب صحبتهم، مع أن فيهم من هو متفق على عدم صحبته، ولشيخ المصنف الإمام سبط ابن العجمي رسالة سماها «تذكرة الطالب المعلَم بمن =

= قيل إنه مخضرم» ـ وهي مطبوعة ـ ذكر فيها /١٥١/ مخضرماً، وعنده زيادة على المصنف: الأحنف بن قيس، وحسان بن عتاهية بن خزر، وسباع بن ثابت، والقاضي شُريح، وفراس الخزاعي، ومعمر بن كلاب. وذكر حابساً اليماني، وعلبة بن زيد، ورجَّح صحبتهما. وكتابه «تذكرة الطالب» طبعه بحلب الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى عن نسختين: حلبية، مقروءة على المؤلف، ودمشقية بخط تلميذه نجم الدين بن فهد، وفي النسخة الدمشقية زيادة: عبد الله بن الحارث أخي القاضي شريح، ومالك بن الحارث الأشتر، وأسيد بن عمرو الدرمكي. ونقل الأستاذ الطباخ في تعليقاته على هذه الرسالة وعلى «التقييد والإيضاح» للعراقي ص٢٨٣ عن ابن حجر زيادة: شَبَثِ بن رِبْعي، وشعبة بن التوأم، ذكره الدقطني في «المؤتلِف والمختلِف» ٣: ١٣٧٧ مع أن ابن حجر نفسه جعله في «الإصابة» ـ القسم الرابع ـ تابعياً، وقبله ابن أبي حاتم في «الجرح» ٤ (١٦٠٥).
قلت: وعند المصنف خمسة لم يذكرهم سبط ابن العجمي، وهم: ضبة بن مِحْصَن، وعمرو بن عبد الله الوادعي، ومالك بن أوس بن الحَدَثان، ومسعود ابن الحكم الزُّرَقي، وأبو عامر بن عمرو الأصبحي. ويزاد على هؤلاء جميعاً: أحزاب بن أسيد السَّمَعي، وقيس بن عُبَاد الضُّبَعي، وأبو الأسود الدؤلي، انظر تراجمهم في «التقريب»، وعبد الرحمن بن مُرَيْح الخولاني ارتآه أحمد شاكر في تعليقاته على «المسند» ١٠: ١٠٦، ويقال فيه: عبد الله ـ وانظر تسرُّع صاحب «السلسلة الصحيحة» ٣: ٤٦٠! ـ وسعيد بن حَيْوَة الباهلي، انظر «الإصابة» ٣: ٩٦، ١٦٦، ١٨٠، وحُمران مولى عثمان بن عفان، انظر «المعارف» لابن قتيبة ص٤٣٥.
ويمكن أن يذكر معهم التنوخي رسول هرقل، وحديثه في «المسند» ٣: ٤٤١، وهو الذي ألغز فيه الزركشي ما ألغزه المصنف في كعب بن عدي الآتي بعد ثلاث صفحات.
وقد اعتمد سبط ابن العجمي في زياداته على «التجريد» للذهبي، ويمكننا بعد التحرير والبحث الاعتمادُ لاستيعاب معرفتهم على القسم الثالث من كل حرف من تراجم «الإصابة» لابن حجر، فإنه خصصه للمخضرمين الذين ذكروا بين

أسلم مولى عمر، الأسود بن هلال المحاربي، الأسود بن يزيد النخعي، أمية بن الأشكَر الجندَعي، أوس بن ضَمْعَج الحضرمي، أوس ابن مَغْراء الفُريعي، أوسط البَجَلي، أُوَيسٌ القَرَني، بشير بن يزيد ـ على خلاف في اسمه واسم أبيه[١] ـ ثُمامة بن حَزْن القُشَيري، جُبَير بن نُفَير الحضرمي، جُبَير بن الحُوَيرث القرشي، جُشَيْش الديلمي[٢]، جَعْدة بن هانى الحضرمي، جُفَينة الجُهَني، الحارث بن عبد كُلال اليَمَامي، حارث بن كعب، حازم بن أبي حازم أخو قيس، حُجْر بن العَنْبَس، حَنظل بن ضرار، خافر[٣] بن التَّوْءَم الحِمْيري، خالد بن عمير العَدَوي، دَغْفَل بن حنظلة النسَّابة، ذُوَيب بن كُليب الخَوْلاني، ذو عمرو اليَمَانيُ، ذو الكَلاع اليمانيُ، رِبعي بن حِراش، ربيعة بن زُرارة، رُحَيل بن زهير الجعفي، رُفيع أبو العالية الرِّياحي، الزبير بن عبد الله الكِلابي، زِرّ بن حُبيش، زُرعة بن سيف الحِمْيري، زهير بن خيثمة، زياد بن جهور، زيد ابن وهب الجهني، سعد بن إياس أبو عمرو الشَّيباني، سِعْر الكِناني، سعيد بن حَيْدَة القُشَيري، سعيد بن وهب الخَيْواني، سفيان الدُّؤَلي، سليم بن عامر، سُوَيد بن غَفَلَة، سيف بن ذي يَزَن والدُ زرعةَ المذكورُ قبلُ، سيف بن مالك الرُّعَيْني، شُبَيل بن عوف الأحمسي، شُتَير بن شَكَل، شداد بن الأزمع، شُرَحبيل بن عبد كُلال، شربة بن عبد الله[٤]،

= الصحابة وليسوا كذلك.

(١) يستخلص من كتاب سبط ابن العجمي أن الصواب: بشير بن يزيد، وقيل فيه: بشير بن زيد، ويزيد بن بشير، وجعله السبط ترجمتين تبعاً للذهبي في «التجريد».

(٢) في «الإكمال» لابن ماكولا ٢: ١٥٢: «جشيش بن الديلمي».

(٣) كذا بخطه، وعند سبط ابن العجمي وابن حجر في «الإصابة» ٢: ١٥١ القسم الثالث: خُنَافِر.

(٤) كذا بخطه في اسمه ـ بالباء الموحدة ـ واسم أبيه، وفي «الإصابة» ٣: ٢٢٤: شَرْيَة بن عبيد بن قليب، وقال: «بفتح أو له، وسكون الراء، وفتح التحتانية».

شَهْر بن باذام، الصُّبَيُّ بن مَعْبَد، صَعْصعة بن صُوحان، ضَبَّة بن مِخْصَن الغَنَوي، ضغاطر الأَسْقُفُ، طَريح بن سعيد الثقفي، طُفيل بن زيد[١]، عابس بن ربيعة، عبد خير بن يزيد الخَيْواني، عبد الله بن ثُوَب أبو مسلم الخولاني، عبد الله بن خليفة الهَمْداني، عبد الله بن أبي رُهْم اليماني، عبد الله بن سَخْبرة أبو معمر، عبد الله بن سلَمة الهَمْداني ـ بفتح اللام من سلمة ـ، عبد الله بن سلِمة ـ بكسر اللام ـ المرادي، عبد الله بن عُكَيم الجُهَني، عبد الله بن عَمِيرة، عبد الله بن هانى الكندي، عبد الله بن فَضَالة الليثي، عبد الرحمن بن عُسَيلة أبو عبد الله الصُّنَابحي، عبد الرحمن بن غَنْم الأشعري، عبد الرحمن بن مَلّ أبو عثمان النَّهْدي، عبد الرحمن بن النعمان، عبد الرحمن بن يَرْبُوع، عبيد بن شَرِيم ـ وفي اسمه ونسبه خلاف ـ[٢] عَبِيدة بن عمرو السَّلْماني، عديّ بن عمرو الطائي، عُقْبة بن النعمان العَتكي، عُلْبة بن زيد، علقمة بن قيس النخعي، عمران بن مِلْحان أبو رجاء العُطَارِدي، عمر بن مالك الزهري، عمرو بن الأسود العَنْسي، عمرو بن تُبَيٍّ، عمرو أخو أبي ثعلبة الخُشَني، عمرو بن سعد الهُذَلي، عمرو بن عبد الله الوادعي، عمرو بن ميمون الأَوْدي، عُمَير الهَمْداني، غُنَيم بن قيس المازني، فَنَّج اليماني، فيروزُ الوادعيُّ مولاهم، قَبيصة بن جابر، قيس بن أبي حازم، قيس بن عمرو أبو زيد، كعب بن عدي العِبادي[٣]، كعب بن سُور، كعب الأحبار، كعب بن

---

(١) قال السبط: «أتت عليه أيام عمر مائة وستون سنة، لكن سنده ساقط».

(٢) ترجمه الحافظ في «الإصابة» ٥ : ١٠٢ ـ القسم الثالث ـ وسماه عبيد بن شَرِيَّة الجرهمي، وذكر أنه يقال فيه: عمير بن شرية، وأعاده فيمن اسمه عمير فقال ٥ : ١٢٢ : «تقدم في عبيد بن شبرمة» والذي تقدم: عبيد بن شرية، لا: بن شبرمة، ولاأستطيع الجزم بأنه تحريف، مع ما هو معلوم من حال طبعات هذا الكتاب! لأنه جاء عند سبط ابن العجمي أيضاً: عبيد بن شريم، وقيل: عمير ابن شبرمة، فهل هذا توارد على التحريف المطبعي، أو أنه كذلك؟!.

(٣) ترجمة الحافظ في القسم الاول في «الأصابة» ٥ : ٣٠٥ وانظر ما سيأتي =

يسار بن ضِنَّة، لَهَب بن الخندق[١]، مالك بن أوس بن الحَدَثان[٢]، مالك بن عامر الوادعي، مالك بن عمير الحنفي، مُحْرِز القصاب، المختار بن أبي عبيد الكذاب، مركبوذ الفارسي، مُسْتَظِلّ بن حصين، مسروق بن الأجدع، مسروق بن الحارث، مسعود الثقفي، مسعود بن حِراش أخو رِبْعيّ، مسعود بن الحكم الزُّرَقي، مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، معاذ بن يزيد، مِعْضَد بن يزيد، مَعْرور بن سُوَيد، منظور بن زَبَّان، نَضْلة بن ماعز، النعمان بن بُزُرج، النعمان ابن حميد، نُفَيع الصائغ، النَّمِر بن تَوْلَب، نَهار بن الحارث، هانى المخزومي، هَوْذَة، يزيد بن الأسود، يزيد بن ضِرار، يُسير ابن عمرو، أبو أمية الشَّعْباني، أبو تميم الجَيْشَاني، أبو ذُؤيب الهُذَلي، أبو شداد الذِّماري، أبو شدادٍ آخَرُ، أبو صُفْرة والد المهلَّب، أبو عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عِنَبَة الخَوْلاني، أبو عمرو السَّيباني اسمه زرعة، أبو فالج الأَنْماري، ابن عبس[٣]، ابن عفيف، أُنَيْسة النخعية، معاذة زوج الأعشى التي نَشَزت عليه.

هذا ماتيسر مِن ذكر مَن عُدّ في المخضرمين.

ومن الغرائب في هذا الباب، ونذاكر به الأصحاب: أن مسلماً من

= قريباً.

(١) هكذا جاءت بالقاف واضحة بخطه، وهو كذلك في المصادر الأخرى إلا «أسد الغابة» ٤: ٥٢٦ (٤٥٤٠) ففيه: الخندف، ومن عادة ابن الأثير رحمه الله أن يضبط مثله، لكنه لم يضبطه.

(٢) ذكره في «الإصابة» في القسم الأول ٦: ١٨، وقال في «تقريب التهذيب» (٦٤٢٦): «له رؤية».

(٣) إن كان هو صاحب الحديث الذي في «المسند» ٣: ٤٢٠، ٤: ٧٥: فالظاهر أنه صحابي، ذكر حديثه أحمد في «المسند» وذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» ٦: ٣٤٢، وفي حديثه يقول ابن عبس: «.. فقدمنا مكة فوجدنا النبي ﷺ قد خرج».

المسلمين روى عن النبي ﷺ سماعاً منه مشافهةً ورؤيةً له، ومع هذا فليست له صحبة؟!.

هذا هو كعب بن عدي بن حنظلة[١] العِبادي الحِيري أحدُ وَفْد أهل الحِيرة إلى النبي ﷺ[٢].

---

(١) «حنظلة» ثبت في نسب كعب عند ابن الأثير في «أسد الغابة» ٤: ٤٨٢، وليس في «الإصابة» ـ القسم الأول ـ ٣: ٢٩٨، وهو نقله عن ابن يونس.

(٢) وسيأتي أنه تنوخيٌّ، وثمة تنوخيٌّ آخر، سَبَق الزركشيُّ المصنفَ، فألغز فيه ما ألغزه المصنف في هذا، وهذا التنوخي الآخر هو رسول هرقل إلى سيدنا رسول الله ﷺ، حين قدم عليه الصلاة والسلام تبوك، فبعث برسالته إلى هرقل مع دحية الكلبي، فقرأها على قومه فنخروا نخرة رجل واحد، فتألَّفهم وخاف على ملكه، ثم كتب كتابه وأرسله مع التنوخي هذا وقال له: «احفظ لي منه ثلاث خصال: انظر هل يذكر صحيفته التي كتب إليَّ بشيء، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل، وانظر في ظهره هل به شيء يَريبك» فرآها التنوخي من النبي ﷺ كما يريد هرقل، ورجع إليه.
ثم إنه أسلم، وأقام بحمص، وعُمِّر حتى بلغ الفَنَد ـ الخرف ـ أو كاد، وكان جاراً لسعيد بن أبي راشد، فسأله سعيد عن حادثته هذه فقصَّها عليه، وأخرجها الإمام أحمد بسنده إلى سعيد ٣: ٤٤١، ثم أخرجها بنحوها ولده عبد الله ٤: ٧٤و٧٥. وذكرها الهيثمي ٨: ٢٣٦ وساق لفظ أحمد وعزاه إلى عبد الله وأبي يعلى ووثق رجالهما.
وقوله «حتى بلغ الفند أو كاد»: في «المجمع»: حتى بلغ الفناء، وهو الهرم، ومنه قولهم للشيخ الكبير: الفاني، وفي «البداية» لابن كثير ٥: ١٥ من الطبعة الأولى، ٥: ١٤ من طبعة دار الكتب العلمية، و٤: ٢٧ من السيرة المفردة بتحقيق الدكتور مصطفى عبدالواحد: قد بلغ العقد أو قرب، وفي «دلائل» البيهقي ١: ٢٦٦: الفند، وأخشى أن يكون محققه تأثّر بما أمامه من طبعة «المسند» فترجم ما في المخطوطة التي أمامه منها. والله أعلم. وقد قال ابن كثير عن رواية أحمد: «حديث غريب وإسناده لابأس به تفرد به الإمام أحمد». وللتنوخي ذكر في «الإكمال» للحسيني ص٥٧٩ (١٢٥٤)، وأعاد كلامه ابن حجر في «تعجيل المنفعة» ص٣٥١ (١٤٧١)، وليس فيهما إلا أن =

أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن الذهبي، وآخرون مشافهةً بالإجازة، عن أبي نصر محمد[١] بن محمد ابن أبي نصر الفارسي وأبي محمد القاسم بن المظفَّر الدمشقي قالا: أنبأنا أبو الوفاء محمود بن إبراهيم العبدي، أخبرنا أبو الخير محمد بن أحمد، قراءة عليه ونحن نسمع قال: أخبرنا أبو عَمرو عبد الوهاب بن محمد، أخبرنا والدي أبو عبد الله محمد بن إسحاق الحافظ[٢]، أخبرنا أحمد بن مِهران الفارسي، أخبرنا عبيد الله بن سعيد بن كثير بن عُفَير، عن أبيه.

قال محمد بن إسحاق أيضاً[٢]: وأخبرنا عبد الرحمن بن أحمد، حدثني محمد بن موسى المصري، عن إبراهيم بن أبي داود أنه كان في كتاب عمرو بن الحارث بخطه: حدثني يزيد بن أبي حبيب، أن ناعماً أبا عبد الله - هو ابن أُجَيل - حدثه عن كعب بن عدي أنه قال: كان أبي أُسْقُفَّ الحِيرة، فلما بُعِث محمد ﷺ قال: هل لكم أن يذهبَ نفرٌ منكم إلى هذا الرجل فيسمعوا من قوله، لايموتُ غداً فتقولون: لو أنا سمعنا من قوله، وقد كان على حق؟! فاختاروا أربعةً فبعثوهم، فقلت لأبي: ألا أَنطلقُ معهم؟ قال: ماتصنعُ؟ قلت: أَنظر.

فقدمنا على رسول الله ﷺ فكنا نجلس إليه إذا صلى الصبح ونسمع كلامَه والقرآنَ ولايُنكِرنا أحدٌ، فلم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيراً حتى

= سعيد بن أبي راشد يروي عنه، ومن الغفلة الفاحشة ماتجده في التعليق على «فتح المغيث» للسخاوي ١٥٦:١ اعتماداً على تعليقة مضطربة في «تهذيب التهذيب» ١٢٦:٤!.

هذا، ولغز الزركشي رحمه الله في «النكت على ابن الصلاح»، وقد نقله عنه الأبياري في «نيل الأماني على مقدمة القسطلاني» ص٢٩.

(١) كذا بخطه هنا، مع أنه تكرر باسم: عمر، وهو الصواب، انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» ١٨٩:٣.

(٢) هو ابن منده.

مات ﷺ. فقال الأربعة: لو كان أمره حقاً لم يمتْ، انطلِقوا. فقلت لهم: كما أنتم حتى تعلموا من يقوم مكانه فينقطعَ هذا الأمر أو يتمَّ، فذهبوا ومكثتُ أنا لا مسلماً ولا نصرانياً، فلما بَعَث أبو بكر رضي الله عنه جيشاً إلى اليمامة ذهبتُ معهم، فلما فرغوا من مسيلِمة ورجعوا مررت براهبٍ فَرَقِيتُ إليه فدارستُه فقال لي: أنصرانيٌّ أنت؟ قلت: لا، قال: فيهوديٌّ أنت؟ قلت: لا، قال: مابلغ علم احدا يقع هذا علمك[1].

قال: فذكرت له محمداً ﷺ فقال: نعمْ هو مكتوب، قلت: فأرِنيه، فأخرج سِفْراً ثم قال: ما اسمُك ؟ قلت: كعب، قال: لاأدري ما كعبٌ، أَرِني شِبْهه، قال: فنزلت فالتمستُ كعباً[2] حتى وجدته، فجئت به فقلت له: هذا اسمي، قال: نعم. [قلت:][3] فأُريد أتعرّفُ صفتَه ونعتَه، ففتح فقرأتُ فعرفتُ صفةَ محمد ونعتَه، فوقع في قلبي الإيمان فآمنت حينئذ وأسلمت، فمررت على الحِيرة فعيّروني.

ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه فقدمت على عمر رضي الله عنه، فبعثني إلى المقوقس، وذكر بقية الحديث.

عبدُ الرحمن بن محمد شيخُ محمد بن إسحاق الحافظ: هو أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى[4].

---

(١) لم تتضح لي هذه الجملة، والخبر في «أسد الغابة» ٤:٤٨٢ إلا هذه الجملة.

(٢) في «القاموس»: «الكعب: كل مَفْصِل للعظام، والعظم الناشز فوق القدم، والناشزان من جانبيهما».

(٣) زيادة مني يقتضيها السياق.

(٤) المعروف بأبي سعيد بن يونس صاحب «تاريخ مصر» (٢٨١ـ٣٤٧)، إليه المرجع في معرفة المصريين والغرباء فيها والطارئين عليها، وجدُّه يونس هو ابن عبد الأعلى تلميذ الإمام الشافعي رحمهم الله تعالى.

ورواية شيخه الأول سعيد بن كثير بن عُفَير أدرجها ولم يبيِّن طريقه فيها، وهي ماقال سعيد بن عُفَير: حدثني عبد الحميد بن كعب بن علقمة بن كعب بن عديّ التَّنُوخي، عن عمرو بن الحارث بن علقمة بن كعب بن عدي التنوخي، عن ناعم بن أُجَيْل، عن كعب بن عدي قال: أقبلت في وفد من أهل الحِيرة إلى النبي ﷺ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم انصرفنا إلى الحِيرة، فلم نلبث أنْ جاءتنا وفاة رسول الله ﷺ، فارتاب أصحابي وقالوا: لو كان نبياً لم يمت، فقلت: قد مات الأنبياء قبله، وثبتُّ على الإسلام، ثم خرجت أريد المدينة، وذكر بقية الحديث[١].

هذه الطريق فيها الدلالة على أن كعباً له صحبة، وأنه أسلم على يدي النبي ﷺ[٢]. فالله أعلم.

* * *

(١) رواه البيهقي في أواخر «الدلائل» ٧: ٢٧١، وذكره ابن كثير في «تاريخه» ٥: ١٧٨ - من الطبعة الأولى - و٤: ٥٥٤ من السيرة النبوية المفردة بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد، وقال ابن كثير: «هذا أثر غريب، وفيه نبأ عجيب، وهو صحيح».

(٢) وذكره الحافظ في القسم الأول من «الإصابة» وقال أواخر الترجمة: «كنت اعتمدت على قول ابن يونس وكتبته في المخضرمين، ثم رجح عندي مافي رواية ابن عُفَير فحوَّلته إلى هذا القسم الأول».

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ١٤ـ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

الكلام في معاني القرآن هو أحد علومه المستنبطة من منطوقه ومفهومه، وأنواعُ علومِ القرآن كثيرةٌ، ترجع إلى أقسام ثلاثة خطيرة:

أحدها: معرفةُ تلاوته وإتقانُها مع تصحيح إعرابه وحسن أدائه.

والثاني: علم وجوه قراءاته وما صحَّ منها، كالسبعة المشهورة[1] وغيرها، ومالا تصحُّ، كالشاذّ وغيره.

والقسم الثالث: معرفةُ تفسيره واستنباطُ أحكامه ومعانيه، وبيانُ غريبه وحِكَمه وضروب نظمه ومافيه، وهذا القسم أجلُّ الأقسام، إذْ به تتضح شرائع الدين، من توحيد الله رب العالمين، ومعرفة الرسل الكرام، وبيان مافيه من الأحكام والفَرْق بين الحلال والحرام، والترغيب في الخيرات، والترهيب من المخالفات، إلى غير ذلك مما لا يُستغنَى عن علمه، ولايَسَعُ مسلماً جهلُه مع وجود عقله وفهمه.

ومن هذا القسم الكلامُ على هؤلاء الآيات الشريفات.

---

(١) لعله يريد الشهرة بين الخاصة والعامة، وإلا فهي متواترة بالتعبير الاصطلاحي، ومثلها في التواتر ولاريب: الثلاثة المتممة للعشرة، كما تقدم التنبيه إليه أول المجلس ١٢ ص٢٥٧.

فالمنُّ المشارُ إليه هو الإحسان، لأن المنَّ على وجوه، منها هذا، يقال: منَّ يَمُنُّ منّاً: إذا أحسن.

واختُلِف في المراد بالمؤمنين هنا فقيل: هم العرب، كما هو مرويٌّ عن علي بن أبي طالب وغيره[١].

وقيل: المراد المؤمنون مطلقاً، فهو عامّ.

والرسولُ المشار إليه هو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، لاخلاف في ذلك أعلمه.

وقوله ﴿من أنفسهم﴾ جمع نَفْس، والنفْس لها معانٍ، منها نفْس الإنسان وغيره، ومنها عينُ الشيء، ومنها العزَّة، ومنها العظمة، ومنها الهمَّة[٢].

فإن أُريد بالمؤمنين العربُ فمعنى ﴿من أنفسهم﴾: الولادة. قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ﴿من أنفسكم﴾[٣] قال: قد وَلَدتموه يامعشر العرب.

وإن أريد بالمؤمنين كلِّهم: فيكون ـ كما قاله أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ـ: من أنفسهم بالإيمان والشفقة، لا بالنسب، كما يقول القائل: أنت نفسي. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته﴾ معنى يتلو: يقرأ، يقال: تلوت

---

(١) سيأتي أول المجلس ٢٠ ص٣٨٣ تخريج المصنف له عن «تفسير ابن مردويه» وَينقل هناك نصَّ علي رضي الله عنه.

(٢) ذكرها في «القاموس» وزاد عليها معاني أُخر، وانظر ماسبق ص٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٣) يريد الآية التي في آخر سورة التوبة ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم..﴾ والقول عزاه في «الدر المنثور» ٣: ٢٩٤ إلى ابن سعد، انظر «طبقاته» ١: ٢٤، ولابن عباس قول آخر نحو هذا ذكره في «الدر المنثور» قبل هذا القول، وعزاه إلى جماعة.

القرآن إذا قرأتَه، كأنك أتبعت آيةً في إثر آيةٍ قراءة[١].

والمصدر التلاوة بالكسر ويقال: التُلاوة بالضم، لغتان.

والمراد بالآيات هنا ـ والله أعلم ـ القرآن.

ومعنى ﴿ويزكيهم﴾: أي يصلحهم، لأنهم بتلاوته القرآنَ عليهم أنصتوا له، فَزَكَوْا: صاروا صالحين لقبول مايتلى عليهم فتعلّموا ما أشار الله إليه بقوله تعالى: ﴿ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾ فتعلموهما علماً وعملاً.

والكتاب: هو القرآن، والحكمة: لها معانٍ، منها: أن الحكمة مايمنع من الجهل، ومنها: الإصابة في القول من غير نبوة، وأيضاً الحكمة: المواعظ والأمثال، فكل كلمة اشتملت على موعظة أو دعاء إلى مَكْرُمة أو نهي عن قبيح فهي حكمة.

والحكمة أيضاً: العلم والفهم، وأيضاً القرآن، وأيضاً: تفسيره، وأيضاً: سنة النبي ﷺ قولاً وفعلاً. وبهذا فسِّرت الحكمة هنا في قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ أي القرآن ﴿والحكمة﴾ أي السنة.

روي عن ابن عباس وغير واحد، وحكاه الشافعي عمن يرضى من أهل العلم وقال به[٢].

وقوله تعالى: ﴿وإن كانوا﴾ أي المؤمنون ﴿من قبلُ﴾ أي من قبلِ بعثة هذا الرسول وهو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿لفي ضلال﴾ وهو ضدُّ الهدى، وأشير به ـ والله أعلم ـ إلى الكفر الذي كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأصنام وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿مبين﴾ أي ظاهرٍ لمن يعقله، كما أن جماعة ممن كان

---

(١) وفيه إشارة إلى لزوم مواصلة قراءة القرآن الكريم، لتكون القراءة الثانية تالية للأولى، لامتأخرة عنها.

(٢) «الرسالة» ص٧٨ (٢٥٢).

في الضلال قبل البعثة ظهر لهم ضلالهم من الإشراك فانتقلوا عنه إلى التوحيد، وبعضهم تحقَّق ضلاله وأنه ليس على شيء فأصرَّ عليه بعد الظهور. ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.

وآخرون من أهل الضلال استمروا فيه إلى البعثة فآمنوا بالنبي ﷺ ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ وهؤلاء الذين أحسن الله إليهم ودخلوا فيمن امتنّ عليهم بقوله تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾.

ووجوه المنِّ منَ الله تعالى في هذه الآية الشريفة كثيرةٌ:

١ـ منها: بعثة هذا الرسول الذي هو سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٢ـ ومنها: إحسانُ الله على المؤمنين المأخوذُ من قوله: ﴿إذ بعث فيهم﴾ ولم يقل: منهم، إشارة ـ والله أعلم ـ إلى رفع العذاب عنهم لقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾.

٣ـ ومنها: قوله تعالى: ﴿من أنفسهم﴾ فإن كان المراد الولادة فالنبي ﷺ أتى بصلة الأرحام وأمر بها وحثَّ عليها، فلا بدّ من صلته لذوي رَحِمِه، وقد حصل للمؤمنين منه ﷺ من الإكرام والإنعام قولاً وفعلاً ما لايحصيه إلا الله تعالى، ومنه قوله ﷺ: «من أحبَّ العربَ فبحبِّي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»[1].

---

(١) جزء من حديث ابن عمر رواه الطبراني في «الكبير» ١٢: ٤٥٥ (١٣٦٥٠)، والحاكم ٤: ٧٣، ٨٧، والبيهقي في «الشُّعب» ٢: ١٣٩، ٢٢٩ (١٣٩٣، ١٦٠٦) = ٣: ٥٦٣ (١٣٣٠) ٤: ٢٣٩ (١٤٩٣)، وفي «دلائل النبوة» له ١: ١٧١، ١٧٢، وغيرهم في كتب الضعفاء، وهو ضعيف، وفي إسناده محمد بن ذكوان، انظر ترجمته عند العقيلي ٤: ٣٦٥ (١٦١٨)، وابن عدي ٦: ٢٢٠٦، والذهبي في «الميزان» ٣: ٥٤٢ (٧٥٠٦)، و «علل الحديث» لابن أبي حاتم ٢: ٣٦٧.

هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فمنه قوله في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «كلُّ سَبَب ونَسَب منقطعٌ يومَ القيامة إلا سببي ونسبي»[1].

---

(١) هذا الحديث رواه أربعة من الصحابة: عمر، وابن عباس، وابن الزبير، والمِسْوَر بن مَخْرَمة رضي الله عنهم، وقد اشتهر عن عمر من بينهم، وبعض طرقه صحيح بانفراده.
أما حديث عمر: فقد رواه عنه ثمانية، منهم أربعة من الصحابة: الحسن السبط بن علي رضي الله عنهما، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعقبة ابن عامر، ومن التابعين علي زين العابدين، وابنه محمد الباقر، وأسلم مولى عمر، وعكرمة مولى ابن عباس.
١ـ فرواية الحسن بن علي عن عمر: أخرجها البيهقي في «الكبرى» ٧: ٦٤، ١١٤، وعزاها الحافظ في «التلخيص الحبير» ٣: ١٤٣ إلى «ابن السكن في صحاحه» من رواية ابن أبي مليكة، عن الحسن بن الحسن، عن أبيه، أن عمر خطب إلى علي ابنته أمَّ كلثوم. . .
وبهذا السند جاء في «مجمع البحرين» ٦: ١٦٢ (٣٥٣٨) لكن سقط منه قوله «عن أبيه» فبقي من رواية الحسن بن الحسن أن عمر خطب إلى علي، وهو سَقَطٌ مطبعي. والله أعلم. وفي السند عندهم: سفيان بن وكيع بن الجراح، وهو ضعيف.
٢ـ ورواية عبد الله بن عمر عن أبيه: رواها الطبراني في «الكبير» ٣: ٤٥ (٢٦٣٤) وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» ١: ١٩٩ ـ وفيه يونس بن أبي يعفور، وهو صدوق يخطىء كثيراً ـ والبزار ـ «كشف الأستار» ٣: ١٥٢ (٢٤٥٥) ولم أره في أصله ـ وفيه عاصم بن عبيد الله، ضعفوه لسوء حفظه.
٣ـ ورواية جابر عن عمر: أخرجها الطبراني في «الكبير» ٣: ٤٥ (٢٦٣٥)، و«الأوسط» ـ كما في «مجمع الزوائد» ٩: ١٧٣، و «مجمع البحرين» ٦: ٣٣١ (٣٧٩٢) ـ وعنه أبو نعيم في «الحلية» ٧: ٣١٤، وقال في «مجمع الزوائد»: «رجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة» اعتماداً على توثيق ابن حبان له ٨: ١٨١، وهو كذلك.
٤ـ ورواية عقبة بن عامر عنه: أسندها الخطيب في «تاريخ بغداد» ٦: ١٨٢ في =

= ترجمة إبراهيم بن مهران المروزي، وسكت عنه، ولم أر فيه جرحاً ولاتعديلاً.

٥ـ أما رواية علي زين العابدين عنه: فأخرجها الحاكم في «المستدرك» ٣: ١٧٢ وصححها، فتعقبه الذهبي بالانقطاع، أي: بين زين العابدين وعمر رضي الله عنهما، وعن الحاكم وغيره: البيهقي في «الكبرى» ٧: ٦٣ـ٦٤ وقال: مرسل حسن.

ويرى الدارقطني في «العلل» ٢: ١٨٩ (٢١١) أن ذكر علي زين العابدين في الإسناد شاذٌّ، والمحفوظ عدم ذكره ؛ وكأن فيه نظراً، لعدم انفراد ابن إسحاق بذلك.

٦ـ ورواية محمد الباقر عن عمر: أسندها سعيد بن منصور ١: ١٤٦ (٥٢٠)، وابن سعد ٨: ٤٦٣، وابن أبي عمر العَدَني، كما في «المطالب العالية» ٤: ١٧٧ (٤٢٥٨)، وهي أولى بالانقطاع من سابقتها.

٧ـ ورواية أسلم مولاه عنه: أسندها البزار في «مسنده» ١: ٣٩٧ (٥٧٤) من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، وأخرجها الطبراني في «الكبير» ٣: ٤٤ (٢٦٣٣)، ـ وعنه أبو نعيم في «الحلية» ٢: ٣٤ ـ من طريق الدراوردي، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، ورجاله رجال الصحيح، كما في «المجمع» ٤: ٢٧٢. فهذه متابعة بين الدراوردي وعبد الله بن زيد. فقول البزار عقب الحديث: «لانعلم أحداً قال عن زيد بن أسلم، عن أبيه إلا عبد الله بن زيد وحده»: متعقَّب بما تراه.

٨ـ ورواية عكرمة: أخرجها عبد الرزاق في «مصنفه» ٦: ١٦٣ (١٠٣٥٤).

أما حديث ابن عباس: فرواه الطبراني ١١: ٢٤٣ (١١٦٢١)، والخطيب في «تاريخه» ١٠: ٢٧١، وقال الهيثمي عن إسناد الطبراني ٩: ١٧٣: «رجاله ثقات». وهكذا يقال في سند الخطيب.

وأما حديث ابن الزبير: فرواه الطبراني في «الأوسط» ـ «مجمع البحرين» ٧: ٢٢ (٣٩٦٣) ـ وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو متروك.

وأما حديث المِسْوَر بن مخرمة: فرواه أحمد ٤: ٣٢٣ ـ ومن طريقه الحاكمُ ٣: ١٥٨ وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقيُّ ٧: ٦٤ ـ ورواه عبد الله بن

وإن كان المراد بقوله ﴿من أنفسهم﴾: المؤمنين مطلقاً فلا يَعلم قدر ما حصل منه ﷺ لأمته من النِّعم والألطاف والكرم إلا الله تعالى، فياشَرَفهم بذلك! إذ هو ﷺ روح المؤمنين وعزُّهم، والشفيق عليهم، والرؤف والرحيم بهم.

وفي الآخرة لمّا يوضع للأنبياء منابرُ من نور في عَرَصات القيامة فيجلسون عليها، ويبقى منبر النبي ﷺ خالياً لايجلس عليه قائماً منتصباً بين يديْ ربه عز وجل، كما روي عن النبي ﷺ قال: «فيقول الله عز وجل: ماتريد أن أصنع بأمتك..» الحديث[1].

= أحمد ٤: ٣٣٢ ـ وفي المطبوع جَعْله من رواية أحمد، وهو خطأ مطبعي ـ والطبراني ٢٠: ٢٥ (٣٠) كلهم من طريق عبيد الله بن أبي رافع، عن المسور. وفي محمد بن عباد المكي، وأبي سعيد مولى بني هاشم كلام في حفظهما. وهو عند الطبراني أيضاً ٢٠: ٢٧ (٣٣) من رواية أم بكر بنت المسور، عن أبيها. وقد ذكر الهيثمي في «المجمع» ٩: ١٧٣ـ١٧٤ هذه الرواية وقال: «فيه إبراهيم بن زكريا العَبْدَسي، ولم أعرفه» مع أنه من رجال «الكامل» لابن عدي ١: ٢٥٤، و«الميزان» ١: ٣١ (٩٠) و «اللسان» ١: ٥٨، وفيه جرح شديد. والعبدسي: نسبة إلى قرية تابعة لواسط، وتحرف إلى العبدي في طبعة «المعجم الكبير» وفي غيره فيصحح.
وهو من رواية أم بكر بنت المسور عن أبيها عند البيهقي ٧: ٦٤، وفي إسناده إسحاق بن محمد الفروي، وقد ساء حفظه لما كُفَّ بصره.
هذا، وقد عزا الحديثَ الحافظُ ابنُ حجر في «التلخيص الحبير» ٣: ١٤٣ إلى زيادات عبد الله على مسند أبيه، على أنه من حديث ابن عمر، فينظر.

(١) الحديث رواه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٦٠)، وابن خزيمة في كتاب «التوحيد» ٢: ٥٩٨ (٣٥٠) والطبراني في «الكبير» ١٠: ٣١٧ (١٠٧٧١) و «الأوسط» ـ «مجمع البحرين» ٨: ١١٩ (٤٨١٧)ـ والحاكم ١: ٦٥ وقال: «صحيح الإسناد.. والحديث غريب في أخبار الشفاعة»، كلهم من حديث ابن عباس، وعندهم جميعاً في إسناده محمد بن ثابت البُناني وهو ضعيف. ولفظ الطبراني: «يوضع للأنبياء منابر من نور يجلسون عليها، ويبقى منبري =

٤ـ ومن وجوه المنّ: تلاوةُ القرآن عليهم، وما في سماعه من اللفظ النبوي من الأجور.

٥ـ ومنها: تزكيتُهم بالصلاح ظاهراً وباطناً.

٦ـ ومنها: تعليمهم القرآنَ وما في ذلك من وجوه النعم، وكذلك تعليمُ السنة الشريفة، والطريقة العالية المنيفة.

٧ـ ومنها: إنقاذهم من الضلال المبين. وكلٌّ ذلك من بعض النعم التي امتنَّ الله بها على المؤمنين، وهي في المؤمنين عامةً إلى يوم القيامة، فجميعُ مانحن فيه من النعم والمنن ـ كالإيمان والقرآن ووجوه السنن وخيرات الدنيا والآخرة جزيلاً وقليلاً ـ من المنِّ الذي أشار الله إليه بقوله تعالى، وهو أصدق قِيلاً: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

٨ـ ومن هذا المنّ المشارِ إليه في هذه الآيات: إيصالُ الكتاب والحكمة إلينا بالأسانيد المرويات، ومن إيصالِ الحكمةِ، الحديثُ الذي حُثّ فيه على الرحمة، الذي رَوَيناه فيما سبق، من طرق تسعِ مسلسلةٍ على نسق، وهذه طريق عاشرة، من طرقه المتصلة الفاخرة:

أخبرنا الشيخ المسنِد بقية ذوي الإسناد سليل الأمراء والأجناد عبد الرحمن بن محمد التَّنْكِزي بقراءتي عليه، وهو أول حديث سمعته منه بمنزلي من دمشق، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أبي العباس أحمد المقرى المفيد، وهو أول حديث سمعته منه وأنا حاضر، حدثنا الإمام أبو الحسين علي بن محمد ببعلبك، وأبو عمرو عثمان بن محمد بمكة،

= لاأجلس عليه ولاأقعد..» ولفظ ابن خزيمة والحاكم: «للأنبياء منابر من ذهب..».

وجواب النبي ﷺ حينئذ لربه سبحانه وتعالى: «فأقول: يارب عجِّلْ حسابهم، فيدعى بهم فيحاسَبون..».

وهو أول حديث سمعته منهما، قالا:

أخبرنا أبو الحسن علي بن هبة الله الخطيب بالقاهرة، وهو أول حديث سمعناه منه، أخبرنا الإمام أحمد بن محمد الإسكندراني، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا الإمام أبو محمد جعفر بن أحمد اللغوي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا الإمام عبيد الله بن سعيد البكري، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا حمزة بن عبد العزيز، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه بنيسابور، أخبرنا أحمد بن محمد البزاز، وهو أول حديث سمعته منه سنة ثلاثين وثلاث مئة، حدثنا عبد الرحمن ابن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

هذا حديث حسن، وقع لنا عالياً، لكن من طرق غيرِ هذه الطريق من حيثُ العددُ بدرجة على هذه، وبدرجتين أيضاً، وهذا علوٌّ حسي، وهذه الطريق التي رَوَيناها علوُّها معنوي، لجلالة قدر رجالها ثقةً وعلماً وحفظاً.

والحديث في «مسند» الإمام أحمد عن سفيان، لكنه غير مسلسل، كما أخرجه أبو داود في «سننه» والترمذي في «جامعه» من طريق سفيان وصححه الترمذي، لكن سفيان تفرد به عن شيخه عمرو بن دينار، وكذا تفرد به عمرو عن أبي قابوس، فهو من الأفراد ويعبَّر عنها بالآحاد، وبخبر الواحد، وهو أحد أقسام الخبر.

لأن الخبر إما مقطوع بصدقه: كالمتواتر معنىً أو لفظاً، وإما مقطوع بكذبه: كالمعلوم خلافُه ضرورةً أو استدلالاً أو نصاً، وإما مظنونُ

الصدق: لايُقطَع بصدقه ولايُجزم بكذبه، وهو خبر الواحد الذي ليس له راو غيره[١].

وعند الأصوليين خبر الواحد مالم يبلغ حدّ التواتر، سواء رواه واحد أو اثنان فصاعداً، وعلى هذا يدخل فيه المستفيض والمشهور، وذهب بعض الأئمة إلى أن خبر الواحد هو أحد القسمين الأوّلين بالنسبة إلى نفس الأمر، فلا بدّ أن يكون خبر الواحد في نفسه صدقاً: فيكون من القسم الأول، أو كذباً: فهو من القسم الثاني، لكن تقسيم الخبر إلى الثلاثة أقسامٍ بالنسبة إلينا.

وخبرُ الواحدِ الثقةِ معمولٌ به عند جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم من المحدثين والفقهاء والأصوليين، وهو حجة من حجج الشرع يلزم العملُ به، ويفيد الظنَّ ولايفيد العلم[٢]، وإن وجوب العمل به عرفناه بالشرع لا بالعقل. قاله شيخ الإسلام أبو زكريا النووي[٣].

وقال مرة: وقد جاء الشرع بوجوب العمل به فوجب المصير إليه، وأما من قال بوجوب العلم به فهو مكابرٌ للحسّ، وكيف يحصُل العلم واحتمالُ الغلطِ والوهم والكذب وغيرِ ذلك متطرِّقٌ إليه؟!.[٤] انتهى.

وفيه التصريح بوجوب العمل بخبر الواحد الثقة، وعبّر بعضهم بالجواز وعليه ترجم البخاري رحمة الله عليه في «جامعه»: باب ما جاء

---

(١) هذا تلخيص شديد لكلام الخطيب في أوائل كتابه «الكفاية» ص١٧.

(٢) أي: لايفيد اليقين والجزم. والقولُ بإفادته العلم والجزم منسوب إلى بعض أهل الظاهر، وينسب إلى الإمام أحمد، ولايصح، وليس عليه العمل والاعتماد عند علماء مذهبه. ومن يحاول إحياء هذا الشذوذ من المعاصرين فإنما يُقحم السنة في مخاطر. نسأل الله الهداية.

(٣) في «شرح مسلم» ١: ١٣١، ١٣٢.

(٤) في «شرح مسلم» ١: ١٣١، ١٣٢.

في إجازة خبر الواحد الصدوق[١].

وذكر أبو زكريا النووي رحمه الله أن القاعدة العظيمة التي ينبني عليها معظم أحكام الشرع وهو وجوب العمل بخبر الواحد[٢]، فينبغي الاهتمام بها والاعتناء بتحقيقها، وقد أطنب العلماء رحمهم الله في الاحتجاج لها وإيضاحها، وأفردها جماعة من السلف بالتصنيف، واعتنى بها أئمة المحدثين وأصول الفقه، وأول من بلغنا تصنيفه فيها الإمام الشافعي رحمه الله. انتهى[٣].

فلا يضرُّ تفرُّد سفيانَ بالحديث، ولاتفرد شيخه، فسفيانُ بن عيينة سفيانُ في العلم والجلالة والثقة والعدالة، وشيخه عمرو بن دينار أحد الأئمة النقاد الثقات الكبار، وقد تقدم[٤] أن سفيان قال مرة: حدثنا عمرو بن دينار وكان ثقة ثقة ثقة ثقة، وحديثٌ أسمعه من عمرو أحبُّ إليّ من عشرينَ من غيره. انتهى.

وحديثه هذا رواه عن أبي قابوس ولايعرف إلا بكنيته.

وقد أنبأنا المحقق أبو زكريا يحيى بن يوسف الرُّغَيبي أن الإمام أبا الحسن علي بن أيوب أخبره في يوم السبت ثالث عشر شوال سنة إحدى وأربعين وسبع مئة، أخبرنا الإمام أبو محمد عبد الله بن مروان الفارقي وغيره قالوا: أخبرنا الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن النَّصْري[٥]

---

(١) جاء هذا الباب أول كتاب أخبار الآحاد ١٣: ٢٣١، والإجازة معناها النفاذ وسَرَيَان المفعول.

(٢) كذا، ولو قال: هي وجوب. . ، لكان أولى.

(٣) «شرح صحيح مسلم» ١: ١٣٠-١٣١، وهو يشير إلى كتاب «الرسالة» للإمام الشافعي رضي الله عنه.

(٤) صفحة ٢٦٦، وانظر التعليق هناك.

(٥) هو الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى، كما تقدم أكثر من مرة، وهذا النص سيأتي ص٣٤٤، وانظر التعليق عليه، وضبط كنية شيخه: أبو =

قال: وحدثني الثقة الحديثي أبو رَشِيْد بن أبي بكر قال: ذكر لي الحافظ أبو الفرج ثابت بن محمد المديني أن أبا قابوس اسمه المبرد، وجعل يتبجَّح به. قال أبو عمرو النصري: وليس هذا مما يركن إليه. انتهى.

وهو من موالي عبد الله بن عمرو بن العاص.

ومولاه عبد الله أسلم قبل أبيه، وكان اسمه العاصي كاسم جدِّه، فسماه النبي ﷺ عبد الله[١].

أما العاصي: فقال الإمام أبو عمرو بن الصلاح[٢]: يقوله كثير من أهل الضبط حال الوصل بالياء جرياً على الجادّة، والمتداوَل المشهور حذف الياء، وهو مشكل على من استطرف من العربية ولم يُوغِل وربما أنكروه، ولاوجه لإنكاره، فإنه لغة لبعض العرب، شُبِّه فيها مافيه الألف واللام بالمنوَّن، لما بينهما من التعاقب، وبها[٣] قرأ عدّة من القراء السبعة كما في قوله: ﴿الكبيرُ المتعالِ﴾ وشبهِه. والله أعلم.

وماقاله ابن الصلاح يأباه كلام النووي فإنه قال: وأما العاصي فأكثر

= رَشِيْد، من قلم المصنف.

(١) «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» ١: ٦٣٥ (١٨٤١).

(٢) غالب الظن أن هذا النقل عن الجزء الحديثي الذي كتبه ابن الصلاح رحمه الله في الحديث المسلسل بالأولية، وليس في شرحه على صحيح مسلم شيء.

(٣) أي: وبإثبات الياء مع أل التعريف، قرأ عدَّة من السبعة قوله تعالى: المتعالي، وهي من الآية التاسعة من سورة الرعد، ولم أجد في كتب القراءات والتفسير نسبة هذه القراءة إلا لابن كثير المكي الذي هو أحد السبعة، وإلا ليعقوب الحضرمي، وهو المقرىء الثامن. نعم، قال أبو حيان في «البحر» ٧: ٣٧٠: «وأثبت ابن كثير وأبو عمرو في روايةٍ ياء المتعال وقفاً ووصلاً، وهو الكثير في لسان العرب..» فهي رواية عن أبي عمرو بن العلاء أحد السبعة أيضاً.
ولاحظ قول أبي حيان «هو الكثير في لسان العرب» فالجمع بين أل والياء جائز ثابت في قراءات متواترة وكثير في لسان العرب.

مايأتي في كتب الحديث والفقه ونحوها بحذف الياء، وهي لغة، والفصيح الصحيح العاصي بإثبات الياء وقال: ولا اغترار بوجوده في كتب الحديث أو أكثرها بحذفها. والله أعلم[١].

وكلام ابن الصلاح أمتن وأبين.

هذا من بعض مايتعلق بسند الحديث الذي هو الإخبار عن طريق المتن.

وأما فوائد متنه المستنبطة منه:

١ـ فمنها: أنه كما الراحمون مَن في الأرض يرحمهم مَن في السماء مفيدٌ لازمِه، وهو أن غير الراحمين لايرحمهم الله، وقد جاءت الرواية مصرِّحةً بلازم الحديث، وذلك فيما روِّيناه من حديث أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن جرير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن لم يَرحم مَن في الأرض لم يَرحمه من في السماء»[٢]، وأعمُّ منه حديث أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) هذا القول للنووي في «شرح صحيح مسلم» ١:٧٧، لكنه قال رحمه الله في ٢:١٦٤: «الفصيح في العاصي إثبات الياء، ويجوز حذفها، وهو الذي يستعمله معظم المحدثين أو كلُّهم». فجوَّز حذف الياء، مع أن قوله «الفصيح إثباتها» يفيد أن حذفها غير فصيح.

(٢) لعل الحديث بهذا الإسناد في «مسند ابن أبي شيبة»؟ وأقرب مارأيته إليه إسناداً ومتناً هو ما في «المعجم الكبير» للطبراني ٢:٣٥٦ (٢٥٠٢)، رواه من طريق مسدد، عن أبي الأحوص، به، لكن بلفظ: «ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء». وعنده برقم (٢٤٩٧) من وجه آخر عن جرير: «من لايرحم من في الأرض لايرحمه من في السماء» قال المنذري في «الترغيب» ٣:٢٠١ـ٢٠٢: «إسناده جيد قوي».
والحديث مروي عن جرير من وجوه كثيرة بنحوه، منها رواية مسلم ٤:١٨٠٩ (٦٦) وغيره.

الذي روِّيناه في «جامع الترمذي» أن رسول الله ﷺ قال: «من لايَرحم لايُرحم»[١].

٢ـ ومن فوائد الحديث: الحثُّ على إغاثة اللهفان، وإعانة الحيران، وإفادة المستفيد، وإرفاد المستزيد، وحمل الكَلِّ، ونفع الكُل، والعفو عن القصاص بالجملة، والإحسان في القِتْلة، والمنع من المُثْلة، واستحباب تحديد[٢] آلة الذكاة لسرعة إزهاق الروح، ومواراتها حين إرادة الذبح عن المذبوح، وكفُّ الأذى عن جميع الأنواع، وصلة الأرحام حسبما ورد به السماع، وكل ذلك من الرحمة للخلق، التي أَمر بها رسولُ الحقِّ.

٣ـ ومن فوائد الحديث: أنه يدل على الرجاء، فهو من أحاديثه، لأن الله سبحانه وتعالى إذا كان يستجلب لعباده رحمة غيره كما أخبر عنه الصادق المصدوق بقوله: «الراحمون يرحمهم الرحمن»: كيف لايجود لهم برحمته سبحانه وتعالى.

٤ـ ومن فوائده: أن جزاء الراحم من الله على المبالغة في الرحمة، لأن الراحم وصفٌ لامبالغة فيه، والرحمن وصفٌ يدل على المبالغة في الرحمة، فكان معنى قوله: «الراحمون يرحمهم الرحمن» أي: من رَحِم رُحِم أضعاف مارَحِم، ثم الجزاء في الآخرة أضعافُ ذلك، لأن الراحم عنده من الرحمة جزء من الجزء الذي قُسم بين الخلق من مئة جزء من الرحمة التي يقسمها الله على عباده المؤمنين في الآخرة.

روِّينا من حديث العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة

---

(١) «سنن الترمذي» ٤: ٢٨٠ (١٩١١) وقال: حسن صحيح، لكن أبعد المصنف رحمه الله النُّجْعة في عزو الحديث إلى الترمذي فإنه في الصحيحين: البخاري ١٠: ٤٢٦ (٥٩٩٧)، ومسلم ٤: ١٨٠٨ (٢٣١٨)، وإسناد مسلم ومتنه مثل إسناد الترمذي ومتنه.

(٢) أي: إحدادها وجعلها حادَّة قاطعة بسرعة.

رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجنّ والإنسِ والبهائم والهَوَامّ، فَبِها يتعاطفون، وبها تعطف الوحش على ولدها ؛ وأخَّر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»[١].

قال أيوب بن أبي تميمة السَّخْتِياني: إن رحمة واحدة قسمها سبحانه في دار الدنيا وأصابني منها الإسلام، إني لأرجو من تسع وتسعين رحمة ما هو أكثر من ذلك[٢].

وكذلك قال سُليم بن عيسى[٣] أحد الأئمة القراء حين روى الحديث عن حمزة الزيات، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي هريرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله مئة رحمة أنزل منها رحمة بين

---

(١) هذا اللفظ أقرب مايكون لرواية مسلم ٤:٢١٠٨ (١٩) لكن بغير هذا السند، أما السند: فنعم عند مسلم (١٨) وأحمد ٢:٤٨٤، والترمذي ٥:٥١٣ (٣٤٥١) ـ وقال حسن صحيح ـ بلفظ: «خلق الله مئة رحمة، فوضع واحدة بين خلقه، وخَبَأ عنده مائةً إلا واحدةً». ورواه البخاري من وجه آخر ١١:٣٠١ (٦٤٦٩). وانظر ص٤٠٢.
وفسَّر القرطبي كون الرحمة مئة جزء بـ «أن الله أظهر تقديره لذلك يوم أظهر تقدير السموات والأرض». نقله في «الفتح» ١١: ٤٣٢. وهذا يُحتاج إليه إذا كان المراد بالمئة العدد المحدَّد، لاالكثرة، وأما على مانقله الطيبي في «شرح المشكاة» ٥:١٢٢ فلا حاجة إليه، ونصه: «قال التُّورِبِشْتي: رحمة الله تعالى غير متناهية، فلا يَعْتَوِرُها ـ أي: لايدخل عليها ـ التجزئة والتقسيم، وإنما أراد النبي ﷺ أن يضرب للأمة مثلاً فيعرفوا التناسب بين الجزأين ويحيل لهم مثلاً فيفهموا به التفاوت بين القسطين ....، ولم يُرد به تحديد ماقد جلَّ عن الحدّ، أو تعديد ماتجاوز العدّ». وانظر «شرح الإحياء» ١٠:٥٥٧ ـ ٥٥٨، و«فتح الباري».

(٢) ذكره البيهقي في «الشعب» ٢:١٦ (١٠٣٩ مكرر) = ٣:٢٥٤ (١٠٠٨).

(٣) هو تلميذ حمزة وشيخ خلف، وقد ذكره أول المجلس ٢ ص٥٣، والكلمة في «تاريخ بغداد» ٨:٣٢٤، وثمة بعض أخبار سُليم.

عباده، فَبِها يتراحمون وبها يتعاطفون، فإذا كان يوم القيامة جمع هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ففضَّها على عباده» قال سليم: من رحمة واحدة أصابنا القرآن والإيمان وفَعَل وفَعَل، أَلَا نرجو نعمةً من أكثرَ من رحمة واحدة: الجنةَ؟!.

وقلت في معناه، أبياتاً ختامَ ما أمليناه، وهي:

إذا كان ربُّ الخلق أعطى عباده
من الرحمة العظمى التي عمَّت الورى

فمن مائةٍ جزءاً تراحُمُ خلقِه
به بينهم قسماً قويماً مسيَّرا

وأخّر تسعاً بعد تسعين رحمةً
ويُكْمِلُها يوم المعاد لتنشرا

ومن بعض ذاك الجزءِ توحيدُ ربِّنا
أتانا ودِنّا خيرَ دينٍ وأنورا

فإنا لنرجو يوم نلقاه راحماً
من التسع والتسعينَ أعلى وأكثرا

آخر المجلس ولله الحمد حمداً كثيراً دائماً

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ١٥ـ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى

قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

الكلام على هذه الآية الشريفة من وجوه تقدم ذكر بعضها، وهي من علوم القرآن العظيم الذي لاتفنى عجائبه، ولاتنقضي غرائبه، منها: علم أسباب نزوله، وقد صنَّف الأئمة فيه، فبعضهم أدخله ضمن تفسيره القرآنَ، وبعضهم أفرده بالتصنيف، وسببُ نزول القرآن بجملته هذا الرسولُ ﷺ ببعثته.

وهذه الآيةُ الشريفةُ لها سببٌ في نزولها، وهو ظاهر، لكنه غامض، ولغموضه لم أرَ أحداً ذكره ممن صنف في أسباب نزول القرآن، ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري لم يذكره في كتابه «أسباب النزول».

والسببُ في نزولها: إعلامُ الله تعالى الأمةَ بإجابته دعوةَ إبراهيمَ الخليلِ عليه الصلاة والسلام، حيثُ قال فيما أخبر الله تعالى عنه: ﴿ربَّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكِّيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ فاستجاب الله تعالى هذه الدعوةَ، وبعث هذا الرسولَ كما دعا إبراهيمُ عليهما الصلاة والسلام، وأعلم الله تعالى هذه الأمة بإجابة الدعوة المشارِ إليها فقال تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياتِه ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾ الآيةَ.

وقد أشار النبي ﷺ إلى إجابةِ هذه الدعوة الشريفة فقال ـ فيما خرجه أبو القاسم الطبراني في «معجمه الكبير» من حديث أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قيل يارسول الله ماكان بدءُ أمرِك؟ ـ فقال: «دعوةُ أبي إبراهيم، وبشَّر بي عيسى، ورأتْ أمي أنه خرجَ منها نورٌ أضاءتْ له قصور الشام». وللحديث طرق خرَّجتها في كتابي «جامع الآثار»[1].

وفي الدعوةِ المشارِ إليها طلبُ التزكية بعد تعلُّم الكتاب والحكمة، وفي الإخبار عن الإجابة قدَّم التزكيـة قبل التعلُّم، وذلك ـ والله أعلم ـ أن متعلِّمي العلم على قسمين: صالحون وغير صالحين، والصالح يفيده التعليم، ويبعثه العلم على العمل أكثرَ من غيره، لصلاحه الذي كان متقدماً على طلب العلم، ولما كان كذلك قُدّمت التزكية في هذه الآية قبلَ ذكر التعليم.

وفيه الإشارة ـ والله أعلم ـ إلى شرف هذه الأمة، ففي هذه الآية الشريفة حصولُ التزكية المطلوبة في آية الدعوة، ولكنها قبل التعلُّم ليكونَ أبلغَ في الفهم للعلم، وأسرعَ للعمل به. والله سبحانه أعلم بما أراد.

وكذلك في الآية الثالثة التي في سورة الجمعة: قدَّم الله تعالى الإخبار بالتزكية قبل التعلُّم فقال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِه ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

وفي آية الجمعة إشارةٌ إلى أن المؤمنين في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ أنهم المؤمنون مطلقاً، لقوله تعالى في آية الجمعة: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾ والأميون صفةٌ لهذه الأمة وهم الذين لايكتبون، وقد صحَّ أن رسول الله ﷺ قال: «إنا أمةٌ أميةٌ

---

(١) وتقدم تخريجه أول المجلس السابق ١١ ص٢٣٤.

لانكتُبُ ولانحسُبُ»[١].

واختلف في نسبتهم للأمية، فقيل: إلى الأم، لأن النساء غالباً لايكتبْن، ويَحتمِل أنهم نُسبوا إلى الأم لأنهم يَخرجون من بطون الأمهات[٢]، كما قال الله عز وجل: ﴿والله أخرجكُم من بطونِ أمهاتِكم لاتعلمون شيئاً، وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدة لعلكم تشكرون﴾.

فالأمي الباقي على أصل ولادة أمه له: لم يقرأ ولم يكتب.

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري الزَّجَّاج: الأُميُّون الذين لايكتبون، الذين هم على ماخُلِقت عليه الأمة قبل تعليم الكتاب. قاله في كتابه «معاني القرآن»[٣] وذَكَر أن أول مَن تعلَّم الكتاب من العرب ثقيفٌ[٤]، تعلموه من الأنبار، ولم يعرِّج الزجَّاج على غيره، لكنْ أولُ من خطَّ بالقلم مطلقاً من بني آدم إدريسُ النبي عليه الصلاة والسلام، فيما رَوَيناه في الحديث الطويل عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً، خرَّجه أحمد بن حنبل في «مسنده» وأبو حاتم ابن حِبان في «صحيحه» وغيرهما[٥].

---

(١) رواه البخاري ٤:١٢٦ (١٩١٣)، ومسلم ٢:٧٦١ (١٥) كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) لعل الأولى أن يقول: نسبوا إلى الحال التي يخرجون عليها من بطون الأمهات.

(٣) ٥:١٦٩.

(٤) أي: أهل الطائف «وذكر أهل الطائف أنهم تعلموا الكتابة من أهل الحِيرة وذكر أهل الحيرة أنهم تعلموا الكتابة من أهل الأنبار» هذا لفظ الزَّجَّاج، وصدَّره بقوله: «قيل..».

(٥) أصل الحديث في «المسند» ٥:١٧٨ وغيره بإسناد ضعيف، وبعض جُمَله تتقوَّى، أما الجملة المرادة هنا فهي .. «وهو إدريس، وهو أول من خطَّ بالقلم» رواها ابن حبان ٢:٧٦ (٣٦١) وفي إسناده إبراهيم بن هشام بن يحيى =

وعلى قول ابن عباس وخلقٍ ـ وروي مرفوعاً ـ: أول المخلوقات القلم خلقه الله تعالى فكتب بإذْنه في اللوح المحفوظ ماهو كائنٌ إلى يوم القيامة[١].

= الغساني وقد وثقه ابن حبان ٨:٧٩ وخرَّج حديثه في «صحيحه» كما ترى، ووثقه الطبراني في «معجمه الصغير» ١:٢٧١ (٤٤٥،٤٤٦) عند قول عائشة رضي الله عنها: لو رأى رسول الله ﷺ من النساء مانرى لمنعهن المساجد، وقال ﷺ: «القطع في ربع دينار فصاعداً»، وكذبه أبو حاتم كما في «الجرح» ٢:١٤٢ (٤٦٩) وأبو زرعة كما في «ضعفاء» ابن الجوزي ١:٥٩ (١٣٣) والمنذري في خاتمة كتابه «الترغيب والترهيب» ٤:٥٦٧.

وعلى كل: فعزو هذه الجملة إلى «المسند» غير سديد، وقد وقع هذا للسيوطي في «الأوائل» ص١١٣ (٨٣٠) وتبعه العجلوني في «كشف الخفاء» ١:٢٦٧ (٨٣٤).

(١) الحديث رواه عبدالله بن عباس وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم.

فحديث ابن عباس: رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» ١:٥٠ (١٠٨)، وأبو يعلى ٣:٧ (٢٣٢٥)، والطبراني في «الكبير» ١٢:٦٨ (١٢٥٠٠)، وهو أول حديث في «أوائله»، والحاكم ـ مطولاً ـ ٢:٤٥٤ وصحح إسناده على شرطهما ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٩:٣.

وحديث عبادة بن الصامت: رواه الطيالسي ص٧٩ (٥٧٧)، وابن أبي شيبة ١٤:١١٤ (١٧٧٧١)، وأحمد ٥:٣١٧ من وجهين، وأبو داود ٥:٧٦ (٤٧٠٠)، والترمذي ٤:٣٩٨ (٢١٥٥) بقصته وقال: غريب، مع أنه كرره ٥:٣٩٤ (٣٣١٩) ـ دون قصة ـ بالسند نفسه وقال: حسن غريب، وابن أبي عاصم ١:٤٨ـ٥٠ (١٠٢ـ١٠٧). وإسناد الترمذي وأحد أسانيد ابن أبي عاصم من طريق الطيالسي.

ويحسن التنبيه إلى أن حديث ابن عباس عزاه الهيثمي ٧:١٩٠ إلى البزار وقال: رجاله ثقات، ولم أره في «كشف الأستار»، ولاعزاه إليه الحافظ في «المطالب العالية» ٣:٧٨ (٢٩٢٨) بل إلى أبي يعلى فقط.

ثم إن حديث عبادة عزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٦:٢٥٠ إلى: «..الترمذي وصححه»، ويؤيده أن المزي في «التحفة» ٤:٢٦١ (٥١١٩) =

وقد ذكر جمهورُ من صنف في الأوائل أن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أول من كتب: بسم الله الرحمن الرحيم.

أنبأنا أبو عبدالله محمد بن الشرف محمد بن المحتسِب وآخرون، عن أبي الفضل سليمان بن حمزة الحاكم، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد الحافظ، سماعاً في محرم سنة تسع وثلاثين وستمائة، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصيدلاني، في شوال سنة ثمان وتسعين وخمس مئة، أخبرنا أبو علي الحسين بن أحمد الحداد، حضوراً أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد، حدثنا عمرو بن أبي الطاهر بن السَّرْح، حدثنا أبي، حدثنا موسى ابن عبدالرحمن الصنعاني، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: أول من كـتب «بسم الله الرحمن الرحيم» سليمان عليه الصلاة والسلام[١].

وهذا من الأوائل التي هي من فنون الحديث، وقد عُنِي بجمعها جماعة من الحفاظ، منهم أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، وأبو عَروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر الحرَّاني، وأبو الفرج عبدالرحمن ابن علي بن الجوزي، وغيرهم[٢]. لكن لم يذكر واحد منهم في الأوائل

= نقل عنه قوله: حسن صحيح غريب. وينظر «فتح الباري» ٩: ٢٨٩ حول أول المخلوقات، و «البداية والنهاية» ١: ٦-٧، ويبدو من صنيع الإمام المحدث المؤرخ ابن الأثير في مقدمة تاريخه «الكامل» ١: ٦ أنه يقول بأولية خلق القلم.

(١) رواه الطبراني في كتابه «الأوائل» ص١٤٧ (١٠٧٣) والسند المذكور له، وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، اتهمه ابن حبان بالوضع، انظر كتابه «المجروحين» ٢: ٢٤٢، وغيره.

(٢) لم يذكر كتاب أبي هلال العسكري مع تقدم وفاته، ومما يذكر: «إقامة الدلائل على معرفة الأوائل» لابن حجر، وهو معروف، ذكره في «فتح الباري» ٦: ٣٩٠، وللسيوطي: «الوسائل في معرفة الأوائل» طبع مع كتاب الطبراني، =

المصنَّفة ماترجمته: فلانٌ أول شيخ لقيه فلان فأخذ عنه، ولا: أن فلاناً أولُ من أخذ عنه فلان، ولا: هذا أول حديث سمعه فلان من فلان[١].

ومن الثاني: ماقال أبو غسان مالك بن إسماعيل النَّهْديُّ سبطُ حماد ابن أبي سليمان: سمعت ابن عيينة يقول: أول من جاءني يطلب مني الحديث مِسْعَر.

وهذا فيه شرف لسفيان، لأن مسعراً شيخُ سفيانَ الثوريِّ وسفيانَ بنِ عيينة وآخرين، وهذا من باب رواية الأكابر عن الأصاغر.

ومن الأخير - وهو أول حديث سمعه فلان من فلان - حديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن» لأنه مسلسل بقول كلٍّ من شيوخنا فمن فوقهم إلى سفيان عن شيخه: وهو أول حديث سمعته منه، ويقال لهذا الحديث: المسلسل بالأولية، وقد رَوَيناه من طُرُق عشرة، وهذه طريق حاديةَ عشْرةَ:

أخبرنا الشيخ المقرىء المحدِّث أبو المعالي عبد الله بن أبي إسحاق إبراهيم الزُّبيدي الفَرَضي، بقراءتي عليه وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا القاضي أبو العباس أحمد بن الجمال محمد بن أحمد الدمشقي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا الكمال أبو العباس أحمد بن أبي الفتح بن محمود بن أبي الوحش الشيباني، سماعاً بجامع الكَرْك وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا الإمام أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن ابن عثمان النَّصْري[٢]، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا الشيخ النبيه

= وطبع قديماً كتاب «الأوائل» لعلي دده البُوسْنَوي، وكانت وفاته سنة ١٠٠٧.

(١) ولا: هذا أول حديث سمعته ببلد كذا، كما سيأتي في الصفحة الآتية في كلام ابن الصلاح.

(٢) هو الإمام ابن الصلاح رحمه الله ، وشيخه ابن المُعزِّم انظر ترجمته في «التكملة» لتلميذه الإمام المنذري ٢:٢٤٦ (١٢٣٦) و «السِّيَر» ٢٢:٢٠، وكانت وفاته سنة ٦٠٩، لا ٦٠٨.

أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد الوهاب المعروف بابن المُعَزِّم الهمَذاني بها رحمه الله، وهو أول حديث سمعته منه وأول حديث سمعته بهمَذان، حدثنا أبو منصور عبد الكريم بن محمد المعروف بابن الخَيَّام من لفظه، وهو أول حديث سمعته منه حفظاً.

وبالإسناد إلى أبي عَمرو النَّصْري قال: وحدثنا الشيخ الأصيل أبو القاسم منصور بن عبد المنعم الفَرُاوي[1]، وهو أول حديث سمعته منه إن شاء الله، حدثنا الإمام أبو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي، وهو أول حديث سمعته منه، قالا: حدثنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد ابن مَحْمِش الزِّيادي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه ـ وعند ابن المُعَزِّم: من سفيان ـ عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله ابن عمرو ـ وعند ابن المُعَزِّم: مولى لعبد الله ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وقال ابن المعزِّم: «أهلَ الأرض، يرحمكم من في السماء».

---

(١) نقل الإمام ابن الصلاح في شرحه على صحيح مسلم ص١٠٧ عن السمعاني في «أنسابه» ٤: ٣٥٦ أنه ضبط الفاء بالضم، ثم قال: «والشائع المعروف فتح الفاء، وهكذا ذكره لي شيخنا أبو القاسم الفراوي لما سألته عن ذلك»، واقتصر ياقوت على الفتح، ثم رأيت المصنف قال في «توضيح المشتبه» ٦: ٥٣: «جزم بالضم ابن السمعاني وغيره، وبالفتح آخرون، وهو الأكثر، فيما ذكره الصدر الحسن بن محمد البكري». ونحوه في «تكملة الإكمال» لابن نقطة ٤: ٥٥٠، وانظر ماسيأتي ص٣١٦.

وأنبأناه أعلى من هذا بدرجة الحافظُ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المقدسي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن النَّصْري، وهو أول حديث سمعته منه، فذكره.

هذا حديث حسن خطير، رواه عن سفيان بن عيينة جمٌّ غفير، منهم عبد الرحمن بن بشر بن الحكم - كما تقدم - وأبوه بشر بن الحكم، وأحمد بن حنبل، والحسين بن الحسن المروزي، وسعيد بن عبد الرحمن المخزومي، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وأبو بكر عبد الله بن أبي شيبة، ومحمد بن عباد المكي، ومحمد بن أبي عمر العَدَني، ومحمود بن آدم، ومسدَّد بن مُسَرْهَد، وهارون بن معروف.

وله طُرقٌ إلى كلٍّ من المذكورين وغيرهم، وله شاهدٌ عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

وفي إسناده الذي رَوَينا الحديثَ به آنفاً: مايدخل في قسم المؤتلِف والمختلِف أحدِ أنواع الحديث. فمن ذلك:

١- الزُّبيدي، وهو بضم الزاي، وفتح الموحدة، يليها مثناة فوق ساكنة، ثم دال مهملة مكسورة، يليها ياء النسب؛ وهو نسبة إلى زُبيد الصغير، وهو منبِّه بن ربيعة بن سَلَمة بن مازن بن ربيعة بن منبِّه، وهو زُبيد الكبير - وإليه جِماع زُبيد - بن صعْب بن سعدِ العشيرةِ بن مَذْحِج وهو مالك بن أُدَد[١].

وهذه النسبة تأتلف مع «الزَّبيدي» خطاً، وتختلف معهُ نطقاً وضبطاً. فهذه بفتح الزاي، وكسر الموحدة، والباقي سواء، نسبة إلى زَبِيد، من أكبر بلاد اليمن.

---

(١) كأن المصنف ينقل كلام ابن الكلبي مباشرة، أو بواسطة السمعاني في «الأنساب» ٢: ١٣٥.

٢ـ ومن هذا القسم في الإسناد: أبو عمرو النَّصْري بنون مفتوحة، وصاد مهملة ساكنة، ثم راء مكسورة، يليها ياء النسب، وهو نسبة إلى جدّ له أعلى، فهو أبو عمرو عثمان بن أبي محمد عبدِالرحمن بن عثمان ابن موسى بن أبي نَصْر النصْري، وهو يأتلفُ مع «البصري» وضْعاً، ويختلف مع النُّطق سمعاً، فهذه النسبة بالموحدة، والباقي سواءٌ، نسبة إلى البصرة البلدِ المشهورِ بأرض العراق، وهي إحدى المدن الإسلامية لأنها مُصِّرت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبعَ عشْرةَ من الهجرة في قولٍ[1]، قبل أن مُصِّرت الكوفة بسنة[2].

٣ـ ومن هذا القسم في الإسناد: عبد الرحمن ابن المعزِّم الهمَذاني، ونسبته بالفتح محرّكاً وبالذال المعجمة إلى هَمَذان، إحدى بلاد عراق العجم في سفح أَرْوَنْد[3]، على خمسة عشر يوماً من بغداد، وهذه النسبة

---

(١) اعتمده السمعاني في «الأنساب» ١:٣٦٣ (البصري) زاد: «وسكنها الناس سنة ثماني عشرة» ووصفها بأنها: «قبة الإسلام وخزانة العرب». لكن ذكر الطبري ٢:٤٣٨ أنها بنيت سنة ١٤ ـ وعليه ياقوت عند كلامه عن البصرة ـ وعن سيف بن عمر أنها بنيت سنة ١٦. ومراد المصنف من قوله «إحدى المدن الإسلامية»: أنها بنيت في الإسلام، وهو واضح من تعليله: لأنها مصِّرت في خلافة عمر، وقد نقل السمعاني رحمه الله عن أحد شيوخه قوله: «لم يعبد الصنم قطُّ على أرضها».

(٢) في «تاريخ الطبري» ٢:٤٧٧ أن الكوفة اختُطَّت سنة ١٧، وعن القاسم بن معن أن الناس سكنوها آخر سنة ١٧، وعن غيره: أنهم سكنوها أول سنة ١٨. وتناقض ياقوت ـ حسب المطبوع من «معجمه» ـ فقال: اختطت الكوفة سنة خطة البصرة ١٧ من الهجرة ـ مع أنه أرَّخ سنة بناء البصرة: ١٤هـ، كما تقدم ـ وقيل: بعد البصرة بعام أو بعامين.

(٣) هكذا صواب اسم البلد، راجع له ياقوت، وسبق قلم المصنف فكتبه باللام بدل الراء، لكن ضبطه كما ضبطته. قال ياقوت: هو: «جبل نَزِه خضِر نَضِر مطلّ على مدينة همذان. . ، وهم يعدّونه من أجلِّ مفاخر بلدهم».

تأتلف مع الهَمْداني في الخطِّ وتختلف معه في الضبط، لأن هذه النسبة بالسكون والدال المهملة، نسبة إلى هَمْدان واسمه أَوْسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كَهلان بن سبأ.

٤ـ ومن هذا القسم في الإسناد الفُراوي بضم الفاء ـ على المشهور ـ[1] وفتح الراء المخففة، يليها ألف، بعدها واو مكسورة لياء النسب، نسبة إلى بُلَيدة على ثَغْر خراسان قُرب الديلم مما يلي خُوارَزم يقال لها: رباط فُراوة، والعجم ينطقون بها فُراوُوه: بواوين الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، وهذه البُلَيدة بناها عبد الله بن طاهر أميرُ خراسان في خلافة المأمون.

وهذه النسبة تأتلف مع القَراوي كتابةً، وتختلف معه بتقييد أهل الإصابة[2]، فإن هذه النسبة بالقاف المفتوحة، والباقي سواء، نسبة إلى قَراوا قريةٍ من قرى بيت المقدس[3].

٥ـ ومن هذا القسم في الإسناد: الزِّيادي، بزاي مكسورة، تليها مثناة تحت مفتوحة، ثم ألف، ثم دال مهملة مكسورة لياء النسب، نسبة إلى محلة بنيسابور يقال لها: ميدان زياد بن عبد الرحمن[4]، وهذه النسبة تأتلف مع الزَّبادي تسطيراً، وتختلف معه نطقاً وتحريراً، وهي بفتح الزاي، يليها موحدة مخفَّفة، والباقي سواءٌ، نسبة إلى بطن من ذي

---

(١) بل انظر ما تقدم ص٣١٣ وضبطُ الإمام الفراوي لها بالفتح أولى فإنها بلده.

(٢) هذا تأكيد من المصنف لضبط الفاء بالضم وتقدم ما فيه قبل أسطر، وفي ص٣١٣.

(٣) في «معجم ياقوت»: «قراوى: قرية بالغَوْر من أرض الأردن.. وقرية من أعمال نابلس يقال لها: قراوى بني حسان». فهما موضعان، ومع ذلك لم يذكره في كتابه «المشترك وضعاً والمفترق صقعاً».

(٤) لذلك ينسب إليها: الميداني، ومنهم الميداني صاحب «مجمع الأمثال» المشهور. انظر «وفيات» ابن خلكان ١: ١٤٨.

الكَلاع اسمه زبَاد بن كعب بن حَجْر بن الأسود بن الكَلاع.

٦ـ ومن هذا القسم في الإسناد: البزاز، بفتح الموحدة، وزايين، بينهما ألف، الأولى مشدَّدة، نسبة إلى عمل البَزِّ والتجارة فيه، وهذه النسبة تأتلف مع البزار نظراً وشكلاً، وتختلف معه نطقاً وحلاً، وهذه بالراء آخره، نسبة إلى عمل دُهن بَزْر الكَتَّان وبيعه. والله أعلم.

وهذا من بعض فوائد إسناد الحديث الذي هو الإخبار عن طريق المتن.

وأما فوائد متنه: فكثيرة تقدَّم ذكر بعضها، ومما لم يُذْكَر:

١ـ أن قوله ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن» إنْ كان معناه كلفظه ـ وهو الظاهر ـ فيكون إخباراً أن الرحمنِ عزَّ وجلَّ يرحم الراحمين من عباده، ويَحتمِل أن معناه ـ وإن كان لفظُه لفظَ الخبر ـ الدعاءُ من النبي ﷺ للراحمين، كما يقال: الله يغفر لفلان، وهذه إحدى مراتب ألفاظ الدعاء، وهي ثلاثٌ مرتَّبةٌ على الأفعال الثلاثة:

إحداها: بلفظ الطلب، كقوله: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقِنَا عذابَ النار﴾.

والثانية: بلفظ الماضي، كقوله: غَفَر الله له، رحمه الله، رضي الله عنه.

والثالثة: بلفظ المستقبل، كقوله: يغفر الله له، ومنه الحديث على هذا الاحتمال: «الراحمون يرحمهم الرحمن».

والمراتب الثلاث جائزةٌ في الدعاء، وقد تعرَّض الإمام أبو العباس أحمد بن أبي العُلى إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يَلِّينَ الصُّنْهاجي المصري القَرَافي المالكي[1] في كتابه الدعوات إلى أن المرتبةَ

---

(١) هو الإمام شهاب الدين القرافي المتوفَّى سنة ٦٨٤، المشهور بكتابه «الفروق» =

الثانية أبلغُ من الأُخريين فقال:

الأدب الثامن: أن يكون الطلبُ بصيغة الماضي، فإن أصل الطلب أن يكون بصيغة الأمر، لكنْ ليس من لوازم الأمر حصولُ مأموره في الوجود؛ وأبلغُ من هذه الصيغة صيغةُ الخبر المستقبل؛ وأبلغ من هذه الصيغة صيغة الخبر الماضي؛ لأن الماضي شهد العِيان بوقوع متعلَّقه، بخلاف المستقبل، فكان التفاؤل بحصول المطلوب بهذه الصيغة أكثرَ. فقولنا لزيد: يُديم الله سعادتك، أبلغُ من قولنا: اللهم أدِمْ سعادتك، وقولُنا: أدام الله سعادتك، أبلغُ من قولنا: الله يديم سعادتك، وكان ﷺ يحبُّ الفأل ويكره الطِّيَرة[1]، فيكون التفاؤل بلفظَي الخبر مطلوباً شرعاً. انتهى.

وفي هذا نظر، لأن غالب الأدعية المأثورة بصيغة الطلب، فتكون هذه الصيغة أبلغَ وأكثر، لاكما قاله القرافي. والله أعلم.

٢ـ ومن فوائد الحديث: أن لفظَ الصدر الأول من الحديث غيرُ لفظ الثاني، ومعناهما واحد، وهو أن من رَحِم يُرحَم، وهذا أحد الأقسام الثلاثة في باب اللفظ، وقد عَقَد سيبويهِ في «الكتاب»[2] باباً لهذا فقال:

= و «الذخيرة» و «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام» وكلها طبعت. وكتابه الذي ينقل عنه المصنف سماه ابن فرحون في «الديباج المُذْهَب» ص٦٥: «المنجيات والموبقات في الأدعية، ومايجوز منها ومايكره ومايحرم».

(١) هذا المعنى وارد كثيراً في كتب السنة، وهذا اللفظ أقرب الألفاظ لرواية أحمد له ٢: ٣٣٢، وابن ماجه ٢: ١١٧٠ (٣٥٣٦)، وابن حبان ١٣: ٤٩٠ (٦١٢١) كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» ٢: ٢٢٣ (١٢٣٣): «إسناده صحيح، ورجاله ثقات». ولو قال: إسناده حسن لكان أولى، ففيه محمد بن عمرو بن علقمة وفي ضبطه كلام.

(٢) ١: ٢٤.

«هذا باب اللفظ للمعاني. اعلمْ أن من كلامهم اختلافَ اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلافَ اللفظين والمعنى واحد، واتفاقَ اللفظين واختلافَ المعنيين. قال: فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو: جلس وذهب [واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب][(١)] وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلِف قولك: وجَدتُ عليه - في الموجِدة - ووجَدتُ إذا أردتَ وُجدان الضالَّة. وأشباهُ ذلك كثير».

ولم يمثِّل سيبويهِ للقسم الآخَر من الثلاثة - وهو اختلاف اللفظين والمعنى واحد - وهو كقولك: ذراع، وساعد. ومن هذا القسمِ: الحديثُ، فلفظُ صدرِه ولفظُ عَجُزه مختلفان ومعناهما واحد: أن مَن رَحِم يُرحَم.

ويَحتمِل أن الرحمة لما كانت تصدر من المؤمنين والكفار، والله تعالى لايضيع عمل عامل، أما المؤمنون فيجازيهم الله بثواب رحمتهم دنيا وآخرة، وأما الكفار فليس لهم في الآخرة من نصيبٍ، فيجازيهم الله بحسناتهم في الدنيا حتى يَلْقَوُا الله ومالهم حسنةٌ يجزَوْن بها ؛ فأولُ الحديث يتناولهم وهو قوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن» فذكر (الرحمن) هنا لأن معناه ذو الرحمة الشاملة التي عمَّت المؤمنَ والكافرَ في الدنيا.

وآخرُ الحديث خاصٌّ بالمؤمنين، ولهذا خُوطِبوا بقول النبي ﷺ: «ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء» ولم يقل: يرحمكم الرحمن[(٢)]. والله أعلم.

---

(١) زيادة من المصدر المذكور، وقد سقطت هذه الجملة من أصل المصنف من «كتاب سيبويه» لذلك استدرك عليه ماسيأتي، وتنبَّه لضرورة مراجعة الأصول أثناء النقل عنها أو أثناء تحقيق الكتب.

(٢) لأن الاسم المناسب مع المؤمنين هو: الرحيم، كما قال عز وجل: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾. وقد تقدم بيان هذا من المصنف ص١٤٧.

٣ـ ومن فوائد الحديث: الحثُّ على العمل بالعلم، ويؤخذُ هذا الحكم من قوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن» فهذا إعلام للأمة من نبيها ﷺ بأن الراحمين يرحمهم الرحمن، فحصل العلم بذلك، ثم حثَّهم على العمل به فقال: «ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء» فهذا وجهُ الحثِّ على العمل بالعلم من هذا الحديث، وهو من لطيف فوائده وماحواه. وقلت في معناه أبياتاً نختم بها ماأمليناه، وهي:

إذا سمعتَ حديثاً من أخي ثقةٍ قيِّدْه خطاً وضبطاً متقنَ السُّبُلِ

وإن يكن مسنداً في السمع أولُها مسلسلاً عالياً ذا غايةُ الأملِ

لأن من متنه تـذكارَ رحمة من هو الرحيمُ بنا الرحمانُ في الأزلِ

واعملْ به خالصاً لله تأتِ به إليك رحمتُه العظمى على عَجَلِ

من كان ذا عَمَلٍ بالعلم فهو له جمالُ ديـنٍ ودنيـا فاغْنَ بالعملِ

آخر المجلس ولله الحمد حمداً كثيراً

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ١٦ ـ

قال الله عز وجل: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

الكلام على هؤلاء الآياتِ، من عدَّة وجوه ظاهراتٍ وخفياتٍ، واستنباطُ معاني ذلك: بطريق الاعتبار الذي هو أحدُ أصناف البيان، والبيانُ أحدُ أقسام البلاغة، ولافرق بين الصنف والقسم والنوع ونحوِها عند جمهور أئمة اللغة، وبعضُهم فرَّق بينها بفروق.

فالقسم: جزء من الشيء المقسوم، كدرهم من عشَرة دراهم. والصنف من الشيء: ما شاكل باقيَه، كالجَنِيب من التمر. والنوع من الشيء: ماقاربَ باقيَه في الشكل، كالأدهان المائعات أنواع. والجنس: ما شاكل غيره مشاكلةً ما، كالأقوات أجناس. والضَّرْب من الشيء: ما كان دونه كالرَّذَاذ من المطر[1]. والشكل: ماشابه غيره وإن لم يكن من جنسه. والمِثْل: ماشابه الشيء من جنسه سواءً[2]. والنحْو: ماقاربه في المشابهة والقَدْر.

---

(١) في «القاموس»: هو «المطر الضعيف، أو الساكن الدائم الصغار القَطْر، كالغبار».

(٢) والأصل في معناه: المشابهة من جميع الوجوه، كما أفاده قوله «سواءً». وفي «الكليات» ص٨٥: «اعلم أن المِثْل المطلق للشيء هو مايساويه في جميع أوصافه»، وبمعناه في «كشاف اصطلاحات الفنون» ٢:١٣٤٢. لكن في الاستعمال قد يأتي بمعنى الشِّبْه، كما أفاده في «المصباح المنير» بقوله: «المثل: تستعمل على ثلاثة أوجه: بمعنى الشبيه؛ وبمعنى نفس الشيء وذاته؛ وزائدة» فأفاد أن هذا في الاستعمال، لافي أصل المعنى اللغوي. والله أعلم.

وظهور معاني ذلك إنما هو بالاعتبار الذي أشرنا إليه. واشتقاقه من: عَبَرتُ النهر، إذا سلكتَ من أحدِ شطَّيه إلى الآخر، فاعتبرتَ عُمقه ومافي قراره من سهوله أو غيرها بعبورك فيه.

وقيل: اشتقاقه من: عبَرتُ الدراهم، إذا عرفتَ وزنَ كلِّ درهم منها، وهل هو جيد أو غيرُ جيد.

وقيل: من اعتبرتُ الكتاب، إذا قرأتَه في نفسك متدبِّراً مافيه لتفهم معناه، كما أشار إليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: إذا سمعتَ قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ فَارْعِها سمعَك، فإنه خيرٌ يأمرك به أو شرٌّ ينهاك عنه.

ومعنى الاعتبار يظهر من مثالٍ، وهو أن تسمع كلامَ مَنْ لم تَرَه يقول لآخرَ غائبٍ عن نظرك أيضاً: قمْ، فإذا اعتبرتَ كلمةَ «قم» علمتَ أن المأمور بالقيام لم يكنْ قائماً، بل كان على حالة تخالف القيام، ثم تعتبر أن عاقلاً آمراً لايقول لمأمورٍ عاقلٍ «قم» إلا وثَمَّ للقيام معنىً، إما من جلب منفعة أو دفع مضرَّة، أو حالٍ توافق عقلَ الآمر والمأمور.

فإذا تقرر هذا اعتبرنا الكلام من حيثُ هو فوجدناه يَشرُفُ من وجوه، منها: شرفُ قائله، وشرفُ المَقُولِ له، وشرفُ المقول فيه.

ومنها: بلوغُ الكلام نهايةَ الحسن وغايةَ البلاغة في أعلى مراتبها لفظاً ومعنىً.

وإذا اعتبرنا كلامَ الله القرآنَ: وجدناه كذلك، فلا أجلَّ ولاأعظمَ، ولا أمجدَ ولاأجود، ولاأكرم من قائله تعالى، وهو الله ربُّ العالمين وخالقُ الأنام.

والمَقُول له: هو نبينا محمد خيرُ الخلق وحبيبُ الحقِّ عليه أفضل الصلاة والسلام.

والمقولُ فيه: الشريعة المحمدية المطهَّرة الزكيَّة المشتمِلة على

شريف الحكمة وسَنيِّ الأحكام.

وقد جمع الله تعالى في القرآن مع وَجَازة كَلِمِه، وإحكام نظمه، وقواعد علمه، وتناسب آياته، والتئام كلماته: أضعافَ مافي الكتب السابقة من الحِكَم والمواعظ والآيات، مع أنه معجزةٌ واحدة تحتوي على ألوف من المعجزات.

فهذا الاعتبار يُظْهِر شرفَ القرآن وأنه محتوٍ على علوم كثيرة. قال الله عز وجل: ﴿مافرَّطْنا في الكتاب من شيء﴾.

ومأخذ علومه من وجوه: فباعتبار المراد من اللفظ: يُؤخذ ـ كما قدمناه قبلُ ـ من منطوقه أو مفهومه[١].

وباعتبار دلالة اللفظ على الطلب: يؤخذ من أوامره أو نواهيه، أو العامِّ المطلق، أو العامِّ المقيَّد ببعض صفاته، أو من الخاصّ.

وباعتبار كيفية الدلالة من خَفَاء أو جَلاء: يؤخذ من مجمَله أو مبيَّنه.

وباعتبار الدلالة على ارتفاع حكمٍ وبقاء آخر: يؤخذ من ناسخه ومنسوخه[٢].

وإذا اعتبرنا علوم هذه الآياتِ وجدنا مأخذَها من هذه الوجوه.

فمن مفهوماتها باعتبار دلالة المفهوم[٣] التي اختُلِف فيها ـ كما قدمناه قبلُ[٤] ـ هل هي دلالةٌ قياسية ـ كما هو المنقول عن الشافعي رحمه الله

---

(١) انظر بحث (المنطوق والمفهوم) في «جمع الجوامع» بشرح الجلال المحلي وحاشية العطار عليه ١ :٣٠٦ فما بعدها.

(٢) انظر أبحاث هذه الدلالات اللفظية في المصدر السابق حسب ترتيبها هنا: ١ :٤٦٤، ٤٩٦، ٢ :٣١، ٧٩، ٩٣، ١٠٠، ١٠٦.

(٣) أي: مفهوم الموافقة. انظر المصدر السابق ١ :٣١٨، ٣١٩، و «المستصفى» للغزالي ٢ :١٩٠ـ١٩١.

(٤) جاء هذا في مجلس فُقِد أولُه، فاضطررت إلى تأخيره، وانظر كلام المصنف =

ورضي عنه وحُكي عن الأكثرين، فيما ذكره أبو القاسم عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم بن الفضل بن الحسن بن الحسين الرافعي رحمه الله ـ.

أو هي دلالة لفظية ـ كما ذهب إليه شيخ الشافعية أبو حامد أحمد بن أبي الطاهر محمد بن أحمد الإسْفَراييني إمامُ أهل العراق، وذكر أنه الصحيح من المذهب؟ ـ.

فمن مفهوم الآيات: الإشارةُ إلى أقسام نِعَم الله تعالى، وهي ـ وإنْ كانت لاتحصى ـ فهي على ثلاثة أقسام كلُها مأخوذٌ من هذه الآيات، فقسم أعيانٌ، وقسم أوصافٌ، وقسم معانٍ.

فمن الأعيان ـ وهو أجلُّها ـ: رسول الله ﷺ الذي منّ الله عز وجل ببعثته على المؤمنين، بل أنعم به على جميع المخلوقين، قال الله عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

ومن الأوصاف في هذه الآيات: نعمةُ الله على هذه الأمةِ أمةِ الإجابة حيثُ سمَّاهم المؤمنين، وخاطبهم في الكتاب المذكور في قوله تعالى ﴿ويعلِّمهم الكتاب﴾: بقوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾[1].

وكذلك نعمتُه عليهم بالتزكية، من قوله تعالى: ﴿ويزكِّيهم﴾ فصارت الأمةُ به صالحين أمةً وسطاً عدولاً خِياراً. قال الله عز وجل في الكتاب الذي علَّمهم إياه: ﴿كنتم خيرَ أمةٍ أُخرِجت للناس﴾.

ومن المعاني: علمُ الشريعة المشارُ إليه بقوله تعالى: ﴿ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾.

ومن المعاني: عافيةُ المؤمنين من الكفر وتوابعِه، المشارِ إلى ذلك

= وتخريج المسألة من مصادرها الأصولية صفحة ٢٥٩، ٤٦٣.

(١) فمن نعم الله تعالى: أنه سمانا مؤمنين، ومنها: أنه أدخلنا تحت خطابه المشرّف: ياأيها الذين آمنوا.

بقوله تعالى: ﴿وإنْ كانوا من قبلُ لَفي ضلال مبين﴾.

نعم، ومدارُ النِّعمِ على المؤمنين كلِّها على قطبين: نعمةٍ بالمسرَّة مقرونة، ونعمةٍ بالتطهير والتكفير مضمونة. وقد أشار إليهما أبو القاسم الجنيد بن محمد رحمة الله عليه فقال: لله عز وجل في السرَّاء نعمةُ التفضيل، وفي الضراء نعمة التطهير، فكنْ في السراء عبداً شكوراً، وفي الضراء عبداً صبوراً.

وما أشار إليه الجنيد رحمة الله عليه هو الإيمان.

روَى أبو منصور شَهْرَدار بن شِيرُويَهْ بن شَهْرَدار الهمَذَاني الدَّيلميُّ في «مسند الفردوس» من طريق يزيدَ الرَّقَاشي، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «الإيمان نصفان: فنصفٌ في الصبر، ونصفٌ في الشكر». هذا ضعيف الإسناد، والمعروف غيرُ مرفوع، وهو من قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

ورُوي أيضاً عن عامر بن شَراحِيل الشعبي قولَه[1].

فبين الشكرِ والصبرِ منازلُ الإيمانِ كلِّها، لأن العبد لايخلو: إما أن يكون في نعمة، أو بلية، وعليه في كلِّ فرضانِ، ففي النعمة: القيامُ بالشكرِ الحافظِ لها بالتقييد، والجالبِ لغيرها بالمزيد، والقيامُ بالصبرِ على سبب حفظها، والصبرِ عن مايكون سبباً لزوالها.

وفي البلية: يلزمه الصبرُ عليها احتساباً، والشكرُ لله عليها، فبالحقيقة بليّةُ المؤمن إما تكون تطهيراً و تكفيراً، أو درجاتٍ وأجوراً.

فالقيامُ لله تعالى بالشكر والصبر لازمٌ في الحالتين، قال الله عز وجل: ﴿إنما يُوفَّى الصابرون أجرَهم بغير حساب﴾ وقال تعالى: ﴿وسَيَجزي الله الشاكرين﴾.

---

(١) تقدم تخريج هذا القول مرفوعاً وموقوفاً ومقطوعاً صفحة ١٧٢.

وإذا اعتبرنا نعمَ الله عز وجل المشارَ إليها بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ وعلِمنا أنها لاتُحصى، لورود النصِّ بذلك في قوله تعالى: ﴿وإن تَعُدُّوا نعمةَ الله لاتُحْصُوها﴾: يصيرُ الفكرُ ملتفِتاً إلى ذكر شيء من منِّ الله عز وجل على المؤمنين، فنعتبرُ الآية الشريفة فنجدُ مِن ذِكرِ المنِّ بعثةَ الرسول ﷺ، ثم يميلُ الفكر إلى هذا الرسول: ممن هو؟ فنسمعُ قولَه تعالى: ﴿من أنفسهم﴾، ثم نعتبرُ مافائدةُ البعثةِ؟ فنعلمُ أنها لجلب المنافع ودفع المضارِّ، فَيَسْمُو الفكرُ إلى ذكر بعض ذلك، فنسمع قولَه تعالى: ﴿يتلُو عليهم آياتِه ويزكِّيهم﴾ هذا من جلب المنافع. وقولَه تعالى: ﴿وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين﴾ فَهِمنا أن الإيمان لم يحصل للمؤمنين المشارِ إليهم في الآية في الوجود الخارجي إلا من هذه البعثة.

وجلبُ المنافع ودفعُ المضارّ فيما يتعلَّق بأمور الدنيا وأمور الدين. فظهر بهذا الاعتبار أن النعمَ على قسمين: فنعمُ الله سبحانه وتعالى باعتبار وجوهها وصنوفها وسُبُوغها ظاهراً وباطناً، وتواترها ليلاً ونهاراً في كل حينٍ على جميع العالمين: لاتوصفُ ولاتُعدُّ، ولاتُحصرُ ولاتحدُّ؛ وهي على ثلاثة أقسام باعتبار الأعيان، والأوصاف، والمعاني، كما تقدَّم بيانه.

وهي قسمان باعتبار جلب المنافع، ودفع المضارّ، وهي أيضاً قسمان باعتبار مايتعلَّق بأمور الدنيا، ومايتعلَّق بأمور الدين.

ويرجع ذلك إلى قسمين أيضاً: نعمةِ المبدأ، والمعاد.

ولم يحصل العلم بذلك إلا من جهة هذا الرسول، وهو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي منّ الله عز وجل ببعثته على المؤمنين وأرسله رحمةً للعالمين، وأنزل عليه كتابه الذي فيه ذكر المبدأ وما يتعلق به من أمور الدنيا، نحو قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. .﴾ الآية.

وقولِه تعالى: ﴿وأحلَّ الله البيع وحرَّم الربا﴾.

وما يتعلق بأمور الدين كقوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾.

وفي الكتاب ذكرُ المعادِ والحشرِ والنشر، والجزاء والقِصاص، والجنة والنار، وغير ذلك من أمور الآخرة.

والنعمُ في المبدأ و المعاد لاتُحصى، فبهذا الاعتبار أيضاً ترجِع النعم إلى قسمين، كما تقدم، ثم باعتبار إيجاد الموجودات وخلْق الكائنات وماحصل بسبب ذلك هي نعمة واحدة أمُّ النعم وأصلُها، فكم تفرَّع منها من إنعام خاصّ وعامّ؟! وكم تشعَّب منها من أقسام لايحصيها إلا المنعِم بها سبحانه وتعالى؟!.

ومن تأمل القرآن وتدبَّر ماذُكر فيه من وجوه الامتنان والآلاء والإنعام: علِم ذلك علْم اليقين، وتحقَّق أن حمد الحامدين وشكر الشاكرين لايبلغ الثناءَ كما ينبغي لرب العالمين، سبحانه ماأسبغَ إنعامَه وأوسعَ إفضالَه وإكرامه! وما ثَمَّ إلا الاعترافُ بالعجز والتقصير، عن شكر ربنا العلي الكبير.

وإلى هذا المقام أشار نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام بقوله في السجود والقنوت، مناجاةً لله الحيِّ الذي لايموت: «لاأُحصِي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيت على نفسك».

أخبرنا أبو حفص عمر بن الحسن المَرَاغي إذناً عاماً ـ وقرأته على أبي الحسن علي بن إسماعيل المؤذِّن وغيره، عنه سماعاً ـ أخبرنا علي ابن أحمد المقدسي، أخبرنا عمر بن محمد السَّلامي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن منصور، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ.

وأنبأنا يوسف بن عثمان العوفي وآخرون قالوا: أخبرنا أبو أحمد إبراهيم بن محمد المكي كتابةً من مكة، أخبرنا عمُّ أبي أبو يوسف

يعقوب بن أبي بكر سماعاً، أخبرنا نصر بن أبي الفرج، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد العلوي النقيب، أخبرنا علي بن أحمد التُّسْتَري، قال هو والحافظ[١] واللفظ له ـ أخبرنا القاسم بن جعفر الهاشمي، أخبرنا محمد بن أحمد بن عمرو أبو علي قال: حدثنا سليمان بن الأشعث[٢]، حدثنا محمد بن سليمان الأنباري، حدثنا عَبْدة، عن عُبَيد الله، عن محمد بن يحيى بن حَبّان، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: فَقَدتُ رسول الله ﷺ ذاتَ ليلة فَلَمَسْتُ المسجِد[٣] فإذا هو ساجد وقدماه منصوبتان يقول: «أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك».

تابعه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي: أخبرنا عبدة بن سليمان، فذكره[٤].

هذا حديث صحيح، خرَّجه مسلم في «صحيحه» وابن ماجه في «سننه» عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي أسامة، وخرَّجه النسائي عن محمد بن عبد الله بن المبارك المخرِّمي، ونُصَير بن الفرج، كلاهما عن أبي أسامة، عن عبيد الله بن عمر، به[٥].

---

(١) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المذكور قبل ثلاثة أسطر.

(٢) «سنن أبي داود» كتاب الصلاة ـ باب في الدعاء في الركوع والسجود ١:٥٤٧ (٨٧٩).

(٣) ضبطوا الجيم بالفتح والكسر، قال العلامة عليٌّ القاري رحمه الله تعالى في «مرقاة المفاتيح» ٢:٣٢١: «بفتح الجيم أي: في السجود، فهو مصدر ميمي، أو في الموضع الذي كان يصلي فيه في حجرته. وفي نسخة بكسر الجيم، وهو يحتمل مسجد البيت، بمعنى معبده، أو المسجد النبوي».

(٤) «مسند إسحاق» ٢:٧٥ (١)، وعنه النسائي كتاب الصلاة ـ باب نصب القدمين في السجود ١:٢٣١ (٦٨٧) و ٤:٤١٦ (٧٧٤٨).

(٥) «صحيح مسلم» كتاب الصلاة ـ باب مايقال في الركوع والسجود ١:٣٥٢ =

وجعله أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر في «أطرافه» من مسند أبي هريرة فوهِم[١].

وله شاهد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن التقي أحمد بن العزّ إذناً مطلقاً ـ وقرأته على الثقة، عنه، سماعاً ـ وأخبرناه أبو اليسر أحمد بن عبدالله الأنصاري، وعبد الرحمن بن أحمد بن الموفّق، وعمر بن محمد الملقِّن مشافهةً قالوا: أخبرنا علي بن أبي بكر الحرّاني قالا: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد قراءةً عليه ونحن نسمع، أخبرنا حنبل أبو علي، أخبرنا هبة الله بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد[٢] حدثني إبراهيم بن الحجاج الناجي، حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عمرو الفَزَاري عن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقول في آخر وتره: «اللهم إني أعوذ برضاك من سَخَطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لاأُحصِي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك».

هذا حديث حسن من أفراد حماد بن سلمة، عن هشام بن عمرو الفَزَاري، وهشام ثقة ليس يروي عنه غيرُ حماد، فيما قاله يحيى بن

= (٢٢٢)، وابن ماجه كتاب الدعاء ـ باب ماتعوذ منه رسول الله ﷺ ٢: ١٢٦٢ (٣٨٤١)، والنسائي في «الصغرى» كتاب الطهارة ـ باب ترك الوضوء من مس الرجل امرأته بغير شهوة ١: ١٠٢ (١٦٩).

(١) وسبق المصنفَ إلى توهيم ابن عساكر المزيُّ في «التحفة» ١٢: ٣٨٠ (١٧٨٠٧).

(٢) الحديث من زوائد عبدالله ١: ١٥٠، ورواه الإمام أحمد نفسه ١: ٩٦، ١١٨، كما سيأتي في كلام المصنف.

معين[١]، وهو أقدمُ شيخٍ لحماد، فيما قاله أبو داود بعد أن خرَّج حديثه هذا في «سننه» عن موسى بن إسماعيل[٢].

وخرجه الترمذي ـ مع تحسينه له وأنه من الأفراد ـ عن أحمد بن منيع، عن يزيد بن هارون[٣].

وخرجه النسائي عن محمد بن عبد الله بن المبارك، عن سليمان بن حرب وهشام بن عبد الملك، وهو عند النسائي أيضاً عن إسحاق بن منصور، عن أبي الوليد هشام بن عبد الملك[٤].

وخرجه ابن ماجه عن أبي عُمر حفص بن عمرو، عن بهز بن أسد[٥].
الخمسةُ عن حماد بن سلمة، به.

تابعهم شهاب بن مُعَمَّر بن يزيد بن بلال العَوَقي أبو الأزهر البلْخي، فيما علقه البخاري في «تاريخه الكبير» مختصراً فقال[٦]: وقال شهاب: حدثنا حماد بن سلمة، فذكره بنحوه، وشهابٌ من شيوخ البخاري في «كتاب الأدب المفرد».

---

(١) ونحوه في آخر ترجمته التي في «التاريخ الكبير» للبخاري ٨:١٩٦ (٢٦٨١) عن أبي جعفر الدارمي أحدِ نظراء أبي زرعة الرازي وأقرانه. وهشام ثقة، كما قاله المصنف، اعتماداً على توثيق الأئمة المتقدمين، لا (مقبول) كما قاله ابن حجر في «التقريب» (٧٣٠٤)!.

(٢) كتاب الصلاة ـ باب القنوت في الوتر ٢:١٣٤ (١٤٢٧).

(٣) كتاب الدعوات ـ باب في دعاء الوتر ٥:٥٢٤ (٣٥٦٦) وقال: حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث حماد بن سلمة.

(٤) كتاب الوتر ـ مايقول في آخر وتره ١:٤٥٢ (١٤٤٤)، وكتاب النعوت ـ باب المعافاة والعقوبة ٤:٤١٧ (٧٧٥٢). وطريق إسحاق بن منصور في: النعوت (٧٧٥٣).

(٥) كتاب إقامة الصلاة ـ باب ماجاء في القنوت في الوتر ١:٣٧٣ (١١٧٩).

(٦) في ترجمة هشام بن عمرو الفزاري ٨:١٩٥ (٢٦٨١).

وحدَّث به الإمام أحمد في «مسنده»[١] عن بَهْز بن أسد وأبي كامل ـ هو فُضَيل بن حسين الجَحْدري ـ كلاهما عن حماد.

وحدَّث به أيضاً عن يزيد ـ هو ابن هارون ـ[٢] لكنه لم يسمِّ علياً بل قال: عن رجل أن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره: «اللهم إني أعوذ برضاك من سَخَطك» وذكر الحديثَ.

ومن بعض معانيه: ماقال الإمام أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البُسْتي الخطابي: في هذا الكلام معنى لطيفٌ، وهو أنه ﷺ قد استعاذ بالله وسأله أن يجيره برضاه من سَخَطه، وبمعافاته من عقوبته. والرضى والسُّخْطُ ضِدَّان متقابِلان، وكذلك المعافاة والمؤاخذة بالعقوبة، فلما صار إلى ذِكْر مَنْ لاضدَّ له ـ وهو الله سبحانه ـ استعاذ به منه لاغير.

ومعنى ذلك: الاستغفارُ من التقصير في بلوغ الواجب من حقِّ عبادته والثناء عليه.

وقوله «لا أُحصِي ثناء عليك»: أي لا أُطِيقه ولا أَبلُغه[٣].

---

(١) «المسند» ١:١١٨.

(٢) رواية أحمد للحديث عن يزيد بن هارون هي في «المسند» ١:٩٦، لكن فيه تسمية علي رضي الله عنه، فليحرر!.

(٣) ونقل كلام الخطابي بجملته النووي في «شرح مسلم» ٤:٢٠٤ وزاد عليه في تفسير هذه الجملة فذكر معنى آخر لها، فقال: «وقال مالك رحمه الله تعالى: لاأحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك». وقال الحافظ ابن حجر ـ كما في «النكت الوفية» للبقاعي ٤/ب رحمهما الله تعالى ـ: «أصل الإحصاء: أن العرب كانت إذا تفاخر منهم اثنان أخذوا حصاً، فكلما ذكر واحد منهم منقَبةً لعشيرته أو نفسه ألقى حصاة، لأنهم كانوا غالباً لايكتبون ـ فإذا فرغوا المفاخرة عدوا الحصا، فمن كانت حصاه أكثر قَضَوْا له بالفخر والسؤدد. قال البقاعي: قلت: ومنه قول الأعشى: =

وفيه إثباتُ إضافة الخير والشر معاً إليه سبحانه. قاله في كتابه «معالم السنن»[(١)].

وقال غيره: لما أراد ﷺ أن يستعيذَ من الأشياء بضدِّها، مثل أن تقول: وبحلمك من تعجيل عذابك، وبكذا من كذا، فلما كان التعدادُ يطولُ قال: «وأعوذ بك منك» أي: أعوذُ بما يصدُر منك من عفو ولطف، مما يصدُر منك من عقوبة ونقمة.

وفسَّر الخطابي الإحصاءَ بالإطاقة له وبلوغه، كما تقدم.

وقوله ﷺ «أنتَ كما أثنيتَ على نفسك»: فيه الاعترافُ بالعجز عن تفصيل الثناء، وأنه كما قال: لايحصيه. وردُّ ثناءَه إلى الجملة دون تفصيل وإحصاء وتعيين، ووكَل ذلك إلى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً.

وكما أنه تبارك وتعالى لانهايةَ لسلطانه وعظمته وتمجيده وعزته وجليلِ قدرته، فكذلك لانهاية للثناء عليه، وكلُّ ثناء أُثنِيَ به عليه ـ وإنْ كثر وطال وبولغ فيه ـ فقدرتُه تعالى أعظمُ ـ وسلطانُه أعزُّ، وأوصافه أكثر وأكبر، وفضلُه وإحسانُه أوسع وأسبغ.

ومما قلته في معناه، نجعله ختاماً لما ذكرناه وهو:

= ولستَ بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر»

وأقول: هكذا جاء في الأصل المنقول عنه المقروء على مؤلفه الإمام البقاعي: الحصا بالألف الممدودة، مرتين، وفي الثالثة بالألف المقصورة، وهو جائز. انظر «جامع الدروس العربية» للغلاييني ٢:١٦١، ويقول ابن الأنباري في آخر رسالته «عمدة الأدباء في معرفة مايكتب بالألف والياء»: «كتابة الألف في اللفظ ألفاً في الخط هو الأصل، وكتابتها ياء هو الفرع».

(١) «معالم السنن» ١:٢١٤ من طبعة حلب، أو ١:٥٤٧ من طبعة حمص للسنن تحت رقم حديث (٨٧٩). ونحو هذا تجده في كتابه «شأن الدعاء» ص١٥٨.

يارب أنت الله رب الورى ‏ ‏ ‏ ‏ هدَيتَ أو أضللت كلٌّ إليكْ

أنلتَ كلَّ الخلق فضلاً ‏ ‏ ‏ ‏ كذا الإنفاقُ لايَنْقُصُ مافي يديك

وكلُّ وصفٍ حسنٍ كامل ‏ ‏ ‏ ‏ صفاتُك الحسنى جلالاً لديك

أنت كما أثنيت حقاً على ‏ ‏ ‏ ‏ نفسك لانحصي ثناء عليك

آخر المجلس ولله الحمد حمداً كثيراً

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

-١٧-

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

قال الله عز وجل: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

تقدم[١] أن المنّ في كلام العرب له وجوه منها: الإحسان، وبه فُسِّر قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ أي: أحسن إليهم وأنعم بما ذكره عليهم. والمؤمنون: المصدِّقون، واحدهم مؤمن، وهو: مَن اعتقد بقلبه دينَ الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك، ونَطَق بالشهادتين مع القدرة على النطق بهما، فهذا يُحَكم بأنه من أهل القِبلة، ولايخلَّد في النار، كما حكاه شيخ الإسلام أبو زكريا النووي عن اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين[٢].

ولايُشترط في المؤمن الذي اعتقد بقلبه التوحيدَ ونطق بالشهادتين أن يقول مع ذلك حين يسلم: (وأنا بريءٌ من كل دِين يخالفُ دينَ الإسلام) إلا إذا كان من كفارٍ يعتقدون اختصاصَ رسالة نبينا ﷺ إلى العرب، فهذا لايحكم بإسلامه إذا نطق بالشهادتين. . .[٣].

ولايقال إذا كان بُعث إلى الجن والإنس، فلمَ خُصَّ بكونه من الإنس

---

(١) أول المجلس ٦ ص١٣١ وغيره.

(٢) تقدم هذا والكلام الذي يليه أول المجلس ٩ ص٢٠٤، وتقدم تعليقاً تعقُّب ابن حجر المكي له.

(٣) الكلام غير متصل، وهنا نُقلةٌ من ٩٦/آ إلى ٩٦/ب.

دون الجن؟ لأنا نقول: إن الله سبحانه وتعالى شرَّف نبيه محمداً ﷺ بأنواع من الشرف لايحصيها إلا اللهُ مانحُه إياها، ومن وجوه شَرَفه أنْ جعله من الصنف الذي كرّمه، قال الله عز وجل: ﴿ولقد كرَّمنا بني آدم﴾.

ومنها: أنه جعله سيدَهم، كما في ذلك الحديث الذي خرَّجه الترمذيُّ وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة..» الحديث[1].

بل أعمُّ من هذا: الحديثُ الذي رُوِّيناه في «مسند الدارمي» و «جامع الترمذي» ـ واللفظ له ـ وغيرِهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه قال: فخرج، وذكر الحديث، وفي آخره قال: «وأنا أكرم الأولين والآخِرين

---

(١) رواه الإمام أحمد أول مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ٣: ٢، والترمذي ٤: ٢٨٨ (٣١٤٨) وكرره ٤: ٥٤٨ (٣٦١٥)، وابن ماجه ٢: ١٤٤٠ (٤٣٠٨).
وقال الترمذي في الطبعة التي أنقل عنها وهي التي ابتدأها الأستاذ أحمد محمد شاكر: حسن صحيح، ومثله في «فيض القدير» ٣: ٤٣، لكن في طبعة حمص للترمذي: حسن، فقط، ومثله في «تحفة الأشراف» ٣: ٤٦٨ (٤٣٦٧). وفي إسناده عندهم ابن جُدْعان، والترمذي يحسِّن له أحياناً، ويحسن ويصحح له أحياناً أخرى. انظر ماعلقته على ترجمته في «الكاشف» (٣٩١٦).
على أن هذه الجملة الكريمة ثابتة في رواية غير أبي سعيد، ففي البخاري ٦: ٣٧١ (٣٣٤٠)، ومسلم ١: ١٨٤ (٣٢٧) من حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة: «أنا سيد الناس يوم القيامة..».
وخَصَّ ﷺ يوم القيامة بالذكر مع أنه سيد الناس في الدنيا أيضاً «لظهور ذلك له يومئذ، حيث تكون الأنبياء كلهم تحت لوائه، ويبعثه الله المقام المحمود» قاله الحافظ في «الفتح» ٦: ٣٧٢.
ولئن كان في الدنيا منازع وجاحد، فإنه لامنازع ولاجاحد في ذلك اليوم العظيم، فهو (سيدنا) في الدنيا والآخرة.

ولافخرَ»[١].

وقوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته﴾ فسَّر الجمهور (الآيات) هنا بالقرآن ثم أُعيد ذكره بالتعليم مقروناً مع السنة في قوله تعالى: ﴿ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾ ليُعلَم أنه لاسبيل إلى معرفة الآيات التي هي القرآن إلا من قِبَل النبي ﷺ بتعليمه إياه للمؤمنين. وتعليمُه على قسمين:

ـ تعليمُ تلاوته كما أُنزل، وهو المشار إليه بقوله تعالى ـ وهو أعلم ـ: ﴿يتلو عليهم آياته﴾.

والثاني: تعليمُ تفسيره ومعانيه التي يشملُها علم القرآن، وأُشير إليه ـ والله أعلم ـ بقوله تعالى: ﴿ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾.

فالكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة التي منها بيانُ ما في القرآن من الأحكام ونحوها إجمالاً وتفصيلاً.

ولاسبيل إلى معرفة ذلك إلا من قِبَل النبي ﷺ، كما قال الله عز وجل: ﴿ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾ وهو عامٌّ في الصحابة ومَن بعدهم.

ولاطريقَ إلى معرفة الكتاب والسنة إلا بإخبار الصحابة، ولا إلى معرفة إخبار الصحابة إلا بما جاء عن التابعين، ولاوصولَ إلى ذلك إلا بالإسناد الذي هو من الدِّين، وهو من خصائص هذه الأمة[٢]، فإن علم

---

(١) «سنن الدارمي» ١: ٣٩ (٤٧)، و «سنن الترمذي» ٥: ٥٤٨ (٣٦١٦) وقال: غريب ـ أي ضعيف ـ لضعف زمعة بن صالح الجَنَدي. لكن هذا المعنى ثابت بعموم فضائل وخصائص سيدنا محمد ﷺ، وبالشاهد الذي رواه الترمذي أيضاً ٥: ٥٤٦ (٣٦١٠) عن أنس مرفوعاً، وفي آخره: «وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولافخر» قال الترمذي: «حسن غريب» لكنه من رواية ليث بن أبي سُليم.

(٢) انظر لترسيخ هذا المعنى كتاب «الإسناد من الدين» لشيخنا العلامة المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله تعالى بخير وعافية، وفيه من طُرَف التحقيق وغُرَر الفوائد ماقلَّ نظيره في غيره.

الدين هكذا أُدّيَ إلينا، فبلغنا بالإسناد درجةً بعد درجة حتى وصل علم ذلك إلينا، وحصلتْ بركاته لدينا، ولله الحمد.

وعلمُ الدين الذي اتصل، وحصل منه للمؤمنين ماحصل، هو علم الكتاب والسنة، أما علم الكتاب: فقال الإمام أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن محمد بن حَليم الحَلِيمي البخاري القاضي رحمه الله، قال[١]: الإحاطة بعلم الكتاب كلِّه لم تكن إلا لمن أنزل عليه ﷺ، وأما الناس بعده فعلم الكتاب فيهم متفرّق، ولا يُوجَد عند أحد منهم إلا بعضُه. وعلوم الكتاب كثيرة:

١ـ منها: علم ألفاظه وماأريد به، وهذا هو الذي يقال له التفسير، ويدخل في هذا القسم ما اختُلِف فيه من القراءات ووجوهها.

٢ـ ومنها: علم المكي والمدني منها، وأسباب التنزيل ومن نزل فيه، ومن نزل لأجله.

٣ـ ومنها: علم المحاجّات فيه، فقد أودعه الله تعالى من البراهين والحجج ما إذا عُرفت حقَّ المعرفة لم يُحتج معها ولا وراءها إلى غيرها[٢].

---

(١) «المنهاج» ٢ : ١٨٧.

(٢) وقد كتب في بيان هذه البراهين وأساليبها شيخنا العلامة الأجل حافظ الكتاب والسنة الشيخ عبد الله سراج الدين حفظه الله تعالى وأمتع به المسلمين، كتاباً سماه «هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان»، وهو مطبوع في ٢٥٠ صفحة، يجد فيه القارىء مايزيد قلبه إيماناً ونوراً. ثم أتبعه بمجلد آخر سماه «هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان» طبعه في ٤٢٠ صفحة، تكلم عن عوالم السموات والنفس والروح ونحوها، وأتى بكل نفيس. جزاه الله خيراً.
كما كتب قبله العلامة الفاضل أحمد حافظ هداية ـ أحد علماء الأزهر ـ كتاباً في ثلاث مجلدات سماه «الدين والعقل» أثنى عليه كبار علماء عصره وقرظوه =

٤ـ ومنها: علم الأحكامِ المبيَّنةِ فيه جملة وتفصيلاً، وتمييز الثابت منها والزائل.

٥ـ ومنها: علم الأمثال المضروبة فيه، والوقوف على ماهي أمثالٌ له ودلائلُ عليه.

٦ـ ومنها: علم الوعد والوعيد، والمدح والذم.

٧ـ ومنها: علم القِصص وأنباء الأولين المذكورة للاعتبار بها وتسلية النبي ﷺ وتصبيره.

٨ـ ومنها: علم ماجاء من الحثّ على الاعتصام بالله تعالى، والالتجاء في النوائب إليه، والدلالة على وجوه الاحتراس من شياطين الإنس والجن.

٩ـ ومنها: علم الإخبار بالعواقب، تبشيراً للنبي ﷺ وتثبيتاً للمؤمنين.

١٠ـ ومنها: علم إعجازه ومباينته في نظمه نظمَ الشعراء أو خطبَ الخطباء وبلاغة الكتَّاب البلغاء.

وماشيءٌ من هذه العلوم إلا ويوجدُ منه في السنة مثلُ مايوجد في الكتاب، إلا الإعجازَ فإنه يَخُصُّ القرآنَ، وفيها ـ أي السنة ـ زياداتٌ كثيرة، لأن الله تعالى جعل نبيه ﷺ مبيّناً للكتاب ومعرِّفاً للناس منه مالايدركونه إلا بتبيانه، وأوحى إليه كثيراً مما لا ذِكْر له في الكتاب فبلّغه عنه، إلا أن ماينتهي من سنته إلينا فقد تأتينا متواترة، وقد تأتينا مستفيضة غيرَ متواترة، وقد تأتينا من قِبَل الآحاد. قاله الحَلِيمي في كتابه «المنهاج».

وقال بعده[1]: ولاغِنىً بالمفتي عن دراية الأكثر الأظهر من عامّة ما

= له، منهم العلامة الكوثري والدِّجْوي وغيرهما، رحمهم الله تعالى.

(١) ٢: ١٨٨.

وصفنا، فإن شذّ عنه بعد الطلب الحثيث والعناية الشديدة بعضٌ مما ذكرنا: فلا عليه، ولكنه لايحلُّ له أن يعتمد مايراه مثبَتاً في كتب العلماء ويشهدَ على أنه سنة حتى يسمعها ممن يرويها له، ويحدِّثه إياها بإسناد متصل منه إلى النبي ﷺ، ويكون نَقَلَتُها عدولاً.

انظروا إلى قول الحليمي رحمة الله عليه «لايحل له» ما لازمُه! فقد ذهب الحليمي إلى أنه يحرمُ على مَن يعتمد حديثاً عملاً به أو استدلالاً ويسميه سنَّة، دون سماعه مِن عدل يرويه متصلاً عن مثله إلى منتهاه.

وحكى الحافظ أبو بكر محمد بن خَيْر بن عمر بن خليفة الأَمَوي ـ نسبة إلى بلد أَمَو ـ اللَّمْتُوني المتوفَّى سنة خمس وسبعين وخمس مئة بقرطبة، حكى في «بَرْنامجه»[1] الاتفاق على نحو ماقاله الحَلِيمي فقال: وقد اتفق العلماء رحمهم الله على أنه لايصح لمسلم أن يقول قال

---

(١) المطبوع المعروفُ باسم «فهرست ابن خير» وكلامه الآتي تجده ص١٦ـ١٧، وقد وافقه الحافظُ العراقي من حيثُ الجملة في أول شرحه «طرح التثريب» ١:١٧، لكن لفظ الحليمي: لايحل الاعتماد والشهادة، ولفظ ابن خير: لايصح القول، أما العراقي فقال: غير سائغ.
وللزركشي رحمه الله كلام حول مذهب ابن خير هذا، فيما كتبه على مقدمة ابن الصلاح ٤٥/آ، ومما قاله: «ليس فيه اشتراط ذلك ـ أي أن يكون عند العامل بالحديث أو المحتج به رواية به ـ بل تحريم الجزم بنسبة القول إلى رسول الله ﷺ حتى يتحقق أنه روي في كتب الروايات». ففرَّق بين العمل بالحديث، وبين روايته.
ثم إنه أفرد المسألة بجزء نقل عنه السيوطي في «البحر الذي زخر» ١٣٦/ب فما بعدها، كما أفرده من المعاصرين حافظ المغرب السيد محمد عبد الحي الكتاني بجزء أيضاً سماه «رفع الإصر ودفع الضَّيْر، عن إجماع الحافظ أبي بكر بن خير» كما سُمي في ترجمته أول «فهرس الفهارس» ص٢٤، وسماه هو في الكتاب المذكور ١:٨٢ «رفع الضير» وقال: «انظر فيه بسط ماله وماعليه». ولم يطبع بعد.

رسول الله ﷺ كذا: حتى يكون عنده ذلك القول مروياً ولو على أقلِّ وجوه الروايات.

فعلى هذا لايحلُّ لأحدٍ أن ينسب إلى النبي ﷺ حديثاً حتى يسمعه بشرطه المذكور.

والأحاديث النبوية المتصلة برواية العدول على أقسام:

منها: غرائب الصحاح، وقد أفرده بالتصنيف الحافظ الضياء أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله[1].

ومنها: تفرُّد الثقة بحديث له شواهدُ، كالحديث الذي رُوِّيناه فيما مضى من إحدى عشْرة طريقاً، وهذه طريقٌ ثانيةَ عشْرةَ:

أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الحاسب بقراءتي عليه، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو العباس أحمد بن علي بن نحلة الدمشقي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا العماد أبو الحسن علي ابن عبد العزيز السُّكَّري، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو الحسن علي بن هبة الله اللَّخْمي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا جعفر بن أحمد اللغوي، وهو أول حديث سمعته منه ببغداد، أخبرنا عبيد الله بن سعيد السِّجْزي بمكة، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز بنيسابور، هو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله

---

(١) قال الحافظ في «النكت على ابن الصلاح» ١:٣٦٨: «في الصحيحين قدر مائتي حديث، قد جمعها الحافظ ضياء الدين المقدسي في جزء مفرد».

ابن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

وأنبأناه عالياً أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المقدسي، عن الحافظ أبي محمد عبدالمؤمن بن خَلَف الدِّمياطي، أخبرنا أبو بكر محمد ابن الحسن بن عبد السلام، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد، وهو أول حديث سمعته منه، فذكره.

هذا حديثٌ حسنٌ عالٍ من أفراد الثقات، ولهذا ـ والله أعلم ـ صححه الترمذي في «جامعه» حين حدَّث به من غير تسلسل عن محمد ابن أبي عمر العَدَني، عن سفيان. تابعه أحمد بن حنبل في «مسنده»[1] وجماعة عن سفيان، عن عمرو بن دينار المكي التابعي الجليل. [وهو][2] روى عن عدَّة من الصحابة منهم ابن عباس، وجابر، وابن عمر، وابن عمرو، وأبو شُرَيح الخُزاعي.

وهذا غير عمرو بن دينار البصري قَهْرَمانِ آل الزبير الراوي عن سالم ابن عبد الله بن عمر، ضعيف[3].

وهما غير عمرو بن دينار الكوفي، يكنى أبا خَلْدة من شيوخ سيف بن عمر صاحب «كتاب الفتوح» و «الردة»[4]، وهذا من المتفِق والمفترِق أحدِ أنواع الحديث، وقد أفرده غير واحد بالتصنيف، منهم الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، فجمع فيه كتاباً حافلاً.

وأمثلُ الثلاثةِ وأقدمُهم عمرو بن دينار المكي التابعي راوي هذا

---

(١) انظر تخريجه من هذه المصادر وغيرها في المجلس الأول. وقول المصنف «صححه الترمذي»: فيه تجوُّز، والأولى حكاية لفظ الترمذي: حسن صحيح. انظر ماكتبته ص١٥٨ من دراسات «الكاشف» للذهبي.

(٢) مابين المعقوفين زيادة مني.

(٣) انظر أيضاً ص٢٦٥.

(٤) انظر ص٢٦٦.

الحديث عن أبي قابوس.

وأبو قابوسَ في الكنى ثلاثة، لارابع لهم فيما أعلم، إلا ماجاء في قول الراجز:

لقد ولدت أبا قابوسَ رَهْوٌ　　　أَتومُ الفرج حمراءُ العِجان

أما الثلاثة فصحابيٌّ مختلف فيه، وتابعي، وجاهليٌّ قبلهما، وهو أبو قابوس النعمان بن المنذر ملكُ الحِيرة، ذكره بهذه الكنية الخليل بن أحمد في «كتاب العين»[١] ولم يذكُره من صنَّف في الكنى ممن وقفت على كناهم، كمسلم بن الحجاج صاحب «الصحيح» والنسائي صاحب «السنن» وأبي أحمد الحاكم، وابن منده، بل ولم[٢] يذكره الذهبي في كتابه «المقتنى» وكأنهم لم يذكروه ـ والله أعلم ـ لأنه لامدخل له في الرواة، وهو الذي عَنَاه النابغة في قوله:

وعيدُ أبي قابوسَ في غير كُنْهه　　أتاني ودوني راكسٌ فالضواجع[٣]

فَبِتُّ كأني ساورتْني ضئيلة　　من الرَّقْش في أنيابها السُّمُّ ناقع[٤]

يُسَهَّد من نوم العَشاء سَليمُها　　لحَلْي النِّسا في يديه قعاقع[٥]

تَنَاذَرها الرَّاقُون من سوء سُمِّها　　تطلِّقه طوراً، وطوراً تُراجِع[٦]

---

(١) وكذلك الطبري في «تاريخه» ١ : ٤٨٣، وابن الأثير في «الكامل» ١ : ٢٩٢، ولم أره في «كتاب العين» عن طريق النظر في فهارسه.

(٢) هذا تعبير شائع عند المتأخرين، وفيه دخول حرف عطف على مثله، ولايصح عربية.

(٣) راكس: اسم وادٍ، والضواجع: من معانيها: الهضاب، ولعلها المرادة هنا.

(٤) الضئيلة: الحيَّة الدقيقة. والرَّقْش: اسم من أسامي الحيَّة.

(٥) سليمها: هذا من أسماء الأضداد، تستعمله العرب تفاؤلاً، والمراد: اللديغ.

(٦) تناذرها: أي: أنذر بعضهم بعضاً. والراقون: جمع راقٍ، وهو من يقرأ للمريض أو اللديغ.

وأما أبو قابوس الصحابي: فاختلف في اسمه ونسبه[١]، فقيل: اسمه مخارق، وهو الأكثر، وقيل أبو مخارق، وهو ابن سُليم عند الأكثر، ومنهم مسلم في «الكنى»[٢] لكنه ذكره في أفراد الكنى فقال: أبو قابوس مخارق بن سُليم عن علي، روى عنه ابنه مخارق. قال القاضي أبو الوليد هشام بن أحمد الكِناني: كذا في الكتاب: ابنهُ مخارق، وهو خطأ، ولعله من الناقل، قاله في كتابه «ترتيب كُنى مسلم».

وقيل في أبي قابوس هذا: مخارق بن عبد الله، نسبه هكذا ابن عبد البر في «الاستيعاب» وتبعه الذهبي في «التجريد»، وقيل: مخارق ابن عطية، قاله ابن منده في كتابه «الكنى» لكن لم ينسبه في كتابه «المعرفة في الصحابة»[٣] فقال: مخارق أبو قابوس، عِداده في أهل الكوفة، ثم روى له ابن منده حديثين لم يُسَمَّ أبوه فيهما.

ولايقال: إنه تابعي، لما تقدم عن مسلم قوله: مخارق بن سُليم، عن علي، وكذلك قاله غيره، لأنا نقول: لاتنفي روايتُه عن علي صحبتَه، فقد روى خلقٌ من الصحابة عن أمثالهم حتى عن التابعين، وكأنّ مسلماً ومن تابعه رأوا حديثه عن النبي ﷺ في الإسناد إليه اضطرابٌ، وروايته عن علي ليس فيها كذلك، فعدلوا عن رواية الرفع إلى ذِكْر روايته عن علي، لِمَا ذكرناه، والله أعلم[٤].

---

(١) انظر «الإصابة» القسم الأول: مخارق بن عبدالله، إلا أنه لم يذكر قول ابن منده: مخارق بن عطية.

(٢) «الكنى والأسماء» ٢: ٧٠٠ (٢٨٢١).

(٣) الذي في «أسد الغابة» ٥: ١٢١ (٤٧٧٩): مخارق بن عبدالله الشيباني، ورمز لإخراج الثلاثة لترجمته: ابن عبدالبر، وابن منده، وأبي نعيم، ومثله في «التجريد» ٢: ٦٣ (٦٩٤)، لكن لم أر في مطبوعة «الاستيعاب» ـ على حاشية «الإصابة» ـ مانسبه إليه المصنف.

(٤) وإدخال الحافظ ابن حجر لمخارق هذا في القسم الأول من «الإصابة» يؤيد =

وأما أبو قابوس التابعي: فهو راوي الحديث الذي أسندناه، واسمه كنيته على الصحيح.

أنبأنا شيخنا المحدث العالم أبو زكريا يحيى بن يوسف الزُّغَيْبي رحمه الله، أن الإمام أبا الحسن علي بن أيوب أخبره في يوم السبت ثالث عشر شوال سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، أخبرنا الإمام أبو محمد عبد الله بن مروان الفارقي وغيرُه، قالوا: أخبرنا الإمام أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن النَّصْري قال[١]: وحدثني الثقة الحديثي أبو رَشِيد بن أبي بكر قال: ذكر لي الحافظ أبو الفرج ثابت بن محمد المديني أن أبا قابوس اسمه المبرد وجعل يتبجَّح به. قال: أبو عمرو النَّصْري: وليس هذا مما يُرْكَن إليه. انتهى[٢].

= دفاع المصنف.

(١) هذا هوالإمام ابن الصلاح رحمه الله.

(٢) نقل الإمام سبط ابن العجمي رحمه الله في «حاشيته على الكاشف» (٦٧٨٤) هذه الفائدة دون عزو إلى كتاب من كتب ابن الصلاح، لكنه قال في كتابه «نهاية السول في رواة الستة الأصول»: «أبو قابوس، الفضل. انتهى. وذكر ابن الصلاح في «المسلسل بالأولية» أنه لا اسم له، إنما يعرف بكنيته. ثم قال: وحدثني الثقة الحديثي أبو رشيد..» إلى آخر كلامه المنقول هنا، ومعلوم أن لابن الصلاح رحمه الله جزءاً في المسلسل بالأولية في كراسين، ولم أره. على أن البخاري رحمه الله ترجم في «تاريخه الكبير» ٧:١٩٤ (٨٦٢): «قابوس مولى عبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ: الراحمون يرحمهم الرحمن»، ثم قال في «الكنى» (٥٧٤): «أبو قابوس مولى عبد الله بن عمرو. حدثنا الحميدي، عن ابن عيينة، عن عمرو، سمع أبا قابوس سمع ابن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن». فهل معنى هذا أن البخاري يرى أن اسمه قابوس، ويكنى أبا قابوس؟ أو أراد الإشارة إلى اختلاف الرواة فيه، فمنهم من سماه ومنهم كناه؟ أو أن ذكره في الأسماء وَهْم؟؟.

أما ابن أبي حاتم فذكره في الكنى فقط ٩:٤٢٩ (٢١٢٣)، وكذلك ابن حبان =

وأبو قابوسَ غيرُ منصرف، واختلفوا في علّة المنع، فالأكثر قالوا للعجمة والعلمية، وأما ماروواه أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري في كتابه «تهذيب اللغة»[١] عن ابن الأعرابي أن القابوسَ الجميلُ الوجه الحسنُ اللون، فهذا لاينفي عدمَ صرفه، فقد صحَّ أن قابوس من المعرَّب. قال أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد: فأما تسميتهم قابوس فهو اسم أعجمي: كاوس اسم ملك من ملوك العجم فأُعْرِب فقيل: قابوس، فوافق العربية. قاله في كتابه «جمهرة اللغة»[٢]، وقال فيه: ومما أخذته العرب عن العجم من الأسماء قابوس، وهو بالفارسية: كاوس[١]. انتهى.

ومن فوائد سند الحديث أيضاً: أنه فردٌ من وجهين هما قسمان من أقسام التفرد، فتارةً يأتي الحديث بسند لم يروه عن فلان إلا فلان، وهذا على صفاتٍ، و «معجم أبي القاسم الطبراني الأوسط» من هذا، وكذلك «الأفراد» لأبي الحسن الدارقطني، وهي في مائة جزء، جَمَع لها أبو عبد الله محمد بن طاهر المقدسي أطرافاً[٣].

وتارةً يأتي الحديث فيقال مثلاً: تفرَّد به أهل البصرة، أو أهل الكوفة، أو يقال: هذه سُنَّة تفرَّد بها أهل بلد كذا، ولأبي داود صاحب «السنن» مصنف مفرد في ذلك سماه «كتاب التفرد» وذكر في «سننه» شيئاً

= في «الثقات» ٥ : ٥٨٨.

(١) ٨ : ٤١٩.

(٢) «الجمهرة» ١ : ٢٨٧، ٣ : ٥٠٢، ونحوه في «الاشتقاق» له ص٣٦٦ وزاد: «فإن جعلت اشتقاقه من العربية فهو فاعول من القَبَس، والقَبَس الشهاب من النار، وفحل قَبِيس: سريع الإلقاح.. وأقبستُه علماً إذا أفدتَه». فكأنه يحتمل العربية والصرف عنده.

(٣) رتبه على المسانيد، فذكر مسانيد العشرة المبشرين أولاً، ثم ألحقهم بالآخرين، وحُفِظ الترتيب، وفُقد الأصل إلا نزراً يسيراً منه.

يسيراً من ذلك.

وتارةً يأتي التفرُّد في إسنادٍ فيه راوٍ عن آخر فيقال عنهما: فلان عن فلان، وتفرَّد عنه. أي: لم يبقَ مَن يروي عن ذلك الرجلِ من الموجودين أحدٌ غيرُ ذلك الراوي، فتارة يأتي مطلقاً، وتارة مقيداً ببلد ونحوه، وهذا القسم قد وقع من زمن الصحابة رضي الله عنهم، وهلُمَّ جرّاً، كأبي الطُّفَيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير الكناني الليثي رضي الله عنه، آخرِ مَن بقي على وجه الأرض من الصحابة رضي الله عنهم[١]، وأبوه واثلة صحابي أيضاً، ولايلتفت إلى مَن ادَّعى الصحبة بعد ذلك أو ادُّعيت له.

ومنه ماروى الخطيب البغدادي في «تاريخه»[٢] عن أبي إسحاقَ المستملي عن محمد بن يوسف الفِرَبْري أنه كان يقول: سمع كتاب «الصحيح» لمحمد بن إسماعيل تسعون ألفَ رجل، فما بقيَ أحدٌ يروي عنه غيري.

وفي هذا نظر، فقد ذكر أبو العباس جعفر بن محمد المستغفِري في «تاريخ نسف» والأميرُ أبو نصرٍ عليُّ بن هبة الله بن علي بن جعفر بن ماكولا[٣] وغيرُهما أن آخرَ مَنْ روى عن البخاري «صحيحه» أبو طلحة منصور بن محمد بن علي البَزْدوي[٤] النسفي الدِّهقان المتوفَّى سنة تسع

---

(١) قال مسلم رحمه الله تعالى في «صحيحه» ٤: ١٨٢٠ (٩٨) و ١٥: ٩٣ بشرح النووي: «مات أبو الطفيل سنة مائة، وكان آخر من مات من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم». انظر التعليق على ترجمته في «الكاشف».

(٢) ٢: ٩.

(٣) في «الإكمال» ٨: ٧٣.

(٤) نسبة إلى بزدة، وبزدوة، لذا يقال فيه: البزدي والبزدوي، والواو واضحة بقلم المصنف. وانظر «توضيح المشتبه» له ١: ٤٥١، ٧: ٢٠٩، بل قال ابن نقطة في «التقييد» ٢: ٢٥٩ عن زيادتها: «هو الصحيح».

وعشرين وثلاثمائة، وهو ثقة، لكنْ ضعفت روايته من جهة صغره.

والوجهان من التفرُّد: في سند هذا الحديث، أحدهما: أن سفيان تفرد برواية هذا الحديث عن شيخه عمرو، لم يروه عن عمرو غير سفيان، ولاعن أبي قابوسَ غير عمرو.

والوجه الآخر: أن سفيان تفرَّد مدةً في عصره بالرواية عن عمرِو بن دينار والزهريِّ وغيرهما، لم يبقَ على وجه الأرض مَن يروي عنهم غيره.

وإذا كان في الإسناد مثلُ ذلك يقع عالياً في الغالب، وأكثرُ مايقع في الإسناد من هذا النوع راوٍ أو اثنان، وقد وقع لنا بحمد الله تعالى حديث منا إلى الصحابي تفرَّد كلٌّ من رواته عمَّن فوقه بالرواية عنه، ويسمى المسلسلَ بالآخِرية، وإذا انتهينا إن شاء الله تعالى من الكلام على المسلسل بالأولية أملينا المسلسلَ بالآخِرية مع الكلام عليه إن شاء الله تعالى[١].

ولما حدَّث سفيان بهذا الحديث حين سمعه منه عبد الرحمن بن بشر كان قد تفرد بالرواية عن عمرو بن دينار وغيره، وعبد الرحمن بن بشر

---

(١) لعل هذا في المجالس الناقصةِ، وقد ذكر المسلسل بالآخرية شيخ مشايخنا العلامة المدقق الصالح الشيخ محمد عبدالباقي الأنصاري الأيوبي اللكنوي المدني المتوفَّى سنة ١٣٦٤هـ رحمه الله تعالى، في كتابه «المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة» ص٢٠٨، وهو المسلسل برقم ١٩٩، وهو حديث أحمد ٢: ٤٤٢ والحسن بن عرفة في «جزئه» (٨٦) عن أبي هريرة مرفوعاً: «لاتقوم الساعة حتى لاتنتطح ذاتُ قرن جَمَّاءَ». وحسَّنه عدد من الأئمة الحفاظ منهم الذهبي والعلائي وابن كثير والعراقي، وانظر «تعجيل المنفعة» ص١٣٠ ترجمة الصلت. وهذا الحديث من ثلاثيات الإمام أحمد، ولم يذكره المحب إسماعيل بن عمر المقدسي صاحب الثلاثيات التي شرحها السَّفَّاريني. فليلاحظ.

ابن الحكم بن حبيب العَبْدي النيسابوري مات في ثامنَ عشرَ شهرِ ربيعِ الآخر سنة ستين ومئتين، بعد وفاة شيخه سفيان بن عيينة باثنتين وستين سنة[١]، فكأنه ـ والله أعلم ـ آخر من روى عن سفيان، وقد سمع هو وأبوه وجدُّه من سفيان.

قال إبراهيم بن أبي طالب: سمعت عبدالرحمن بن بشر بن الحكم يقول: حَمَلني أبي على عاتقه في مجلس سفيان بن عيينة فقال: يامعشر أصحاب الحديث أنا بشرُ بنُ الحكم بن حبيب النيسابوري، سمع أبي الحكمُ بنُ حبيب من سفيان بن عيينة، وقد سمعت أنا منه وحدثت عنه بخراسان، وهذا ابني عبدالرحمن قد سمع منه[٢].

هذا بعض مايتعلّق بسند هذا الحديث غير ماتقدم.

ومن فوائد متنه: الإشارةُ إلى سَعَة رحمة الله تعالى المأخوذِ ذلك من قوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن» فالرحمن: اسم لله عزَّ وجلَّ من أسمائه الحسنى، ورد به الكتاب والسنة، واختَلَف الناس في تفسيره ومعناه، وهل هو مشتق من الرحمة أم لا، فمذهب الجمهور من الناس ـ على ماحكاه أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البُسْتي[٣] أنه مشتقٌ من الرحمة مبنيٌّ على المبالغة، ومعناه ذو الرحمة الذي لانظير له فيها.

---

(١) انظر ترجمة عبد الرحمن في «تاريخ بغداد» ١٠: ٢٧١، ٢٧٢ و «تهذيب الكمال» ١٦: ٥٤٥، وفروعه. وقيل: كانت وفاته سنة ٢٦٢. حكاه المزي تبعاً لابن عساكر في «المعجم المشتمِل» (٥٢٦). وكذلك والده بشر من رجال «تهذيب الكمال» ٤: ١١٤ وفروعه. وهما مترجمان في «السِّيَر» ١٢: ٣٤٠،٣٤٤.

(٢) الخبر في «تاريخ بغداد» ١٠: ٢٧٢. وهذا مايقولون فيه: ألْحق الأحفاد بالأجداد.

(٣) في «شأن الدعاء» ص٣٦.

وقال أبو الحسن علي ابن سِيدَهْ في كتابه «المحكَم»[١]: ولفظ الرحمن بُنِي على فَعْلان، لأن معناه الكثرة، وذلك لأن رحمته وسعتْ كلَّ شيء.

وقال أبو الحسن أيضاً: ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لاغاية بعدها في الرحمة، لأن فَعْلان بناءٌ من أبنية المبالغة. انتهى.

ومن فوائد الحديث: أن الطلبَ من الله تعالى بالأفعال أبلغُ في الإجابة من الطلب بالأقوال، فمن طلب أن الله يستره فستر مسلماً: ستره الله، ومن طلب التيسير عليه فيسَّر على معسِر: يسَّر الله عليه، وكذلك طلب الرحمةِ وغيرِها، فمن طلب الرحمة من الله تعالى بالقول، ليس كمن رحم عباد الله لكي يرحمه الله، هذا أبلغُ في استجلاب الرحمة لِمَا فيه من النفع المتعدِّي، بخلاف الطالبِ من الله الرحمةَ لنفسه بالقول، هذا نفعُه قاصرٌ، وذاك أبلغُ وأفضلُ.

ومن الفوائد: أن الدنيا عنوان الآخرة، وإذا كانت رحمةُ الله في الدنيا عمَّتِ المؤمنَ والكافرَ وجميعَ دوابِّ الأرواح، وحتى الجماداتِ، وهي جزء من مائة جزء من رحمة الله، وهذا الجزءُ انتشر في الخلْق وتنوَّع، وتأصَّل فيهم وتفرَّع، ومما حصل منه بعثةُ الرسل عليهم الصلاة والسلام، والإسلامُ والقرآنُ وعلمُ الدين وفوائدُ الدنيا على كثرتها واختلافُ صنوفها، فكيف يكون الأمرُ في الآخرة إذا أُضيفتْ هذه الرحمة إلى تسع وتسعين رحمةً مثلَها فصارت مائةً يرحم الله بها عباده المؤمنين يوم القيامة؟!.

ولهذا كان كثير من السلف ينظرون بعين البصيرة إلى مايكون من الرحمة في الآخرة، فتنشرح صدورهم ويعظُم سرورهم مع ملازمتهم للعبادة والخدمة، ومحافظتهم على الخشية لله وتعظيم الحرمة،

---

(١) ٣: ٢٥٤.

وشكرهم لله على ماسخَّر من هذه الرحمة.

وإذا نظرنا إلى نِعَم الدنيا ومحتوياتها، ونعيم الآخرة ودرجاتها، تحققنا عقلاً وشرعاً، وعلمنا نقلاً وسمعاً: أن الكلَّ من رحمة الله التي يرجوها كلُّ مسلم، بل كلُّ أحد. وهذا سيدُنا رسول الله ﷺ سيدُ الخلق، وأتقاهم لله، وأشدهم له خشيةً يقول: «اللهم رحمتَك أرجو فلا تَكِلْني إلى نفسي طرفةَ عينٍ»[(١)] ويقول ﷺ: «لايُدْخِلُ أحداً الجنةَ عملُه» قالوا: ولا أنت يارسول الله، قال: «ولاأنا، إلا أن يتغمَّدنيَ الله بمغفرة ورحمة» وفي روايةٍ «إلا أن يتغمَّدنيَ الله برحمته»[(٢)]، وفي حديث طويل رواه عثمان بن سعيد الدارمي، عن جابر مرفوعاً في آخره قال: إن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: «إنما الأشياء برحمة الله يامحمد»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد ٥:٤٢، وأبو داود ٥:٣٢٥ (٥٠٩٠)، وآخره عند النسائي في «اليوم والليلة» ٦:١٦٧ (١٠٤٨٧)، وعندهم جعفر بن ميمون، فيه كلام، وفي «التقريب» (٩٦١): «صدوق يخطئ»، فحديثه حسن.

(٢) الحديث من رواية أبي هريرة عند البخاري ١٠:١٢٧ (٥٦٧٣) و١١:٢٩٤ (٦٤٦٣)، ومسلم ٤:٢١٦٩ (٧١-٧٨) بألفاظ متقاربة كثيرة.

(٣) هذه الجملة خاتمة حديث طويل مشهور، هو حديث العابد من بني إسرائيل، عَبَد الله خمس مئة عام، على رأس جبل في جزيرة، أنبت الله له بجانبه شجرة رمان تثمر كل يوم رمانة، وأخرج له عين ماء زلال يشرب منها، ثم قدَّر له الموت والحساب فأمر الله به إلى الجنة بفضله فقال: بل بعملي، فأمر الله الملائكة بمحاسبته على ماأنعم به عليه ومايقابلها من العبادة، فلم تعدل عبادته خمس مئة سنة نعمة البصر! فيأمر الله به إلى النار، فيستصرخ ويضرع.. ثم يُؤمر به إلى الجنة، فيقول جبريل للنبي ﷺ تعليقاً على هذا الموقف: «إنما الأشياء برحمة الله يامحمد».

والحديث رواه الحاكم ٤:٢٥٠ من طريقين إلى عبد الله بن صالح كاتب الليث، وإلى الليث نفسه كلاهما عن سليمان بن هرم، عن ابن المنكدر، عن جابر. ورواه البيهقي في «الشُّعَب» ٤:١٥٠ (٤٦٢٠) = ٨:٤٩٩ (٤٣٠٠) من طريق واحدة إلى الليث، به. ورواه العقيلي من الطريقين أيضاً في «الضعفاء» =

فرجاءُ الرحمة والاعتمادُ عليها مع لزوم العبادة والرجوع إليها: هي الطريقُ الأسلم، اتباعاً لسنة نبينا ﷺ.

وفي معنى رجاء الرحمة: ما أخبرنا أبو حفص عمر بن الحسن المَرَاغي ـ مَرَاغة مصر لامَرَاغة العراق[1] ـ إذناً مطلقاً، وقرأته على الثقة عنه سماعاً، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد السَّعْدي، أخبرنا هبة الله ابن الخضر بن طاوس، أخبرنا أبو الفتح نصر الله بن محمد المِصِّيصِيُّ، حدثنا نظام الملك الحسن بن علي الوزير، حدثنا أبو عدنان القرشي، قال: أنشدنا القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الأزدي لنفسه[2]:

= ٢:١٤٤ (٦٣٨).

أما الحاكم: فصححه، وتعقبه الذهبي فقال: «لا والله، وسليمان غير معتمد». وكذلك ضعفه العقيلي فقال عن سليمان بن هرم: «مجهول في الرواية، حديثه غير محفوظ»، وقال في «الميزان» ٢:٢٢٧ (٣٥٢٣): «لم يصح هذا».

أما البيهقي: فرواه ولم يعلق عليه بشيء، وكذلك المنذري في «الترغيب» ٣:٤٠١ عزاه إلى الحاكم ونقل تصحيحه وسكت عنه، وابن حجر في «اللسان» ٣:١٠٨ بعد أن نقل كلام الذهبي بطوله ختمه بنقل كلام الحاكم في الثناء على الليث بن سعد في أنه لايروي عن المجهولين، ولفظ الحاكم: «حديث صحيح الإسناد، فإن سليمان بن هرم العابد من زهاد أهل الشام، والليث بن سعد لايروي عن المجهولين». وكلام العقيلي ليس على ظاهره الاصطلاحي، أعني: لانقول عن سليمان إنه مجهول العين، فعند العقيلي نفسه رواية اثنين عنه: الليث وكاتبه، ولايريد العقيلي من كلمة «حديثه غير محفوظ»: أنه شاذ أو منكر، فالحديث لم يرو من وجه آخر عن ثقة أعلى من سليمان لنحكم عليه بذلك. نعم، هو ضعيف عنده، لكن ماوجه ذلك؟.

(١) مراغة مصر صرح بها الحِميري في «الروض المِعْطار» ص٥٣٥، ومراغة العراق لعلها التي ذُكرت قبلها على أنها من أعمال الرقة، ولم يذكر ياقوت واحدة منهما في كتابيه «المعجم» و «المشترك وضعاً».

(٢) من فقهاء السادة الشافعية وتلامذة الإمام أبي حامد الإسفراييني، توفي سنة =

لما عدمتُ وسيلةً أَلْقَى بها ربّي تَقِي نفسي شديدَ عقابها
صيَّرْت رحمتَه لديَّ وسيلةً وكفى بها، وكفى بها، وكفى بها

آخر المجلس ولله الحمد حمداً كثيراً
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً

* * *

= ٤٤٠، وله شعر كثير أورد منه ياقوت في «معجمه» ٦:٢٧٢٧ نماذج كثيرة، وكلها غزلية أدبية، والبيتان المذكوران هنا يتناسبان مع ماقيل عن تعبده. ترجمته عند الذهبي في «السير» ١٧ : ٢٧٥، والسبكي ٥:٣٤٦، وياقوت.

بسم الله الرحمن الرحيم

-١٨-

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران - آية ١٦٤].

الكلام على هذه الآيات من وجوه تقدَّم ذكر بعضها.

ومنها: النظر في حكم تركيبِ الألفاظِ واختلافِها المؤدِّي إلى أصل المعنى على وَفْق كلام العرب، ويخرج منه علمُ النحو الذي يُفْهَم به مقاصد الكلام، وهو على أنواع، منها: معرفة الحروف المفردة، والمركَّبة، ومعانيها.

فالأول: كالألف والباء، وباقي حروف المعجم ولكلّ منها معنى لغةً واصطلاحاً، كالباء اسم للحرف، وللنكاح، ويطلق على الرجل الكثير الجماع، وتارة تأتي للإلصاق، وتأتي للتعدية، وللاستعانة، ولمعانٍ أُخَر.

وأما الحرفُ المفرَد نفسُه فلا يمكن أن يلفظ به مفرداً.

قال إمام أهل البصرة سيبويهِ أبو بشرٍ عَمرو بن عثمان بن قَنْبَرٍ الحارثيُّ مولاهم البصريُّ في «الكتاب»[1]: قال الخليل - وسأل أصحابه -: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في: لك، والكاف التي في: منك[2]، والباء التي في: ضرب؟ فقيل له: باءٌ وكافٌ. فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول كَهْ وبَهْ، فقلنا: لِمَ ألحقت

---

(١) «كتاب سيبويه» ٣: ٣٢٠ تحت باب: هذا باب إرادة اللفظ بالحرف الواحد.

(٢) في المصدر المذكور: مالك.

الهاء؟ فقال: رأيتهم قالوا: عِهْ، فألحقوا الهاء حتى صيَّروها يُستطاع الكلام بها، لأنه لايُلفظُ بحرف، فإن وصلتَ قلتَ: كَ واعلم، وبَ يافتى[١]، كما تقول: عِ يافتى، فهذه طريقةُ كل حرف كان متحركاً، وقد يجوز أن تكون الألفَ هاهنا بمنزلة الهاء، لقربها منها وشَبَهها بها، فتقول: بأ، وكأ، كما تقول: أنا.

فتلخَّص من قول الخليل بن أحمد أن النطق بالحرف الواحد له ثلاثةُ وجوه، أحدها: وصلُ هاء السكْت به، مثل (بَهْ) في النطق بحرف الباء من: ضرب.

والثاني: وصل الكلام به مثل: بَ يافتى.

والثالث: وصله بألف مثل: بأ، بلا مدّ. والله أعلم.

وليس في الآية من الحروف المفردة سوى الواو العاطفة، ومعناها لغة: الجَمَل الذي له سَنَامان. والأصحُّ أن الواو العاطفة لمطلق الجمع، لا تدل على ترتيب ولامعيّة، وقيل: تفيد الترتيب، وقيل: هي للمعية[٢].

ومن الحروف ذوات التركيب مع غيرها مما هو مذكور في هذه الآية الشريفة: اللامُ في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين﴾.

ومعنى اللام في اللغة: اسم للحرف، ويطلق اسماً للشجر إذا استوى واستقام أيامَ الربيع، واللام أيضاً اسم للسهم لكنه بلغة الحبشة، وهو أيضاً اسم لشخص الإنسان.

---

(١) في المصدر المنقول منه: ك و ب فاعلم يافتى.

(٢) انظر «مغني اللبيب» ٢: ٢٥٤ وغيره من كتب النحو، ومن كتب اللغة والأصول وكتب الخلاف، وانظر فصلاً ممتعاً هو من طُرَف قريحة الإمام البصير السهيلي رحمه الله تعالى كَتَبه في «نتائج الفكر» ص٢٦٦ـ٢٧٥.

وجميعُ اللامات في كلام العرب منها مايكون مفتوحاً، ومنها ما يكون مكسوراً. ومن الأول: اللامان في هذه الآية، فقوله تعالى ﴿لقد﴾ هي لام الابتداء، وهي لام التأكيد أيضاً، وكذلك اللام في قوله تعالى ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ معناها التأكيد.

وتجيء اللام في الكلام لِمَعانٍ، منها: بمعنى الملك المعيَّن، كقوله تعالى: ﴿لله مافي السموات ومافي الأرض﴾، وتأتي بمعنى مِلك المنافع، نحو قولهم: عِمارة الدار لزيد، وبمعنى ملك التصرُّف نحو: خُذْ طرف الحبل لآخُذَ طَرَفَه. وتسمى في هذه المعاني: لام الاختصاص[1].

ولها معان أخر. وهذا على مذهب الكوفيين في مجيء اللام لهذه المعاني، وأما حُذّاق البصريين فمذهبهم أن اللام على بابها ثم يضمِّنون الفعل مايصلُح معها، ويَرَوْن التجوُّز في الفعل أسهل من الحرف.

ومن معاني حروف الآية: أن معنى ﴿وإنْ كانوا﴾ أي: وقد كانوا، جاء تفسيرها بذلك عن ثابت بن يعقوب المقرىء، حدثني الهُذَيل بن حبيب أبو صالح الأزْدي، عن مقاتل بن سليمان قال في قوله تعالى: ﴿وإنْ﴾ يعني: وقد[2] ﴿كانوا من قبل﴾ أن يُبْعث محمد ﷺ ﴿لفي ضلال مبين﴾ أي: بيِّن، وهو الشرك.

---

(١) فالفرق بين لام الملك ولام الاختصاص: أن اللام إذا دخلت على من يتصور منه الملك: قيل لها لام الملك، وإذا دخلت على من لايتصور منه ذلك قيل لها: لام الاختصاص.

(٢) قلت: مقاتل بن سليمان هذا توفي سنة ١٥٠، وقد كذبوه، لكن لاعلاقة بين كذبه وتفسيره (إن) بـ (قد)، وقد نَسَب ابن هشام في «المغني» ١: ٢٦ إلى قُطْرُب أنه هو الذي فسَّر (إنْ) بـ (قد) وذلك في قوله تعالى ﴿فذكِّر إن نفعت الذكرى﴾، وكانت وفاة قطرب سنة ٢٠٦. ولم يتعقبه ابن هشام، مع أنه حكى ـ مع حكايته هذا القول ـ عن الكوفيين تفسير إنْ بـ إذْ، وتعقَّبهم كثيراً.

ومن وجوه الكلام على الآية: النظرُ في تصرُّف معاني الألفاظ، ويقال له في فنِّ البلاغة: التصريفُ البياني الذي ذكره أبو علي الحسن ابن يحيى بن نصر الجُرْجاني في كتابه «ضروب نظم القرآن»[١]، وأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي صاحب «مجمل اللغة» في كتابه «فيما ترجع إليه علوم الإسلام من الفهم والإفهام» وغيرُهما، فذكروا من أصناف البيان: التصريف، وهو القليل من اللفظ يعرف من المعاني بزيادة، فتارة يكون تصريف المعنى في الدَّلالات المختلِفة، وتارة يكون التصريف تصريف المعنى في المعاني المختلِفة.

فالأول: كقصة موسى عليه الصلاة والسلام ذُكرت في القرآن في غيرِ ما موضعٍ، من ذلك في سورة الأعراف، والشعراء، وطه، لوجوهٍ من الحكمة،

منها: التصرُّف في البلاغة من غيرِ نقصانٍ عن أعلى مرتبتها.

ومنها: تمكينُ العبرة والموعظة.

ومنها: ظهور الحِجاج على الكفار بالدلالات المختلفة في المعنى الواحد[٢]. فهذه الآية الشريفة ذُكرت في ثلاث سُوَر من القرآن: في البقرة، وآل عمران، والجمعة.

وفي البقرة ذُكرتْ مرتين في آيةِ الدعوة الإبراهيمية ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً﴾ والآية الأخرى قوله تعالى: ﴿كما أرسلْنا فيكم رسولاً منكم يتلُو عليكم آياتِنا ويُزكِّيكم ويعلِّمكم الكتابَ والحكمة، ويُعلِّمكم مالم تكونوا تعلمون * فاذكروني أذكُركم واشكروا لي ولاتكفرون﴾.

ففي كل موضع من هذه المواضع الأربعة ذُكرت بمعناها لدلالات

---

(١) انظر المجلس ١١ ص٢٤٣.

(٢) انظر شيئاً من حِكَم تكرار بعض القِصص القرآنية في «التقرير في التكرير» ص٩٥ـ١٠٥ للعلامة الشيخ محمد أبي الخير ابن عابدين رحمه الله تعالى.

مختلفة. والله أعلم.

والثاني من قسميْ تصريف البيان: تصريفُ المعنى في المعاني المختلِفة، فقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ دلّ معناه على زمنٍ مضى.

وقوله تعالى: ﴿بلِ الله يمنُّ عليكم أنْ هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ لفظُه لفظُ الحال.

وقوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتُبطِلوا صدقاتِكم بالمنِّ والأذى﴾ فالمنُّ هنا: اعتدادُ المعطِي بصنيعته على الـمُعطَى تقريعاً له.

وقال الله عز وجل: ﴿وأنزلْنا عليكم المنَّ والسلوى﴾ فالمنُّ هنا: الطَّلُّ الحلوُ الذي ينزِل على الأشجار والأحجار، فينعقد كالحلوى فَيُجْتَنى ويُؤكَل.

وقوله تعالى: ﴿فلهم أجرٌ غير ممنون﴾ فسّره جماعة بأنه غير مقطوع، والمنُّ في أحد وجوهه: القطع والهدم.

وللمنِّ معانٍ أُخَر، ومدارها على مادة مَنَنَ ثلاثة أحرف، بل هي حرفان[1] وتحتهما هذه المعاني، فهذا من تصريف المعنى في المعاني المختلفة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿بعث﴾ ومعناه هنا ـ والله أعلم ـ أرسل.

ويقال بعثه: أيقظه من نومه. قال الله تعالى: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم﴾.

والبعث أيضاً: النشور من القبور، قال الله عز وجل: ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ وقال تعالى: ﴿وأنَّ الله يبعث من في القبور﴾.

وللعرب التصريفُ الكثيرُ في معاني الكلمة الواحدة، لكنْ تارة

---

(١) في الكتابة.

يذكرونها بلفظها الواحد لعدَّة معانٍ، وتارة يتصرفون في اللفظ لاختلاف المعنى، فيقولون مثلاً: بعث فلان ويريدون: أرسل، ويقولون: انبعث فلان ويريدون: مضى متتابعاً إلى جهة قَصْده في خير أو شر.

ويقولون: كَسَب مالاً، وكسب غيرَه مالاً، يستعملونه لازماً ومتعدِّياً[١]، ومَن قال: أَكْسَبه ـ فعدَّاه بالهمزة أو التضعيف ـ: فقد أخطأ[٢]، وكَسَب واكتسب: معناهما واحد، وذكر بعضهم[٣] أن كَسَب يستعمل في الخير، واكتسب في الشر.

حكى الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن أبي محمد البغدادي ابن النجار في «تاريخ بغداد» عن أبي شجاع محمد بن عبدالحق المؤدِّب قال: تذاكَرْنا الفرق بين الكسْب والاكتساب، وأن الكسب في الخير والاكتساب في الشر، لقوله تعالى: ﴿لها ما كَسَبتْ وعليها ما اكتسبتْ﴾. فأخبرني بعدُ شخصٌ أنه رأى الوزير ابن هُبَيرة[٤] في المنام

---

(١) يريد أن يقول: يستعملونه متعدياً لمفعول واحد ولمفعولين، فكتب هذا.

(٢) إن أراد تعديته إلى المفعول الأول، أما إن أراد تعديته بذلك إلى المفعول الثاني فجائز، وعند ابن الأعرابي أن كسب تتعدى بنفسها إلى مفعولين. انظر «شرح القاموس» و «اللسان».

(٣) هو الزمخشري في «أساس البلاغة» ذلك لأن الكسب متلائم مع الفطرة فلا يحتاج العامل إلى تكلُّف، والاكتساب في الشر المتنافر مع الفطرة، فيحتاج إلى تكلف، لذلك جيء بزيادة التاء معها. انظر كلام الإمام ابن عطية في تفسيره «التحرير الوجيز» ٢: ٥٤٤، وماكتبته في شرح الأحاديث القدسية ص١٣٧ـ١٣٨.

(٤) رحمه الله تعالى، صاحب الكتاب المطبوع قديماً باسم «الإفصاح عن معاني الصحاح»، وأصله ليس كذلك. انظر ترجمته العالية النفيسة في «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ١: ٢٥١ـ٢٨٩، وص٢٥٢ من أجل اسم الكتاب.
ومما يجب أن يذكر لهذا الإمام أنه صاحب الرأي الأول في تطهير مصر من دولة العبيديين، أشار بذلك على نور الدين الشهيد، فسيَّر إليها أسد الدين =

قال: فقلت ياسيدي مافعل الله بك؟ فأنشدني:

قد سُئلنا عن مثلها فأجبنا بعد ما حال حالُنا وحُجِبنا
فوجدنا مضاعَفاً ماكَسَبنا ووجدنا ممحَّصاً ما اكتسبنا[١]

ومن الحروف المركبة في هذه الآية: «قد» في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ و«قد» في كلام العرب تأتي على ضربين:

أحدهما: اسم فعل، وتكون مرادفةً لـ: حسْبُ، وهي مبنية على السكون يقال: قَدْ زيدٍ درهمٌ، وربما أُعربت فيقال: قدُ زيدٍ درهم، كما يقال: حسبُ زيدٍ درهم، ويقال: قَدِي. أي: حسبي، وتُزاد فيها النون محافظةً على السكون، فيقال: قَدْنِي.

وتأتي أيضاً اسمَ فعل مرادفةً لـ: يكفي، يقال: قدْ زيداً درهمٌ، أي: يكفيه، ومنه قول النبيﷺ للكفار حين كان يسمع تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، فيقول النبي ﷺ: «قدِ قدِ»[٢] أي: كفى كفى.

والضرب الثاني: أن «قد» تكون حرفاً، قال الخليل بن أحمد: «وقد» حرف يُوجَبُ به الشيء، قاله في «كتاب العين»[٣].

وتأتي «قد» التي هي حرف: للتوقُّع وتقريب زمن الفعل[٤]، ولايليها

= شِيركُوه، حتى تم ذلك، والحمد لله. على ماذكره ابن رجب ص٢٥٨.

(١) الرؤيا والبيتان ـ دون ما يتعلق بالفائدة اللغوية ـ مذكوران في «ذيل طبقات الحنابلة» ١: ٢٨٨، وفي السند اختلاف، وسمي الرائي أبا القاسم السلاحي. ومعنى «ممحَّصاً» هنا: مغفوراً. والشطر الأول عنده وعند ابن خلكان ٦: ٢٤٢:

قد سئلنا عن حالنا فأجبنا

(٢) «صحيح مسلم» آخر الباب الثالث من كتاب الحج ٢: ٨٤٣ (٢٢).

(٣) «كتاب العين» ٥: ١٦.

(٤) وذلك مع الفعل المضارع، ومجيؤها معه لهذا المعنى كثير، وقد ذكره الخليل =

بعدها إلا الفعلُ مُظْهَراً غيرَ مغَيَّرٍ عن حاله التي كان عليها قبل دخول «قد» عليه، ولا يُفْصَلُ بينها وبين الفعل بغيره[١]، وتارة يليها الفعل المستقبل، كقوله تعالى: ﴿قد يعلمُ الله المعوِّقين منكم﴾[٢].

وتارة يليها الفعل الماضي، كقوله تعالى في هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾. ودخول اللام عليها هنا للتأكيد، تحقيقاً لوقوع المنّ من الله تعالى على المؤمنين.

و«قد» هذه من الحروف المبنية، لها من مجاري أواخِرِ الكَلِم الوقفُ، وهذه المجاري ثمانيةٌ على أربعة أضرب: رفع وضم، ونصب وفتح، وجر وكسر، وجزم ووقف.

هكذا ذكرها سيبويه في «الكتاب»[٣] ثمانيةً على أربعة أضرب، جعل ذلك للفرق بين مايتغيَّر إعرابه ويزول عنه من رفع ونصب وجر وجزم، كالأسماء المتمكِّنة والأفعال المضارِعة لأسماء الفاعِلِين، وبين مالايزولُ عنه مابُنِي عليه من ضم وفتح وكسر ووقف من الأسماء غير المتمكِّنة، ومن الأفعال الثلاثة ـ لكنْ لاضمَّ في الفعل سوى المضارع ـ ومن الحروف التي ليستْ إلا لمعنى، ومنها «قد».

= أيضاً في الموضع السابق، وقد تأتي معه وتفيد التقليل، كالآية الآتية. وانظر لزاماً تفصيل ابن هشام لهذه الوجوه.

(١) إلا بالقسم، كما قال ابن هشام في «المغني» ١ : ١٧١، وذكر شاهدين لذلك، وجعل المالقي ذلك في «رصف المباني» ص٤٥٦ ضرورة.

(٢) قال الراغب الأصفهاني في «مفرداته»: «إذا دخل (قد) على المستقبل من الفعل فذلك الفعل يكون في حالة دون حالة، نحو: ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لِواذاً﴾. أي: قد يتسللون أحياناً فيما علم الله». فخلاصته: أن (قد) داخلة على المعلوم لاعلى علم الله، وقد قال رحمه الله قبل قليل: «لايصح أن تستعمل في أوصاف الله تعالى الذاتية فيقال: قد كان الله عليماً حكيماً. . » إلى آخر كلامه.

(٣) «الكتاب» ١ : ١٣ وما بعدها.

وهي مبنية على الوقف لايزول عنها، كما نطقتْ بها العرب وجاءت في القرآن كذلك في غيرِ ما موضع، ومنه في هذه الآية الشريفة، قال الله عز وجل: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾.

هذا بعض مايتعلّق من الكلام ببعض الحروف الواقعة في هذه الآية الشريفة، وهو أحد وجوه الكلام عليها.

ومن وجوه الكلام: النظرُ فيما دلَّت عليه الألفاظُ، وهو علم الأحكام، ومن أحكام هذه الآية الشريفة:

ـ أن الله عز وجل رَفَع مقام نبيه محمد ﷺ بأنْ وضعه من دِينه موضعَ الإبانة عنه ما أراد سبحانه بكتابه عاماً وخاصاً، وفرضاً وندباً، وإباحةً ووقتاً وعدداً، فقال الله عز وجل: ﴿وأنزلْنا إليك الذِّكْرَ لتبيِّن للناس مانُزِّل إليهم ولعلهم يتفكَّرون﴾، وجعل سبحانه للنبي ﷺ أن يسنَّ مما ليس فيه نصُّ كتابٍ[1]، وهذا أحد الأحكام التي في هذه الآية الشريفة ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وهما: القرآن المعظَّم، والسنة التي شرعها النبي ﷺ.

ـ ومن أحكام هذه الآية المستنبطة منها: أن فيها أدلةَ الشريعة التي

---

(١) هذا على المشهور: أنه يوجد في السنة من الأحكام ماليس في القرآن الكريم، ومنهم من قال: لايوجد في السنة شيء إلا وقد دلَّ عليه القرآن دلالة قريبة أو عامة إجمالية، كقوله تعالى: ﴿وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا﴾. وعلى هذا فالخلاف لفظي، والمسألة طويلة مشهورة.
ومما جاء عن الأئمة المتقدمين ـ وله صلة بهذا ـ قول الإمام البخاري رضي الله عنه: «لست أروي حديثاً من حديث الصحابة والتابعين ـ يعني من الموقوفات ـ إلا ولي في ذلك أصل، أحفظ حفظاً عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ». أسنده إليه الخطيب في «تاريخه» ٢: ٢٤ـ٢٥، ومابين المعترضتين من «مقدمة فتح الباري» ص٤٨٧.

هي أصولُها، وهي: الكتاب والسنة والإجماع.

فمأخذُ الكتابِ والسنةِ: من قوله تعالى ﴿ ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة ﴾ فالكتاب: القرآن، والحكمة: السنة.

ومأخذ الإجماع: من مفهوم قوله تعالى ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ والمؤمنون هنا هم أمةُ النبي ﷺ، وإذا أجمعوا بعده على أمرٍ لم يأتِ فيه نصٌّ لم تَجُزْ مخالفتهم، كما ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿ومَنْ يُشَاقِقِ الرسولَ من بعد ماتبيَّن له الهدى ويتَّبعْ غيرَ سبيل المؤمنين﴾ وهم الذين ذكرهم الله تعالى في هذه الآية ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾. والرسول المذكور في قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول﴾ هو نبينا محمد ﷺ المذكور في هذه الآية ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

وأيضاً: يؤخذ الإجماع من مفهوم قوله تعالى ﴿ويزكِّيهم﴾ لأن الأمة حصلتْ لهم التزكية، وأشير إليها في آياتٍ، منها قوله تعالى: ﴿كنتم خيرَ أمة أخرجت للناس﴾ ومنها قوله تعالى ﴿وكذلك جعلْناكم أمة وسطاً ﴾ أي: عدولاً خياراً، واتفاقُ عدولِ الأمةِ بعد النبي ﷺ في كل عصر: إجماعٌ.

وهذه الثلاثة ـ الكتاب والسنة والإجماع ـ هي الأدلة فقط عند إمام الحرمين أبي المعالي عبدالله بن محمد بن يوسف الجُوَيني رحمة الله عليه، لأن الأدلة عنده لاتتناول إلا القطعيَّ، فلا يكون الدليل إلا قطعياً، والإجماع حجته قطعية عند الأكثرين، لكنْ إمام الحرمين جعل القياس ـ الذي هو في المصطلح: مساواةُ فرعٍ لأصلٍ في علةٍ جامعة ـ داخلاً مع الثلاثة في الاحتجاج، لقيام القاطع علَى العمل به[1].

وكذلك أبو حامد الغزالي عنده أيضاً الأدلةُ الثلاثةُ فقط، وجعل القياس داخلاً من وجهٍ غيرِ الوجهِ السابقِ، لأنه من طُرُق الاستثمار، فإنه

---

(١) وسماه: القياس الشرعي، انظر كتابه «البرهان» ٢: ٤٩٠، ٥١٤.

دلالةٌ من حيثُ معقولُ اللفظ، كما أن العموم والخصوص دلالةٌ من حيثُ صيغتُه[١].

وأهل الإجماع مختلَف فيهم، فأحد الأقوال في الإجماع: أنه إجماعُ مَن كانوا بعد النبي ﷺ من أمةِ إجابته في أيِّ عصر كان، على أيِّ أمرٍ كان، من إثبات أو نفي أو حكم شرعي أو عقلي أو لغوي.

وقيل: إجماع المجتهدين مطلقاً من الأمة على ماتقدَّم، فلا اعتبار بإجماع العوامِّ وِفاقاً ولاخلافاً.

وقيل: الإجماعُ إجماعُ الصحابة فقط، كما حكاه أبو محمد ابن حزم عن مذهب داود بن علي وأصحابه[٢].

والقول الثاني هو الراجح، وقد قال به الأكثرون[٣].

وأدلةُ القول الأول كثيرةٌ، منها: حثُّ النبيِّ ﷺ على لزوم الجماعة، وترغيبُه في ذلك، كحديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدّاها، فربَّ حاملِ فقهٍ غيرِ فقيه، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقه منه، ثلاثٌ لايَغِلُّ عليهن

(١) يدل على ذلك أنه عَنْوَن باب القياس في «المستصفى» ٢:٢٢٨ بقوله «الفن الثالث في كيفية استثمار الأحكام من الألفاظ والاقتباس من معقول الألفاظ بطريق القياس».

(٢) سبق قلم المصنف فكتب: وأصحابهم.

(٣) ذكرت كتب الأصول هذه الأقوال الثلاثة، والثاني هو الراجح، لكن ظاهر كلام الإمام الغزالي في «المستصفى» ١:١٨١ أن الأول يَؤُول إلى الثاني، وهو قد عرَّف الإجماع بأنه اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فأدخل العامة والخاصة، ثم أورد على نفسه: هل يتصور دخول العوام في الإجماع، وأجاب بأن العوام متفقون على أن الحق مع ماأجمع عليه الخواص. وأطال في تقريره.

أما ماحكاه ابن حزم عن داود وكثير من أصحابه: فهو في «الأحكام» ١:٥٥٣، وناقشهم فيه.

قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تُحيط مِن ورائهم»[١].

ومنه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ألَا فمن سَرَّه بَحْبَحة الجنة فَلْيَلزمِ الجماعة، فإن الشيطان مع الفَذِّ، وهو من الاثنين أبعدُ»[٢].

---

(١) رواه الترمذي من حديث ابن مسعود هكذا مجموعاً في كتاب العلم ـ باب الحث على تبليغ السماع ٥:٣٤ (٢٦٥٨) وسكت عنه لكنه صحيح، وروى قبله مباشرة الجملة الأولى منه فقط وقال: حسن صحيح. والحديث قاله النبي ﷺ في مسجد الخيف بمنى، ولذلك رواه عنه كثيرون نحو ثلاثين صحابياً، كما في «تدريب الراوي» ٢:١٧٩، لكن الذين ذكرهم في «الأزهار المتناثرة» وتبعه الزبيدي في «اللآلى المتناثرة» ص١٦١ بلغوا ستة عشر صحابياً، وزاد عليهم السيد الكتاني في «نظم المتناثر» ص٢٥ ثلاثة.
ونقل الحافظ في «موافقة الخُبْرِ الخبَر» ١:٣٦٣ عن ابن منده أنه أوصلهم إلى أربعة وعشرين صحابياً، قال الحافظ: «وقد تتبعت طرقه فوقع لي أكثرها، وزيادة ستة، فأقتصر هنا على القوي» وذكره من رواية ابن مسعود، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وأنس، وأبي قِرْصافة. وانظر تخريج رواية خمسة عشر صحابياً في التعليق على صحيح ابن حبان ١:٢٦٨ (٦٦) و٢:٤٥٤ (٦٨٠).

(٢) هذا جزء من حديث يرويه سيدنا عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أوله: «أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..» وفي بعض الروايات: «أوصيكم بأصحابي» وفي بعضها: «استوصوا بأصحابي» وغير ذلك، وقد رواه أئمة كثيرون، منهم الإمام الشافعي في «الرسالة» ص٤٧٤ (١٣١٥) والجملة التي ذكرها المصنف من روايته، ورواه أيضاً الإمام أحمد ١:١٨، ٢٦، والترمذي في كتاب الفتن ـ باب لزوم الجماعة ٤:٤٠٤ (٢١٦٥) وقال: حسن صحيح غريب.
وبحبحة الجنة: وسطها، وهي كناية عن التمكن فيها والتوسع. والفذ: الواحد المنفرد.

ومنه حديث معاويةَ بن أبي سفيان وغيرِه رضي الله عنهم مرفوعاً: «لاتزال طائفة من أمتي قـائمةً بأمر الله لايضرُّهم مَن خذلهم - أو خالفهم - حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»[١].

قال الشافعي رضي الله عنه في «الرسالة» بعد أن ذكر لزوم الجماعة، فقال[٢]: فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريمِ والطاعةِ فيهما، فمن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أُمر بلزومها، وإنما تكون الغفلة في الفُرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافةً غفلة عن معنى كتاب الله ولا سنةٍ ولا قياسٍ إن شاء الله تعالى. انتهى قول الشافعي.

وقد استَدلَّ بأقوى دليل على الإجماع من كتاب الله عز وجل، وهو قوله تعالى: ﴿ومن يُشَاقق الرسولَ من بعدِ ماتبيَّن له الهدى ويَتَّبِعْ غيرَ سبيل المؤمنين نولِّه ماتولَّى ونُصْلِهِ جهنمَ وساءتْ مصيراً﴾.

أنبأنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المقدسي، عن فاطمة ابنة سليمان الأنصارية، أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي إذناً، أخبرنا عمي أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الحافظ

---

(١) رواه من حديث معاوية رضي الله عنه البخاري في مواضع من «صحيحه» أولها: كتاب العلم - باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ١: ١٦٤ (٧١)، ومسلم في كتاب الإمارة - باب قوله ﷺ «لاتزال طائفة..» ٣: ١٥٢٤ (١٧٤، ١٧٥)، ورواه مسلم قبله وبعده عن صحابة آخرين، والحديث من مشهور الأحاديث المتواترة، وأفرده عدد من المحدثين بالتأليف، وقد ذكر له السيوطي في «الأزهار المتناثرة» أحد عشر صحابياً، وزاد الزَّبيدي في «لقط اللآلى المتناثرة» ص٦٨ واحداً، وأوصلهم الكتاني ص٩٣ إلى ستة عشر صحابياً.

(٢) «الرسالة» ص٤٥٧ (١٣١٩، ١٣٢٠).

سماعاً، أخبرنا محمد بن إسماعيل الفارسي، أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين الخُسْروجِردي[١]، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو عبد الله الزبير بن عبد الواحد الحافظ الأسَدَاباذي، سمعت أبا سعيد محمد بن عُقَيل الفاريابي يقول: قال المزني ـ أو الربيع ـ:

كنا يوماً عند الشافعي بين الظهر والعصر عند الصحن في الصفَّة، والشافعي قد استند ـ إما قال إلى أسطوانة، وإما قال إلى غيرها ـ إذْ جاء شيخ عليه جبّة صوف، وعمامة صوف، وإزار صوف، وفي يده عُكّاز قال: فقام الشافعي وسوَّى عليه ثيابه واستوى جالساً، قال: وسلم الشيخ وجلس، وأخذ الشافعي ينظر إلى الشيخ هيبةً له، إذ قال له الشيخ: أَسألُ؟ قال: سل. قال: أَيْشٍ الحجَّةُ في دين الله؟ فقال الشافعي: كتاب الله. قال: وماذا؟ قال: سنة رسول الله ﷺ، قال: وماذا؟ قال: اتفاق الأمة. قال: من أين قلتَ: اتفاقُ الأمةِ من كتاب الله؟[٢] قال: فتدبَّر الشافعي ساعةً! فقال للشافعي: قد أجَّلتك ثلاثة أيام ولياليَها، فإن جئتَ بحجةٍ من كتاب الله في الاتفاق، وإلا تُبْ إلى الله عز وجل.

قال: فتغيَّر لون الشافعي، ثم إنه ذهب فلم يخرج ثلاثة أيام ولياليَهن، قال فخرج إلينا اليومَ الثالث في ذلك الوقت ـ يعني بين الظهر والعصر ـ وقد انتفخ وجهُه ويداه ورجلاه وهو مِسْقام، فجلس قال: فلم

---

(١) هو الإمام البيهقي، والقصة في كتابه «المدخل إلى السنن الكبرى» كما عزاها إليه الجلال السيوطي في «مفتاح الجنة» ص٤٠، وليست في القسم المطبوع منه. وقد أشار الفخر الرازي رحمه الله إلى هذا الاستدلال في «مناقب الشافعي» له ص١٥٦، وفي «تفسيره» ١١: ٤٣ وعلَّق على توجيه الاستدلال بالآية تعليقاً خفيفاً، وأحال على كتابه «المحصول» للاستيفاء فانظره ٤: ٣٥ـ٦٦.

(٢) يريد: أين الدليل من كتاب الله على أن اتفاق الأمة وإجماعهم حجة في دين الله.

يكن بأسرعَ أنْ جاء الشيخ، فسلَّم فجلس فقال: حاجتي!

فقال الشافعي: نعم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله عز وجل: ﴿ومن يُشَاقِقِ الرسولَ من بعد ماتبيَّن له الهدى ويتبعْ غير سبيل المؤمنين نولِّه ماتولَّى ونُصْلِه جهنم وساءتْ مصيراً﴾ لايُصليه على خلاف المؤمنين إلا وهو فرضٌ. فقال: صدقتَ، وقام وذهب.

قال الفاريابي: قال المزني ـ أو الربيع ـ: قال الشافعي: فلما ذهب الرجل قرأتُ القرآن في كل يوم وليلة ثلاثَ مراتٍ حتى وقفتُ عليه. يعني على دليل الإجماع.

هذا من بعض أحكام القرآن وعجائبه وفوائده وغرائبه. وطريقُ استنباط ذلك للاتِّعاظ: الاعتبارُ بمدلولات الألفاظ.

وكذلك الحكمةُ المشارُ إليها في الآية الشريفة، وهي سنة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، فيستنبط من الحديث الواحد مع إيجازه عدَّةٌ من الأحكام، كيف لا وقد أُعطِي قائلُه ﷺ جوامعَ الكَلِم، وخُصَّ ببدائع الحِكَم[1].

---

(١) ولهذا شواهد بلغ بعضها حدَّ العَجَب وغاية الاستغراب!.

١ ـ منها: حديث ذي اليدين، الذي تكلم عليه العلائي في مجلد سماه «نظم الفرائد». طبع!.

٢ ـ ومنها: حديث البراء بن عازب: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع، تكلم عليه ابن دقيق العيد في «شرح الإلمام» بثلاث عشرة مسألة وأربع مئة مسألة (٤١٣).

٣ ـ ومنها: حديث المجامع أهلَه في شهر رمضان، تكلَّم عليه عز الدين ابن خَضِر الهكَّاري المتوفى سنة ٧٢٧ في مجلدين جمع فيهما ألف فائدة وفائدة. انظر «البداية والنهاية» لابن كثير ١٤: ١٣٦، و «فتح الباري» ٤: ١٧٣ آخر كلامه على حديث (١٩٣٧).

=

أخبرنا الخطيبان المتفقان أيضاً في الكنية والاسم واسم الأبِ والجدِّ:
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المصري، قدم علينا دمشق، بقراءتي عليه بها بمسجد العادلية الكبرى، وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن كامل، بقراءتي عليه ببلد حَبْرون، وآخرون، قالوا: أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد الخطيب قراءةً عليه ونحن نسمع، قال الثاني: وأنا حاضر، أخبرنا عبد اللطيف بن أبي محمد النُّمَيري سماعاً، أخبرنا عبد المنعم بن أبي نصر التاجر، أخبرنا علي بن أحمد العمري، أخبرنا محمد بن محمد البزاز، أخبرنا إسماعيل المِلْحي، أخبرنا الحسن العبدي[1]، حدثنا هُشَيم بن بَشِير، عن عبد الرحمن بن إسحاق القرشي،

= ٤ ـ ومنها: حديث «ياأبا عمير مافعل النغير» جمع فوائده أبو العباس ابن القاصِّ الطبري في جزء مفرد ـ طبع ـ ذكر مافيه من وجوه الفقه وفنون الأدب ستين وجهاً، لخصها ابن حجر في «الفتح» ١٠:٥٨٤ عند شرحه للحديث (٦٢٠٣)، ونقَّحها وزاد عليها. وفي «التراتيب الإدارية» ٢:١٥٠ أن بعضهم أوصلها إلى نحو ٢٥٠ فائدة، وبعضهم إلى نحو ٣٠٠ فائدة، وأن ابن الصباغ أملى في درسه بمكناسة على هذا الحديث ٤٠٠ فائدة، وكان آخر دروسه بها.

(١) هو الحسن بن عرفة العبدي، والحديث في «جزئه» المشهور ص٥٩ (٣٣) وصرَّح بأن عبد الرحمن بن إسحاق هو القرشي، كما هنا، ونقله ابن رجب في مقدمة كتابه «جامع العلوم والحكم» لكن روى الحديثَ ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» ١:٢٩٤، و ١١:٤٨٠ (١١٧٨٤) وأبو يعلى ٦:٣٨٤ (٧٢٠٢) كلاهما من طريق هشيم، به، ولم ينسبا عبد الرحمن قرشياً أو واسطياً، إنما قال الهيثمي في «المجمع» ٨:٢٦٣: «رواه أبو يعلى وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، وهو ضعيف» فاجتهد من عنده بنسبته واسطياً ـ وتوبع ـ وعمدته أن المزي ذكر في «تهذيبه» رواية هشيم عن الواسطي في ترجمتيهما، ولم يذكر ذلك بينه وبين القرشي، لكن إذا ذُكر هذا في الإسناد تعيَّن المصير إليه، والمزي ـ وغيره ـ لم يستوعب، كما بيَّنتُه في دراسات الكاشف للذهبي ص٥٩. وقد يكون المزي نَسَبه (الكوفي) اجتهاداً منه وقد يكون اعتماداً على نسبته في الإسناد، فإن كان الاحتمال الأول فتكون لهشيم رواية عن القرشي =

عن أبي بُرْدة، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «أعطيت فواتحَ الكَلِم وخواتمه وجوامعه» فقلت: يارسول الله علِّمنا مما علَّمك الله، فعلَّمَنا التشهد في الصلاة.

هذا الحديث على شرط مسلم، لأن عبد الرحمن بن إسحاق القرشي انفرد مسلم بإخراج حديثه دون البخاري، لأن عبد الرحمن هذا عند البخاري ليس ممن يُعتمَد على حفظه وقال: «ربما وهم» فيما ذكره في «تاريخه»[1] وللحديث علّة وهي مجيئه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً[2].

= فقط، وإن كان الثاني فتكون لهشيم رواية عن الاثنين، ويتعذر التمييز بينهما. وعلى كل: فليصحح هذا عند الهيثمي ومتابعيه، فالمراد به القرشي المدني الذي قال عنه الحافظ في «تقريب التهذيب» (٣٨٠٠): «صدوق رمي بالقدر».

(١) «التاريخ الكبير» ٥:٢٥٨ (٨٣٤).

(٢) قلت: في جعل هذه الرواية الموقوفة علةً في الرواية المرفوعة: نظر، ذلك أن السلف رضي الله عنهم كانوا يتوقَّون كثيراً الرواية عن النبي ﷺ، فيتكلمون بالأمر على أنه من كلامهم لايرفعونه إلى النبي ﷺ، إلا إذا احتاجوا إلى ذلك، لذلك تجد الحديث الواحد يروى عن الصحابي نفسه مرفوعاً وموقوفاً، وتجده يروى عن صحابي مرفوعاً، وعن غيره موقوفاً، وليس هذا من باب الاضطراب والاختلاف، إلا إذا كان أحد الرواة سيء الحفظ والضبط فإن المحدثين يلجؤون إلى ذلك.

وقد روى الدارمي في أوائل «سننه» ١:٩٤ تحت باب: من هاب الفتيا مخافة السقط، أن الشعبي سئل عن حديث فحدَّث به، فقيل له: إنه يرفع إلى النبي ﷺ؟ فقال: لا، على من دون النبي ﷺ أحبُّ إلينا، فإن كان فيه زيادة ونقصان كان على من دون النبي ﷺ. ثم أسند نحوه عن إبراهيم النخعي.

وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه «الفروسية» ص٢١٨ آخر كلامه على حديث يدلُّ على جواز المحلِّل في رهان المسابقة: «وقُصارى مايُعلَّل به: الوقف على سعيد بن المسيَّب، وهذا ليس بعلة، فقد يكون الحديث عند الراوي مرفوعاً، ثم يفتي به من قوله، فينقَل عنه موقوفاً، فلا تناقض بين الروايتين». =

أنبأنا الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء السُّلمي قراءةً عليه وأنا أسمع، في ذي القَعدة سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة، بالجامع المظفَّري من سَفح قاسيون، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد التَّيْمي، أخبرنا عبد المعز بن محمد، أخبرنا تميم بن أبي سعيد، أخبرنا علي بن محمد الحاكم، أخبرنا محمد بن أحمد الزَّوْزَني، أخبرنا محمد بن حِبَّان التميمي[١]، حدثنا أحمد بن عبد الله بحرّان، حدثنا النُّفَيلي، حدثنا زهير بن معاوية، عن أبي إسحاقَ، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن محمداً ﷺ أوتي فواتح الكلام وخواتمه ـ أو جوامع الخير وخواتمه ـ وإنا كنَّا لانَدري مانقولُ إذا جلسنا في الصلاة حتى علَّمنا، فقال: «قولوا: التحيات لله. . .» وذكر الحديث.

وله[٢] شاهد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «أنا محمدٌ النبيُّ الأميُّ، لانبيَّ بعدي، أُوتِيتُ جوامع الكَلِم وخواتمه، وعُلِّمتُ [كم] خَزَنةُ النار، وحَمَلةُ العرش».

وخرَّج الدارقطني في «سننه» من حديث زكريا بن عطية، حدثنا سعيد

= قال هذا على لسان غيره، وفي ص٢٨٢ لما وصل إلى مناقشة هذه الفكرة لم يردَّها بل قال: «يجب قبولها في موطن، ويجب ردّها في موضع، ويتوقف فيها في موضع».

على أن هذا الذي يقوله ابن مسعود رضي الله عنه «أُوتي فواتح. .» هذا إخبار عن إيتاء، وهو أمر مغيَّب، فالكلام فيه لايكون إلا عن توقيف.

(١) هو ابن حبان صاحب «الصحيح» والحديث في «الإحسان» ١٤: ٣١١ (٦٤٠٢)، وانظر منه ٥: ٢٨١ (١٩٥١). والحديث في «المسند» أيضاً ١: ٤٠٨، ٤٣٧، والنسائي في «الصغرى» ٢: ٢٣٨ (١١٦٣)، وابن ماجه ١: ٦٠٩ (١٨٩٢).

(٢) أي لحديث موسى، وهذا الشاهد رواه الإمام أحمد ٢: ١٧٢، ٢١٢ من وجهين فيهما ابن لهيعة، وفيه ضعف.

ابن خالد، حدثني محمد بن عثمان، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «أُوتيتُ جوامع الكَلِم، واخْتُصِر ليَ الحديثُ اختصاراً»[1].

وصحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «بُعثتُ بجوامع الكَلِم، ونُصِرتُ بالرُّعْب...» الحديث[2].

فُسِّر جوامع الكلم بالقرآن[3]، لإيجازه واحتوائه على علومٍ لاتحصى،

---

(١) «سنن الدارقطني» ٤:١٤٤ (٨). وزكريا بن عطية قال فيه أبو حاتم في «الجرح» ٣(٢٧٠٧): «منكر الحديث»، وسعيد بن خالد هو الخزاعي ضعَّفوه، انظر ترجمته في «تهذيب الكمال» وفروعه. فقول العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» ٢:٣٦٧ تحت باب بيان كلامه وضحكه ﷺ من كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة من «الإحياء»، قوله عن إسناد الدارقطني «جيد»: في محل النظر، لكن روى الحديث عبد الرزاق ٦:١١٢ و١١:١١١ ـ ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٤:٣٠٧ (٥٢٠٢) ـ عن أبي قلابة، عن عمر، وهو منقطع بينهما، وهو أيضاً جزء من حديث عند أبي يعلى، ذكره الهيثمي في «المجمع» ١:١٧٣ من رواية عُمر، و١٨٢ من رواية خالد بن عُرْفُطة، وضعَّفه بعبد الرحمن بن إسحاق الواسطي السابق قريباً، فهو بهذه الشواهد يتقوَّى.

وكونه ﷺ أوتي جوامع الكلم هذا ثابت بأحاديث في الصحيحين معاً، وفي مسلم وحده، وغيرهما، وانظر الحديث الآتي.

(٢) رواه البخاري في مواضع من «صحيحه» أولها كتاب الجهاد ـ باب قوله ﷺ: نصرت بالرعب ٦:١٢٨ (٢٩٧٧)، ومسلم أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١:٣٧١ـ٣٧٢ (٦ـ٨) عن أبي هريرة مرفوعاً، ولأبي هريرة حديث آخر عند مسلم (٥) أوله «فُضِّلت على الأنبياء بستّ: أُعطيت جوامع الكلم...».

(٣) أما هنا فنعم، بقرينة قوله ﷺ «بُعثت»، وأرى الاقتصار عليه، أما في قوله «أوتيت» و «أعطيت» فيمكن تفسيره بالمعنى الأعم: القرآن الكريم، والبلاغة والإيجاز في أحاديثه الشريفة، وإن كنت لم أر من ميَّز هكذا، وقد نقل النووي في «شرح مسلم» ٥:٥ عن أبي عبيد القاسم تفسير جوامع الكلم بالقرآن، =

وفنونٍ من البلاغة لاتُستقصَى.

وفي حديثِ هندِ بن أبي هالةَ رضي الله عنه، في وصف النبي ﷺ قال: «ويتكلم بجوامع الكلم فَصْلاً، لافُضولَ فيه ولاتقصير»[1] فُسّر هذا

= ومثله قاله الأزهري في «تهذيب اللغة» ١: ٤٠٢، وألحقَ به النووي ـ الموضع المذكور ـ وابن حجر في «الفتح» ٦: ١٢٨، ١٣: ٢٤٧ السنة الشريفة، وقد قال الزهري ـ على ماجزم به ابن حجر وصوَّبه في «الفتح» ١٢: ٤٠١، ١٣: ٢٤٧ ـ: بلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك». وفي ١٣: ٢٤٨ ذكر أمثلة على ذلك، ثم ذكر ضابطاً لمعرفة جوامع الكلم.

وينظر شرح الزرقاني على المواهب ٥: ٢٦١، وشرح الزبيدي على الإحياء ٧: ١١٢، و «نهاية» ابن الأثير.

أما معنى «فواتح الكلم»: ففي «النهاية» مادة ف ت ح: «أخبر أنه أوتي مفاتيح الكلم، وهو مايسَّر الله له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني، وبدائع الحكم، ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت، ومن كان في يده مفاتيح شيء مخزون، سهُل عليه الوصول إليه».

وفي هذا (الكلم) الذي أوتيه: الخيرُ كلُّه، فلذا قال: أوتي فواتح الكلام وخواتمه، أو: جوامع الخير وخواتمه، وهو كناية عن الخير كله من أوله إلى آخره. وقد قال العلامة السندي في «حاشيته على سنن النسائي» عند حديث ابن مسعود الذي تقدم تخريجه منه: «إن محمداً ﷺ عُلِّم فواتح الخير وخواتمه» قال: «فواتح الخير وخواتمه: كناية عن تمام الخير» ثم قال في الصفحة التالية تعليقاً على كلمة ابن مسعود: «علَّمنا نبي الله ﷺ جوامع الكلم» قال السندي: «أي: من جوامع الكلم للخيرات».

وكلمة ابن مسعود هذه: علَّمنا نبي الله جوامع الكلم: من الأدلة الدالة على أن محمداً ﷺ أُوتي جوامع الكلم بالمعنى الأعم: القرآنَ وغيره، فإنه هنا علَّم أمته التشهد الذي هو من جوامع الكلم. وكلام المصنف هنا يشير إلى هذا.

(١) حديث هند بن أبي هالة الطويل في صفة النبي ﷺ رواه ابن سعد في «طبقاته» ١: ٤٢٢، وفرَّقه الإمام الترمذي في عدة أبواب من كتابه «الشمائل المحمدية» أولها الحديث السابع منه، ورواه الطبراني في «معجمه الكبير» ٢٢: ١٥٥ =

بأنه الكلامُ الموجَز المفيدُ المحكَم.

وفي «مسند» الإمام أحمد ـ وأصلُه مخرَّج في الصحيح ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ لايَسْرُدُ سَرْدَكم هذا، كان يتكلَّم بكلام يُبيِّنه، فَصْلاً، يحفظُه من يسمعُه[١].

وفي قولِ عائشة رضي الله عنها «يتكلم بكلام يبيِّنه» إشارةٌ إلى إحدى حالاته ﷺ وهو أنه يُبيِّن كلامه بمعانيه، حين يتكلَّم به ويلقيه، ومن أحواله أنه كان يُسألُ عن كلامه إذا أشكلَ فيبيِّنه لسامعيه.

ومن الأول: ماأخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن هبة الله القَيْسي الصِّقِلِّي[٢] قراءتي عليه، أخبرنا أحمد بن أبي طالب البَيَاني[٣]

= (٤١٤)، وعنه أبو نعيم في «الدلائل» ٢:٦٢٧ (٥٦٥)، ورواه البيهقي في «الدلائل» أيضاً ١:٢٨٥ من أكثر من وجه، وفي «الشعب» ٢:١٥٤ (١٤٣٠) = ٤:٣١ (١٣٦٢)، ثم البغوي في «الأنوار في شمائل النبي المختار ﷺ» ١:٣٤٣ (٤٥٧) و «شرح السنة» له ١٣:٢٦٩ (٣٧٠٥)، وعياض في «الشفا» ١:١٩٨ من طريق الترمذي وغيره، وذكر كلَّ جملة منه تحت بابها المناسب ابنُ الجوزي في «الوفا» ١:٣٩١ فما بعد.

ومدار طرقه على: جُميع بن عمير ـ أو عمر ـ العجلي، وهو ضعيف، وشيخه، وشيخ شيخه مجهولان.

أو على: الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، الذي اتهمه الذهبي في «الميزان» ١:٥٢١ (١٩٤٣) بالوضع، ووافقه ابن حجر في «اللسان». وقال الهيثمي في «المجمع» ٨:٢٧٨ عن رواية الطبراني «فيه من لم يسم» مع أن فيه جُميعاً أيضاً. نعم، الحديث متداول بالقبول بين العلماء.

(١) رواه أحمد ٦:٢٥٧، والبخاري آخر حديث في باب صفة النبي ﷺ من كتاب المناقب ٦:٥٦٧(٣٥٦٨) ومسلم: كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل أبي هريرة ٤:١٩٤٠ (١٦٠) كلهم من طريق ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة.

(٢) هكذا ضبطها ياقوت، وعند السمعاني ـ وتابعه ابن خلكان ٣:٢١٥، وابن الأثير والسيوطي ـ: الصَّقَلِّي، وتقدم ص٢٠٨.

(٣) تقدم في المجلس٢١ صفحة ٢٧٣ التنبيه إلى أنه أبو العباس الصالحي =

محمد بن عمر الأصبهاني سماعاً قالا: أخبرنا عبد اللطيف بن محمد كتابةً من بغداد، أخبرنا أبو المعالي أحمد بن عبد الغني سماعاً، أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد الخياط، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن أحمد الصواف، أخبرنا بِشر بن موسى، حدثنا الحُمَيدي، حدثنا سفيان، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، أخبرني محمد بن إبراهيم التَّيْمي، أنه سمع علقمة بن وقَّاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر يُخبر ذلك عن رسول الله ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ مانوى، فمن كانتْ هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصِيبها أو امرأةٍ ينكِحها فهجرته إلى ماهاجر إليه»(١).

حديث صحيح متفق على صحته وثبوته، لكنه من الأفراد بالنسبة إلى أوائل الإسناد، ومتواتر بالنسبة إلى الأواخر، فهو من يحيى بن سعيد الأنصاري إلى عمر رضي الله عنه من الأفراد، لم يصحَّ أنه رواه عن النبي ﷺ غيرُ عمر، ولا عن عمر غيرُ علقمة، ولا عن علقمة غير التَّيْمي، ولا عن التيميِّ غيرُ الأنصاري. هذا التفرُّد في الإسناد.

وأما بقيته فهو متواتر، فقد رواه عن يحيى بن سعيد الأنصاري خلقٌ

= الحجار، نُسب إلى جدٍّ له اسمه بيان.

(١) الحديث من أشهر أحاديث النبي ﷺ إن لم يكن أشهرها، والمصنف ساقه من طريق الحميدي، وهو في «مسنده» ١٦:١ (٢٨). ويكاد لايخلو كتاب مسند من كتب السنة إلا والحديث فيه، حتى مالك في «الموطأ» وِفاقاً لابن دحية، وخلافاً للحافظ ابن حجر - رحمهما الله تعالى - في «التلخيص الحبير» ٥٥:١، انظر «الموطأ» رواية الإمام محمد بن الحسن الشيباني آخر باب النوادر، أواخر الكتاب ص٣٤١ (٩٨٣)، وهو في شرحه «التعليق الممجَّد» ٥١٣:٣ (٩٨٢)، وهو أيضاً في «البيان والتحصيل» شرح العتبية ١٨ : ٤٢٠.

بلغ بهم أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده ثلاث مئة رجلٍ وأربعين رجلاً[١].

وحكى أبو موسى المَدِيني[٢]، عن شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري أنه قال: كتبتُ هذا الحديث عن سبع مئة نَفْس من أصحاب يحيى بن سعيد ـ يعني الأنصاري ـ.

فمن الأنصاري إلينا هو متواتر، وماهذا سبيلُه في التواتر والإفراد هل يُعدّ متواتراً أو فرداً؟ هذا محل نظرٍ، والظاهر أن الحكم لأول الإسناد[٣]. والله أعلم.

---

(١) وذلك في كتابه «المستخرج من كتب الناس للتذكرة، والمستطرف من أحوال الناس للمعرفة» كما في «نصب الراية» للزيلعي ١:٣٠٢، قال: «وذكر ثلاث مئة وثلاثين رجلاً كلهم رووه عن يحيى بن سعيد، يطول ذكرهم».
وقد نقل الذهبي في «السِّيَر» ٥:٤٧٦ سَرْد ابن منده لهم، وعددتُهم فبلغوا ٣٣٦ رجلاً.

(٢) عن بعض مشايخه، عن أبي إسماعيل الأنصاري، وليس عنه مباشرة. وعلق عليه ابن حجر في «الفتح»: «قلت: وأنا أستبعد صحة هذا، فقد تتبعت طرقه من الروايات المشهورة والأجزاء المنثورة منذ طلبت الحديث إلى وقتي هذا فما قدرت على تكميل المئة». وقال في «التلخيص الحبير»: «مررت على أكثر من ثلاثة آلاف جزء، فما استطعت أن أكمل له سبعين طريقاً!». وعلى كلٍّ فإن تعداد ابن منده جاوز بكثير جداً ماوقف عليه ابن حجر، وهو أقل من نصف دعوى أبي إسماعيل الأنصاري.
ووراء هذا كله: عبرةٌ! كم فات المتأخرَ مما وصل إلى المتقدم، ولذلك كان المتقدم أشدَّ أدباً ووقوفاً عند حدِّه من المتأخر!! لكن هذا الذي فات من الطرق لامن المتون، والكلام طويل.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «شرح النخبة» ص٣٢ عند كلامه على المتواتر: «الأقل في هذا العلم يقضي على الأكثر». وجاء قوله هذا على سبيل تقرير قاعدة. فاستظهار المصنف هنا أن يحكم له بالغرابة من باب التلطف في الترجيح ـ والله أعلم ـ إذ الواقع أنه غريب فرد.

وأما القسم الثاني من الأحاديث النبوية فمنه: ماأنبأنا الحافظ أبو بكر محمد بن عبدالله ابن المحبِّ، أخبرتْنا زينب ابنة أحمد الكماليّة بقراءتي عليها في يوم الخميس التاسع والعشرين من ذي الحِجة سنة ست وثلاثين وسبع مئة، أخبرنا يوسف بن خليل الحافظ إجازةً، أخبرنا أبو محمود أسعد بن أحمد بن حامد الثقفيُّ وأبو سعيد خليل بن أبي الرجاء الراراني وأبو المحاسن محمد بن الحسن التاجر سماعاً قالوا: أخبرنا أبو الفضل جعفر بن عبدالواحد، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبدالرحيم قال: قُرِىء على أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حَيَّان في سنة ثمان وستين وثلاث مئة فأقرَّ به وأنا أسمع، حدثنا أحمد ابن عبدان بن سِنان، حدثنا إسماعيل بن مسعود، حدثنا أحمد بن المِنْهال السَّرْخَسي قال:

مَرّ بخارجةَ بن مُصعب رجلٌ ممن يطلب الأشعار، فدعاه خارجةُ فقال له: لمَ لاتطلب الحديث؟ قال: أُمِرتُ بطلب الغريب، قال: إن في الحديث من الغريب أكثرَ مما في الأشعار، هاتِ أغربَ ما عندك.

فقال: رأيت الهُبْنُقَ ذا اللَّعْوتين، غَدَا كالعَمَلَّس، في حِضْنه رؤوس العُنَاظِب كالعُنْجُد.

فقال خارجة: أما قولك: رأيت الهُبْنُق: فالهُبْنُق الغلام المدرك قبل أن تخرج لحيته.

ذا اللَّعوتين: يعني الكَلْبتين.

العَمَلَّس: الذئب.

في حِضنه رؤوس العُنَاظِب: الجرادِ الذكَر.

كالعُنْجُد: الزبيب.

فقال خارجة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس على النَّخَّة والكُسْعة والجَبْهَة صدقة» فما هو؟ فلم يعرفها. فقال: إن الكُسْعة جماعة

العجاجيل من البقر. والنَّخَّة: جماعة الحمير. والجبهة: جماعة الخيل[١].

ومن الباب: ماأنبأنا أبو هريرة عبد الرحمن بن محمد ابن الذهبي وآخرون، عن علي بن محمود بن عبد اللطيف السُّلمي، أخبرنا أبو الخطاب عمر بن الحسن الحافظ كتابةً، أخبرنا أبو القاسم خلف بن عبد الملك القاضي إذناً، أخبرنا يونس بن محمد بن مُغِيث، عن جدِّه مُغِيث بن محمد، عن جده يونس بن عبد الله قال: حدثنا عباس بن عمرو الصِّقِلِّي الوراق، عن ثابت بن قاسم بن ثابت، عن جدِّه ثابت بن قاسم[٢]، حدثنا علي بن عَبْدَك، حدثنا العباس بن عيسى، حدثنا يعقوب

---

(١) القصة يرويها المصنف من طريق أبي الشيخ ابن حيان، كما هو واضح من سياق السند، ولم يتيسَّر لي الوقوف عليها في مصدر آخر، والحديث الذي ذكره خارجة آخر القصة رواه بهذه الكلمات الثلاثة ـ النخة، والكسعة، والجبهة ـ البيهقي في «سننه» ٤: ١١٨ من حديث أبي هريرة، وعبد الرحمن ابن سمرة، وضعَّف الطريقين. ثم أشار إلى رواية أبي داود له في «المراسيل» (١١٤) بإسناد صحيح إلى كثير بن زياد، عن الحسن البصري مرسلاً.
ثم ذكر أن أبا عبيد رواه في «غريب الحديث» ١: ٧ بإسناده إلى كثير بن زياد هذا، ورفعه، ولم يذكر الحسن، كما رواه من وجه آخر فيه جويبر، عن الضحاك، وجويبر ضعيف جداً.
وقد روى لفظ «.. ولافي الجبهة صدقة» فقط: ابنُ حبان في «المجروحين» ١: ٣٧٥، والدارقطني في «سننه» ٢: ٩٤ (١) ـ ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢: ٤٩٨ ـ وفي السند أكثر من راو ضعيف.
وتجد بعض اختلاف في تفسير هذه الكلمات عما ذكره خارجة بن مصعب.

(٢) هذا هو ثابت بن قاسم السَّرَقُسْطي الإمام في الحديث واللغة، وكتابه «الدلائل» في غريب الحديث مشهور مفقود إلا قطعة منه، وهذا الحديث منه، وهو في «تاريخ جرجان» ص١٨٨ ترجمة (٢٥٥) لكن من طريق محمد بن يعقوب بن عبد الوهاب الزبيري، عن محمد بن عبد الرحمن. وعزاه إلى السرقسطيِّ السخاويُّ في «المقاصد الحسنة» ص٢٩ (٤٥) وقال عن إسناده: «واهٍ». =

ابن عبد الوهاب الزُّبيري، حدثني محمد بن عبد الرحمن الزهري، عن أبيه، عن جده قال: قال رجل من بني سُلَيم للنبي ﷺ: يارسول الله الرجلُ يُدالِك أهله؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «نعم إذا كان مُلْفَجاً» قال: فقال له أبو بكر رضي الله عنه: يارسول الله ما قال لك وما قلتَ له؟ قال: «قال لي: الرجلُ يُماطِل أهلَه ؟ قال: فقلت: نعم إذا كان مُفْلِساً»، قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: يارسول الله طِفْتُ في العرب وسمعتُ فصحاءَهم فما سمعت أفصح منك! فمَنْ أدَّبك ؟ قال: «أدَّبني ربِّي، ونشأتُ في بني سعد».

وجاءت هذه اللفظة «أدبني ربي» في حديث طِهْفة بن أبي زُهير النَّهْدي، ويقال طُهَية، ويقال ابن زهير، الذي رُوي من طَريقٍ عن عمران ابن حُصَين رضي الله عنهما[1] قال: لما قدمتْ وفودُ العرب على النبي

= وكذلك ضعَّفوا الشاهد من الحديث ـ أدَّبني ربي ـ وصححوا معناه، قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع فتاويه» ١٨: ٣٧٥: «المعنى صحيح، لكن لايعرف له إسناد ثابت»، وتبعه الزركشي في كتابه «التذكرة» ص١٦٠، وإن قال السيوطي في «الدرر المنتثرة» ص٣١ (٨): «صححه أبو الفضل ابن ناصر»! يريد: ابن ناصر السَّلامي شيخ ابن الجوزي، لا ابن ناصر الدين الدمشقي المصنف.

وروى صدرَ الحديث موقوفاً على الحسن البصري أبو سعيد السيرافي في «أخبار النحْويين البصريين» ص٩٠ بسنده إلى أبي زيد الأنصاري «أنه قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد أيُدالك الرجل امرأتَه! قال: لابأس إذا كان مُلْفَجاً» ثم فسَّر الملفَج بالمفلس، والمدالكة بالمماطلة. وقد علَّقه أبو عبيد في «غريب الحديث» ٤: ٤٥٩ على الحسن كذلك. والملفَج ـبفتح الفاءـ قال في «القاموس» عن هذا الضبط: نادر.

(١) انظر الحديث بطوله في «شرح المواهب» ٤: ١٦٢ ومابعدها، وأما رواية علي رضي الله عنه، المشار إليها بعد قليل، فهي في «العلل المتناهية» ١: ١٨٤ (٢٨٤) و «الوفا بأحوال المصطفى ﷺ» ٢: ٤٨٩ طبعة الدكتور مصطفى عبد الواحد، أو صفحة ٧٦٧ طبعة دار الكتب العلمية. والحديث لايصح، فيه =

ﷺ قام طِهْفة بن أبي زهير النَّهْدي فقال: أتيناك يارسول الله من غَوْرَيْ تِهامة، على أكوار المَـيْـس، تَرْتَمي بنا العِيس. . الحديثَ بطوله، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «اللهم بارِكْ لهم في مَحْضِها ومَخْضِها ومَذْقها وفِرْقها، وابعثْ راعيَها في الدَّثْر، بيانع الثمر، وافجُرْ لهم الثَّمْـد، وبارك لهم في المال والولد»[١].

وفي الحديث: فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يارسول الله نراك تُكَلِّم وفود العرب بما لانفهمُ أكثرَه ونحن بنو أبٍ واحد؟! فقال: «أدَّبني ربي فأحسن تأديـبي ورُبِّيت في بني سعد».

وقال أبو محمد عبد الله بن محمد البَلَوي: حدثني عُمارة بن زيد الأنصاري، من الأوس من ساكني تَيماء، حدثني إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، حدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن زبَّان بن قَسْوَر الكُلَفِي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو نازل بوادي الشَّوْحط[٢]، ومعه رجل دونه في هَدْيه وسَمْته، إذا كلَّم رجلٌ رسول الله ﷺ فأطال: أومأ إليه أنِ اقتصدْ، وإذا كلَّم رسولُ الله ﷺ رجلاً، سمَّعه وفهَّمه قولَ النبي ﷺ، فقلتُ لبعض أصحابه: من هذا؟ قالوا: هذا صاحبه الأخصُّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فكلَّمت رسول الله ﷺ فقلت: إن لُوباً ـ يعني نَحْلاً ـ كان في عَيْلَم له

= ضعفاء ومجهولون ومتهم.

(١) الأكوار: الرِّحال، جمع كَوْر. المَيْس: شجر صُلب يعمل منه أكوار الإبل. المَحْض: اللبن الخالص. والمَخْض: اللبن الذي أُخِذ زُبده. والمذق: اللبن المخلوط بالماء. والفِرْق: مكيال يكال به اللبن. والدثر: الأرض المخصِبة. الثَّمْـد: الماء القليل. انظر المصادر الثلاثة السابقة إلا «الفِرق» فمن «النهاية».

(٢) الشَّوْحط: قال في «النهاية»: «ضرب من شجر الجبال تتخذ منه القِسِيّ، والواو زائدة» فالشوحط هنا صفة للوادي وليس اسماً له ليبحث عنه في «معجم البلدان» ونحوه! والضبط من قلم المصنف.

طِرْم وشَرِو، فجاء رجل فضرب ميتين فأنتج حياً وكفَّنه بالثُّمام، فَنُحِس، فطار اللُّوب هارباً، ودلّى مِشْواره في العَيْلم، فاشتار العسلَ فمضى به، فقال رسول الله ﷺ: «ملعون ملعون من سرق شِرْوَ قوم فأضرَّ بهم، أفلا تَبِعتُم أثَره، وعرفتم خبره؟!» قال: قلت: يارسول الله إنه دخل في قوم لهم مَنَعة، وهم جيرتنا من هُذَيل ! فقال النبي ﷺ: «صَبْرَك صَبْرَك تَرِدْ نهر الجنة، وإن سَعَته كما بين اللَّقِيقة والسَّحِيقة، يَتَسَبْسَبُ جَرْياً بعسلٍ صافٍ ماتقيَّأه لُوبٌ ولامَجَّه نُوب»[1].

الكُلَفي هذا مختلَف في اسمه، فقيل زبّار ـ بالزاي المفتوحة ثم موحدة مشددة وبعد الألف راء ـ وقيل كذلك لكن آخره نون، وبه جزم الدارقطني، وقال عن حديثه: منكر الإسناد[2]، ثم قال: حدثنا الحسن ابن رَشِيق بمصر، حدثنا أحمد ابن محمد بن يحيى بن جرير الهَمْداني، حدثني أبو محمد عبدالله بن محمد البَلَوي، فذكره بطوله.

تابعه أبو القاسم يحيى بن علي بن محمد الحضرمي الحافظ، فرواه عن الحسن بن رَشيق لكنه قال: زبار ـ بالراء ـ كما قاله عبد الغني بن

---

(١) اللوب: النحل العِطاش. والعيلم : البئر الكثيرة الماء. والطرم: الشَّهْد. والشِّرْو: العسل. الثمام: نبت ضعيف يستعمل لسدِّ ثقوب البيت. فنُحِس: هكذا بقلم المصنف وضبطه. المِشوار: آلة جني العسل. اشتار العسل: جَنَاه. اللقيقة والسحيقة: هكذا بقلم المصنف وضبطه أيضاً والظاهر أنهما اسما مكانٍ. يتسبسب: يجري. والنوب: النحل ـ أي: مطلقاً، أما اللوب فالعطاش منه ـ.

وقوله: «ماتقيأه لوب ولامجّه نوب» يُذكِّر بقول القائل:

تقول: هذا مُجاج النحل تمدحه، وإن تَشَأ قلتَ: ذا قيءُ الزنابير!
مدحاً وذماً وماجاوزتَ وصفهما والحقُّ قد يعتريه سوءُ تعبير

(٢) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني ٢: ١٠٨٤. وكلمة «منكر» هنا تعني الاختلاق، بقرينة ماسيأتي، لاأنه مخالفة الضعيف للقوي كما يبدو من كلام المصنف!.

سعيد المصري[١]، وهو ابن قَشور وقيل ابن قيسور، ذكره في الصحابة أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني في كتابه «التتمة لكتاب المعرفة» تأليف أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده فاستدركه عليه، واختصر حديثه هذا.

وهذا الحديث وإن كان إسناده منكراً ففصاحة النبي ﷺ لاتُنكَر، وبلاغة قوله لاتُجهل، وحِكَم أحاديثه لاتحصى، ومعاني جوامع كَلِمه لاتستقصى، مع التأييد الإلهي، والمدد الرباني، والعصمة التي ذكرت في القرآن تصريحاً، فقال تعالى: ﴿وما يَنطِق عن الهوى * إن هو إلا وحيٌ يُوحَى﴾. فهذا[٢] وأمثاله من الأخبار، مما يدلُّ[٢] على بلاغة نبينا المختار، الذي مايَنطِق عن الهوى ﷺ وشرَّف وكرَّم وعظَّم. وقلت في معنى ذلك:

بلاغةُ القول من المصطفى   في كلِّ فنّ نورها يُشرقُ
مقالُه فصلٌ ومن فضله   عن الهوى نُزِّه ما يَنطِقُ
فما أتى فيما مضى مثلُه   كلا ولايأتي ولا يُخلَقُ
صلاةُ ربي زاكياً نَشْرُها   عليه يُطوى فائحاً يَعبَقُ

---

(١) في «المؤتلف والمختلف» ص٦٠، وقال عن الحديث: «موضوع لايعرف إلا من حديث عبد الله بن محمد البلوي، وهو كذاب» وقد نقل الذهبي في «الميزان» ٢: ٤٩١ (٤٥٥٨) عن الدارقطني نفسه أنه قال في البلوي «يضع الحديث»، وكذَّبه أيضاً ابن الجوزي في «العلل المتناهية» آخر كلامه على حديث علي رضي الله عنه السابق، لأنه من رواية البلوي أيضاً. وقال الحافظ في «اللسان» ٣: ٣٣٨: «هو صاحب رحلة الشافعي طوَّلها ونمَّقها، وغالب ما أورده فيها مختلق».

(٢) إن كان يريد الاستدلال بالحديث فقط: ففي التعبير بـ «يدل» تجوُّز لايخفى، إذ كيف يستدل بخبر موضوع!! وإن كان يريد الاستدلال بما أشار إليه مع الحديث: فنعم.

وتـشملُ الآلَ وأصحابَه ومن بهم في هديهم يُلْحَقُ

آخر الإملاء ولله الحمد حمداً كثيراً
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً دائماً

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

-١٩-

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران - آية ١٦٤].

أخبر الله تعالى بما منَّ به وتفضَّل، وتكرَّم به على عباده المؤمنين وتطوَّل، وأكَّد الإخبار باللام، تأكيداً لشأن هذا الإعلام، فقال تعالى: ﴿لقد منّ الله﴾.

ومعنى ﴿منّ﴾ - والله أعلم بما أراد - أي: أحسن وأنعم، والمنان - في أحد معنيَيْه - الذي يبدأُ بالنَّوال قبل السؤال، ويجود بالعطاء قبل الدعاء.

والمؤمنون: هذه الأمة، في قولٍ. والرسول: هو بلا خلاف نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

خرَّج أبو بكر بن مَرْدُوْيَهْ في «تفسيره» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ قال: وكنتم أنتم المؤمنون[1]، وكان محمد ﷺ هو الرسول إليكم.

---

(١) وضع المصنف رحمه الله فوقها ضبة (صـ) إشعاراً بأنها كذلك نُقلت، وأن فيها وقفة، وهو كذلك، إذ الأصح الأفصح أن يقال: المؤمنين، على أنها خبر كان، وبه ورد القرآن الكريم كثيراً، كقوله عز وجل: ﴿.. كنت أنت الرقيب عليهم﴾ و﴿إن تَرَنِ أنا أقلَّ منك مالاً وولداً﴾ ويجوز جعل الضمير (أنتم) مبتدأ آخر، والمؤمنون خبره، والجملة خبر كان. ومعلوم أن مالايحتاج إلى تقدير أولى من الوجه الذي يحتاج إلى تقدير. وانظر ص٤٥٢.

وخرج أيضاً عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ قالت: من العرب[١].

وحكى الإمام الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن بعضهم أن لفظ الآية عامٌّ ومعناها خاصٌّ في العرب، لأنه ليس حيٌّ من أحياء العرب إلا وقد وَلَدَه ﷺ ولهم فيه نسبٌ إلا بني تَغْلِب، فإن الله سبحانه طهَّره منهم، لما فيهم من دَنَس النصرانية، إذْ ثبتوا عليها، وبيانُ هذا التأويل قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾.

وقال الآخرون: أراد به المؤمنين كلَّهم. ومعنى قوله: ﴿من أنفسهم﴾: بالإيمان والشفقة لا بالنسب، كما يقول القائل: أنت نفسي، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾. قاله الثعلبي في «تفسيره».

وقوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياتِه﴾ يتلو من التِّلاوة ـ بكسر المثناة فوق وضمِّها، لغتان ـ وهي: إتْباع بعضِ القرآن بعضَه قراءةً، والآياتُ هنا فسِّرت بالقرآن.

ومعنى ﴿يزكيهم﴾: يصلحهم فيصيرون صالحين متقين. ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ يعني القرآن، ﴿والحكمة﴾ يعني السنة، كما تقدم القول في المجلس الأول[٢] عن مجاهد عن ابن عباس، وحكاه الشافعي عن من يرضى من أهل العلم: أن ﴿الحكمة﴾ السنة.

والسنة: هي أقوالُ النبي ﷺ وأفعالُه وتقريرُه على أمرٍ اطَّلع عليه، وزِيدَ على ذلك: ماإذا سَلم من الاعتراض.

وقوله تعالى: ﴿وإنْ كانوا﴾ أي المؤمنون الذين منَّ الله عليهم ﴿من

---

(١) ورواه عنها البيهقي في «شعب الإيمان» ٢:٢٣٢ (١٦١٥) = ٤:٢٤٦ (١٥٠١)، و «مناقب الشافعي» له ١:٣٢.

(٢) أي: السابق، انظر ص٢٩٣، وليس في المجلس الأول ترتيباً وواقعاً شيء.

قبلُ﴾ أي: من قبلِ أن يَبعثَ رسولَه محمداً ﷺ ﴿لفي ضلالٍ﴾ الضلال: ضدُّ الرشاد والهدى، وقوله ﴿مبين﴾ أي بيِّن ظاهر، حتى إن كثيراً من المشركين قبل البِعْثة كانوا يعلَمون أنهم ليسوا على شيء.

فأيُّ منّةٍ أعظمُ من منّة الله علينا، ببعثة نبيِّ الرحمة إلينا، ومجيئِه بالقرآن المعظَّم، وتشريعِه الأحكام به وبسنته ﷺ.

وهذا من بعض أنواع الرحمة التي رَحِم الله بها هذه الأمة. قال الله عز وجل: ﴿ورحمتي وسعتْ كلَّ شيء، فسأكتبها للذين يتَّقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتَّبعون الرسولَ النبيَّ الأميَّ الذي يجدونَه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويُحِلُّ لهم الطيباتِ، ويحرِّم عليهم الخبائثَ، ويضعُ عنهم إصْرهم والأغلال التي كانتْ عليهم، فالذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النورَ الذي أُنزلَ معه، أولئك هم المفلحون﴾.

١ـ وهذا أحدُ وجوه شكر النعم.

٢ـ ومن وجوهه: الثناءُ على الله تعالى وحمدُه باللسان، جمعاً بين الاعتقاد بالجَنان والنطق بالسان.

٣ـ ومنها: لزوم طاعة المنعِم سبحانه، والكفُّ عما نهى عنه، لأنه لامقابلة للنعم إلا بتعظيم المنعم، ولايحصُل تعظيم العبد له إلا بطاعته فيما أمر ونهى.

٤ـ ومنها: الخوفُ من زوال النِّعَم بمعصية المنعِم، والسعيُ في الأسباب التي تُدِيمها.

٥ـ ومنها: الشكر بالفعل بعد الشكر بالقول، كالإنفاق في سبيل الله ووجوه البر.

٦ـ ومن وجوه الشكر للنعم: تركُ الأشَرِ والبَطَرِ والتفاخرِ بها والتكاثر والتكبُّر.

٧- ومنها: التحديث بها لاعلى وجه الزُّهُوِّ والافتخار، بل إظهاراً لنعمة الله عليه، وثناءً على المنعِم سبحانه بفضله وماساقه إليه.

٨- نَعَم، وفي ذكر نِعَم الله: الاستدلالُ بها على وجوده وعلمه وحكمته ووحدانيته، كما أُشير إليه في هذه الآية الشريفة بذِكْر هذه النعمة العظيمة التي هي أجلُّ أمهات النعم الستِّ التي رويناها عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: النعمُ ستٌّ: أولُها: الإسلام، والثاني: القرآن كلام الله، والثالث: محمد رسول الله، والرابعة: السَّتر، والخامسة: العافية، والسادسة: الغنى عن الناس.

وقد تقدم[1] ذكر هذا الأثر وأبياتي التي نظمتها في معناه:

نعـمُ الله لهـا مَـدَدٌ إنْ رمتَ الحصْر فلن تجدا

فيهـا نعـمٌ أمّـاتٌ لـها رويتُ أثـراً ستاً عددا[2]

منها الإسلامُ، كذا القرآ ن كلام الله اعْظِم رَشَداً

ورسـولُ الله فبـعثـتـه جلّت وحَلَتْ عيشاً رغداً

والسَّـتر لنـا خاصـاً وكـذا في عافية دِيناً جسداً

والاسـتغنـاء بخـالقنـا فالحمدُ له حقاً أبداً

ولم يذكر فيما مضى أن النِّعم كلَّها اجتمعتْ لهذه الأمة من نعمة واحدة من الستِّ، وهي نعمة الله علينا ببعثة هذا الرسول ﷺ، الذي قال الله عز وجل مذكِّراً ذلك: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

---

(١) لم أر شيئاً فيما بقي وحُفظ من هذه المجالس. وانظر المقدمة ص٨.

(٢) «أمّات لها»: أي أمهات وأصول، قال في «المصباح المنير»: «كثُر في الناس - أي العقلاء -: أمهات، وفي غير الناس: أُمّات». فاستعمال أمهات لغير العقلاء قليل، وليس خطأً.

١ـ أما نعمة الإسلام: فقد حصلتْ بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فلولاه ماكنا مسلمين، ولاعلِمنا شرائعَ الدين ولاوجوهَ الأحكام.

٢ـ وكذلك نعمة الله بالقرآن.

٣ـ ونعمته بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام. وهذه الثلاثُ مذكوراتٌ في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ أثبتَ لهم الإسلام. ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ دخلت في هذا نعمته سبحانه بمحمد ﷺ. ﴿من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾ فدخلت نعمة الله بالقرآن.

٤ـ وأما نعمته بالسَّتر قد حصلتْ أيضاً بمحمد ﷺ، عاماً وخاصاً، دنيا وآخرة، فمن العموم[1]: أن الله تعالى جعل هذه الأمة آخر الأمم، فلا أمةَ بعدها تقفُ على ذنوبِ بعضِ هذه الأمة، ولاعلى انتقام الله عاجلاً من بعضِ مَن استحق العقوبة منهم، وأيُّ سَترٍ أعظمُ من هذا لهذه الأمة بين الأمم؟!.

ومن السَّتر الخاصِّ: دَرْء الحدود بالشبهات، وجَرَيان الشريعة على الظاهر. قال الله عز وجل: ﴿وعلى المولود له رِزْقُهن وكِسْوتُهن بالمعروف﴾ ولم يقل: وعلى الآباء، لأن المولودَ له صادقٌ على الآباء وعلى من ولد على فراشه ولم يكن منه جاهلاً ذلك، فيعطَى حكمَ الولد للصُّلب فلهذا ـ والله أعلم ـ عَدَل عن ذكر الآباء إلى قوله تعالى: ﴿وعلى المولود له﴾ لأن الدِّين مبنيٌّ على الظاهر، والله يتولَّى السرائر، وقد قال النبي ﷺ: «الولد للفراش»[2].

---

(١) أي: من الستر العام.

(٢) هذا معنى دقيق طريف مستنبط من الآية الكريمة، وهو من نوادر هذا الكتاب، ولم أره بهذا الوضوح والتقرير والربط بين الآية والحديث عند من رجعت إلى تفاسيرهم، إلا أن للإمام الفخر الرازي رحمه الله كلاماً قد يكون المصنف استفاده منه وزاد عليه، فينظر منه ٦: ١٢٨. =

والأحاديثُ في الأمر بالسَّتر على عورات المؤمنين كثيرةٌ، كقوله ﷺ: «ومَنْ سَتَر مسلماً ستره الله»[1] الحديثَ، فبالنبي ﷺ حصلتْ نعمة الله بالستر.

٥ـ وأما نعمة الله بالعافية: فقد حصلت لهذه الأمة:

ـ منها: أنهم عُوفوا مما أصاب قبلهم من الأمم.

ـ ومنها: أن الله لايُهْلِكُهم بسَنَةٍ عامة.

ـ ومنها: أن الله لايسلِّط عليهم عدواً من غيرهم فيستبيحَ بَيْضَتهم[2]. إلى غير ذلك مما عوفوا به.

وربما تُستَنبط عافية الأمة بوجود النبي ﷺ فيهم من قوله تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ ولم يقل منهم، كما صرَّح في الآية الأخرى ﴿وماكان الله لِيُعَذِّبَهم وأنتَ فيهم﴾.

قال النبي ﷺ بعد أن أنزل الله تعالى عليه ﴿وماكان الله لِيُعذبَهم وأنت

= أما تخريج الحديث، فهو في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: البخاري ١٢: ١٢٧ (٦٨١٨)، ومسلم ٢: ١٠٨١ (٣٧)، ورواه صحابة آخرون، حتى عدوه في المتواتر، انظر «لقط اللآلى المتناثرة» للزبيدي ص٢٠٢، و «نظم المتناثر» للسيد الكتاني ص ١٠٥.

(١) الحديث جزء من الحديث المشهور: «المسلم أخو المسلم، لايظلمه ولايُسلمه..»، وهو في صحيح البخاري ٥: ٩٧ (٢٤٤٢)، ومسلم ٤: ١٩٩٦ (٥٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما. وبمعناه عند مسلم أيضاً ٤: ٢٠٠٢، ٢٠٧٤ (٣٨،٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هذا والذي قبله مستفاد من الحديث الذي رواه مسلم في كتاب الفتن ٤: ٢٢١٥ (١٩، ٢٠) عن ثوبان مرفوعاً: «إن الله زَوَى لي الأرض.. وإني سألت ربي لأمتي أن لايهلكها بسنة عامة، وأن لايسلِّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم..» والبيضة: موضع السلطان ومركز الدعوة. وانظر شرح الحديث في «الأحاديث القدسية» التي جمعتها وشرحتها ص١٣١.

فيهم، وماكان الله مُعَذِّبَهم وهم يستغفرون﴾ قال: «قد أنزل الله عليَّ أمانَيْنِ لأمتي: ﴿وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وماكان الله معذِّبَهم وهم يستغفرون﴾ فإذا مضيتُ تركتُ فيكم الاستغفار»[١] إلى غير ذلك من صنوف العافية حساً ومعنى، وكلُّ ذلك حصل ببعثة هذا الرسول ﷺ.

٦ـ وأما الغنى عن الناس: فقد حصل للأمة عاماً وخاصاً.

ـ فمن العموم: ماأحلَّه الله لهم من الغنائم التي حُرِّمت على مَن كان قبلهم، وماأُبيح لهم مما حُظر على غيرهم، وماساقه الله إليهم من الفتوحات والغنائم على يَدَي النبي ﷺ وأصحابه ومَن بعدهم من المقاتلين، لتكون كلمة الله هي العليا.

ومنها: ماشَرَع لهم من المكاسب ووجوه التجارات وأصناف الزراعات، وأنواع الأسباب في الأرض، وإرفاق بعضهم ببعض.

ـ ومن الخصوص: مافرضه الله من الزَّكَوات في أموال الأغنياء لمن كان محتاجاً إليها من الأصناف المباحة لهم أخذُ الزكاة، فأغناهم الله بذلك حتى قيل[٢]: لو أُخرِجت الزكاة كما شُرِعت وصَدَق آخِذوها لم

---

(١) رواه الترمذي في تفسير سورة الأنفال ٥:٢٥٢ (٣٠٨٢) عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً وضعَّفه، ـ وأوله: أنزل الله عليَّ. . ـ وورد موقوفاً على بعض الصحابة، انظر «إتحاف السادة المتقين» ٨:٦٠٥. والحديث وإن كان ضعيفاً ـ لكنه يلفت إلى معنى صحيح في الآية الكريمة، ففيها أمانان لنا، وإن كنا لانجزم بنسبة هذا القول إلى النبي ﷺ.

(٢) رُوي مرفوعاً بإسناد لابأس به، وموقوفاً على علي رضي الله عنه: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يَسَعُ فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعَرُوا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً، ويعذبهم عذاباً أليماً». انظر «الترغيب» للمنذري ١:٥٣٨، و «مجمع الزوائد» ٣:٦٢.

يوجَدْ فقير ولا مسكين.

ومنها: ماجعله الله في قلوب خيار أمته من الغنى والرضى والاستغناء بالله عز وجل عمن سواه، حسبما دلَّهم النبي ﷺ وأرشدهم إليه بقوله ﷺ في أحاديثَ منها: «ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، ولكنِ الغِنَى غنى النفس»[١]. ومنها: «ومن يَستعففْ يُعِفَّه الله، ومن يَسْتغنِ يُغْنِه الله»[٢].

فقد حصلتْ للأمة نعمة الغنى حساً ومعنىً بالنبي ﷺ، فجميع الخلق مغمورون بهذه النعمة العظيمة التي ذكَّرنا الله تعالى إياها بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ الآية.

وفي التذكير بالنعم الاستدلالُ على الله عز وجل، كما تقدم، فَبِها يُستدل على وجوده سبحانه، لأنا إذا أنعمنا النظر في بعض نِعَم الله - ومنها ما أشير إليه في هذه الآية ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ - ظهر لنا الدليل القطعي الذي لاريبَ فيه، وقام البرهانُ الجليُّ الذي لاشك يعتريه، بوجود المنعِم، وهو الله سبحانه، وأنه قادر فمن قدرته حصولُ ماأنعم به وتفضَّل، ووصولُ مامنَّ به وتطوَّل.

وفي إيصال النعم إلى أربابها والأرزاق، وماقدَّره الله تعالى من العطاء والإرفاق: إشارةٌ إلى أن الله عز وجل قد أحاط بكل شيء علماً، فأوصل

---

(١) رواه البخاري في الرقاق - باب الغنى غنى النفس ١١: ٢٧١ (٦٤٤٦)، ومسلم في الزكاة - باب ليس الغنى عن كثرة العرض ٢: ٧٢٦ (١٢٠) وغيرهما، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) هذه جملة من حديث، رويت عن ثلاثة من الصحابة: أبي سعيد الخدري رواه عنه البخاري في الزكاة - باب الاستعفاف عن المسألة ٣: ٣٣٥ (١٤٦٩)، وأعاده في الرقاق - باب الصبر عن محارم الله ١١: ٣٠٣ (٦٤٧٠)، ومسلم في الزكاة - باب فضل التعفف والصبر ٢: ٧٢٩ (١٢٤). وحكيم بن حزام وأبي هريرة، رواه عنهما - البخاري في الزكاة - باب لاصدقة إلا عن ظهر غنى ٣: ٢٩٥ (١٤٢٧، ١٤٢٨).

من نعمه إلى كل حيّ قِسْماً، وفي ترتيب الأرزاق والنعم، وتقديرها بين الأمم: دلالةٌ على حكمة الله فيما قَسَم.

وفي تصرُّف الله في مخلوقاته وتدبيره أمرَ مكوَّناته أعظمُ دليل على أنه سبحانه واحدٌ لاشريك له ولاعَدِيل، وفردٌ لاثانيَ له ولاشبيه ولامثيل.

فنعم الله دالة على وجوده، وقدرته، وعلمه، وحكمته، ووحدانيته، وهذا من بعض أسرار الذكْر الحكيم المستنبط دليلاً من قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

وهذا الرسول قد تقدم أنه نبينا محمد ﷺ، الذي أرسله الله للعالمين رحمة، وأتم به على المؤمنين النعمة، وجعله نبي الرحمة والمراحم، وهو الذي أَمَر أمتَه المرحومةَ بالتعاطف والتراحم، في أحاديثَ مسنَدةٍ مرضية، ومنها الحديث المسلسل بالأولية، الذي رَوَيناه فيما تقدَّم من اثنتيْ عَشْرةَ طريقاً إلى النبي ﷺ، وهذه طريقٌ ثالثةَ عشْرة.

أخبرنا الشيخ المسند الكبير المحدِّث الأصيل، شهاب الدين أبو هريرة عبد الرحمن ابن الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله ابن الذهبي بقراءتي عليه بكَفْر بَطْنا، وهو أول حديث سمعته منه يومئذ بمنزله، أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد ابن محمد أبي نصر الفارسي، أنبأنا الإمام شيخ الإسلام شهاب الدين أبو عبد الله وأبو نصر عُمر بن محمد بن عبد الله السُّهْرَوَرْدي.

وأخبرنا أبو المعالي عبد الله بن المسند أبي إسحاق السَّنْجاري بقراءتي عليه، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو الثناء محمود بن خليفة العَقِيلي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن أبي القاسم عبد الله بن عمر المصري، وهو أول حديث سمعته منه.

وأنبأنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المقدسي، عن أبي عبد الله محمد ابن أبي القاسم المذكور قال: أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام شهاب الدين أبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله السُّهْروردي، وهو

أول حديث سمعته منه، أخبرنا الإمام عمِّي شيخُ الإسلام ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عَمُّويَه عبدِ الله، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحّامي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش الزِّيادي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد ابن محمد بن بلال، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن ابن بشر بن الحكم العبدي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان ابن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

الكلام على هذا الحديث من وجوه ترجع إلى أمرين، أحدهما يتعلق بالسند، والثاني بالمتن.

فالأول: السند ـ ويقال الإسناد ـ هذا مذهب الجمهور أنه لافرق بينهما ، وقيل: السندُ الإخبارُ عن طريق المتن. والإسناد: رفع الحديث إلى قائله.

وأصل السند في اللغة: الارتفاع، وغالب أنواع علوم الحديث تتعلق بالسند الذي تفرَّدت به هذه الأمة الشريفة، فهو من خصائصها، وهو من دين الإسلام، كما:

أخبرنا عدَّة من الشيوخ منهم البهاء أبو محمد رسلان بن أحمد الطرائفي قال: أخبرنا عمر بن محمد بن عمر الفارسي في آخرين قالوا: أخبرنا إبراهيم بن عمر، أخبرنا منصور بن عبد المنعم، أخبرنا محمد بن الفضل، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، أخبرنا

إبراهيم بن محمد، حدثنا مسلم قال[1]: وحدثني محمد بن عبد الله بن قُهْزَاذَ من أهل مرو، سمعت عبدان بن عثمان يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء.

تابعه أبو الموجه محمد بن عمرو[2] قال: حدثنا عبدان قال: سمعت عبد الله بن المبارك رحمه الله، فذكره.

ورواه علي بن الحسن بن شقيق[3]، سمعت عبدالله بن المبارك يقول: الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال الناس ماشاؤا.

فمن فوائد سند الحديث أنه يدخل في أنواعٍ من علوم الحديث:

١ـ منها الصحيح، لأن الترمذي صححه في «جامعه»[4] لكنه في آخر مراتب الصحيح التي هي أعلى مراتب الحسن، وإسناده كلُّهم ثقات وهم من رجال الصحيح غير أبي قابوسَ، وقد قصُرت درجته عن ثقات

---

(١) في مقدمة «صحيحه» ١:١٥، ورواها غيره، وانظر كتاب شيخنا العلامة المدقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله تعالى «الإسناد من الدين» وخاصة ص٥٢ فما بعدها، ومنه استفدت ما يأتي في التعليقتين التاليتين.

(٢) عند الحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص٦، والخطيب في «الكفاية» ص٣٩٣، و «شرف أصحاب الحديث» ص٤١، ولابن قُهْزاذ متابعون آخرون غير أبي الموجِّه، منهم محمد بن علي بن الحسن بن دينار، عند الترمذي في «العلل» آخر «السنن» ٥:٦٩٥، والخطيب في «الجامع» ٢:٣١٦ ـ طبعة الدكتور عجاج الخطيب ـ ومحمد بن عبد العزيز بن أبي رِزْمة عند ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ١:١٦، والحسين بن الفرج، عند ابن حبان في «المجروحين» ١:٢٦، والحسين بن الحسن المروزي، عند ابن عبدالبر في «التمهيد» ١:٥٦.

(٣) كما في «الجرح والتعديل» ١:١٦، و«المحدِّث الفاصل» ص٢٠٩.

(٤) تقدم أن الترمذي قال عنه: حسن صحيح، وهذا القول منه ـ أحياناً، لادائماً ـ دون قوله: صحيح. ولبيان المسألةِ مكانٌ غير هذا، ويمكن مراجعة ذلك في كتب علوم الحديث المطوَّلة، مثل «التدريب» وغيره.

الصحيح وارتفعت عن مرتبة الضعفاء، لكونه وثِّق فحسُن حديثه لذلك، وبهذا يدخل أيضاً في نوع الحسن.

٢ـ ومما يدخل فيه أيضاً من الأنواع: الأفرادُ، لتفرُّد سفيانَ به عن شيخه عمرو، وتفرُّد عمرو به عن أبي قابوس.

٣ـ ومنها: المسلسل، وهو من أحد أقسامه الأربعة، لأنه مقطوعُ الأول من التسلسل، على الصحيح المشهور.

وفيه تسلسل من وجه آخر، يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

٤ـ ومنها: المعَلّ، ولايقال: من شرط الصحيح والحسن أن لايكون فيه علة وهذا الحديث معلٌّ، لأنا نقول: العللُ التي جاءت في هذا الحديث غيرُ قادحة فيه، وإذا لم تقدح العلةُ لاتأثير لها، والعللُ التي جاءت في هذا الحديث من وجوهٍ، منها: اختلافٌ وقع في سنده لكنه خطأ، فجميعُ طرق الحديث التي وقعتْ لنا: عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس.

ووقع لنا من طريق أبي حامدٍ محمد بن هارونَ الحضرميِّ، حدثنا الحسن بن داود، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن دينار، عن قابوس، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

فقوله «عن قابوس»: يخالف الروايةَ الأولى المتفقَ عليها من جميع طرقه: عن أبي قابوس، وهذه الصواب، ورواية الحسن بن داود خطأ، وهو ابن داود بن محمد بن المنكدر، قال البخاري: يتكلمون فيه.

وقد جاء كرواية المنكدري هذا من طريق عبد الله بن سبعون القيرواني، عن عبيد الله بن سعيد الوائلي، بسنده إلى عمرو بن دينار قال فيه: عن قابوس، كرواية المنكدري. قال أبو القاسم بن عساكر: ولعل أبا محمد بن سبعون لما حدَّث به من حفظه وهَم فيه. انتهى

وفيه كلام غير ذلك ذكرته في كتابي «نفحات الأخيار».

٥ـ ومن العلل في الحديث: المقلوب، فهذا الحديث من جميع طرقه التي وقعت لنا من رواية سفيان، عن عمرو، عن أبي قابوس، عن عبد الله بن عمرو.

ورُوِّيناه من طريق أبي العباس محمد بن يونس بن موسى الكُدَيْمي القرشي الشامي البصري أحدِ الأعلام المتروكين، عن الحميدي، عن سفيان، فذكره إلا أنه قال بدل «عبدالله بن عمرو»: عن عبدالله بن عباس، فانقلبت عليه، لرُعْب حصل لديه، فيما أعلم، والله أعلم[1].

وكان شيخ الإسلام وحافظ الأعلام قاضي القضاة أبو الفضل ابن حجر أمتع الله بوجوده أوقفني على كتاب صنَّفه في المقلوب، فلما حضر الدرس هنا أول يوم[2]، ورويت في الدرس حديث الكُدَيمي هذا فقال لي: هذا مما كنا فيه من المقلوب.

٦ـ ومن العلل في الحديث: تعارضُ الرفع والوقف، وقد اختُلِف في الحكم في تعارض الوصل والإرسال، أو الرفع والوقف. فعلى الصحيح المختار الذي عليه الفقهاء والمحققون من المحدثين وأصحاب الأصول أن الحكم لمن وَصَل أو رَفَع إذا كان ثقة، لأن ذلك زيادةُ ثقة: على من لم يروها فتقبل[3].

---

(١) تقدم في المجلس الأول ص٤٠.

(٢) المجلس الأول ص٣٢.

(٣) هذا ماقرره ابن الصلاح في مقدمته، وتوبع عليه فاشتهر، لكن الذي حققه الحافظ ابن حجر فيما كتبه على مقدمة ابن الصلاح ٢: ٦٠٣ـ٦١٣، ثم عاد إليه ثانية في النوع السادس عشر: معرفة زيادات الثقات ٢: ٦٨٦، وفيما كتبه في «شرح نخبته» ص٥٩ـ٦٢ ـ من حاشية «لقط الدرر» ـ غيره، وخلاصة ذلك: أن المرحلة الأولى في المسألة: البحثُ والنظرُ في ترجيح الرفع وغيره، والوصل وغيره، فإن ترجح أحدها قلنا به، وإن لم يترجح لجأنا إلى =

وهذا الحديث رواه أبو أحمد بِشْر بن مَطَر الواسطي، عن سفيان بن عيينة، فذكره موقوفاً على عبد الله بن عَمرو قولَه، والحكم لمن رفع الحديث لوجوهٍ

- منها: أنها زيادة ثقة فتقبل.

- ومنها: أن الذي وقفه واحد والذي رفعه جماعة.

- ومنها: أن حال من وقفه وهو بشر بن مطر لايُقاوِمُ حالَ من رفعه من أصحاب سفيان كأحمد بن حنبل، ومسدَّد بن مُسَرْهَد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأضرابِهم.

وثَمَّ وجوه أُخَر من العلل في هذا الحديث تقدم ذكرها، كالمزيد في متصل الأسانيد وغير ذلك، لكنْ جميع ماأُعِلَّ به الحديثُ غيرُ قادح فيه، لما بيناه، والله أعلم.

٧- ويدخل الحديث في نوع معرفة الأسماء والكنى، لأن في سنده أبا قابوس، واسمه كنيته على الصحيح، وتقدم[1] أن أبا قابوسَ ثلاثةٌ، وربما يكون لهم رابع، وهو ماجاء في قول الراجز:

لقدْ وَلَدتْ أبا قابوسَ رَهْوٌ أَتْوَمُ الفرج حمراءُ العِجانِ[2]

الرَّهو: الواسعة عند الجماع، والأَتُوم: المفضاة، والعِجان: مابين الدبُر والصَّفَنِ الذي هو وعاء الخُصيتين.

٨- ويدخل الحديثُ في نوعِ المتابعات والشواهد، فقد روِّينا الحديث من طريقٍ متابعٍ لأبي قابوسَ، عن عبد الله بن عمرو، في «مسندي» الإمامين أحمد بن حنبل وعبدِ بن حُميد، كلاهما روياه عن يزيد - هو

= القول المشهور: زيادة الثقة مقبولة.

(١) المجلس ١٧ ص٣٤٢.

(٢) البيت في «لسان العرب» مادة ر هـ و «الشاعرِ» وفيه: لؤوم بدل: أتوم.

ابن هارون ـ أخبرنا حَرِيزٌ، حدثنا حِبَّانُ الشَّرْعَبي، عن عبد الله بن عمرو ابن العاصي رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، فذكره بمعناه مع زيادة[١].

وأما الشواهد: فللحديث شاهدٌ من حديث جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم[٢].

---

(١) تقدم تخريجه ص٣٨.

(٢) حديث أبي بكر رضي الله عنه: رواه ابن عدي في «الكامل» ٣: ٩٠١، ٦: ٢٢٨٩ من طريق خالد بن عمرو، عن الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الصنابحي ـ في الموضع الأول ـ وعن أبي الخير اليَزَني ـ في الموضع الثاني ـ عن أبي بكر رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «إن الله يقول: إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي». وكلا الوجهين مختلق مصنوع عند ابن عدي.

ورواه أبو القاسم التيمي في «الترغيب والترهيب» ٢: ٦٤٧ (١٥٥٤) بمثل الطريق الثانية. وهو في «الفردوس» ٥: ٢٥٢ (٨١٠٣) وإسناده كإسناد التيمي، كما يستفاد من التعليق عليه.

ولأبي بكر حديث آخر، ذكره السيوطي في «الجامع الكبير» ١: ٧٨٤، وهو في «كنز العمال» ٣: ١٦٦ وعزاه إلى مصادر، منها «الحلية» و «شعب الإيمان» ولم أره فيهما ـ حسب فهارسهما ـ وإلى الطبسي في «الترغيب»، وتحرف الطبسي في مصوَّرة «الجامع» إلى: الطيبي، وفي مطبوعة «الكنز» إلى الطيالسي، وتوقع ناشر «المجلس الأول من أمالي المصنف» ص١٧٤ أن الطيبي محرفة عن التيمي، فنقلها وأثبتها: «الأصبهاني في الترغيب» فازدوج عليه الخطأ، والصواب: الطبسي، فكتاب الطبسي من مصادر السيوطيِّ نفسه في كتابه هذا «الجامع» وفي «اللآلى المصنوعة» ١: ٢٢١، ٢٢٢.

وحديث عمر رضي الله عنه: لعله ماأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ص٤٨ (٩٩) أن عمر استعمل رجلاً، فقال العامل: إن لي كذا وكذا من الولد ماقبَّلت واحداً منهم، فزعم عمر ـ أو قال عمر ـ: إن الله عز وجل لايرحم من عباده إلا أبرهم». ونحوه في «مصنف عبدالرزاق» ١١: ٢٩٩ (٢٠٥٩٠) وتابعه أبو معاوية عند هناد بن السَّري في «الزهد» ٣: ٢٠٤ (١٣٥٣) وفيه: أن عمر نزعه من الوِلاية بعد أن كلَّفه بها. ومن وجه آخر عند وكيع في «الزهد» أيضاً =

٩ـ ويدخل الحديث في معرفة العالي والنازل: لأن فيه العلوَّ الحسيَّ، لقلّةِ عدد رجاله في الطريق الأولى، والتحويلِ في الطريق الثانية. وأما النزول في الحديث: فهو في طريقه المتصلةِ الإسنادِ بالسماع.

١٠ـ ويدخل في المتفق والمفترق: كعمرو بن دينار ثلاثة، وتقدم[١].

١١ـ ويدخل في المؤتلف والمختلف: كالعَقيلي شيخ شيخِنا، بفتح أوله، نسبة إلى جده الأعلى عَقيل، وإليه ينسب بنو عَقيل الخِيَميُّون[٢] بدمشق، وتشتبه هذه النسبة بالعُقيلي ـ بالضم مصغَّراً ـ وهم كثيرون.

١٢ـ ومنها: معرفة الموالي، فقد وقع في هذا السند ثلاثةٌ من الموالي على نَسَق، فسفيان بن عيينة: جدُّه أبو عمران، واسمه ميمون، مولى لبني هلال. وشيخه عمرو والده دينارٌ، مولىً، واختُلِف في مواليه، فقيل: هو مولى بني جُمَح، وقيل: مولى بني مخزوم، وقيل: مولى باذانَ عاملِ كسرى على اليمن. وشيخ عمرو أبو قابوسَ المكيُّ، مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي.

ويدخل هذا في المسلسل بالموالي، فيكون تسلسله من وجهين؛ ولأبي موسى محمد بن أبي بكر المديني مصنَّفٌ في مسلسل الأسماء[٣].

= ٣: ٨١٤ (٥٠٢). وهو موقوف عندهم جميعاً، ولفظ «الأدب المفرد» أقواها في إفادة الرفع.

وحديث علي رضي الله عنه: كأنه رواه الحاكم في «المستدرك» ٤: ٣٢١ عنه مرفوعاً. وأوله: «ياعلي اطلبوا المعروف من رحماء أمتي تعيشوا في أكنافهم، ولاتطلبوه من القاسية قلوبُهم فإن اللعنة تنزل عليهم..» وهذا هو محل الشاهد منه، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، واستدرك عليه الذهبي بقوله: «الأصبغ واهٍ، وحِبان ـ بن علي ـ ضعفوه».

(١) انظر صفحة ٢٧٣.

(٢) نَقَط في الأصل الخاء، وبقية النقط والضبط مني، والله أعلم بصوابه.

(٣) هو جزء لطيف سماه «نزهة الألفاظ» مطبوع في ١٢٨ صفحة مع مقدماته =

١٣ـ ومنها أنه يدخل في النوع الذي ذكرته[1]، وبذلك الاسم لقبته، وهو (ذكر من له نسب، يستقيم إذا انقلب)، وقد وقع منه في إسناد هذا الحديثِ شيخ مشايخنا أبو نصر عمر بن محمد بن عمر أبي نصر الفارسي.

١٤ـ ومنها: معرفة الأسماء المحوَّلة إلى غيرها، ولأبي المظفر يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد السُّرَّمَرِّي رحمه الله مؤلَّف في ذلك[2]، ويظهر هذا النوع من ترجمة صحابيِّ الحديث، وهو عبد الله ابن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، كان اسمه كاسم جده: العاصي، فلما أسلم ـ وكان إسلامه قبل أبيه ـحوّل النبيُّ ﷺ اسمه فسماه عبد الله[3].

وأبوه وأمه رَيْطة بنت منبِّه بن الحجاج صحابيان أيضاً، قال فيهم النبي ﷺ: «نِعْمَ أهلُ البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله»[4] رضي الله عنهم. ولم يكن بين عبد الله وأبيه عَمرو في السن سوى إحدى عشْرة سنة، وقيل اثنتي عشْرة سنة.

توفِّي عبد الله رضي الله عنه سنة ثلاث ـ وقيل سنة ثمانٍ ـ وستين، وقيل سنة ثلاث وسبعين بمكة، وقيل بالطائف، وقيل بمصر، وقيل بفِلَسطين، وهو أحد المكثرين من الصحابة، ومَنْ جمع بين القرآن

= وفهارسه.

(١) فيما تقدم صفحة ٢٦٩.

(٢) المذكور من علماء الحنابلة، توفي بدمشق سنة ٧٧٦ عن ثمانين سنة، فهو من شيوخ شيوخ المصنف، وكان مكثراً من التأليف، ولم أقف على اسم كتابه في هذا الموضوع. انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» ٤: ٤٧٣، و «إنباء الغمر» ١: ١٥٠ وغيرهما. وانظر صفحة ٤٢٠.

(٣) تقدم تخريجه عن «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» ١: ٦٣٥ (١٨٤١).

(٤) تقدم تخريجه صفحة ٢٦٧.

والتوراة حفظاً[١].

هذا من بعض مايتعلق بسند الحديث.

وأما مايتعلق بمتنه ـ والمتن في اللغة: ماصلُب من الأرض وارتفع، ويقال الظهر من الفرس والدواب. وفي المصطلح: المتن: ماانتهى إليه السند من الكلام ـ:

١ـ فمن فوائد متن الحديث: أن الجزاء من الله تعالى عاجلاً وآجلاً، يكون من جنس ماكان ابنُ آدم به عاملاً، لقوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن».

٢ـ ومنها: الإشارة إلى أن الجزاء على الأعمال، يكون أعظمَ مما يخطر في البال، لذكر اسم الرحمن تبارك وتعالى في سياقِ قوله: «الراحمون يرحمهم الرحمن» لأن الرحمن على أحد الأقوال في تفسير معناه أنه ذو الرحمة التي لاغاية بعدها.

٣ـ ومنها: أن في أسماء الله الحسنى ماهو خاصٌّ في التسمية، خاص

---

(١) كأن المصنف رحمه الله يعتمد على مارواه أحمد ٢:٢٢٢ عن عبد الله نفسه قال: رأيت فيما يرى النائم لكأن في إحدى إصبعيَّ سمناً وفي الأخرى عسلاً، فأنا ألعَقُهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «تقرأ الكتابين التوراةَ والفرقانَ» فكان يقرؤهما.
وقد ذكر الذهبي رحمه الله هذا الحديث في «السيَر» ٣:٨٦ فساق سند أحمد به وعلَّق عليه: «ابن لهيعة ضعيف الحديث. وهذا خبر منكر، ولايُشرع لأحد بعد نزول القرآن أن يقرأ التوراة ولاأن يحفظها، لكونها مبدَّلة محرفة منسوخة العمل، وقد اختلط فيها الحق بالباطل، فلتُجتنب... فأما ماروي من أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لعبدالله أن يقوم ليلة بالقرآن، وبالتوراة ليلة: فكذب موضوع قبَّح الله من افتراه، وقيل: بل عبدالله هنا هو ابن سلام، وقيل إذنه في القيام بها أن يكرر على الماضي، لاأنه يقرأ بها في تهجده». وانظر «السير» ٢:٤١٩ ترجمة عبدالله بن سلام رضي الله عنه فله كلام نحو هذا.

في المعنى، كالاسم الأعظم الذي هو الله.

ومنها ماهو عامٌّ في التسمية خاصٌّ في المعنى، كالرحيم عام في التسمية[١] قال الله عز وجل في وصف نبيه ﷺ: ﴿بالمؤمنين رؤف رحيم﴾، وتقول العرب: كنْ بي رحيماً.

وخصوص هذا الاسم في المعنى يظهر مما رُوي عن عكرمة وغيره أن الرحمن برحمة واحدة، والرحيم بمائة رحمة، إشارة إلى رحمة الرحيم في الآخرة، وهي هناك خاصة بالموحِّدين، بخلاف رحمته في الدنيا الدالِّ عليها اسم الرحمن، فإنها عامةٌ في الدنيا للمؤمن وغيره.

ومن أسماء الله تعالى ماهو خاص في التسمية عام في المعنى، كالرحمن، وهو الذي عمَّتْ رحمته في الدنيا جميع خلقه، فهذا العموم، وأما الخصوص فإن الرحمن لم يُسَمَّ به أحد غير الله، ولايَرِدُ عليه مارُوِي أن مسيلِمة كان يسمَّى رحمان اليمامة، فهذا ـ إنْ صح ـ لم يسمَّ به مسيلِمة إلا مقيَّداً باليمامة لامطلقاً.

---

(١) ويؤيده قول ابن جرير في «تفسيره» ١: ٥٨ «لله جل ذكره أسماء قد حرم على خلقه أن يتسموا بها، خصَّ بها نفسه دونهم، وذلك مثل: الله، الرحمن، الخالق، وأسماء أباح لهم أن يسمي بعضهم بعضاً بها، وذلك كالرحيم، والسميع، والبصير، والكريم، وماأشبه ذلك من الأسماء».
أما ماروواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١: ١٣ (١٧) بإسنادٍ فيه زيد بن الحباب أن الحسن البصري قال: «الرحيم: اسم لايستطيع الناس أن ينتحلوه، تسمى به تبارك وتعالى»: فيمكن أن يكون هذا من أوهام زيد، وإن لم يكن من روايته عن الثوري، أراد أن يقول: الرحمن، فقال: الرحيم، وسبق اللسان أو الذهن من هذا الاسم إلى هذا قريب جداً.
ويؤيده ماسيأتي عن ابن عباس، وماروواه ابن جرير ١: ٥٩ عن الحسن نفسه أنه قال: «الرحمن اسم ممنوع» ولم يقل: الرحيم اسم ممنوع. وليس في إسناده وقفة، والله أعلم.

وقد رَوَى إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿هل تَعْلَمُ له سَمِيّاً؟﴾ قال: لم يُسَم أحد الرحمنَ غيرُه سبحانه وتعالى[١].

وهذه الثلاثة[٢] ذكرها جماعة ممن تكلَّم في معاني أسماء الله الحسنى، ولم يتعرَّضوا لقسم رابع، وهو العموم في التسمية والعموم في المعنى[٣]. ومع هذا لابد من اعتقادنا اعتقاداً يقينياً قطعياً لاريب فيه، ولاشك يعتريه، ولاتشبيه يفسده ولاتعطيل يجحده: أن الله سبحانه وتعالى ـ وله المثل الأعلى ـ لاتشبه ذاتُه ذواتِ المخلوقين، ولاصفاته صفات المحدَثين، تقدس وتعالى عن الشبيه والمثيل والنظير ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

وفي قولِ عكرمةَ وغيرِه: الرحمن برحمة واحدة ـ يعني في الدنيا ـ والرحيم بمائة رحمة ـ يعني في الآخرة ـ بشارة عظيمة للمؤمنين. وفي معناه قال شيخ الإسلام أبو زكريا النواوي رحمه الله: قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمةٍ واحدةٍ في هذه الدارِ المبنيةِ على الأكدار: الإسلامُ والقرآنُ والصلاةُ والرحمةُ في قلبه وغيرُ ذلك مما أنعم الله تعالى به، فكيف الظنُّ بمئةِ رحمةٍ في الدار الآخرة، وهي دار القرار ودار

---

(١) رواه الحاكم ٢:٣٧٥ وصححه ووافقه الذهبي، ورواه عنه البيهقي في «الشُّعَب» ١:١٤٣ (١٢٣) = ١:٣٦٩ (١٢٢)، وفي «الأسماء والصفات» ص٧٢.

(٢) أي: الأقسام الثلاثة لأسماء الله الحسنى، وهي: ماكان خاصاً في التسمية والمعنى (الله)، وعاماً في التسمية خاصاً في المعنى (الرحيم)، وخاصاً في التسمية عاماً في المعنى (الرحمن).

(٣) مثل اسمه تعالى الرزاق، فإن الرَّزق يطلق على غيره تعالى مجازاً، كما قال سبحانه ﴿فارزقوهم منه﴾ ورزقه سبحانه يعم جميع مخلوقاته. وكذا الأسماء الكريمة التي تقدمت في كلام ابن جرير: السميع، البصير، الكريم.

الجزاء. والله أعلم. قاله في «شرح صحيح مسلم»[١].

ولي أبياتٌ في معناه، نختم بها ماأمليناه، وفيها من صناعة البديع المُعْلَم، نوعٌ يسمى (التزام مالايلزم) ويسمى أيضاً (الإعنات) وهو: أن الناظم أو الناثر يُعنِتُ نفسه في التزام رِدْفٍ أو دخيلٍ أو حرفٍ مخصوصٍ قبل حرف الرَّوِيّ، فيصير بذلك للقوافي طُلاوة، وللأسجاع حلاوة، وفي كتاب الله تعالى كثير من هذا النوع، كقوله عز وجل: ﴿فأما اليتيمَ فلا تَقْهَر * وأما السائل فلا تَنْهَر﴾. وكان قد أُولِع الناس بهذا النوع في أشعارهم، فنظم فيه أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري ديواناً وقفتُ منه على مجلد لكن فيه بلايا من الاعتقاد الخبيث، نسأل الله السلامة والعافية[٢].

والأبياتُ الموعودُ بإنشادها التزمتُ فيها حرف الفاء بعد حرف التأسيسِ الذي هو ألفٌ ساكنة لاتَختلف، وقبل حرف الرويِّ المقدَّم على حرف الإطلاق الذي يكون به الوصل لمدّ الصوت والترنُّم، فقلت:

---

(١) «شرح صحيح مسلم» ١٧: ٦٨، في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» رواه البخاري في كتاب الأدب ـ باب جعل الله الرحمة في مائة جزء ١٠: ٤٣١ (٦٠٠٠)، ومسلم في كتاب التوبة ـ باب في سعة رحمة الله ٤: ٢١٠٨ (١٧)، ورواه مسلم بعده من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، وأبيات المصنف الآتية نظم لمعنى الحديث. وهل (المئة) يراد بها العدد المحدَّد، أو الكثرة؟ انظر صفحة ٣١٢.

(٢) الخلاف في عقيدة أبي العلاء المعري أشهر من أن يكتب فيه هنا، وانظر الترجمة المطوَّلة التي كتبها له العلامة المؤرخ الأديب الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى، في كتابه «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» ٤: ٧٨ـ١٧٢. وديوانه المشار إليه هو «لزوم مالايلزم» مطبوع محقق.

من رحمة الله أتتْ رحمةٌ فعمَّت المؤمنَ والكافرا
وكلَّ ذي روح ومنها التي ترفعُ عن مولودها الحافِرا
وأعظمُ الرحمة توحيدُنا لله، نرجوه لنا غافراً
وفضلُ دنيانا فمنها أتى مؤلَّفاً ليس يُرى نافراً
من رحمةٍ واحدةٍ كلُّ ذا سبحان من أطلعه سافراً
لكنَّ في الأخرى لنا رحمةٌ نرجو بها الخير غداً وافراً
ينالُ كلٌّ جنةً خالداً فيها مقيماً بالمُنى ظافراً

آخر المجلس ولله الحمد حمداً كثيراً

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ٢٠ـ

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾[1]. [آل عمران آية ١٦٤].

إذا تدبرنا قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ الآية، وجدنا له وجوهاً من التفسير والتأويل تقدَّم ذكر بعضها، والآن نذكر وجهاً واحداً يتعلَّق بالمعاني والبيان، وهو أحد وجوهِ العربية ومذاهبِ اللغة، التي بمعرفتها يُعْقَل عن الله عز وجل كتابُه وماستودعه من حِكَمه وآياته، وُحَجُجه المنيرة وبراهينه القاطعة ومواعظه الشافية، وبها يُفهم عن نبيه ﷺ أخبارُه المؤدِّية لأمره ونهيه، وآثارُه الموصلة إلى سنته وهديه. وبمعرفة ذلك يتسعُ المرء في منطقه، فإنْ قال أفصح، وإن احتجَّ أوضح، وإن كتب أبلغ، وإن خطب أعجب، قاله بنحوه أبو علي الحسن ابن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النَّحْوي في كتابه «المنطق»[2]، وليس هو بالمنطق الذي يذكره أهلُ الكلام وبعضُ الأصوليين، وإنما هو منطق العربية من فنون الكلام وأجناسه وحدوده ومعانيه.

والكلام في المعاني منه أقسامُ البلاغة الواقعة في القرآن على أعلى مراتبها، فمما يتعلق بالآية الشريفة التي تلوناها من ذلك:

١ـ الإيجاز وهو: بيانُ المعنى بأقلِّ ما يمكن من الكلام.

وقيل: الإيجاز: إظهارُ الكثيرُ من المعاني بلفظ يسير.

---

(١) البسملة والآية زدتهما هنا، جرياً على عادة المصنف. وأما أول المجلس فغير موجود، ولم أر بأساً بهذه البداية فتركت الكلام على حاله.

(٢) انظر صفحة ٤٥٠.

وقيل: هو تهذيبُ الكلام بما يحسُن به البيان، وقيل غير ذلك.

والإيجاز على وجهين: حذف، وقصر.

فالحذف: إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالةِ غيرِها من الحال أو فحوى الكلام، وهو كثير في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ أي: من قبل بَعْثِ هذا الرسول فيهم، أو تلاوتِه القرآنَ عليهم، أو التزكيةِ لهم، أو تعليم الكتاب والسنة، والله أعلم بما أراد.

ومن الحذف نوع يقال له: حذف الأجوبة، وهو أبلغُ من ذِكْرها، وفي القرآن منه كثير، كقوله تعالى: ﴿ولو أن قرآناً سُيِّرت به الجبال أو قُطِّعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى﴾ أي: لكان هذا القرآن. والله أعلم بما أراد.

وأما القصرُ أحدُ وجهي الإيجاز: فهو أغمضُ من الحذف، كقوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ ولايفهم من القصر التقصير، فإن القصر بلاغة، والتقصير عِيٌّ، فالقَصْر ما يُقتَصَرُ عليه ويُكتَفَى به، يقال: كان ذلك قَصْرِي وقُصاراي. والتقصير: التواني في الشيء فلا يُوصِلُ إلى الغرض.

ومن أقسام البلاغة: ٢ـ الإطناب وهو داخلٌ في الإيجاز من وجه، لأنه إذا ظهرت الفائدة بما يُستحسن فهو إيجاز لِخفَّته على النفس، قاله أبو الحسن الرُّمَّاني[١].

والفرق بين الإطناب والتطويل ـ الذي ليس من البلاغة وهو عِيٌّ ـ يظهر من مثال ضَرَبه أبو الحسن علي بن عيسى بن علي الرُّمَّاني في

---

(١) ينظر كتابه «النكت في إعجاز القرآن» ص٧٣ المطبوع مع رسالتي الخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الإعجاز.

«النكت في إعجاز القرآن»[١] فصاحبُ التطويل كسالكٍ طريقاً بعيداً جهلاً منه بالطريق القريب، وصاحبُ الإطناب كمن سلك طريقاً بعيداً لما فيه من التُّزَه الكثيرة والفوائد العظيمة، فيحصل له في الطريق إلى غرضه من الفائدة على نحو مايحصل له بالغرض المطلوب.

ووجه الإطناب ظاهر في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ الآية.

ومن أقسام البلاغة: ٣ـ الاستعارة، وهي التي تُوجِب بلاغةً ببيانٍ لاتنوبُ منابه الحقيقة، ولابدَّ لكل استعارة من حقيقة، ومن معنى مشتركٍ بين المستعارِ منه والمستعارِ له، فلا بُدّ من بيانٍ لايُفهم بالحقيقة. فقوله تعالى: ﴿لقد من الله﴾ حقيقةُ منَّ: أحسن وأنعم، والإحسانُ قد يكون بسؤال وقد يكون بلا سؤال، والمنّ هو الإحسان ابتداءً بلا سؤال، فعلى هذا: (منّ) أبلغُ من الحقيقة الذي هو (أحسن)، والمعنى المشترَكُ بينهما: إيصالُ النفع إلى المُنعَمِ عليه، إلا أن الإيصال ابتداءً كمفهوم (منّ) أبلغ. والله أعلم.

ومن أقسام البلاغة: ٤ـ الفواصل، وهي الأسجاع والقوافي. فالفواصل: حروفٌ متشاكلة في المقاطع تُوجِب حُسنَ إفهام المعاني، وهي على وجهين:

أحدهما: على الحروف المتجانسة، ومنه قوله تعالى في هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾.

والوجه الثاني: على الحروف المتقاربة، ومثَّلوه بقوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين﴾ فالميم والنون متقاربان.

ومن أقسام البلاغة: ٥ـ حسن البيان، وأعلى مراتبه ماجَمَع أسبابَ

---

(١) ص٧٢ـ٧٣.

الحسن في العبارة، ثم تعديل النظم، حتى يحسُن في السمع ويسهُل في النطق وتتقبَّله النفس، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقُّه من المرتبة.

ولايخفى ما في قول الله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ الآية من حسن البيان على أعلى مراتبه.

ومن أقسام البلاغة: ٦ـ التصريف، وهو أحد أصناف البيان، وليس المرادُ التصريفَ الذي هو الكلام على أسماء وأفعال يكون فيها أحد حروف العلة التي هي عند الجمهور ثلاثة: الياء والواو والألف، إلى غير ذلك من أحكامه، هذا عند أئمة العربية أحدُ ضربي التصريف.

وأما الضرب الثاني: فهو المراد هنا، وهذا التصريف أحد أصناف البيان التي ذكرها أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجُرْجاني في كتابه «ضروب نظم القرآن» وأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازيُّ صاحب «المُجمَل» في كتابه «فيما تَرجع إليه علوم الإسلام من الفهم والإفهام» وغيرُهما، فذكروا من أصناف البيان (التصريف) وهو: القليل من اللفظ يعرف من المعاني بزيادة تقع في البناء الأول، وهو على قسمين:

تصريف المعنى في الدلالات المختلِفة، كقصة موسى عليه الصلاة والسلام، ذُكرت في القرآن في سورة الأعراف، وفي سورة الشعراء، وفي سورة طه، وغيرِها من السور، لوجوه من الحكمة:

منها: التصريفُ في البلاغة من غير نقصانٍ عن أعلى مرتبتها.

ومنها: تمكينُ العبرة والموعظة.

ومنها: ظهورُ الحِجاج على الكفار بالدلالات المختلِفة في المعنى الواحد.

وهذه الآية الشريفة ذُكرت أيضاً في غيرِ سورةِ آل عمران: في سورة

الجمعة: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

وذُكرت أيضاً في الدعوة الإبراهيمية التي في سورة البقرة: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

وآيةُ آل عمران ذُكرتْ تعريفاً لبعض نِعَمِ الله على المؤمنين وحثّاً لهم على شكرها، وتعريفاً لإجابة الدعوة الإبراهيمية التي ذُكرت في سورة البقرة، وآية الجمعة ذُكرت بعد ذِكْر تسبيح الله وتمجيده وتقديسه، وذِكْر عدَّةٍ من أسمائه، تعظيماً لشأن هذا الرسول المبعوث ﷺ، فاختلفت الدلالات في المعنى الواحد.

والقسم الثاني: تصريف المعنى في المعاني المختلِفة، وهو عَقْدُها به على جهة المعاقبة، فقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ يدلُّ على زمنٍ قد مضى.

وقوله تعالى: ﴿بل الله يمنُّ عليكم أنْ هَدَاكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ لفظُه لفظُ الحال.

وقوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتُبطلوا صدقاتِكم بالمنِّ والأذى﴾ المنُّ المنهيُّ عنه هنا: أن يعتدَّ بصنيعته على المعطَى فيمنُّ بها عليه.

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا عليكم المنَّ والسلوى﴾ المنُّ هنا الطلُّ الحلوُ ينزل على الأشجار والأحجار، فيكون كالصمغ يُجْتَنى منه ويُؤكل.

وقوله تعالى: ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ فسره جماعة أنه غير مقطوع، فالمنُّ في اللغة على أحد وجوهه: القطع والهدم.

فهذه المعاني مدارها على مادة (م ن ن) وهي ثلاثة أحرف، بل حرفان أحدهما مكرر، وتحتها هذه المعاني.

ومن أصناف البيان: الإعراب، وله وجهتان في العربية إحداهما: الفرق بين المعاني: كالفاعل والمفعول، فقوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ دلَّ بهذا الإعراب على أن الباعثَ هو الله، والرسولَ هو المبعوث، وكذلك مابعده من الفرق بين التالي والمتلوِّ ونحوهما.

فلو غُيّر الإعراب ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ لتحوَّل المعنى.

وقد روي أن رجلاً كان ممن يرى رأي شَبيبِ الخارجيِّ يقال له: الشيباني جِيء به أسيراً إلى عبدالملك بن مروان فقال له عبد الملك: ألستَ القائل:

فمنا سُويدٌ والبَطِيْنُ وقَعْنَب ومـنا أميرُ المـؤمـنين شـبيبُ

فقال له: لم أقل هكذا وإنما قلت:

ومنا ـ أميرَ المؤمنين ـ شبيبُ

فعفا عنه عبد الملك[1].

والجهة الأخرى التي للإعراب: الإتباعُ في قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ هذا فاعلُه معلوم من مفعوله، إلا أنه أتبع الفعل فيه، فلو قلت زيدٌ الماءَ، كان بعضُ الكلام معرَباً وبعضُه غيرَ معرب، فإذا أتبعتَه: شرب فقلتَ: شرب زيد الماء، صار الكلام كلُّه معرباً.

ومن أصناف البيان: ٨ـ النظم، وهو التئام الكلام مع الذي قبله أوبعده، فيحكم له بحكمه، فقوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ بيّن في هذا أن الحكمةَ ـ وهي هنا السنة النبوية ـ حكمها في

---

(١) الخبر في «عيون الأخبار» لابن قتيبة ٢:١٧١، و «وفيات» ابن خلكان ٢:٤٥٦، و «السِّيَر» للذهبي ٤:١٧٤. والشيباني: هو أبو المنهال عِتبان بن شَراحيل بن شَريك الشيباني الحَروري. والبيت يروى في بعض المصادر بلفظ: فمنا حُصَين...، والمعروف: سويد. والخوارج معروفون بشجاعتهم وعنفهم، وهو هنا يجبن ويتوارى!.

التعليم حكم الكتاب، لانتظامها في الذِّكر والتئامهما في الكلام.

ومن ضروب النظم في الآية: حسنُ نظمها في التئامها بما قبلها وبعدها، وتمكُّن كل كلمة في موضعها.

ولايَرِد على هذا مافي آية الدعوة الإبراهيمية التي فيها تقديم التعليم على التزكية، وهي قوله تعالى إخباراً: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم﴾، لأن إجابة الله هذه الدعوة قد حصلتْ: من البعثة، وتلاوة الآيات، وتعليم الكتاب والحكمة، والتزكية.

لكن قُدّمت التزكية على التعليم في آية الإجابة، وهي هذه الآية: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ لأنه لما كان متعلِّمو[1] العلم على قسمين: صالحين وغير صالحين، والصالح: يفيد فيه التعليم ويبعثه العلم على العمل أكثرَ من غيره، لصلاحه الذي هو التزكية الذي كان متقدِّماً على طلب العلم ـ فقدِّمت التزكية قبل التعليم هنا لفوائد، منها ماذُكِرَ ؛ والله أعلم بما أراد. فظهر بهذا في الآية تمكُّن نظم قوله تعالى: ﴿ويزكيهم﴾ قبل قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

ومن أصناف البيان: ٩ـ الاعتبار، واختلفوا في اشتقاقه فقيل: هو من عُبور النهر من أحدِ شَطَّيه إلى الآخر.

وقيل: هو من: عَبَرتُ الدراهم، إذا عرفتَ وزن كلِّ درهم منها.

وقيل: من اعتبرتُ الكتاب إذا قرأتَه في نفسك من غير نطق متدبِّراً مافيه.

وصورةُ الاعتبار: مثلُ ماروِيَ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

---

(١) كتب قلمه رحمه الله: متعلِّمي.

قال: إذا سمعتَ قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ فارْعِها سمعَك فإنه خير يأمرك به، أو شرٌّ ينهاك عنه.

ومثّلوا للاعتبار: أن تسمعَ كلام مَن لم تَرَهُ يقول لآخرَ غائبٍ عن نظرك أيضاً: قمْ. فإذا اعتبرتَ هذا الأمر علمتَ أن المأمور بالقيام لم يكن قائماً، بل كان على حالة تخالف القيام، ثم تعتبر أن عاقلاً آمراً لايقول لمأمورٍ عاقل قمْ إلا وثَمَّ معنىً للقيام من جلبِ منفعة، أو دفعِ مضرَّة، أو حالٍ توافق عقلَ الآمر والمأمور.

فإذا اعتبرنا قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ علمنا أنه أنعم عليهم، ثم ننظرُ في وجوه إنعامه فنراها لاتحصى، ﴿وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾، فيصير الفكر ملتفتاً إلى ذكر مامنّ الله به سبحانه على المؤمنين، فسمعنا قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ فمالَ الفكر إلى هذا الرسول ممن هو؟ فقال سبحانه وتعالى: من أنفسهم، فاعتبرنا فائدةَ البعثةِ فعلمنا أنه مابعثه في المؤمنين إلا لجلْب منافعَ لهم، ودفْع مضارَّ عنهم، فتشوَّفْنا إلى ذِكر بعض ذلك فقال سبحانه: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾ الآية، فهذا من جلب المنافع. وقولُه تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ أي: فأنقذهم منه، فهذا من دفع المضارّ.

وإذا اعتبرنا قوله تعالى ﴿من قبل﴾ ظهر أن الإيمان لم يحصل للمؤمنين في الوجود الخارجي إلا من هذه البعثة، لقوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

وهذه الأربعة: التصريف: وهو في الكلمة، والإعراب: وهو في الخبر، والنظم: وهو في القصة، والاعتبار: وهو معيار الثلاثة ـ هذه الأربعة هي أقسام البيان في الكلام.

وزاد أبو الحسين أحمد بن فارس على الأربعة أربعةً أُخَر يكون بها أيضاً الفهم والإفهام وهي: الخطُّ، والعَقْد، والإشارة، والنُّصْبة.

وحكى هذه الأربعةَ أبو المطهَّر محمد بن داود النحْوي في شرحه

رسالة أبي الحسن علي بن عيسى بن علي الرُّمَّاني في النكت في إعجاز القرآن.

١٠ـ أما الخط: فهو ثلاثة أنواع منها: ماأُشير إليه في الحديث: أن نبياً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان يخطُّ، فمن وافق خطَّه فذاك[1].

---

(١) هذا جزء من حديث معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله عنه الذي رواه مسلم في كتاب المساجد ١: ٣٨١ـ٣٨٢ (٣٣) وفي كتاب السلام ٣: ١٧٤٩ (١٢١).
وهذا النبي قيل إنه إدريس عليه الصلاة والسلام، وكأن من قاله استأنس بما رواه ابن حبان ٢: ٧٨ (٣٦١) عن أبي ذر مرفوعاً، في حديثه الطويل الذي تقدم تخريجه في المجلس الثاني ص٥٥، وفيه: «.. وهو أول من خطَّ بالقلم» لكن إسناده ساقط شبه موضوع، وهو ـ إن صح ـ يبعد الاعتماد عليه لأنه يقول: أول من خطَّ بالقلم، أما هذا الخط الوارد هنا فهو علم الرمل، لذلك بوَّب عليه النووي ـ في «صحيح مسلم» ـ: باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.
وقد نقل الخطابي في «غريب الحديث» ١: ٦٤٨ عن ابن الأعرابي كيفية استعمالهم للخط فقال: «يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي ـ وهو زاجر الطير، أو هنا: ضارب الرمل ـ فيعطيه حُلواناً» ـ وهو جُعْله ـ فيقول له: اقعد حتى أخطَّ لك، قال: وبين يدي الحازي غلام معه ميل، ثم يأتي إلى أرض رِخْوة فيخط خطوطاً كثيرة بالعجلة، لئلا يلحقها العدُّ، قال: ثم يرجع فيمحو على مَهَل خطين خطين، فإن بقي منها خطان فهما علامة النجاح، فكانت العرب تسمي ذينك الخطين: ابني عيان، فيقول الحازي: ابني عيان أَسرِعا البيان! وإن بقي خط واحد فهو علامة الخيبة».
أما معنى الحديث: فقد قال النووي رحمه الله ٥: ٢٣: «الصحيح أن معناه: من وافق خطَّه فهو مباح له، ولكن لاطريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح، والمقصود أنه حرام لأنه لايباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها، وإنما قال النبي ﷺ «فمن وافق خطه فذاك» ولم يقل: هو حرام، بغير تعليق على الموافقة، لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي =

وهذا من الأحكام في الواقعات بخطوط يعرفها أهلها، وقد ذهب علم هذا الخط، كما جزم به أبو الحسين ابن فارس وغيره.

والثاني: خطُّ المهموم والحزين على الأرض، كقول الشاعر:

أخطُّ وأمحو كلَّ شيء خططتُه   بكفيَّ والغِزلانُ حوليَ رُتَّعُ

ويروى: والغِربان حوليَ وقَّعُ.

والخط الثالث: الكتابة التي تُقرأ ويَتَداولها الكتّاب، سواءٌ كانت بعربية أو غيرها، وأُشير إلى هذا الخطِّ في هذه الآية الشريفة بقوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ والكتاب هو المكتوب، وكان للنبي ﷺ عدَّة من الكتَّاب، منهم الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم[1]، فكان إذا نزل شيء من القرآن يأمرهم بكتابته ووضْع كلِّ آية أو سورة مكانها[2].

١١ـ وأما العَقْد: فهو عَقْد الحاسب بيده عدداً يُفهَم بصورة عقده، ويُعقد باليد من واحد إلى مالانهاية له[3]. ومنه الحديث في التسبيح:

= الذي كان يخط، فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذاك النبي، مع بيان الحكم في حقنا..، فحصل من مجموع كلام العلماء فيه: الاتفاق على النهي عنه الآن».

(١) انظر ما تقدم ص١٦٢.

(٢) انظر أيضاً ما تقدم ص١٦١.

(٣) وهذا مايسمى بحساب اليد، أو حساب العقود، وفي «صحيح البخاري» ٦: ٣٨٢ (٣٣٤٧) أنه صلى الله عليه وسلم عقد تسعين حين قال: «فتح الله من رَدْم يأجوج ومأجوج مثلَ هذه. وعقد بيده تسعين». وعَقْد التسعين يكون بوضع رأس الإصبع المسبِّحة فوق رأس الإبهام. فهذه الدائرة تعني رقم (٩٠). وللعلماء عدة رسائل في ذلك منها منظومة في ستين بيتاً لتقي الدين علي بن عبدالعزيز المغربي سماها «لوح الحفظ» وشرحها ابن شعبان، وكانا قد طُبِعا في بعض المجلات، وأعاد طبعهما الأخ السيد بسام الجابي سنة ١٤٠١ في «دار البصائر» في رسالة لطيفة.

«واعْقِدْنَ عليه بالأنامل فإنهن مسئولاتٌ مستَنْطَقاتٌ»[1] لكن ليس هذا من وجوه البيان صريحاً في القرآن، مع ذكر العدّ وعقود بعضه في القرآن.

نعم، إن أريد بالعقْد ارتباطُ الكلام والتئام بعضه ببعض وعدمُ تنافره، فهو داخل حينئذ في ضروب نظم القرآن.

١٢ـ وأما الإشارة: فهي الإيماء بما يدلُّ على المقصود، وهي على قسمين: إشارة بجارحة كالعين واليد والرأس، ومنه قوله تعالى في قصة مريم عليها الصلاة والسلام: ﴿فأشارت إليه﴾.

وربما دلَّت الإشارة بالجارحة إلى معانٍ كثيرة، لكنه بعيد، ومنه قول الشاعر:

أومتْ بعينيها من الهودجِ لولاكَ هذا العامَ لم أَحجُجِ

أنتَ إلى مكةَ أخرجتَني حقاً، ولولا أنت لم أخرجِ

وقد لايبعد هذا الاحتمال: أن هذه المرأة أومأتْ بعينيها مخاطبةً لربها الذي قدَّر لها الحج وأخرجها إليه، وهو سبحانه ﴿يعلم السر وأخفى﴾، ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾. ثم صرَّحت بعد ذلك فحدَّثت بلسانِ قالِها ماكانت أومأت إليه بلسان حالِها، فنظمه الشاعر على الحال الأول. والله أعلم.

---

(١) رواه عن يُسَيرة بنت ياسر رضي الله عنها ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٠: ٢٨٩ (٩٤٦٣)، ـ وعنه وعن غيره الطبراني «الكبير» ٢٥: ٧٤ (١٨١) ـ وأحمد ٦: ٣٧١، وعبد بن حميد ص٤٥٤ (١٥٧٥)، وعن ابن أبي شيبة أبو يعلى ـ وليس في «مسنده المطبوع» ـ وعن أبي يعلى: ابن حبان ٣: ١٢٢ (٨٤٢)، كما رواه أبو داود ٢: ١٧٠ (١٥٠١)، والترمذي ٥: ٥٣٣ (٣٥٨٣)، والحاكم ١: ٥٤٧، وليس في المطبوع منه كلام له عليه، وفي «تلخيصه» للذهبي قال: «صحيح»، وحسَّنه النووي في أوائل «الأذكار» (١٧)، وابن حجر في «أماليه» ١: ٨٤.

والقسم الثاني من الإشارة: نوعٌ يسمى الوحي والإشارة، وهو أن يجيء كلام قليل المباني كثير المعاني يشير إليها وينبِّه عليها، ومن هذا قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ فيه إشارة إلى البعثة، وذكرُها يستدعي معاني، منها: البعثة كيف كانت، ومتى كانت، وأين كانت، وبما كانت أولاً، وماكان من دلائلها قبلُ وبعدُ، وأولُ شيء نزل من القرآن، وكيف كانت الدعوة قبل الإذن في القتال، وبعده، وكيف كان نزول الكتاب، وذِكْر أول من آمن وأجاب، ومايتعلّق بكل فصل من ذلك إجمالاً وتفصيلاً، وإلى كلِّ هذا تحتملُ الإشارة بقوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾[1].

١٣ـ وأما النِّصبة ـ وهي بكسر النون كالنُّصُب ـ وهو: مايُنصب من حجر أو خشب يكون علَماً دالاً على شيء، لكنْ معنى النِّصبة في البيان: الحالةُ الدالةُ بغير نُطق على أمور، ومثّلها بعضهم بخلق السموات والأرض، والبرّ والبحر، والنجم والشجر، الدالِّ ذلك بوجوده على أنّ له صانعاً متقناً ومدبِّراً حكيماً، وهو الله جل ثناؤه، وتقدَّست أسماؤه، وعظمت آلاؤه، وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

ووجه هذا في القرآن ظاهر، مع ماورد في الحديث في صفة القرآن أن الله سبحانه جعله حجة قائمة وعَلَماً منصوباً.

والعَلَم: مايُهتدَى به، ويَدلُّ على جلب المنافع ودفع المضارِّ.

والقرآنُ جلَّ منزِّله المشارُ إليه بقوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ جَمَع الله فيه مع وَجازة الكَلِم أضعافَ مافي الكتب السابقة من الحِكَم، أنزله بكل خير آمراً، وعن كل شرٍّ زاجراً، هدايةً لمن تمسَّك به، وحجةً قائمة لمن استنصر به، وهو أكبرُ معجزاتِ هذا الرسولِ المبعوثِ به حجةً

(١) سيفصل المصنف القول في هذا القسم الثاني في صفحة ٤٢٢ فما بعد.

قاطعة ودليلاً، المشارِ إليه بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾، وكانت رسالته رحمة عامة للخلق أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

نعم، ويُلتفتُ من قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ ومِن شرطِ الأخ أنه ينبغي أن يكون مشفقاً على أخيه، رحيماً به مع ماورد به أمرُ المؤمنين بالتراحم في عدة أحاديث نبوية، منها الحديث المسلسل بالأولية، الذي رَوَينا من ثلاثَ عشْرةَ طريقاً، وهذه طريقٌ رابعةَ عشْرةَ تالية لما تقدم، متصلة إلى النبي ﷺ.

أخبرنا الإمام المفيد أبو محمد عبد الله بن إبراهيم البَعْلي بقراءتي عليه بمنزله، وهو أول حديث سمعته منه يومئذ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الخطيب المِزِّي، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا التاج أبو العباس أحمد بن أبي العُلا، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد التيمي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الوهاب الهمَذاني إمام جامع هَمَذان بها، وأبو الفتوح محمد بن محمد بن الجنيد الصوفي بأَصْبَهان، وهو أول حديث سمعتُه منهما متفرِّقين، قال الأول: أخبرنا أبو منصور عبد الكريم ابن محمد، وهو أول حديث سمعته من لفظه، وقال الثاني: أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشَّحَّامي، وهو أول حديث سمعته منه، قالا: أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك النيسابوري، وهو أول حديث سمعناه منه، حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش الزِّيادي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد البلالي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن

عمرو، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». لفظ عبد الكريم بن محمد.

وقال ابن الجنيد في روايته: «فارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».

هذا حديث فَرْد من الحسان، وقد صححه الترمذي في «جامعه» بعد روايته إياه من غير تسلسل من طريق سفيان.

ولايقال: كيف حُكِم له بالصحة أو بالحسن، وفي إسناده زاهر الشَّحَّامي وقد تركَ الروايةَ عنه غيرُ واحد من الحفاظ، وتجاسر آخرون، فيما ذكره الذهبي في «الميزان»؟[1].

لأنا نقول: إن زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن يوسف المستَمْلي الشَّحَّامي «كان مسنِدَ نيسابور صحيحَ السماع»[2] وله مؤلفات في الحديث، وضَعْفه لم يكن من قِبَل الحديث، إنما ضُعّف لإخلاله بالصلاة، لامن جهة سماعه وروايته[3]. ومع هذا فلم ينفرد

---

(١) لفظه في «ميزان الاعتدال» ٢: ٦٤ (٢٨٢١): «ترك الرواية عنه غير واحد من الحفاظ تورعاً، وكابر وتجاسر آخرون». وانظر لزاماً «المنتظم» لابن الجوزي ١٧: ٣٣٦، و «المستفاد» من ذيل تاريخ ابن النجار» لابن أيبك ص٢٣٤، و «لسان الميزان» ٢: ٤٧٠، ففيهما اعتذاره بالمرض، وأنه كان صدوقاً من أعيان الشهود.

(٢) هذا من كلام الذهبي.

(٣) وهذا الجواب يحتاج إلى تتمة، بأن نقول: إن الأحاديث المروية من طريقه إنما تروى من كتاب منقول مروي بالسماع، مشهور أو متواتر عن مؤلفه، كحديثنا هذا، فالشحامي هذا إنما ورد اسمه في إسناد كتاب لم تتوقف صحته وصحة مافيه على هذا الرجل، فإنه، إن كان في إسناده: فالأسانيد الأخرى الكثيرة المستفيضة موجودة متداولة، ولهذا وصفه الذهبي في جملته السابقة: =

بروايةِ هذا الحديثِ عن أبي صالح، بل تابعه جمٌّ غفير قَرَنَّا به أحدَهم وهو أبو منصور عبدالكريم بن محمد الذي يقال له ابن الخيام، وممن تابعهما ولد أبي صالح: وهو إسماعيل بن أبي صالح أحمدَ بنِ عبد الملك، وطَرِيف بن محمد بن عبد العزيز النيسابوري، وأبو الوفاء علي ابن يزيد ابن علي بن أحمد بن شَهْرَيار الزَّعْفراني، وأبو جعفر محمد ابن الحسن بن محمد الهمذاني، ومحمد بن الفضل الفُـراوي، وأبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد القُشَيري.

وأيضاً فالحديث قد استفاض عن سفيان بن عيينة فلا يؤثر جرح زاهرِ الشَّحَّامي أحدِ رواة هذا الحديث فيه، لما تقدم. والله أعلم.

فكم من حديث صحيح إسناداً ومتناً كأحاديث الصحيحين؟! وكم من حديث ضعيف من الطرفين؟! وكم من حديث موضوع من المرويات بإسناد جيد كله ثقات؟! وكم من حديث صحيح جاء بسندٍ كذبُه صريح؟! وهذا والذي قبله من فعل السرَّاق من ضعفاء المحدثين، ولي في ذلك مصنفٌ ذكرتُ فيه السرَّاق على الحروف مرتبين[1].

وربما جاء المتن صحيحاً أو حسناً، وفي إسناده أحد الضعفاء معلَناً، كهذا الحديث الذي رَوَيناه بإسنادين أحدهما فيه ضعيف، لكن لاتأثير

= صحيح السماع، فالعمدة في أسانيد الكتب صحة سماع ناقليها، لنطمئن إلى ضبطهم لما ينقلونه، ولايتوقف الأمر على عدالتهم، كما هو الشأن في الرواة السابقين، نعم، إن توفر الأمران: العدالة، وصحة السماع، كان أولى وأفضل، وإن انضم إلى ذلك العلمُ ـ بأن كان الكتاب مروياً من طريق عالم أو علماء ـ كان أولى بكثير.

وقول المصنف الآتي «الحديث استفاض عن سفيان بن عيينة»: يشير إلى هذا المعنى.

(١) سماه الأستاذ الزِّركلي في «الأعلام» ٦: ٢٣٧: «السُّرَّاق والمتكلم فيهم من الرواة».

لضعفه لما بيناه.

ومن فوائد سنده: معرفة المغيَّر من الأسماء، ووَسَمْتُه بـ: الأنباء المُسَيَّرة في الأسماء المغيَّرة، وللعلامة الحافظ أبي المظفر يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد السُّرَّمَرِّي[١] مصنَّفٌ في ذلك.

ووجه هذا النوع في الحديث أن صحابيَّه وهو عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما كان اسمه العاصي، كاسم جده، فلما أسلم - وكان إسلامه قبل أبيه - سماه النبي ﷺ عبد الله، فاشتهر بهذا الاسم ونُسي اسمه الأول[٢].

ومن النوادر: أن عبد الله بينه وبين أبيه عَمرو في الميلاد إحدى عشْرةَ سنة أو اثنتي عشْرةَ سنة.

وكان عبد الله أحد العبَّاد المجتهدين والعلماء المكثِرين، جَمَع بين القرآن والتوراة حفظاً[٣]، توفي سنة ثلاث وستين، وقيل سنة ثمان وستين، وقيل سنة ثلاث وسبعين بمكة، وقيل بالطائف، وقيل بمصر، وقيل بفلسطين. رحمه الله ورضي عنه.

ويدخل هذا الحديثُ في نوع الموافقات والأبدال، وهو: أن يَروي حديثاً هو في كتاب من الكتب المشهورة من غير طريقه، إلى شيخ من شيوخ مصنِّف الكتاب، فتقع الموافقة مع المصنِّف في شيخه مع علوِّ طريق الراوي على الطريق إلى المصنف، وقد تأتي الموافقة بلا علو، وتأتي مع نزول، والكل يسمى موافقة.

---

(١) المتوفَّى سنة ٧٧٦ عن ثمانين سنة، ولم أقف على اسم كتابه، وانظر التعليق على صفحة ٣٩٩، ويزاد على مصادر ترجمته «لحظ الألحاظ» ص١٦٠.

(٢) تقدم تخريجه عن «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» ١: ٦٣٥ (١٨٤١).

(٣) تقدم هذا في كلام المصنف ص٣٩٩-٤٠٠ فانظره مع التعليق والاستدراك عليه من كلام الذهبي.

وتارة تكون الموافقة في شيخ شيخ المصنف مع العلو، ومع غيره أيضاً، وتُسمَّى بدلاً.

وهذا الحديث خرّجه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» عن سفيان.

ورواه أبو داود في «سننه» عن مسدَّد وأبي بكر بن أبي شيبة، والترمذي في «جامعه» عن محمد بن أبي عُمر العَدَني، ثلاثتهم عن سفيان، فوقع لنا موافقة لأحمد، وبدلاً لأبي داود والترمذي.

هذا من بعضِ الأنواعِ التي يدخلُ فيها إسناد هذا الحديث - الذي هو الإخبار عن طريق المتن - غيرِ ماتقدم.

وأما فوائد المتن - الذي هو: ماانتهى إليه السند من الكلام - فكثيرة تقدم ذكر بعضها. . [1].

* * *

---

(١) بعد هذه الكلمة ثلاث كلمات طُمست لرطوبة أصابت الحبر، وانقطع الكلام بعدها.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٢١ ـ

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

تقدم الكلام على هذه الآيات الشريفات من وجوه، منها وجهٌ واحد ذكرناه في الدرس الماضي، فيما يتعلق بالمعاني والبيان، وذكرنا أن في هذه الآية من فنون البلاغة: الإيجازَ والإطنابَ، والاستعارةَ، والفواصلَ، وحسنَ البيان، والتصريف، والإعراب، والنظم، والاعتبار، والخطَّ، والعَقْد، والإشارة، والنِّصْبة[1].

والآن نتكلم على فن واحد من فنون البلاغة التي اشتمل القرآن عليها على أعلى مراتب فنونها، وهذا الفن الواحد الذي نشير إليه الآن هو أحد قسمي الإشارة، وهو الذي يسميه أهل النقد والبلاغة: بالوحي والإشارة، وهو أن يجيء كلام قليل المباني يشير إلى كثير من المعاني، ينبه عليها ويرشد إليها، ويسمى اللطائف والإشارات[2]، فمنها المتعلِّق بهذه الآيات عدَّة منها:

١ ـ ثناء الله تعالى على نفسه بإظهار اسمه الأعظم في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ ولم يقلْ سبحانه لقد مننتُ، فذكر الله

---

(١) انظر ذلك في صفحة ٤٠٥ ـ ٤١٦.

(٢) وفي المجلس ٢٣ الآتي ص ٤٤٩ ما هو جديد على ما هنا.

تعالى المنّ باسمه المُظْهَر دون المضمَر، لعظم شأن هذه المنة التي بينَّا فيما تقدم أنها أمُّ النعم كلِّها، وهي بَعْثه سبحانه هذا الرسول ﷺ، لأن في هذه البعثة ومتعلقاتها أعظمَ دليلٍ على توحيد الله تعالى وحكمته وقدرته ونفوذ أمره وعِظَم سلطانه.

ففي قوله تعالى ﴿لقد منّ الله﴾: ثناؤه سبحانه على نفسه بالإلهية والحمد، والتعظيم والتقديس والمجد، الذي هو من بعض المعاني التي يدلُّ عليها اسم الله.

ودليل ماأُشير إليه بقوله ﴿لقد منّ الله﴾ من الثناء والتمجيد والتنزيه والتقديس لله عز وجل: ما ذكره الله ظاهراً قبل ذِكْر هذه النعمة في سورة الجمعة فقال تعالى: ﴿يسبح لله مافي السموات ومافي الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم * هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

٢ـ ومن الإشارات المفهومات من هذه الآيات: شكرُ الناس على اصطناع المعروف، لقول النبي ﷺ: «من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ماتكافئونه فادعوا له»[1].

ووجه هذا في الآية الشريفة من جهتين:

إحداهما: ما قدَّمناه من معاني الآية وأحكامها، أن فيها الحثَّ على

---

(١) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مواضع من مسند ابن عمر منها ٢:٦٨، و أبو داود ٢:٣١٠ (١٦٧٢) و ٥:٣٣٤ (٥١٠٩)، والنسائي ٢:٤٣ (٢٣٤٨)، وابن حبان ٨:١٩٩ (٣٤٠٨)، والحاكم ١:٤١٢، ٢:٦٣ـ٦٤، وصححه على شرطهما، وكذلك صححه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» ١:٢٢٣ في باب وظائف القابض من كتاب الزكاة. ورواه الطبراني في الكبير ٣:٢١٨ (٣١٨٩) حديثاً مستقلاً عن الحكم بن عمير الثمالي بإسناد ضعيف، وانظر «مجمع الزوائد» ٨:١٨١، و «شعب الإيمان» ٦:٥١٥.

شكر الله تعالى على نِعَمه، لأن فيها تذكير الله المؤمنينَ بمنّه عليهم وإحسانِه ابتداءً إليهم، ومن لازم التذكير معرفةُ النعم ومعرفةُ من أنعم بها، فيجب شكره عليها.

وشكر الله تعالى على وجوه تقدم ذكر بعضها، ومما لم يتقدم: أن من وجوه شكر الله شكرَ الناس، فقد صحّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لا يشكرُ الناسَ لا يشكرُ الله».

وله شاهد عن أبي سعيد الخدري، والنعمان بنَ بشير، والأشعث بن قيس رضي الله عنهم[1].

---

(١) حديث أبي هريرة رواه أحمد في مواضع، أولها ٢:٢٥٨، والترمذي ٤:٢٩٨ (١٩٥٤) وقال: حسن صحيح ـ ولفظه عند المزي في «تحفة الأشراف» ١٠:٣٢٢ (١٤٣٦٨): صحيح، فقط ـ وأبو داود ٥:١٥٧ (٤٨١١).
وحديث أبي سعيد: رواه أحمد أيضاً ٣:٣٢،٧٤، والترمذي ٤:٢٩٩ (١٩٥٥) وقال: حسن صحيح، ولفظه في «التحفة» ٣:٤٢٣ (٤٢٣٥): حسن، فقط.
وحديث النعمان بن بشير: تقدم تخريجه مطولاً صفحة ١٧٠.
وحديث الأشعث بن قيس: رواه أحمد ٥:٢١١،٢١٢ من ثلاثة وجوه، ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في «المجمع» ٨:١٨٠، ورواه الطبراني في الكبير ١:٢٣٦ (٦٤٨) والبيهقي في «الشعب» ٦:٥١٧ (٩١٢٠)، وإسنادهما كإسناد أحمد الثاني.
وروي من حديث جرير بن عبد الله: رواه الطبراني في «الكبير» ٢:٣٥٦ (٢٥٠١)، قال الهيثمي ٨:١٨١: «رجاله رجال الصحيح».
ويزاد: أنه روي من حديث أسامة بن زيد: رواه الطبراني أيضاً ١:١٧١ (٤٢٥)، والبيهقي في «الشعب» ٦:٥١٦ (٩١١٨)، وفيه عبد المنعم بن نعيم، ضعيف.
ومن حديث أسامة بن عمير الهذلي، رواه الطبراني كذلك ١:١٩٥ (٥١٩)، قال الهيثمي ٨:١٨١: «فيه من لم أعرفهم».
قلت: بل فيه يحيى بن أبي زكريا الغساني، ضعيف، وفيه عباد بن سعيد، عن =

والجهة الثانية لاستنباط شكر الناس من هذه الآية: أن مافيها من المنن والإنعام كان بسبب دعوة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيثُ قال: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ فاستجاب الله هذه الدعوة التي أشار إليها النبي ﷺ، فيما روي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل يارسول الله: ما كان بدءُ أمرك؟ فقال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشَّر بي عيسى، ورأتْ أمي أنه خرج منها نور أضاءتْ له قصور الشام» خرجه الطبرانيُّ في «معجمه الكبير» وغيرُه[1].

وقد أُمرنا بمكافأة من أحسن، ومنهم سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي أحسن بهذه الدعوة العظيمة، فأُمرنا بمكافأته ـ تلويحاً، وإن لم يكن صريحاً ـ في ذلك الحديث الآتي ذكره إن شاء الله تعالى بالصلاةِ على إبراهيم، وآل إبراهيم، والدعاءِ لهم بالبركة مشروعاً (؟) لنا في صلواتنا.

ومن لطائف هذه الجهة الثانية: أن من أَحسن قولاً أو فعلاً، لابدَّ له من الجزاء كما ورد نقلاً، قال الله عز وجل في محكم القرآن: ﴿هل جزاء الإحسانِ إلا الإحسانُ﴾ وقال تعالى: ﴿إنا لانُضِيع أجرَ مَن أحسنَ عَمَلاً﴾.

وهذه النعمة العظيمة، بهذه البعثة العميمة، كانت بسبب دعوة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وهي قوله: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ فلما أحسن إبراهيم عليه السلام بهذا الدعاء،

= مبشر حفيد أسامة الهذلي، وقد قال الذهبي في «الميزان» ٢:٣٦٦ (٤١١٧) عن عباد: لاشيء، ووافقه ابن حجر في «اللسان» ٣:٢٢٩، ثم اتهم آخر الترجمة مبشراً بحديث منكر.

(١) انظر تخريجه فيما تقدم ص٢٣٤.

جازاه الله عن نبيه ﷺ بعظيم من الجزاء، وهو الصلاة والدعاء في كل صلاة بالبركة عليه وعلى آله، كما صح في الحديث المتفق عليه لثقة رجاله، من حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: لقيَني كعبُ بن عُجْرة رضي الله عنه فقال لي: ألا أُهدي لك هديةً سمعتها من النبي ﷺ! فقلت: بلى، فأَهدِها لي، قال: سألْنا رسول الله ﷺ فقلنا: يارسول الله كيف الصلاةُ عليكم أهلَ البيت؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

وله شاهد من حديث أبي حُميد الساعدي، وأبي مسعود الأنصاري، وغيرهما رضي الله عنهم[1].

---

(١) حديث كعب بن عُجرة رواه أصحاب الكتب الستة: البخاري ١١: ١٥٢ (٦٣٥٧)، ومسلم ١: ٣٠٥ (٦٦)، وأبو داود ١: ٥٩٨ (٩٧٦)، والترمذي ٢: ٣٥٢ (٤٨٣)، والنسائي ١: ٣٨٢ (١٢١٢)، وابن ماجه ١: ٢٩٣ (٩٠٤)، وغيرهم، وانظر «القول البديع» للسخاوي ص٥٣ فما بعدها.
وأما حديث أبي حميد الساعدي: فرواه عنه البخاري ٦: ٤٠٧ (٣٣٦٩) و ١١: ١٦٩ (٦٣٦٠)، ومسلم ١: ٣٠٦ (٦٩)، وأبو داود ١: ٥٩٩ (٩٧٩)، والنسائي ١: ٣٨٤ (١٢١٧)، ثم في «عمل اليوم والليلة» ٦: ٢٠ (٩٨٨٧) وفي التفسير ٦: ٣٤١ (١١١٦٨)، وابن ماجه ١: ٢٩٢ (٩٠٣).
وأما حديث أبي مسعود الأنصاري: فرواه مسلم ١: ٣٠٥ (٤٠٥)، وأبو داود ١: ٦٠٠ (٩٨٠، ٩٨١)، والترمذي ٥: ٣٣٤ (٣٢٢٠) وقال: حسن صحيح، والنسائي ١: ٣٨١ (١٢٠٨، ١٢٠٩) و ٦: ١٧، ٤٣٦ (٩٨٧٦-٩٨٧٨، ١١٤٢٣).

ورواه غير هؤلاء الثلاثة: أبو هريرة، عند أبي داود ١: ٦٠١ (٩٨٢).
وأبو سعيد الخدري، عند النسائي ١: ٣٨٣ (١٢١٦)، وابن ماجه ١: ٢٩٢ (٩٠٣).

وزيد بن خارجة، عند النسائي ١: ٣٨٣ (١٢١٥)، ٦: ١٨ (٩٨٧٩). =

وهذا الجزاء الذي هو الصلاة والبركة لاينقطع مَدَده، ولاينتهي عَدَده، كما أن هذه البعثة المحمدية التي دعا بها إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لاتحول ولاتزول، ولاتنفَد خيراتها مابقيت الدنيا، ولاتنقطع بركاتها في الآخرة.

ولو لم يكن من جزاء المحسِن إلا الثناء عليه لكان كافياً.

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لابنة هَرِم بن سِنان المُرِّي: ماوهَبَ أبوكِ لزهير؟ فقالت: أعطاه مالاً وأثاثاً أفناه الدهر! فقال عمر: لكنّ ما أعطاكُمُوه لايفنيه الدهر[1]. يعني مدحَ زهيرِ بن أبي سلمى هَرِمَ بنَ سنان وثناءَه عليه، الذي منه قوله في قصيدته التي أولها:

غشيتَ دياراً بالبقيع فثَهْمَدِ ... دوانِ قَد أقْوَيْنَ من أم معبدِ

فلو كان حمدٌ يُخلِد الناسَ لم تَمتْ ... ولكنَّ حمدَ الناس ليس بِمُخْلِدِ

ولكـنَّ منه باقيـاتٍ وراثـةً ... فأَورِثْ بنيك بعضَها وتزوَّدِ

تَـزَوَّدْ إلـى يـوم الممـات فـإنـه ... ـ ولو كرهتْه النفس ـ آخرُ موعِدِ[2]

= وطلحة بن عبيد الله، عند النسائي أيضاً ١:٣٨٣ (١٢١٣، ١٢١٤) و٦:١٨ (٩٨٨٠).

وابن مسعود، وحديثه عند الحاكم ١:٢٦٩، وعنه البيهقي ٢:٣٧٩، وفيه ضعيف، وآخر مبهم.

ولما رواه النسائي من طريق عبدالرحمن بن بشر، عن أبي مسعود، ذكر أنه روي عن عبد الرحمن ابن بشر نفسه مرسلاً، وساق إسناده ٦:١٨ (٩٨٧٩).

وروي أيضاً عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهم. انظر ذلك في «القول البديع».

(١) الخبر في «الكامل» للمبرِّد ١:٤٨٥.

(٢) البيت الأول هو مطلع القصيدة، والثلاثة بعده خاتمة القصيدة، وهي في ستة وأربعين بيتاً، وهي القصيدة الرابعة عشرة في «ديوانه» بشرح أبي العباس ثعلب ص١٦٦ـ١٧٥، وأثبتُّ الأبيات كما هي بخط المصنف، وإن كان في البيت =

وهذا معنى ماأشار إليه عمر رضي الله عنه من الثناء.

وقد امتدح نُصَيبٌ عبدَ الله بنَ جعفر بن أبي طالب فأمر له بخيل وإبل وأثاث ودنانير ودراهم! فقال له رجل: أَمِثلُ هذا الأسود يُعطى مثلَ هذا المال؟! فقال عبد الله رضي الله عنه: إن كان أسود فإن شِعره لأبيض، وإن ثناءه لعربي، ولقد استحقَّ بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلا ثياباً تَبلى، ومالاً يَفنى ومطايا تُنْضَى، وأعطانا مدحاً يُروى، وثناءً يبقى؟![1].

وقد ذكرت العرب معنى ذلك في أشعارها فقال بعضهم:

فأثنُوا علينا -لا أبا لأبيكمُ- بأفعالنا، إن الثناء هو المجدُ[2]

وقد استحسنوا في معناه قول أبي الطيب المتنبي:

ذِكْرُ الفتى عُمْرُه الثاني، وحاجتُه ما قَاتَه، وفضولُ العيش أشغال

= الأول خاصة مغايرتان هامتان، فلفظه في الديوان:

غشيت الديار بالبقيع فثمهد دوارسَ قد أَقْوَين من أم معبد

(١) الخبر في «الكامل» أيضاً ٢:٦٩٧. ونُصَيب هو أبو مِحْجَن نُصَيب بن رَبَاح، الشاعر الفحل، المتوفى سنة ١٠٨، وتنسَّك وترك التغزل آخر حياته. انظر ترجمته في «الأعلام» ٨:٣١ ومصادره الكثيرة، ويزاد عليها: «طبقات فحول الشعراء» للجمحي ٢:٦٧٥، و «سير أعلام النبلاء» ٥:٢٦٦ وهي ترجمة مختصرة جداً.

وله ذكر عرضاً عند ابن خلكان ٦:٨٨، لكنه قال: «كنيته أبو الحَجْناء وقيل أبو محجن» وهو سهو وانتقال ذهن إلى نُصيب الأصغر مولى المهدي العباسي، فإنه هو الذي يكنى أبا الحجناء، وأما هذا فأبو محجن. وانظر ترجمتهما عند ابن شاكر الكتبي في «فَوَات الوَفَيات» ٤:١٩٧، ٢٠١.

(٢) رواية «الكامل» له ١:٤٨٥: «هو الخلد» وهو أنسب بالمقام، ونسبه محققه إلى الحادرة، وأن رواية البيت في ديوانه: بإحساننا، ويروى: بأحسابنا. لا: بأفعالنا.

لكني أقول: في هذا البيت نظر وإن كان في الظاهر بديعاً بليغاً، ولهذا استحسنوه، ووجه النظر في قوله «ذكر الفتى عمره الثاني» لأن ذكر الإنسان إما يكونُ بخير، أو بضدِّه، أو بهما، كأنْ يُذْكَر بمدحِ خصلةٍ فيه حسنةٍ، ويذمّ بأخرى فيه قبيحة، فإذا قيل: فلان له ذِكر، أو قيل: ذِكْر فلان، كان فيه إبهام، فالذكْر يُطلق ويراد به معانٍ، منها: الحفظ، والشرف، والصوت، وجَرْيُ الشيء على اللسان، فقول المتنبي في البيت «ذكر الفتى عمره الثاني» يحتمِل حفظه وشرفه وصوته وماجرى على لسانه وغير ذلك من وجوه معاني الذكْر، ففيه إبهام، فلو قال: صِيتُ الفتى عمره الثاني: لكان أبينَ، وفي البلاغة أقوى وأمتنَ، يقال: رجل له صيت: إذا كان عاليَ الذِّكْر، يقال: ذهب صيته في الناس.

٣ـ ومن الإشارات المفهومات من هذه الآيات: الحثُّ على سماع تلاوة القرآن، لأن سماع تلاوته أحدُ وجوه الامتنان، لقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾.

وإذا كان هذا من منَّة الله على المؤمن فيجبُ عليه شكرُها، ومن وجوه شكرها: تعاهدُها ورعايتُها، فظهر بهذا أن في الآية الحثَّ على سماع تلاوة القرآن.

٤ـ نعم، وفي سماع تلاوة الآيات: الإشارةُ إلى الحثِّ على الجلوسِ إلى العلماء سماعاً، والاجتماع بهم استفادةً وانتفاعاً، لأنه لايكون سماع التلاوة وتعلُّم الكتاب والحكمة إلا بالجلوس إلى العلماء، والاستماع منهم، والانتفاع بهم، والأخذ عنهم، ومجالسهم هي المجالسُ التي يصيبُ أصحابَها نفحاتُها، وتعود على أهلها بركاتها، وقد جاء الكتاب والسنة بالحثِّ على ذلك، ومنه قول الله عز وجل: ﴿فلولا نَفَرَ من كل فرقة منهم طائفةٌ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾.

ومنه قول النبي ﷺ: «ماجلس قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده»[١].

ولقد مُدحت في الجاهلية والإسلام، مجالسُ أُولي الفهم والإفهام، وذوي التذكير والأحكام، كما تقدَّم بعض ذلك.

ومما جاء في معناه في الجاهلية: قول جدّ رسول الله ﷺ وهبِ بن عبد مناف بن زُهْرة:

وإذا أتيتَ جماعةً في مجلس   فاخترْ مجالسَهم ولمَّا تقعدِ
ودعِ الغُواةَ الجاهلين وجهلَهم   وإلى الذين يذكُرونك فاعمِدِ

٥ـ وفي هذه الآيات من الإشارات أيضاً: أن علم الدين هو الكتاب والسنة لقوله تعالى: ﴿ويعلِّمهم الكتاب والحكمة﴾.

فسَّر ابن عباس رضي الله عنهما وغيره أن الحكمة هنا هي سنة النبي ﷺ، وحكاه الشافعي رضي الله عنه عن سماعه لذلك ممن يرضَى من أهل العلم وقال به.

فلو كان قدرٌ زائد على الكتاب والسنة لأَمَر الله تعالى نبيه ﷺ بتعليمه للأمة، والعلمُ إذا أُطلِق إنما يُراد به علم الدِّين.

٦ـ نعم، وفي قول الله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ الحثُّ على طلب العلم من الكتاب والسنة[٢]، لقول الله تعالى: ﴿مافرَّطْنا في

---

(١) هذا جزء من الحديث المشهور الذي رواه مسلم ٤:٢٠٧٤ (٣٨) والترمذي ٥:١٧٩ (٢٩٤٥) وابن ماجه ١:٨٢ (٢٢٥)، وأوله: «من نفّس عن مؤمن كربةً من كُرَب الدنيا..» وفي لفظ المصنف بعض مغايرة، وانظر رقم (٣٩) عند مسلم أيضاً، ورواه أبو داود ٢:١٤٨ (١٤٥٥) مقتصراً على القدر الذي ذكره المصنف مع المغايرة في بعض الألفاظ أيضاً.

(٢) لكن على سَنَن قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذِّكْر﴾ وعلى وَفْق كلام المصنف =

الكتاب من شيء﴾ وقوله تعالى: ﴿ونزلْنا عليك الكتابَ تِبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾ وقوله تعالى: ﴿هذا بيانٌ للناس وهدىً وموعظةٌ للمتقين﴾.

ورُوي عن العِرْباض بن ساريةَ رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «لقد تَرَكتكم على مثلِ البيضاء، ليلُها كنهارها، لايَزِيغ بعدي عنها إلا هالك»(١).

وهذا المشارُ إليه هو علم الدين كما تقدم، والمقدارُ الذي يجب طلبُه من العلم وتحصيلُه: ماتقعُ به الكفاية للعمل، وإفتاءُ من لاعلم عنده فيما ينزلُ به وينُوبه.

٧ـ ومن الإشارات في هذه الآيات أيضاً: استحبابُ التعليم مجاناً بغير أجرة(٢)، ويؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وقد علّم رسول الله ﷺ ذلك لأمته: جليلَه ودقيقه، وصريحه ومفهومه، وجُمَلَهُ وتفاصيله، لامتثال قوله تعالى: ﴿ياأيها الرسولُ بلِّغْ ماأُنزِل إليك من ربك﴾ والذي أنزله إليه: القرآن، وكذلك السنة، بدليل قوله تعالى: ﴿ومايَنطِق عن الهوى * إنْ هو إلا وحيٌ يُوحَى﴾ ومع ذلك

= السابق رقم ٤.

(١) وهذا جزء من حديث العرباض بن سارية المشهور «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين..»، وهو في «سنن أبي داود» ٥:١٣ (٤٦٠٧)، والترمذي ٥:٤٣ (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه ١:١٥ (٤٢) وغيره كثير، وممن صححه البزار، كما نقله عنه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ٢:١٨٢. إلا أن هذه الجملة جاءت في روايةٍ لابن ماجه (٤٣)، و «المسند» ٤:١٢٦، والطبراني «الكبير» ١٨:٢٤٧ (٦١٩). ويشهد لها حديث أبي الدرداء عند ابن ماجه أيضاً ١:٤ (٥) وابن أبي عاصم في «السنة» ١:٢٦ (٤٧) وفيه «.. وايمُ الله لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء».

(٢) قال أبو العالية: «عَلِّم مجاناً كما عُلِّمتَ مجاناً». وله قصة طريفة تجدها في «تهذيب الكمال» ٣٠:٢٤٩ وغيره.

فقد عُلِم علماً يقينياً قطعياً أن النبي ﷺ علَّم ذلك كلَّه من غير أخذ أجرة على ذلك، ولاعلى شيء منه.

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «عليكم بسنتي»[١] وكان من سنته التعليمُ بغير أجرة، كما ذكرناه، فيستحبُّ التعليم كذلك.

والتعليم عامّ في القرآن والسنة، لكن الإجارة على تعليم القرآن صحيحةٌ، وأخذ الأجرة عليه جائزة، لما صحّ عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «أحقُّ ما أَخذتم عليه أجراً كتابُ الله»[٢] فتصح الإجارة على تعليم القرآن وإن كان عبادةً تجب لها نية كالحجِّ ومسائلَ معروفةٍ، فإن كل أحد لايختص بوجوب تعليم القرآن، وإن كان نشرُ القرآن وإشاعتُه من فروض الكفايات.

ومن الأئمة مَن منعَ مِن أخذ الأجرة على القرآن مطلقاً، ومنهم مَن جوّز الأخذ بغير اشتراط: إن أُعطِي قَبِل وإن لم يُعطَ لايُطالب، ومنهم من فرَّق بين المحتاج وغيره.

وأما الإجارةُ وأخذُ الأجرة على التحديث وتدريس العلم: لايجوز[٣]، لأن نشرَ العلم وتعليمَه فرضُ كفاية كالجهاد، وفيه تفصيلٌ أشار إليه الإمام أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن محمد بن حَليم الحَلِيمي البخاري القاضي فقال[٤]: ولايجوز لمن كانت عنده أخبارٌ عن

---

(١) هذه الجملة جزء من حديث العِرباض السابق، فانظر تخريجه.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ١٠: ١٩٨ (٥٧٣٧)، وابن حبان ١١: ٥٤٦ (٥١٤٦)، وغيرهما، وهو مما انفرد به البخاري عن بقية أصحاب الستة. وعلَّقه البخاري أيضاً في «صحيحه» في كتاب الإجارة ٤: ٤٥٢ وتكلم شراحه في مسألة الإجارة هناك، وتجد ذلك في كتب الفقه، وفي النوع الثالث والعشرين ـ المسألة الثانية عشرة ـ من مقدمة ابن الصلاح وشروحها.

(٣) هكذا بدون الفاء في جواب أما. وانظر آخر المجلس الأول ص٤١.

(٤) في «شعب الإيمان» له ٢: ٢٠٥.

رسول الله ﷺ فسُئل عنها أن يمتنعَ من روايتها ليُعطَى عليها مالاً، لأنه يؤدي عن رسول الله ﷺ ما أداه الرسول ﷺ إلى أمته، ومعلوم أن الله تعالى لم يكن أطلق له أخذ أجر من أمته على مايبلِّغهم إياه عن ربهم عز وجل، فلذلك لايَنْطَلِقُ لأحد من المؤدِّين عنه.

وقال أيضاً[١]: وإذا حضر العالم ليُسمَع منه الحديث فأَذِن في القراءة عليه فقالوا «نريد لفظك»: كان له أن لايتكلَّف القراءة بنفسه إلا بعوض، وإنما يحرم العوض إذا لم يُخرِج ماعنده فيقرؤوا عليه إلا بعوض، فأما إذا أخرجه وأَمر بالقراءة عليه فكُلِّف أن يقرأ: فهذا شُغْل زائد على التبليغ والأداء، فله أن لايفعله بغير عوض، فإن لم يوجَد أحدٌ يقرأ عليه ووجب عليه أن يَرويَ بلفظه فلا عِوض له، وإن أُعطي لم يجز له أخذُه.

وذكر الحَليمي أيضاً[٢] أن الطلبة إذا أرادوا من الشيخ ما يَطُول به المجلس وينقطعُ به عن السعي على نفسه وعياله: جاز أن يأخذ على إدمانه الجلوس وتفريغِه نفسَه لهم مايعطونه مالم يكن سرَفاً، والسَرَف أن يطالبهم بأكثرَ مما كان يعود عليه من سعيه لو لم يجلس لهم. والله أعلم. انتهى قول الحليمي رحمه الله.

٨ـ ومن الإشارات في الآيات: بيانُ المبهماتِ المفهوماتِ منها، لأن الكتاب المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ معلومٌ ـ نقلاً متواتراً، ويقيناً قطعياً متوافراً ـ نزولُه على هذا الرسول المشار إليه، وهو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فالذي نزل به عليه روح القُدُس جبريل عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى: ﴿وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمين * نَزَلَ به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذِرين﴾ وقوله تعالى: ﴿قل نزَّله روح القُدُس من ربك بالحق ليثبتَ الذين آمنوا...﴾ الآية،

---

(١) ٢:٢٠٦.
(٢) ٢:٢٠٧.

فظهر بهذا المبهَمُ المفهومُ والمبهَمُ المنطوق.

٩ـ نعم، وفي هذا إثباتُ وجودِ الملائكة، ومنهم الروح الأمين الذي نزل بهذا الكتاب على خاتم النبيين صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

١٠ـ وفي الآية: الإشارةُ إلى الردّ على منكري النبوات من الفلاسفة والبراهمة وغيرهم، فإن من العقائد الواجبة شرعاً وعقلاً الإيمانَ بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فمن وجوبه شرعاً ما ورد في الكتاب والسنة، ففي الكتاب آياتٌ كثيرة منها: قولُه تعالى: ﴿آمنَ الرسولُ بما أُنزِل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله..﴾ الآية.

ومنها: قولُه تعالى في هذه الآية: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً﴾ وهذا الرسول بالإجماع هو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو خاتم النبيين، قال الله عز وجل: ﴿ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكنْ رسولَ الله وخاتَمَ النبيين﴾ فإذا كان هذا الرسول الذي منّ الله علينا ببعثته هو خاتَمَ النبيين فعُلم بالتواتر علماً قطعياً بعثة النبيين الذي نبينا هو خاتمهم كما قال الله عز وجل، فوجب الإيمان بهم عليهم الصلاة والسلام.

ومن الوارد في السنة: قولُ النبي ﷺ في ذلك الحديث في البنيان وموضع اللَّبِنة قال: «وأنا خاتم النبيين»[١].

وكذلك مفهوم قوله ﷺ: «لانبي بعدي»[٢]، ولهذا الحديث طُرُق،

---

(١) رواه البخاري ٦:٥٥٨ (٣٥٣٤،٣٥٣٥) عن جابر، وعن أبي هريرة، كما رواه مسلم عنهما ٤:١٧٩٠،١٧٩١ (٢٣،٢٠،٢٢)، ورواه مسلم (بعد٢٢) وأحمد ٣:٩ عن أبي سعيد الخدري.

(٢) هذه الجملة وردت ضمن أحاديث متعددة مختلفة، كما وردت مع جملة «أنا خاتم النبيين لانبي بعدي»، وهي من قسم المتواتر. كما ذكره السيد الكتاني رحمه الله تعالى في «نظم المتناثر» ص١٣٢، بل هي جملة من حديث متواتر =

لكن بعض الوضاعين من السُّرّاق المولَّدين ـ وهو محمد بن سعيد الدمشقيُّ المصلوبُ على الزندقة ـ سَرَق هذا الحديث ورواه بزيادة في آخره عن حميد، عن أنس مرفوعاً: لانبي بعدي إلا أن يشاء الله. وقد حكم الحاكم أبو عبدالله بوضع هذه الزيادة في الحديث[1]، وتأوَّلها بعضهم على تقدير الصحة ـ وأنَّى لها الصحة ـ أنها محمولة على رؤيا المؤمن لأنها جزء من أجزاء النبوة ولم يبقَ بعد النبي ﷺ من المبشِّرات غيرها. وهذا تأويل بعيد[2].

وتأولها بعضهم ـ لو صحت ـ على مجيء عيسى عليه الصلاة والسلام حين ينزل من السماء آخر الزمان بعد خروج الدجال.

وهذا بعيد أيضاً، لكنه أقرب في التأويل من الأول، مع الاعتقاد

= أيضاً، هو قوله ﷺ لسيدنا علي رضي الله عنه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي» كما تجده في ص١٢٥ من الكتاب المذكور.

(١) في «المدخل في أصول الحديث» ص١٨ من طبعة حلب.

(٢) قلت: روى مالك في «الموطأ» من حديث عطاء بن يسار مرسلاً ـ وهو موصول عند البخاري ١٢: ٣٧٥ (٦٩٩٠) ـ أنه ﷺ قال: «لن يبقى بعدي من النبوة إلا المبشرات» ـ الرؤيا الصالحة ـ قال ابن عبد البر في «التمهيد» ٥: ٥٥: «فيه: أنه لانبي بعده ﷺ، وهو تفسير قوله عليه السلام: لانبوة بعدي إلا ماشاء الله، وهو حديث يروى من حديث المغيرة بن شعبة، فإن صح كان معنى الاستثناء فيه: الرؤيا الصالحةَ، على مافي الحديث وماكان مثله، وحسبك بقول الله عز وجل: ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ وقوله عليه السلام: «أنا العاقب الذي لانبي بعدي»». ونحوه باختصار قاله في ١: ٣١٤.
فهذا تأويل قريب ذُكر مع رواية: لانبوة بعدي، وإن كان تعقبه ابن الملقن ـ انظر «تنزيه الشريعة» ١: ٣٢١ ـ أما مع رواية «لانبي بعدي»: فلا، وينظر حال حديث المغيرة؟. ثم أشار ابن عبدالبر إلى أن أبا جعفر الطبري ذكر أقوالاً أخرى لتأويل هذه الجملة، وكأنه في كتابه الكبير الذي طبع قسم منه «تهذيب الآثار»؟ ولعل التأويل الآتي من جملة ذلك؟ والله أعلم.

الجازم أنه لانبي بعد نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام يأتي بشريعة غير شريعته، بل إذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام يقتدي بإمام هذه الأمة في الصلاة ، ويَحمِل الناس على هذه الشريعة المحمدية ولايقبل من أحد غيرها، كما صحت الأحاديث بذلك[١].

وعلى هذا يحمل ذلك الحديث الذي رواه خالد بن يزيد بن أسد القَسْري ـ وفيه كلام ـ قال: حدثني محمد بن إبراهيم الإمام، عن أبي جعفر المنصور، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «لن تَهلِك أمة أنا أولُها والمسيح آخرها»[٢]، وذلك أن المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل ينصر المؤمنين ويكشف عنهم ـ بإذن الله ـ ماهم فيه من البلاء، والجَهد والجوع والغلاء، ويقتل عدوَّهم من الدجال، ويأجوج ومأجوج بهلاكهم، فتعيش هذه الأمة بعد تلك الشدة بخير عظيم، تُخرِج الأرض البركات، وتَنزِل عليهم الخيرات، فلن تَهلِك هذه الأمة وهذا حال آخرها[٣].

---

(١) وقد قرَّر هذا المعنى الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في جزء له مطبوع ضمن «الحاوي» ٢: ١٥٥ـ١٦٧ سماه «الإعلام بحكم عيسى عليه السلام».

(٢) الحديث رواه أبو نعيم في «أخبار المهدي» والحاكم في «تاريخ نيسابور» وابن عساكر في «تاريخ دمشق» كما في «كنز العمال» ١٤: ٢٦٦، ٢٦٩ (٣٨٦٧١، ٣٨٦٨٢) بزيادة «والمهدي في أوسطها»، ورواه الحاكم في «تاريخ نيسابور» أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاصي، كما في مصورة مخطوطة «الجامع الكبير» ١: ٦٣١، و«الحاوي» ٢: ١٥٦ كلاهما للسيوطي، وفي «كنز العمال» ١٤: ٣٣٧ (٣٨٨٥٨) عزوه إلى (ك ـ عن ابن عُمَر) يعني أنه في «المستدرك» من رواية ابن عمر بن الخطاب! وهما خطآن من مئات الأخطاء الواقعة في هذا المصدر الجامع!.

وخالد بن يزيد القَسْري مترجم في «الميزان» ١: ٦٤٧ (٢٤٧٨).

(٣) انظر لذلك كتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للعلامة محمد أنور الكشميري رحمه الله، بتحقيق شيخنا وعمدتنا العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو =

وأما حال أولها: فبُعث فيهم هذا الرسول ﷺ فتلا عليهم الآيات، وزكَّاهم، وعلَّمهم الكتاب والحكمة، وكانوا من قبلِ ذلك في ضلال مبين، وعلى شَفَا حفرةٍ من النار فأنقذهم من ذلك بإرشادهم إلى توحيد الله رب العالمين، وتعليمهم ماذُكر من شرائعِ الدين، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً. ومن رأفته بهم ورحمته إياهم ما أَمَرهم به ونهاهم عنه تحصيلاً لهم مالا يعبَّر عنه من الأجور، وتحصيناً لهم من العذاب وأنواع من الشرور.

ومن أوامره التي هي من شُعَب الإيمان: قوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن» الحديثَ. وهذا الحديث قد رَوَيناه فيما سبق من أربعَ عشْرةَ طريقاً من الطرق، وهذه طريقٌ خامسةَ عشْرةَ، وهذه طريق المصريين.

سمعت شيخنا شيخ الإسلام وفقيه الدنيا خاتمة المجتهدين سراج الدين أبا حفص عمر بن أبي الفتح رَسلان بن نَصير بن صالح بن أحمد ابن عبدالحق بن مسافِر العَسْقَلاني الأصل البُلْقِيني رحمة الله عليه، فيما حدثناه من لفظه وحفظه بجامع دمشق، وأخبرنا الإمام العلامة قاضي القضاة أبو المعالي محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم السُّلَمي الشافعي، بقراءتي عليه بدار السنة الظاهرية بدمشق، والإمام الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن القاضي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن داود الأَذْرَعي المصري، بقراءتي عليه بمسجد المدرسة العادلية الكبرى من دمشق، وغيرُهم، وهو أول حديث سمعته منهم مطلقاً، قالوا:

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم البكري المصري، قال كل منهم: وهو أول حديث سمعته منه، زاد شيخ

= غدة حفظه الله تعالى، ففيه الغَناء.

الإسلام فقال: وأخبرنا أيضاً أبو العباس أحمد بن كَشْتُغدي ابن الصيرفي المعزي، وهو أول حديث سمعته منه، قالا أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف ابن عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصَّيْقَل الحراني، وهو أول حديث سمعناه منه، حدثنا الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي البكري، وهو أول حديث سمعناه من لفظه وذلك في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وخمس مئة، أخبرنا الإمام أبو سعد إسماعيل ابن أبي صالح أحمد بن عبد الملك بن علي بن عبد الصمد النيسابوري، وهو أول حديث سمعناه منه، أخبرنا والدي أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي الحافظ، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش الزِّيَادي، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء».

قال عبد الرحمن بن بشر: هذا أول حديث سمعته من سفيان بن عيينة، وقال أبو حامد بن بلال: هذا أول حديث سمعته من عبد الرحمن ابن بشر، وقال أبو طاهر الزيادي: هذا أول حديث سمعته من أبي حامد بن بلال، وقال أبو صالح المؤذن: هذا أول حديث سمعته من الأستاذ أبي طاهر الزيادي رحمة الله عليه.

هذا الحديث[1] له ألقاب بحسب الوجوه التي رَوَيناه منها، فهو

---

(١) ابتداء من هذا المقطع إلى كلامه عن المعنعن تكرر من المصنف باللفظ ـ تقريباً ـ في الورقة ١٠٧ ـ١٠٨ وهي من الأوراق المشوشة غير المتكاملة، وسأشير إلى ماسأستفيده منها.

حديث صحيح، حسن[١]، فرد، مسلسل من وجهين[٢]، معلٌّ من وجوه، مختلَف في إسناده من وجوه، مرفوع، موقوف من وجه، منقطِع على قول مرجوح، معنعن.

وكل هذه الأنواع تقدم بعض الكلام عليها، ونزيد كلاماً على النوع الأخير وهو المعنعَن. ففي إسناد هذا الحديث: قول سفيان بن عيينة: عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

فسياقه هكذا بالعنعنة لايظهر فيه صفة التحمل هل هو سماعٌ من لفظ الراوي؟ أو قراءة عليه؟ أو سماع وهو يُقرأ عليه؟ أو مناولة؟ أو إجازة؟ أو كتابة؟ أو وِجادة؟، فالمعنعَنُ ـ والحالةُ هذه ـ مختلَفٌ في حكمه، فذهب بعضهم إلى أنه من قَبيل المرسل والمنقطع حتى يتبين اتصاله بغيره.

وهذا قول مرجوح ليس العمل عليه، بل الصحيح الذي قال به الجماهير من الأئمة وعليه العمل: أنه متصل الإسناد بشرطِ سلامةِ المعنعِنِ الثقةِ من التدليس وثبوتِ لقائه لمن روى عنه، وزاد أبو المظفَّر عبد الرحيم[٣]... في «مسنده» وفَعَله غيره. والله أعلم.

ومن فوائد متن الحديث: أن من أنواع الرحمةِ المرتَّبِ عليها الثوابُ الرحمةَ بالفعل، كمن هو في يَسَار من الدنيا فيرى مسلماً محتاجاً، فهذا لاتكفي رحمته للفقير ورقَّته عليه بقلبه، حتى يرحمه بالعطية من يَسَاره:

---

(١) تقدم شيء من هذا ص٤١٨، وانظر ماسيأتي ص٤٥٨.

(٢) عبارته في ١٠٧/أ أوضح، قال: «ومسلسل بالأولية مقطوع التسلسل، وموصول التسلسل من غير انقطاع، كما رويناه».

(٣) هنا انقطع الكلام بين ٦٠/أ و٦٠/ب، ومذهب أبي المظفَّر السمعاني هو اشتراط طول الصحبة بين الراويين، فضلاً عن ثبوت اللقاء، كما سيأتي في كلام المصنف في ص٤٥٨.

إن لم يُسَاوِهِ: فمن الفضل، أو من الفرض الواجب عليه كالزكاة، فهذا من الرحمة بالفعل.

وكثيرٌ من ذوي اليَسَار يَرِقُّ بقلبه على الفقير إذا رآه، وهو قادر على إزالة ضرره بشيء من الدنيا يعطيه، لكن يمنعه البخل من ذلك.

وبعضُ الحمقى من الفقراء وغيرهم تراه يُكْرِم هذا البخيلَ لماله، رجاءَ أن يصيب من ماله، والغنيُّ البخيلُ يحبُّ أن يُكْرَم لماله ويُعظَّم من غير أن ينفع أحداً ممن يكرمه! وكلٌّ منهما مذموم.

وقلت في معناه، مانختم به ما أمليناه وهو:

خـلْـق من النـاس في يَسَار	لكنّ بالبـخل في غـرامـه[1]
من قـال منهم ألا اكـرِموني	لـلـمـال قـولـوا ولا كـرامـهْ
إكـرامُ ذي الـمال مع إياس	لـلـنـفـع داءٌ بـلا سـلامهْ

آخر المجلس ولله الحمد

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

* * *

---

(١) الغرام: العذاب والهلاك.

بسم الله الرحمن الرحيم

-٢٢-

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾[١]. [آل عمران - آية ١٦٤].

.... كفر[٢] نعمة الله عليه، والنعمة إذا كُفرت نَفَرت وزالت، وقلَّ أن ترجع كما كانت.

وقد أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ابن النقَّاش بقراءتي عليه[٣]، أخبرنا أحمد ابن البَيَاني المقدَّم سماعاً، أخبرنا عبد اللطيف ابن محمد البغدادي كتابة، أخبرنا محمد بن عبدالباقي قراءة عليه وأنا أسمع،

---

(١) البسملة والآية الكريمة أضفتهما ليتناسب هذا المجلس مع المجالس الأخرى، وانظر المقدمة ص٢٢.

(٢) هكذا جاء بدء الكلام في الأوراق غير المرتبة.

(٣) ابن النقاش هذا: أَرى أنه إبراهيم بن محمد بن صِدِّيق (٧١٩ هـ - ٨٠٦ هـ). قال السخاوي في «الضوء اللامع» ١: ١٤٧: يعرف: «بابن الرسام، وهي صنعة أبيه، وربما قيل لصاحب الترجمة: الرسام». والرسام والنقاش شيء واحد. وانظر تأكيد هذا فيما سيأتي أول ص ٣ من المجلسس ٢٥.
وشيخه أحمد ابن البَيَاني: كَتَبه البياني دون نقط ولاضبط، وأرى أنه البَيَاني، وهو أبو العباس أحمد بن أبي طالب الصالحي الحجار، وقد نَسَبه المصنف ص٢٨٠ البياني نسبة إلى جدّ له: بيان. وقد ذكر السخاوي أن مما سمعه ابن صديق على الحجار: «البخاري، ومسند الدارمي، وعَبْد، وفضائل القرآن لأبي عبيد، وأكثر النسائي، وغيرها من الكتب الكبار، وجزء أبي الجهم».
وهذا الصنيع من المصنف من الإغراب في تسمية الشيوخ.

أنشدنا محمد بن فتوح بن عبد الله، قال: وأنشدني والدي رحمه الله فيما لقَّننيه أيام الصِّبا:

مَن قابل النعمةَ من ربه بواجبِ الشكرِ له دامتِ
وكافرُ النعمة مسلوبُها وقلّ ماترجعُ إنْ زالتِ

وأما مأخذ الأمر والنهي من الآية فمن مفهومها أيضاً من مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ وهذا الرسول ﷺ قيل لنا في حقه: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، ومانهاكم عنه فانتهوا﴾ وفي قوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ فالكتاب وهو القرآن، والحكمة وهي السنة مشحونان بالأوامر والنواهي.

وأما العام المطلق في الآية: ففي قوله تعالى: ﴿ويزكيهم﴾ فهو عام في كلِّ ماتحصُل به التزكية.

وأما العام المقيَّد في الآية: ففي قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ فهو عام في كل مؤمن، لكنه قُيِّد بهذه الأمة لقوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾.

وأما الخاصُّ في الآية: ففي قوله تعالى: ﴿من أنفسهم﴾ والمراد ـ والله أعلم ـ العرب على أحد الأقوال، قال محمد بن سعد في كتابه «الطبقات»[1]: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ماعنتُّم﴾ قال: قد وَلَدتموه يامعشر العرب.

ورواه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه «دلائل النبوة»[2] من طريق محمد ابن السائب، ولفظه قال: ليس من العرب قبيلةٌ إلا وَلَدَت رسول الله

---

(١) ١: ٢١، وهشام وأبوه متروكان متهمان. الأب في إسناد أبي نعيم الآتي.
(٢) لم أره في مختصره المطبوع.

ﷺ: مُضَرِيُّها، وربيعيُّها، ويمانيُّها.

وأما المجمَل في الآية: ففي قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ فيه إجمال واحتمال لأن يكون قبل بعثة الرسول المشار إليه ﷺ، أو قبل تلاوته الآيات عليهم، أو قبل التزكية لهم، أو قبل تعليمهم الكتاب والحكمة، أو قبل هدايتهم للإيمان[١].

وأما المبيَّن في الآية: ففي قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ هذا بيانٌ للمنّ الذي امتنَّ الله تعالى به على المؤمنين.

وأما الناسخ: فمن مفهوم قوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً﴾ وقد اتفق المفسرون ووقع الإجماع عليه أن الرسول هنا هو نبينا خاتم الأنبياء أبو القاسم محمد بن عبد الله الهاشمي عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد نَسَخ الله تعالى ببعثته جميع الملل قبله إلا ما اتفقت عليه جميع الشرائع من توحيدِ الله عز وجل وأصولِه وبعضِ الأحكام، كما هو معروف.

وكلٌّ موحِّد لله عز وجل مؤمن به، والمؤمنون وقع ذكرهم في القرآن عاماً وخاصاً ومطلقاً ومقيداً، فمن العام: قول الله عز وجل: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾.

ومن الخاص: قوله عز وجل: ﴿محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداءُ على الكفار رحماءُ بينهم﴾.

ومن المقيَّد: قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِر الله وَجِلَتْ قلوبُهم وإذا تُليت عليهم آياتُه زادتهم إيماناً، وعلى ربهم يتوكلون﴾.

ومن المطلق: قوله تعالى في هذه الآية الشريفة: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ الآية.

أطلق ذكر المؤمنين هنا ـ وإن كان خاصاً بهذه الأمة ـ ولم يُقيّد

---

(١) والاحتمال الأول أوضحها.

بوصف ليشمل أقسامَها الثلاثةَ المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطَفَيْنا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصِد، ومنهم سابق بالخيرات﴾ وهؤلاء كلُّهم مؤمنون، وهم هذه الأمة المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾.

فالظالم لنفسه هو: العاصي بترك مأمور أو ارتكاب محظور.

والمقتصد: المؤدِّي للواجبات التارك للمحرمات.

والسابق بالخيرات: المتقرِّب إلى الله بما يستطيع من واجب ومستحب، التارك للمحرمات والمكروهات.

وهذان القسمان داخلان في قول الله عز وجل: ﴿ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.

وأما القسم الثالث ـ وهو الظالم لنفسه ـ معه من الإيمان والحسنات مايقتضي الثوابَ عليه، ومعه من المعاصي والسيئات مايقتضي العقاب عليه، ولاتخرجه معصيته من دائرة الإسلام، هذا مذهب جميع الصحابة وتابعيهم بإحسان وأهل السنة والجماعة القائلين: بأنه لايخلَّد في النار من كان في قلبه مثقالُ ذرة من إيمان.

وقد جاء أن هذه الأقسام الثلاثة كلَّهم في الجنة.

أنبأنا أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد الملقن، أخبرتنا أم عبد الله زينب ابنة أحمد المقدسية سماعاً، أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي، أخبرنا جدي لأمي أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا نصر بن أحمد الغازي بقراءتي عليه ببغداد، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله، أخبرنا الحسين ابن إسماعيل القاضي، حدثنا العباس البَحْراني، حدثنا أبو داود وعبدالصمد قالا: حدثنا شعبة، عن الوليد بن العَيزار، عن رجل من ثقيف، عن رجل من كِنانة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين

اصطفينا من عبادنا: فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات﴾ قال: «كلهم في الجنة» وقال أحدهما: أو قال: «بمنزلة واحدة»[١].

ولهذا الحديث شاهد عن أبي الدرداء رضي الله عنه، فيما خرَّجه الحاكم في «مستدركه» من طريق إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا جرير، حدثني الأعمش، عن رجل قد سماه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله عز وجل: ﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ قال: «السابق والمقتصد يدخلان الجنة بغير حساب، والظالم لنفسه يحاسَب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة»[٢].

ففي هذا وما قبله أنه من مات مؤمناً بالله عز وجل على توحيده فهو مقطوع له بالجنة.

---

(١) الحديث يرويه المصنف من طريق أبي داود الطيالسي، وهو في «مسنده» ص٢٩٦ (٢٢٣٦)، و «المسند» ٣:٧٨، والترمذي في تفسير سورة فاطر ٥:٣٣٨ (٣٢٢٥) وقال: «غريب» على مافي الطبعة التي أعزو إليها، لكن في طبعة حمص برقم (٣٢٢٣) و «تحفة الأشراف» ٣:٥٠٢ (٤٤٤٦): «حسن غريب»، مع أن في السند رجلين مبهمين كما ترى!.
ثم إن قوله «وقال أحدهما»: يفيد أن القائل أبو داود، أو عبد الصمد، لكن لم أر عند من رواه مايفيد أو يؤيد ذلك، إنما عندهم: «كلهم في الجنة، أو كلهم بمنزلة واحدة» قال شعبة أحدهما. أي: قال شعبة إحدى هاتين الجملتين، والشك منه. وهذا الشك جاء عند الطيالسي فقط ـ ومن طريقه البيهقي في «البعث والنشور» (٥٧) ـ وعند أحمد والترمذي بواو العطف.

(٢) «المستدرك» ٢:٤٢٦ وأشار إلى أن شيخ الأعمش سُمي في بعض الطرق أبا ثابت، ووصف في بعضها الآخر بأنه رجل من ثقيف، وقال: «إذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلاً». وانظر «الكنى» للبخاري ص١٧ (١٣٧).

وقد قُطع بالجنة لأقوام معيَّنين ومبهَمين، حسبما جاء النص بذلك، منهم العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد ذكرتُ حديثهم ببعض طرقه مع الكلام عليه في كتابي «الأربعين حديثاً المتباينة الأسانيد والمتون»[1].

وممن قُطع لهم بالجنة أهلُ الشجرة الذين بايعوا تحتها بيعةَ الرضوان.

---

(١) ولم يطبع بعد، وحديث العشرة المبشرين بالجنة: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، . . » وذكر علياً، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وأبا عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد. رضي الله عنهم. رواه سعيد بن زيد نفسه، وعبد الرحمن بن عوف أيضاً.
أما حديث سعيد فرواه الترمذي ٥:٦٠٦ (٣٧٤٨)، والنسائي في «الكبرى» ٥:٥٦ (٨١٩٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» ٢:٦٠٣ (١٤٣٠) وذكر العشرة جميعاً، ونَقَل الزَّبيدي في «شرح الإحياء» ٩:٢٨٠ عن الترمذي أنه قال فيه: «حسن صحيح» ولم أر ذلك فيه إنما هي متابعة للعراقي في «تخريج الإحياء» ٤:١٩٧، لكن العراقي لم يذكر لفظاً كما فَعَل الزبيدي، بل أشار إشارة إلى حديث سعيد بن زيد، وهو يريد الحديث الآتي الذي رواه سعيد وليس فيه ذكر أبي عبيدة. وحَصَل لغيره أيضاً تداخل في تخريج حديث سعيد وابن عوف، فليتنبَّه له.
وأما حديث ابن عوف: فرواه الترمذي أيضاً (٣٧٤٧) وأحمد ١:١٩٣، ونقل الترمذي عن البخاري رجحان حديث سعيد على حديث ابن عوف.
ولسعيد بن زيد رضي الله عنهم جميعاً ـ حديث آخر ذكر فيه العشرة إلا أبا عبيدة، ورسول الله ﷺ عاشرهم. جاء ذلك في مناسبة وقوفهم على حراء ـ أو أُحُد ـ وفي رواياتٍ عدة جاء ذلك دون هذه المناسبة. انظر «المسند» ١:١٨٧ـ١٨٩، وأبا داود ٥:٣٧، ٣٩ (٤٦٤٨، ٤٧٤٩)، والترمذي ٥:٦٠٩ (٣٧٥٧)، والنسائي في «الكبرى» مواضع متعددة، أولها ٥:٥٥ (٨١٩٠)، وابن ماجه ١:١٤٨ (١٣٣)، وانظر الحديث (٣٠) من «مسند عمر بن عبد العزيز» للباغندي بتحقيقي. ورواه الطبراني في الأوسط والصغير ـ «مجمع البحرين» ٦:٣١٢ (٣٧٥٩) ـ من حديث ابن عمر، وإسناده حسن.

أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن الذهبي الدمشقي بقراءتي عليه بجامع كَفْربطنا من الغُوطة، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمر البالسي بقراءتي عليه بزاوية جدِّه من سفح قاسيون، وأبو الحسن علي، وأم محمد زينب ولدا الأمير فخر الدين عثمان بن محمد بن الشمس لولو الحلبي بقراءتي عليهم بجامع بيت لِهْيا، وأم عبد الله زينب ابنة الإمام العلامة أبي محمد عبد الله ابن الإمام أبي أحمد عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانية بقراءتي عليها بمنزلها جوار المدرسة القَيْمَرية داخل دمشق قالوا: أخبرنا أبو العباس أحمد ابن الشِّحنة أبي طالب الدَّيْرمُقْرِني قراءة عليه، قال علي وابنة تيمية: ونحن حاضران، وقال الباقون: ونحن نسمع، زاد أبو هريرة فقال: وأخبرنا عيسى بن عبدالرحمن السِّمسار الصالحي قراءةً عليه وأنا حاضر، وأبو الفضل سليمان بن حمزة الحاكم، وأبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم المقدسيان إجازة قالوا ـ سوى ابن عبد الدائم ـ: أخبرنا أبو المنجَّا عبد الله بن عمر الحَرِيمي سماعاً، وقال الحاكم أيضاً وابن عبد الدائم: أخبرنا الحسين بن المبارك الزَّبيدي قراءة عليه ـ قال الحاكم: وأنا حاضر، وقال ابن عبد الدائم: وأنا أسمع ـ قالا:

أخبرنا عبد الأول بن عيسى السِّجْزي، أخبرنا محمد بن أبي مسعود الفارسي، أخبرنا عبدالرحمن بن أحمد الهروي، أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا العلاء بن موسى البغدادي، أخبرنا الليث بن سعد المصري، عن أبي الزبير المكي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «لايدخل أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة النارَ». خرَّجه أبو داود والترمذي والنسائي للَّيث، وهو حديث حسن صحيح فيما ذكره الترمذي، وفي صحيح مسلم معناه من طريق الليث[١].

وللحديث علةٌ غير مؤثِّرة، وهي رواية جابر رضي الله عنه للحديث عن

---

(١) تقدم تخريجه ص٦٣ من هذا الوجه ومن الوجه الآتي.

أم مبشِّر الصحابية زوجِ زيد بن حارثة رضي الله عنهم. خرَّجه مسلم في «صحيحه» والنسائي في «سننه» واللفظ لمسلم من حديث حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: أخبرتني أم مبشِّر رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة رضي الله عنها: «لايدخل النارَ إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحدٌ الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يارسول الله، فانتهَرها، فقالت حفصة: ﴿وإنْ منكم إلا وارِدُها﴾؟ فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجِّي الذين اتقوا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيّاً﴾».

ورواه أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى المَوْصِلي من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لايدخل النارَ إن شاء الله أحدٌ شهد بدراً والحديبية» وذكر الحديث بنحوه[1].

وفيه لطيفة وهي: رواية ثلاثة من الصحابة على نَسَق، وفي روايتنا الأولى لطيفة في إسناده وهي تباينُ رجاله بالنسبة إلى الأوطان، وفي الحديث من أنواعه: المزيد في متصل الأسانيد، وهو على أقسام بيَّنها الحافظ الخطيب البغدادي في مصنَّف خاص بهذا النوع. والله أعلم.

وقد نظمتُ العشَرة المشهودَ لهم بالجنة في بيت واحد قبله آخرُ تعريفاً للثاني فقلت:

وعشرةِ خيرِ صحبٍ بالجنان أتى وعدُ النبي لهم نصاً بلا خَللِ
عَتيقُ عثمانُ عامرْ طلحةٌ عُمَرُ الز بيرُ سعدٌ سعيدٌ وابن عوف عَلِي

* * *

(١) ٦: ٢٩٩ (٧٠٠٩) من طبعة دار القبلة = ١٢ (٧٠٤٤) من طبعة دار المأمون بدمشق.

بسم الله الرحمن الرحيم

-٢٣-

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

هذه الآيات الشريفات تبرَّكنا بتلاوتها أول التدريس، وهي من جوامع الكَلِم لاحتوائها على كل معنىً نفيس، والكلام عليها من وجوه كثيرة، لأن كل كلام مفيد منثور إذا طَرَق السمع يتعلَّق النظر فيه بأطراف من وجوه معاني الكلام، منها في بيان معاني ألفاظه المفردة، وهو علم اللغة، كالمنّ في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ فالمنُّ هنا: الإحسان والإنعام، ومن أسماء الله تعالى، المنان وهو من أبنية المبالغة، ومعناه: المنعِم، وقيل: الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، وقيل: الكثير العطاء العظيم المواهب.

فإنه سبحانه من بعض عطائه: أنه أعطى الحياة والعقل والمنطق بعد أن شقَّ السمع والبصر، وصوَّر فأحسن الصُّوَر، ورزق من الطيبات، وهَدَى إلى الإسلام، وأنعم بما لايحصى من الإنعام الخاصّ والعام، وذكَّر الله عباده بنعمه خصوصاً وعموماً.

قال بعض السلف: المنّ من الله تعالى هو التعريف، والمن من العباد هو التعنيف، وهذان وجهان من معنى المنّ، وله معانٍ أُخَر.

ومن الأطراف التي يتعلق بها: النظر في حكم تركيب الألفاظ واختلافها على وَفْق كلام العرب، وهذا هو علم الإعراب، الذي به تُفهم المقاصد والوسائل، ويتميَّز به المفعول من الفاعل، ويُعقل معنى الكلام.

وقد صنَّف فيه خلق من الأعلام مابين إيجاز، ووسط، وإطناب، وأجلُّه في الأقدمين مصنَّف سيبويه «الكتاب»، وفي المتأخرين من مؤلَّفات الأعيان «التسهيل» لابن مالك، وشرحه لأبي حيّان. ويطلق على هذا الفن ألقابٌ منها: النحو، واشتقاقه من: نَحَوْتُ الشيء أنحوه إذا قصدتَه، وكل شيء أمَمْتَه فقد نحوتَهُ، ومنه اشتقاق النحو في الكلام، كأنه قَصْدُ الصواب. قاله ابن دُريد في «الجمهرة».

ومن ألقاب هذا العلم: العربية، والإعراب، ومنها: المنطق.

ولم أر من وَسَمَه بهذا سوى الإمام أبي علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي النحْوي، له كتاب في النحو سماه «المنطق»[١] وليس بالمنطق المبنيِّ على الكلام في الحدّ ونوعه، والقياس البرهاني

---

(١) وكانت وفاته سنة ٣٧٧، لكن لم أر من ذكر له هذا الكتاب، إنما ذكر القِفطي في «إنباه الرواة» ٢ : ٢٩٦ اسم هذا الكتاب في ترجمة عصريّ الفارسي وشبيهه في بدعة الاعتزال، وهو أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمّاني المتوفى سنة ٣٨٤.
على أن أبا علي الفارسي وأبا الحسن الرماني سُبقا بتسمية كتابٍ في النحو بـ «المنطق»، فقد ذكر ياقوت في «معجم الأدباء» ٣ : ١٣٦٢ في ترجمة أبي زيد الأنصاري سعيد بن أوس المولود سنة ١١٦ والمتوفى سنة ٢١٥ أن له كتاب المنطق. ولكلثوم بن عمرو العتابي كتاب المنطق، وكانت وفاته سنة ٢٢٠، ولابن السِّكِّيت المتوفى سنة ٢٤٤ كتابه المشهور «إصلاح المنطق»، ولابن سعد الكاتب القُطْرُبُلِّي المتوفى سنة ٣٥٠ ـ أو في حدودها ـ كتاب المنطق ذكره له ياقوت ١ : ٢٦٤، ولأبي أحمد العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ كتاب بهذا الاسم، ذكره له ابن خلكان ٢ : ٨٤.
وهذه كلها في تقويم اللسان، لغة ونحواً. والله أعلم.
أما كتاب المنطق للنظّام الزنديق المشهور المتستِّر بالاعتزال، المتوفى سنة ٢٣١، الذي ذكره له ابن النديم ص٢٠٦ : فذاك ككتاب إرَسطاطاليس غالباً. والله أعلم.

ونوعه، ويَقسِم العلم إلى تصوُّر أوتصديق، وكلٌّ منهما: إما بديهي[(١)] أو نظري، إلى غير ذلك من قواعده التي يعتمدها أهل الجدل والكلام، ولاطائل تحته والسلام!.

ومن نظمي في ذمّه:

علم الكلام بلاؤه متعدِّد   منه الأئمةُ حذّروا يامُتّقي
وبلاؤه من منطقٍ صَدَق الذي   قال: البلاء موكَّل بالمنطق[(٢)]

ومن الأطراف التي يتعلق بها النظر: الاعتبار في مَثَار المقال، وهو علم أسباب الكلام، ومن وجوه علوم القرآن: أسبابُ نزوله، وهذه الآية الشريفة لها سبب في نزولها، وهو ظاهر، لكنه غامض، ولغموضه لم أر أحداً ذكره ممن صنف في أسباب نزول القرآن، كأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري لم يذكر في مصنَّفه لنزول هذه الآية سبباً، والسبب في نزولها ـ والله أعلم ـ: إعلام الله تعالى الأمةَ بإجابته دعوة خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، في حبيبه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، حيث قال فيما أخبر الله تعالى عنه: ﴿ربَّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ فأَعلَم الله المؤمنين بهذه الدعوة في هذه الآية، وبإجابته لها في الآية الأخرى بقوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

ومن الأطراف التي يتعلق بها النظر: كشفُ المكتوم من فحوى

---

(١) لو قال بَدَهي لكان أولى، إذِ النسبة إلى فَعِيلة فَعَلي، كما تقول: مدينة مَدَني، وبَجيلة بَجَلي.

(٢) تقدم هذا وتخريجه في المجلس٣ ص٨٢. وأزيد هنا أن الإمام محمداً رواه آخر كتابه «الآثار» عن أبي حنيفة، عن حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم النخعي قولَه.

المنطوق والمفهوم، وهو علم المبهمات من الأسماء والقضيَّاتِ.

وفي هذه الآية الشريفة عدَّة من ذلك تقدَّم بعض الكلام عليها، فمنه قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ هذا الرسول الذي جاء ذكره هنا منكّراً مبهماً جاء معرَّفاً مصرَّحاً به في غيرِ ماآيةٍ من القرآن، مع تعريف المؤمنين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداءُ على الكفار رُحَماءُ بينهم﴾ الآية.

وجاء في الآثار مثلُ ذلك، خرّج الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في «تفسيره المسند» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ قال: وكنتم أنتم المؤمنين[1]، وكان محمد ﷺ هو الرسولَ إليكم.

ومن مبهمات القضايا في الآية في قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾. قال ثابت بن يعقوب المقرى: حدثني الهذيل بن حبيب أبو صالح الأزدي، عن مقاتل بن سليمان قال في قوله تعالى: ﴿وإن﴾ يعني: وقد ﴿كانوا من قبل﴾ أن يبعث محمد ﷺ ﴿لفي ضلال مبين﴾ أي بيّن وهو الشرك.

ومن الأطراف التي يتعلق بها النظر: اعتبار ضروب نظم الألفاظ التي أفادها التركيب، وهو علم المعاني والبيان، وهو أحد وجوه العربية، وهو فن جليل بمعرفته يُعقَل عن الله عز وجل كتابُه وعن نبيه ﷺ أحاديثه، وبمعرفته يتَّسع المرء في منطقه، فإن تكلم أفصح، وإن احتجَّ أوضح، وإن كَتَب أبلغ، وإن خطب أعجب، والمعاني والبيان أحد أقسام البلاغة التي هي إيصال المعنى المقصود إلى القلب بأحسن مايكون من اللفظ وأجوده، فلو كان الكلام يُفهم المعنى بلفظ غير

---

(١) انظر صفحة ٣٨٣.

محكم لم يكن بليغاً، وكذلك لو كان اللفظ محكماً جيداً والمعنى غير طائل، لايعدُّ في البلاغة.

والبلاغة على ثلاث مراتب: عليا ووسطى ودنيا، والكلام إذا اجتمع فيه الفصاحة والجزالة والنظم كان كامل البلاغة، وأعلاها بلاغةُ القرآن لاجتماع هذه الثلاثة فيه.

فالفصاحة: دلالة اللفظ على المعنى مع الإفصاح والإيضاح. والجزالة: دلالة اللفظ على المعنى مع قلة حروف الكلم وتناسب مخارجها والاختصار. والنظمُ: ترتيب الألفاظ وارتباط بعضها ببعض مع تناسب الكلمات وتوازن الحركات والسكتات، والدلالة على المعنى المراد، وهذا كله في القرآن مع أسلوبه العجيب الذي لم يعهد نظيره ونظمه الغريب الذي لم يسمع لكلامٍ غيره تحريرُه ولاتحبيرُه، ولهذا عَجَز البلغاء كافة والفصحاء عامة عن الإتيان بسورة من مثله، وانقطعوا عن المعارضة بحديث من شكله، مع تحدّيهم وتوفُّر دواعيهم إلى المعارضة، ولم يقع ذلك منهم، ولاجاء شيء مثله عنهم.

قال الله عز وجل: ﴿وإنْ كنتم في ريبٍ مما نزَّلنا على عبدنا فأْتوا بسورةٍ من مثله وادْعُوا شهداءَكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا، ولن تفعلوا، فاتقوا النار﴾ الآية.

وفي هذه الآية معجزةٌ من وجه آخر، وهي الإخبار عن نفي فعلهم الإتيانَ بسورة من مثله، فكان كما أخبر سبحانه، وقد قال عز وجل: ﴿قلْ لئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجن على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً﴾. فوقع التحدِّي من الله عز وجل على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشرِ سورٍ ﴿قل فأتوا بعشرِ سورٍ مثلِه مفترياتٍ﴾ أو بسورة واحدة. وهو أدنى التحدي عند الجمهور.

وقيل: وقع التحدي بآية واحدة لقوله تعالى: ﴿فليأتوا بحديثٍ مثلِه﴾ فلم يأتوا بشيء من ذلك، تعجيزاً من الله تعالى لهم عن ذلك، كما عجز

المُفحَم عن نظم الشعر، مع اعتراف بعض فصحائهم وهو الوليد بن المغيرة المخزومي لما سمع أوائل (حم)[١] فقال: إن فيه حلاوة، وعليه طُلاوة، وإن أعلاه لمُغْدِق، وإن أسفله لمعرِق، وإنه ليعلو ولايُعلَى، وما أراه بكلام البشر.

وقد عدَّ جماعة من المعتزلة وغيرهم في وجوه إعجاز القرآن الصَّرْفة، لكنهم اختلفوا فمنهم من قال: صُرفوا عن القدرة على أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا عن ذلك، ومنهم من قال: صُرفوا عن التعرض له، قال علي بن عيسى ابن علي الرُّماني ـ وكان معتزلياً ـ في كتابه «النكت في إعجاز القرآن»: وأما الصَّرْفة: فهو صرف الهِمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صَرْف الهمّة عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلَّت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول.

وماقاله الرُّماني ـ ومن نحا نحوه من اعتقاد الصَّرفة أنها من وجوه الإعجاز ـ فاسد، كما أشار إليه الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن

---

(١) سورة فصلت، وكلام المصنف رحمه الله مركّب من خبرين: خبرِمن سمع من النبي ﷺ أول سورة فصلت، وهو عتبة بن ربيعة، وأجاب قريشاً بغير هذا الجواب، لكن مع الإعجاب بالذي سمع، وخبره مشهور في كتب السير، وعزاه في «الدر المنثور» ٥: ٣٥٨ إلى عدد من كتب السنة.
وخبرِ من قال القول الذي ذكره المصنف، وهو الوليد بن المغيرة، لكن قال ذلك حين جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه شيئاً من القرآن ـ غير مسمى ـ فكأنه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل. . ، فأنزل الله تعالى في الوليد: ﴿ذَرْني ومن خلقت وحيداً. .﴾ وهو مشهور في كتب السير أيضاً، انظر مثلاً «سيرة ابن هشام» ١: ٣٠٢، وهو في «المستدرك» ٢: ٥٠٦ من حديث عكرمة عن ابن عباس، وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، ورواه ابن جرير ٢٩: ١٥٦ وغيره عن عكرمة مرسلاً.

فزح الأنصاري القرطبي، وعلَّل فساده بأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف على أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفة هو المعجز يخرج القرآن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع. قاله القرطبي في «تفسيره»[١].

* * *

(١) ١ :٧٥، ثم نقل ص٧٦ كلام ابن عطية في «التحرير الوجيز» ١ :٣٨، وانظر «إعجاز القرآن» للباقلاني ص٢٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ٢٤ـ

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾[١]. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

وقد حصل للمؤمنين المشار إليهم في هذه الآية بالمِنَّة والنعمة الثناءُ العظيم، من الله الكريم، في الذكر الحكيم، بقوله تعالى: ﴿كنتم خيرَ أمة أخرجتْ للناس﴾ وبقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله، والذين معه أشِداءُ على الكفار رحماء بينهم﴾ الآية.

ووُصِفت هذه الأمة بأنها أمة مرحومة[٢] مع ما أُمروا به من التراحُم الذي منه الحديثُ الذي رَوَيناه من طرق عديدة في الدروس الماضية، ومن طرقه التي لم نذكرها في الدروس هنا[٣] ما:

أخبرنا الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد بن أبي عبد الله المجاور بطيبة، وهو أول حديث سمعته منه بقراءتي عليه، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد المَعَري المنعوت بالبدر، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أحمد بن أبي الفتح الشيباني، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أبي القاسم النَّصْري، وهو أول حديث سمعته

---

(١) البسملة والآية الكريمة أضفتهما ليتناسب هذا المجلس مع المجالس الأخرى.

(٢) انظر المجلس العاشر صفحة ٢٠٧ تعليقاً.

(٣) بل تقدم هذا الوجه بلفظه الآتي في المجلس الأول ص٣٦، مع التنبيه إلى عدم صحته.

منه قال: وأخبرنا أبو محمد عبد البر بن الحافظ أبي العلاء الهَمَذاني بها، حدثنا والدي الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار، حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن محمد الحافظ، حدثنا أبو صالح المؤذِّن وهو أحمد بن عبد الملك، أخبرنا أبو سعْد عبد الرحمن بن حمدان الشاهد، حدثنا أبو نصر محمد ابن طاهر الوَزيري الأديب، حدثنا أبو حامد البزاز، يعني أحمد بن محمد بن بلال، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسَ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء».

قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: هذا أول حديث سمعته من النبي ﷺ بعد خطبة الوداع، وقال أبو قابوسَ: هذا أول حديث رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما بالشام، وقال عمرو بن دينار: هذا أول حديث رواه لنا أبو قابوسَ، وقال ابن عيينة: هذا أول حديث أملاه علينا عمرو بن دينار، وقال عبد الرحمن بن بِشر: هذا أول حديث سمعته من سفيان، وقال أبو حامد: هذا أول حديث سمعناه من عبدالرحمن، وقال أبو نصر الوزيريُّ: هذا أول حديث سمعناه من أبي حامد، وقال أبو سعْد: هذا أول حديث سمعته من أبي نصر، وقال أبو صالح: هذا أول حديث سمعته من أبي سعد في رجوعي إلى نيسابور سنة اثنتين وثلاثين، يعني وأربع مئة، وقال أبو جعفر الحافظ: وهذا أول حديث سمعته من أبي صالح، وقال الحافظ أبو العلاء: وهذا أول حديث سمعته من أبي جعفر، قال ابنه أبو محمد عبد البر: وهو أول حديث سمعناه من أبي من لفظه، قال أبو عمرو النَّصْري: وهذا أول حديث سمعته من أبي محمد عبد البر.

وأنبأنا به عالياً جداً جماعةٌ من شيوخنا، منهم: أبو عبد الله محمد بن

محمد بن عبد الله الصالحيُّ[١]، عن يحيى بن محمد بن محمد بن سعد وغيره، أخبرنا أبو صالح نصر بن الحافظ أبي محمدٍ عبدالرزاق بن الشيخ العارف وليِّ الله أبي محمدٍ عبد القادر الجِيليّ كتابةً. وزاد شيخنا الصالحيُّ فقال: وأنبأنا الحافظ الكبير أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التُّونيُّ[٢]، أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي عبد الله الأَزَجيُّ إجازةً إن لم يكن سماعاً، قالا جميعاً: عن الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد ابن الحسن العطار الهمَذاني، فذكره.

هذا الحديث له ألقاب بحسب طُرُقه التي رَوَيناها منه، فهو حديث صحيح، وحسن، وضعيف الإسناد من وجه، وفرد، ومعلٌّ من وجوه، ومرفوع، وموقوف من وجه، ومسلسل بالأولية: مقطوعُ التسلسل، وموصول التسلسل من غير انقطاع، كما رويناه، ومعنعن، لقول سفيان فيه عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس، عن عبد الله بن عمرو.

فسياقه هكذا معنعناً لايَظْهَر فيه صفةُ التحمل: هل كان سماعاً من لفظ الراوي، أو عرضاً عليه، أو مناولة، أو إجازة مشافهةً أو كتابة، أو وجادةً؟ فالحديث المعنعَنُ إسنادُه ـ والحالة ماذُكِر ـ مختلَف في حكمه، فقيل: هو كالمرسل والمنقطع حتى يتبين اتصاله من وجه آخر، وهذا قول مرجوح، فالصحيح وعليه جماهير الأئمة: أنه متصل الإسناد بشرط سلامةِ المعنعِنِ الثقةِ من التدليس، وثبوتِ لقائه لمن رَوَى عنه.

واشترط أبو المظفَّر عبد الرحيم ابن السمعاني مع ثبوت اللقاء طولَ الصحبة بين الراويين.

واشترط أبو عمروٍ عثمان بن سعيد الدانيُّ معرفةَ المعنعِن بالرواية عمن روى عنه.

---

(١) ومنهم أبو هريرة ابن الإمام الذهبي، كما تقدم صفحة ٣٧.

(٢) هو الإمام الحافظ الدمياطي.

واقتصر مسلم صاحب الصحيح على المعاصرة ولم يشترط ثبوت اللقاء[١].

وإذا تقرر هذا ونظرنا فيمن عنعَن هذا الحديثَ وجدناه سفيان بن عيينة وقد اجتمعت فيه الشروطُ التي تَحكم لما رواه بالاتصال، ولايقال إن سفيان عُدَّ في المدلسين فبهذا فُقِد فيه شرط السلامة من التدليس، لأنا نقول: إن التدليس على أنواعٍ تَرجِع إلى قسمين:

أحدهما: تدليس السماع.

والثاني: تدليس الشيوخ والأماكن.

ومن ذلك ماهو مؤثِّر في الحديث قدحاً، ومنه مالايؤثر، كالتدليس المبيَّن وهو: الذي إذا سُئل عنه راويه بيَّنه، وعليه يُحمَل مافي الصحيحين من رواية المدلسين، كهُشَيم بن بَشِير[٢] وغيره.

ومن هذا الذي هو غير مؤثِّر تدليسُ سفيان بن عيينة، فروايته لهذا الحديث بالعنعنة لاتضرُّ، مع أنه قد رُوي عنه من طريقٍ بلفظ التحديث قال فيها سفيان: حدثنا عمرو بن دينار. وسفيانُ كان أجلَّ من أن يدلِّس تدليساً يؤثِّر قدحاً.

وهو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمرانَ ميمونٍ الهلاليُّ

---

(١) نعم لم يشترط مسلم ثبوت اللقاء، لكنه لم يقتصر على المعاصرة أيضاً، بل اشترط مع المعاصرة إمكان اللقاء بين الراوي وشيخه، كما هو صريح كلامه رحمه الله في مقدمة «صحيحه» ص٢٩، ومن التساهل المخلّ حكاية مذهب مسلم على الوجه الذي حكاه المصنف، إذ لو عُدم إمكان اللقي بينهما: لكان منقطعاً عند مسلم. وقد حصل هذا الخلل في حكاية مذهب مسلم للنووي وابن حجر على إمامتهما رحمهما الله تعالى، وذلك في مقدمة شرح صحيح مسلم ١: ١٤، و «شرح النخبة» ص٥٢.

(٢) في التمثيل بهُشَيم نظر، راجع ماتقدم ص٩٢، أما ابن عيينة فنعم، انظر ص١٢٨.

مولاهم، الكوفي الأصل، المكيُّ الدار، عالم الحجاز، وكان أعورَ العين، أدرك ستةً وثمانين تابعياً، وتفرد مدَّة عن الزهريِّ وعمروِ بن دينار، في آخرين، ولد بالكوفة في النصف من شعبان سنة سبع ومائة، ثم نقله أبوه إلى مكة، ثم دخل الكوفة وقد ناهز عشرين سنة، فقال الإمام أبو حنيفة لأصحابه: جاءكم حافظ علم عمرو ابن دينار. فجاء الناس إليه يسألونه عن عمرو بن دينار. قال ابن عيينة: فأولُ من صيَّرني محدثاً أبو حنيفة، فذاكرته.

وقد رُوي أن أولَ من أخذ عن سفيان من أهل الكوفة مِسْعَرُ بن كِدام، توفي مِسعر سنة خمس وخمسين ومائة، قبل وفاة سفيان بثلاث وأربعين سنة، توفي سفيان سنة ثمان وتسعين ومائة بمكة، ودفن بالحَجون وقبره ظاهر يزار، حجَّ سبعين حجةً، وله مناقبُ ومآثرُ جمَّة، وحِكَم ومواعظ، وآداب ونوادر.

وكان إذا جلس أصحابه إليه لسماع الحديث قال: اسمعوا ماأقول لكم! لو أن رجلاً أصاب مال أخيه فجاء به بعد موته إلى ورثته، لرأينا أن ذلك كفارة، ولو أن رجلاً أصاب من عِرْض رجل فتورَّع عنه بعد موته فجاء إلى ورثته وإلى جميع أهل الأرض فجعلوه في حلّ ماكان في حلّ، فعِرْض المؤمن أشدُّ من ماله، افهموا مايقال لكم! هو خير لكم من سماع الحديث![١].

وقال أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني[٢]: حدثنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، حدثنا محمد بن صالح بن الوليد، حدثنا أبو حفص عمرو بن علي قال: كنا عند سفيان بن عيينة فجاءته جاريته

---

(١) الخبر في «الحلية» لأبي نعيم ٧:٢٧٨، وعنده في ص٢٧٥ عن سفيان نفسه: «الغيبة أشدُّ من الدَّين، الدَّين يُقضى، والغيبة لاتُقضى!».

(٢) لم أر الخبر في «الحلية» في ترجمة سفيان بن عيينة. والله أعلم.

فقالت: مولاي! فلانٌ الصيرفيُّ يقرئك السلام، قالت: ويقول لك: بعث إليّ إنسان بعشرة آلاف درهم فقال: ادفعها إلى سفيان بن عيينة وهي عندي. فأخذ منها سفيان ثلاثةَ آلاف درهم وبقيت عنده سبعة آلاف، فجاء ابنُ أخيه عمرانُ ذات يوم مع جماعة يخطب إليه ابنته قال: مرحباً بابن أخي جاء يطلب أخته إلّا أن الله عز وجل قد أحلّها له، ثم قال:

اقرأ عشر آياتٍ من كتاب الله عز وجل. فلم يحسن! فقال: هاتِ ثلاثة أحاديث عن رسول الله ﷺ. فلم يحسن! فقال: هاتِ ثلاثة أبياتِ شعر من شعر العرب. فلم يحسن! فقال: لاتحسنُ آياتٍ من كتاب الله تعالى، ولاحديثاً عن رسول الله ﷺ، ولاأبياتَ شعر، اذهبْ إلى فلان الصيرفي فخذ منه أربعة آلاف درهم وتزوَّج مَن شئت.

وبقي عند الصيرفي ثلاثة آلاف درهم، فمرَّ به الصيرفيُّ يوماً فقال: ألا تبعثُ إلى بقيّة المال من يأخذه ـ قال أبو حفص: وقد كان الصيرفي قَضَى له حاجة ـ فقال: هو لك، فقال الرجل: لاحاجة لي بها وأنا عنها غني، فقال: ابن أخيك اليتيم، ادفعْها إليه ولاتراجعني فيه.

ومن نوادره الدالة على ورعه وتقواه، ونختم بذكر ذلك ماأمليناه، قال أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي الثُّمَالي ـ وهو المبرِّد، بكسر الراء على الصحيح ـ قال[1]: حُدّثت من غير وجه أن سفيان بن عيينة قال لجلسائه يوماً: إني أرى جارَنا هذا السَّهميَّ قد أَثْرَى وانفسحتْ له النعمة، وصار ذا جاه عند الأمراء، ووافداً إلى الخلفاء، فممَّ ذلك؟ ـ يعني يحيى بن جامع ـ فقال له جلساؤه: إنه يصير إلى الخليفة فيتغنَّى له، فقال سفيان: فيقول ماذا؟ فقال أحد جلسائه:

---

(١) في «الكامل» ٢: ٨١٤، ويحيى بن جامع الآتي، صواب اسمه: إسماعيل بن جامع، على مانبه إليه محققه.

فيقول:

أطوفُ نهاري مع الطائفيـ ـنَ وأرفعُ من مئزريَ المُسْبَلِ

فقال سفيان: ما أحسنَ والله ماقال! فقال الرجل:

وأسـهرُ ليـلي مع العاكفيـ ـنَ وأتـلو من المحـكَم المنزلِ

فقال: حسنٌ والله جميل! قال: إنّ بعد هذا شيئاً، قال سفيان: وما هو؟ قال:

عسى فارجُ الكرب عن يوسفٍ يسَـخّرُ لي ربّـةَ المَـحْمِـل

فزَوى سفيان وجهه وأومأ بيده: أَنْ كُفَّ وقال: حلالاً حلالاً.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ٢٥ ـ

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِن أنفسِهم يَتْلُو عليهمْ آياتِه ويُزَكِّيهمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِن قبلُ لَفِي ضلالٍ مبينٍ﴾[1]. [آل عمران ـ آية ١٦٤].

. . . على ارتفاع الأحكام وبقائها.

فهذا بعض وجوه مأخذ علوم القرآن منه، وأصلها المنطوق والمفهوم، فالمنطوق مادل على اللفظ بغير واسطة في محل النطق: تارة يكون نصاً، والنص اصطلاحاً: مارُفع في بيانه إلى أقصى غايته، وهو مااستقلّ بنفسه بنصه.

وتارة يكون ظاهراً وهو: مااحتمل أمرين أحدهما أقوى من الآخر.

وأما المفهوم: فهو مادلَّ عليه اللفظ في محل السكوت، ودلالته مختلف فيها: هل هي قياسية أو لفظية؟ والأول منقول عن الشافعي، وذكر الشيخ أبو حامد الإسفراييني أن دلالته [لفظية] وأنه الصحيح من المذهب[2].

---

(١) البسملة والآية الكريمة أضفتهما ليتناسب هذا المجلس مع المجالس الأخرى. وهكذا جاءت البداية في الورقة الأولى منه، وبداية الكلام مكررة مع ماتقدم صفحة ٢٥٩.

(٢) انظر المسألة في كتب أصول الشافعية: «التبصرة» ص٢٢٧ مع التعليق، و«شرح اللمع» ١:٣٥٦،٤٢٤ كلها للإمام الشيرازي، و«البرهان» للجويني ١:٢٩٨، ٢:٥١١، و«المستصفى» ٢:١٩٠، و«البحر المحيط» للزركشي ٤:١٠، وفيه حكاية قول الإمام أبي حامد.

فقوله تعالى: ﴿فلاتقلْ لهما أُفٍّ﴾[١] فمنطوقه تحريم التأفف، ومفهومه: تحريم الضرب والسبِّ ونحوه.

فالتأفيف مصرَّح به لفظاً، وتحريم الضرب والسبِّ ونحوه مفهوم من لحن الكلام وفَحواه. والله أعلم.

وقد فرقوا بين اللحْن والفحوى، فالفحوى: مايعلم من الخطاب بطريق القطع، واللحن: معنى الخطاب.

إذا تقرر هذا فقوله سبحانه وتعالى: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾ من مفهومه: القيام بشكر نعم الله وترك كفرانها، ولذلك مَدْرَكان يدرك بهما مذكوران في الآية: أحدهما: السمع، ومستنَده تلاوة الآيات المشتملة على جميع أحكام الشرع في أفعال العباد.

والمدرك الثاني: حصول التزكية التي منها فتح البصيرة للنظر بعين الاعتبار فيدرك بذلك بعض حكمة الله في كل موجود خلقه الله، إذْ ماخلق الله شيئاً إلا وفيه حكمة جليّة وخفيّة، بل جميع أجزاء العالم، لاتخلو منه ذرة عن حكمة إلهيّة، فمن لم يطّلع على أحكام الشرع التي تضمنته الآيات التي تُتلى عليه في جميع أفعاله، فيمتثل الأوامر ويجتنب النواهي: لم يمكنه القيام بحق شكر الله أصلاً.

ومن لم يعرف حكمة الله في خلق نفسه فضلاً عن غيره، أو استعمل شيئاً من جوارحه ظاهراً أو باطناً في غير الجهة التي خُلق لها ذلك الشيء على غير الوجه الذي أُريد به: فقد كفر نعمة الله فيه، قال الله عز وجل: ﴿وماخلقتُ الجنَّ والإنس إلا ليعبدونِ﴾.

فكل من استعمل شيئاً من نعم الله في غير طاعته فقد كفر النعمة، والنعمة إذا كُفِرت نَفَرت وزالت، وإذا زالت بالكفران قلّ أن تعود كما كانت.

---

(١) سبق قلمه رحمه الله فكتب: ولاتقل. . .، وهو واقع في «مستصفى» الإمام الغزالي وغيره ممن بعده.

أخبرنا إبراهيم بن محمدٍ النقاشُ أبوه بقراءتي عليه، أخبرنا أحمد بن أبي طالب، أخبرنا عبداللطيف بن القُبَّيطي كتابة، أخبرنا محمد بن عبدالباقي سماعاً، قال: أنشدنا محمد بن فتوح بن عبدالله قال: وأنشدني والدي رحمه الله فيما لقَّنَنيه أيام الصِّبا:

من قابلَ النعمةَ من ربّه بواجب الشكر له دامتِ

وكافرُ النعمة مسلوبُها وقلّ ما ترجع إن زالتِ

وقد استعاذ النبي ﷺ من زوالها.

أخبرنا أبو محمد رسلان بن أحمد بن الموفق، أخبرنا محمد بن المحب عبدالله ابن أحمد، ومحمد بن أحمد بن أبي الهيجاء. قال ابن المحب: أخبرنا إبراهيم بن عمر الواسطي، أخبرنا منصور بن عبدالمنعم، وقال ابن المحب أيضاً وابن أبي الهيجاء: أخبرنا محمد بن عبدالهادي، وقال ابن أبي الهيجاء أيضاً: أخبرنا أحمد ابن عبدالدائم، قال هو وابن عبدالهادي: أخبرنا محمد بن علي الحراني، قال هو ومنصور: أخبرنا محمد بن الفضل الصاعدي، أخبرنا عبدالغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثنا مسلم[١]، حدثنا عبيدالله بن عبدالكريم أبو زرعة، حدثنا ابن بكير، حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن، عن موسى بن عقبة، عن عبدالله بن دينار، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ : «اللهم إني أعوذ بك من زوالِ نعمتك، وتحوُّلِ عافيتك، وفُجَاءةِ نقمتك، وجميع سَخَطك».

فبالشكر تثبت النعم ولاتزول، ويبلغ الشاكر من المزيد فوق المأمول، ولهذا كانوا يسمون الشكر (الحافظ، والجالب) لأنه حافظ للموجود من النعم، جالب للمفقود منها بالمزيد.

---

(١) في «صحيحه» ٤: ٢٠٩٧ (٩٦).

ومادّة شكر في اللغة كيف ما تُصُرِّف فيها تدل على الكثرة، يقال:
أشكَرَ القومُ: إذا أصاب نَعَمُهم بقلاً تدرُّ على أكله ألبانُها.

ويقال: اشْتكَر ضرع الناقة: إذا امتلأ لبناً، فهي شَكِرة، وربما استُعِير ذلك للسحاب.

والشكير: مانبت في أصول الشجر الكبار منه.

وأيضاً: هو الزرع ينبتُ في الأرض الكريمة في أصول الزرع من غير بذر.

والشَّكِير أيضاً: مانبتَ من الشعر بين الضفائر.

وأيضاً: مانبَتَ من الشعر الضعيف خلال الشيب.

وأيضاً: مانبَتَ من صغار الشعر في مَعْرَفة الفرس[١].

والشكور من النساء: مَن يَستبين عليها أثر الغذاء كالسِّمَن ونحوه.

وكذلك الشكور من الخيل.

والشكور من العباد: من كَثُرَ شكره لله عز وجل، قال تبارك وتعالى: ﴿وقليل من عباديَ الشكور﴾. والشَّكَّار أبلغ في الكثرة[٢].

والشكر في أحد تعريفاته: الثناء على المحسن بما أَوْلَى من الإحسان، وهو أحد نوعي الحمد، لأن الحمد لله على نوعين: حمد ثناء ومدح، وحمد عبودية وشكر، والأول أفضل، لأن حمد الثناء والمدح

---

(١) هو شعر رقبتها.

(٢) وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربَّه سبحانه وتعالى هذا المقام، وذلك فيما رواه الإمام أحمد ١:٢٢٧، والترمذي ٥:٥١٧ (٣٥٥١) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه ٢:١٢٥٩ (٣٨٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «ربِّ أَعنّي ولاتُعِنْ عليَّ، وانصرني ولاتنصر عليَّ.. ربِّ اجعلني لك شَكَّاراً، لك ذكّاراً، لك رَهَّاباً..».

متعلِّق بصفات الله تعالى وأسمائه كقوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين﴾ فجميع أسماء الله تعالى حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده، ووجد بحمده، ﴿ألا له الخلقُ والأمرُ تبارك الله ربُّ العالمين﴾.

وأما حمد العبودية والشكر ـ ويقال له: حمد النِّعم والآلاء ـ فهو مشهود لكلٍّ من الخليقة مؤمنِها وكافرِها، وبرِّها وفاجرها. فمن أوائل النعم الإيجاد من العدم، فالمؤمن معترف بالله الخلاق، وتوحيده، والكافر معترف بالخلاق لكن مع الإشراك في معبوده ﴿ولئنْ سألتَهم من خلقهم ليقولُنَّ الله﴾.

وهذا الخلق من قسم النعم التي ابتدأ الله تعالى بها قبل السؤال، بل بمجرد منّ وإفضال، ومن هذا القسم: ماخصَّ الله تعالى به المؤمنين من الإيمان وغيره، ومنه ماقاله في كتابه المبين: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ ومنُّه سبحانه عليهم أجلُّه الإيمان الذي حبَّبه إليهم وزيَّنه وكَتَبه في قلوبهم، وذَكَرهم قبل أن يذكروه، وألحقهم قبل السؤال بمطلوبهم. هذا من بعض إنعامه عليهم في الدنيا، ومنه بَعْثُه الرسلَ، وتيسيرُ الطاعات التي ينالون بعملها الدرجات في الجنات، لأن الله عز وجل قد أعدّ للمؤمنين من نِعمه في الآخرة داراً هي المقصود ﴿فيها ماتشتهي الأنفس وَتَلَذُّ الأعين﴾ مع الخلود، مودَعةً من النعيم والحِبْرة والسرور، والغُرَف والخيام والقصور، من الذهب واليواقيت والدرر مالاعينٌ رأتْ، ولاأذنٌ سمعت، ولاخطر على قلب بشر!.

فأيُّ شكر يقابل هذا الإنعام ؟! أم أيُّ ثناء يقاوم أصغر نعمة من هذا الإكرام ؟!.

روِّينا في «كتاب الشكر» لأبي بكر بن أبي الدنيا[(١)]، عن وهب بن

---

(١) ص ٥٩ (١٤٥)، وتقدم الخبر صفحة ١٧٧.

منبِّه قال: عَبَدَ الله تعالى عابد خمسين عاماً، فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك، قال: يارب وماتغفر لي ولم أذنب ؟ فأذن الله لعِرق في عنقه فضرب عليه، فلم ينم ولم يصلِّ، ثم سكن فنام، فأتاه ملك فشكى إليه فقال: مالقيتُ من ضربان العِرق ؟ فقال الملك: إن ربك يقول: عبادتك خمسين سنة تعدل سكونَ ذا العرق.

فهذه نعمةُ نوع واحد من أنواع عافية البدن استغرقت عبادة خمسين سنة من الزمان، فما ظنُّكم بما لايحصى من النعم المتكاثرة في الدنيا والآخرة ؟!.

وما ثَمَّ إلا العجزُ عن شكر ربنا   كما ينبغي سبحانه متفضِّلاَ[١]

والاعترافُ بالعجز نوع من الشكر، والتوفيقُ للشكر نعمة يجب شكرها، وسؤال الإعانة على الشكر سنّة يُتَّبع أثرها، وينشر ذكرها.

أنبأنا[٢] الحافظ أبو بكر محمد بن عبدالله المقدسي، أخبرنا أبو بكر ابن أحمد الضرير قراءة عليه وأنا أسمع، في محرم سنة ثمانَ عشرةَ وسبع مئة، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن مُسَلَّم قراءة عليه وأنا حاضر في الخامسة، أخبرتنا شُهْدة ابنة أحمد الكاتبة سماعاً، أخبرنا أحمد بن عبدالقادر بن محمد اليوسفي، أخبرنا أبو القاسم عبدالرحمن بن عبيدالله الحُرْفي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن سَلْمان الفقيه، أخبرنا عبدالله بن محمد القرشي، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا أبو معاوية وجعفر ابن عون، عن هشام بن عروة، عن ابن المنكدر قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم أَعِني على شكرك وذكرك وحسن عبادتك».

وأخبرنا الشيوخ المسنِدون: أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن

---

(١) هذا أحد ثلاثة أبيات للمصنف تقدمت ص ١٨٠.

(٢) من هنا إلى آخر المجلس تقدم آخر المجلس السابع ص١٨٢ فما بعدها، وهناك تخريج الأحاديث.

عثمان بن محمد بن محمد بن محمد المعظَّمي، وأبو العباس أحمد بن أبي العز بن أحمد بن أبي العز الثوري، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصوفي، بقراءتي عليهم متفرقين قالوا: أخبرنا أحمد ابن الشِّحْنة أبي طالب، والعفيف إسحاق بن يحيى الآمدي. قال الأول: أنبأنا جعفر بن علي المقرىء، وعبدالله بن عمر العتابي. قال جعفر: أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ سماعاً، وقال العتابي: أخبرنا أبو علي الحسن بن جعفر قراءة عليه ونحن نسمع، قال هو والحافظ: أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد البَرْقاني.

وقال الآمدي: أخبرنا يوسف بن خليل الحافظ، أخبرنا أبو سعيد خليل بن أبي الرجاء الراراني، وأبو الحسن مسعود بن أبي منصور، قالا: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الحداد، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله، قال هو والبرقاني: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر البُنْدار، حدثنا ابن أبي العوام، حدثنا أبو عاصم، حدثنا حَيْوَة بن شُرَيح، عن عقبة بن مسلم، عن أبي عبدالرحمن الحُبُلِيّ، عن الصُّنَابحي، عن معاذ رضي الله عنه قال: لقيني النبي ﷺ فأخذ بيدي فقال: «يامعاذُ إني أحبُّك» قلت: يارسول الله، وأنا والله أحبك، قال: «أفلا أُوصيك بكلماتٍ تقولُهنَّ في دُبُر كل صلاة! قل: ربّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

تابعه أبو بكر محمد بن عبدالله الشافعي فقال: حدثنا محمد بن أحمد ابن أبي العوام، حدثنا الضحاك بن مَخْلَد، فذكره.

وحدَّث به أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي في كتابه «معجم الصحابة» عن علي بن مسلم، عن أبي عاصم النبيل[١].

وخرجه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» عن عبدالله بن يزيد المقرىء.

---

(١) هو الضحاك بن مخلد.

وخرجه أبو داود في «سننه» عن عبيدالله بن عمر بن ميسرة، هو القواريري، عن عبدالله بن يزيد المقرىء.

وخرجه النسائي في «سننه» عن يونُس بن عبدالأعلى، عن ابن وهب، كلاهما عن حيوةَ بن شريح، وهو أبو زرعة المصري، بنحوه.

وهو في صحيحي أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبي حاتم محمد بن حِبان، و«مستدرك» الحاكم أبي عبدالله، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ورواه أبو بكر أحمد بن محمد بن السُّني في كتابه «عمل اليوم والليلة» فقال: أخبرني محمد بن محمد الباهلي، حدثنا الحسن بن حماد، حدثنا يحيى بن يعلى، عن حيوة بن شريح، فذكره.

ورويناه من طرق غيرِ ماذُكر.

والصُّنَابحي راويه: هو أبو عبدالله عبدالرحمن بن عُسيلة بن عِسل بن عسّال المرادي، ونسبه إلى صُنابح بن زاهر، بطنٍ من مراد، رَحَل الصنابحي من اليمن إلى النبي ﷺ فلم يدركه، لأن النبي ﷺ قبضَ والصنابحيُّ قد وصل إلى الجُحْفة، فقدم المدينة بعد خمسة أيام من وفاة النبي ﷺ فهو تابعي، ووقعت روايته عن النبي ﷺ في «سنن ابن ماجه» فهي مرسلة، شهد الصُّنَابحي فتح مصر، ونزل دمشق، وبها توفي رضي الله عنه.

وقال أبو محمد عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم الخراساني: حدثنا جعفر بن محمد بن القعقاع، حدثنا خالد بن يزيد العمري، حدثنا ابن أبي ذئب، عن صفوان بن سُلَيم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: اللهم أعني على أداء شكرك، وذكرك، وحسن عبادتك: فقد اجتهد في الدعاء».

ومما قلته في معنى الحديث نظماً، نجعله لما ذكرناه ختماً، وهو:

أوصيكم بالذكر ياإخوتاهْ	ذكرِ الإله الحقِّ فيه النجاهْ
خصوصاً المأثورَ فهو الذي	قبوله يُرْجى لمن قد رجاه
ومنه ماأوصى معاذاً به	نبيُّنا صلى عليه الإله
بدعوة جامعة للغنى	يدعو بها الرحمنَ دُبْرَ الصلاة
إعانةِ الرب على ذكره	وشكره معْ حُسنِ فرضٍ قضاه
فادعوا بهنَّ الله فهو الذي	يعطي ولايمنع عبداً دعاه
سبحانه من ماجدٍ واجدٍ	ربّ الورى لاربّ حقاً سواه

آخر المجلس ولله الحمد حمداً كثيراً

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

* * *

الفوائد التي كتبها المصنف ضمن المجالس
وليست لها مناسبة بها

١ ـ أبو القاسم إبراهيم بن محمد ابن الإفليلي، حدث عن أبيه، وعن أبي زكريا يحيى بن مالك بن عائذ، وغيرهما[1].

* * *

٢ ـ الحمد لله

قال أبو حامد الغزالي في كتابه «وسيلة الحاجات وآداب المناجاة» في تفصيل قواعد العقائد، حين ذكر قصة سؤال مالك بن أنس عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ قال الغزالي: ولايخفى كراهية السلف رضوان الله عليهم الخوضَ في تأويلاتها وشدة إنكارهم على من يتكلّم فيها، وإن كان من المتأخرين من رأى جواز التأويل، وحاشى وكلا أبى الله علماً وحكماً ! ولكن الإيثار ماعليه الجمهور واختيار أكثر الأئمة المتقدمين، إذْ معرفة ذلك ليس بفرض عين بالاتفاق، فإذا علمتَ عقيدة التوحيد، وفهمتَ الواجب من ذلك فلا خلاف بين الأئمة أنه من

---

(١) الإفليلي: من نسل سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أديب بارع، ولغوي كبير، شرح ديوان المتنبي شرحاً جيداً، أصله من قرية في بلاد الشام، أما هو فأندلسي، تولّى الوِزارة، ولد سنة ٣٥٢، وتوفي سنة ٤٤١. له ترجمة عند ياقوت في «معجم الأدباء» ١:١٢٣، وابن خلكان ١:٥١، «والوافي بالوفيات» ٦:١١٤، و «تاريخ الإسلام» للذهبي ص٤١، وهو الذي ذكر روايته عن أبيه وابن عائذ وغيرهما.

قدَّس الله ونزَّهه ووصفه بما وصف به نفسه، ولم يعتقد مايقال فيه إنه بدعة: فعند أهل الحق عَلِم ماوجب عليه تعلمُه من ذلك، وليس أحد من الأئمة يُوجِب عليه العلمَ بتأويل هذه الظواهر، فلنقتصرْ على آرائهم، ولنتركْ مجاوزة اعتقاداتهم، والخطأُ مع تعيين السلامة أحسنُ من الصواب مع توقُّع الخطر.

نسأل الله تعالى التوفيق والعصمة من طريق الخَطَل بمنّه وكرمه.

* * *

٣ ـ الحمد لله

أنبأنا الحافظ أبو بكر محمد بن عبدالله المقدسي، أخبرنا التقيُّ أبو محمد عبدالرحمن بن عبدالولي سماعاً في سلخ ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبع مئة، أخبرنا جدّي لأمي التقيُّ عبدالرحمن بن أبي الفهم، أخبرنا يحيى بن أسعد، أخبرنا بَهرام بن بَهرام البيع، أخبرنا علي بن المحسِّن القاضي، حدثنا أبو عمر محمد بن العباس الخزاز، أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف فيما قرىء عليه وأنا أسمع في صفر سنة ثمان وثلاث مئة، حدثنا سماعة بن محمد بن سماعة، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا أبو هلال، عن عبدالله بن بُريدة قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ماتعلَّم أحد الفارسية إلا خَبُث، ولاخَبُث إلا ذهبت مروءته[1].

* * *

---

(١) إسناده من علي بن الجعد فمن فوقه حسن، وقد تابعه على رواية هذا الأثر وكيع عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٩:١١، وانظر «المستدرك» ٤:٨٧، ٨٨، و«موضوعات» ابن الجوزي ٣:٧١، و«شعب الإيمان» ٢:٢٥٧ ـ بيروت ـ.

وكأن هذا لمن تعلم الفارسية عدولاً عن العربية.

قال أبو عبدالله بن منده في «المعرفة»: أخبرنا محمد بن إسحاق بن نافع الخُزاعي بمكة، حدثنا محمد بن خالد البَرْذَعي، حدثنا موسى بن سهل الرملي.

وقال ابن منده أيضاً: وحدثنا جُمَح بن أبان المؤذن بدمشق، حدثنا عبدالله بن إسحاق الرملي، حدثنا يحيى بن السكن الرملي، قالا: حدثنا محمد بن فهر بن جميل بن أبي كريم بن لفاف بن كدَن، حدثنا أمية ولفاف ابنا مفضَّل بن أبي كريم، عن المفضَّل بن أبي كريم، عن أبيه، عن جده لفاف، عن الأقرع بن شُفَي العَكّي، قال: دخل عليّ النبي ﷺ في مرضي فقلت: لاأحسبُ إلا أني ميتٌ من مرضي، فقال النبي ﷺ: «كلا لَتبقينَّ، ولتُهاجرنّ إلى أرض الشام، وتموتُ وتدفنُ بالربوة من أرض فلسطين»[١].

رواه إسماعيل بن رُشَيْد الرملي، عن ضمرة بن ربيعة، عن قادم بن ميسور القرشي، عن رجل من عُكْل[٢]، عن الأقرع العَكّي قال: مرضت. فذكر الحديث نحوه.

* * *

---

(١) رواه غير ابن منده: ابن السكن في «معرفة الصحابة»، وابن عساكر في مقدمة «تاريخه» وهشام بن عمار في «فوائده» ـ انظر «الإصابة» ترجمة الأقرع هذا ـ وأبو نعيم في «المعرفة» أيضاً ٢:٤١٣ (١٠٣٦)، وظاهر كلامه أنه في «المعجم الأوسط» للطبراني، ولاشيء فيه، ولا في «مجمع البحرين»، ولا «مجمع الزوائد».

(٢) كذا بخطه، وفي المصادر الأخرى: من عَكّ، وهو الظاهر.

٤ ـ الحمد لله

أجاز للمسئول لهم في هذه الاستجازةِ المباركةِ الشيختان المسندتان الستُّ الجليلةُ بايْ خاتون ابنة قاضي القضاة أبي الحسن علي بن الإمام العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء محمد بن عبدالبر السُّبْكي الشافعي، وأم عبدالله عائشة ابنة إبراهيم بن خليل ابن الشرائحي ماتجوز لهما روايته بشرطه.

وكتَبَ عنهما بإذنهما العبد محمد بن أبي بكرٍ عبدالله بن محمد عفا الله عنهم.

وأجاز كذلك ماتجوز له وعنه روايته بشرطه. الحمد لله».

* * *

٥ ـ الحمد لله

أنبؤونا عن الأئمة الحافظين أبي الحجاج يوسف بن الزكي المزي، وأبي محمد القاسم بن محمد ابن البِرزالي، والمقرىء أبي عبدالله محمد ابن أحمد بن علي الرقي قالوا: أخبرنا أبو محمد عبدالواسع بن عبدالكافي الأبهري سماعاً ـ قال المزي: بقراءتي ـ أخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد الواسطي كتابة، أخبرنا أبو الحسن عبيدالله بن محمد بن أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي سماعاً، أخبرنا جدي الإمام أبو بكر أحمد، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الصفار، حدثنا أحمد بن عيسى البِرْتي القاضي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا عُبادة بن مسلم، حدثني جبير بن [أبي] سليمان بن جبير بن مطعم أنه كان جالساً مع ابن عمر رضي الله عنهما فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه حين يمسي وحين يصبح لم يَدَعْهُ حتى فارق الدنيا ـ أو

قال: حتى مات ـ: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني [ودنياي] وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يديَّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، [و] أعوذُ بعظمتك أن أُغتال من تحتي».

قال جبير: هو الخسف.

قال عبادة: فلا أدري: قول النبي ﷺ هذا، أو قول جبير؟[1].

فيه عدَّة من الأشياخ المتأخرين المتوفَّيْنَ في المائة (الثامنة؟)[2].

* * *

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

محمد عوامة

السبت ـ ٣ من جمادى الآخرة ـ سنة ١٤١٦هـ

---

(١) الحديث يرويه المصنف من طريق البيهقي، والظاهر أنه في كتابه «الدعوات»، وهو في «مصنف ابن أبي شيبة» ١٠: ٢٣٩ (٩٣٢٧)، و«سنن النسائي الكبرى» ٦: ١٤٥ (١٠٤٠١) و «الصغرى» ٨: ٢٨٢ (٥٥٢٩) من طريق أبي نعيم الفضل بن دُكين، به، ورواه أبو داود ٥: ٣١٥ (٥٠٧٤)، وابن ماجه ٢: ١٢٧٣ (٣٨٧١) من طريق وكيع، به، وفيه تفسير وكيع كتفسير جبير، ورواه النسائي في الصغرى ٨: ٢٨٢ (٥٥٣٠) من وجه آخر عن عبادة بن مسلم، به. ومابين المعقوفين زدته من المصادر المذكورة، وهو حديث صحيح.

(٢) كلمة «الثامنة» لم تظهر جيداً، فلعلها كذلك ؟ وهكذا كتب المصنف هذه الجملة بحروف صغيرة أسفل الصفحة بعيداً عما قبلها.

صفحة الاستدراك

ص ٦٣ ت، ٢١٧ ت

فسَّرت (كذب) بمعنى أخطأ، وهذا أمر مشهور جداً. لكن يبدو لي من دقة العرب في كلامهم أنه لابد من فرق عندهم في استعمال هاتين الكلمتين، وهو أنهم لايخطِّئون الرجل بكلمة (كَذَب) إلا في حال تعنيفهم له على شدة خطئه، أما في حال مجرد التخطئة فلا. والله أعلم.

ص ١٣٦، ٤٢٠

ذكر المصنف من أقسام العلو «علو الموافقات ونحوها». وقلت في شرحه: هي الموافقة، والبدل، والمساواة، والمصافحة، وهذا شرحها من كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله في «شرح النخبة» بالأمثلة. قال ص ١٢٥-١٢٦ مع حاشية «لَقْط الدرر» ـ بتصرف يسير في اللفظ ـ:

مثال الموافقة: روى البخاري عن قتيبة، عن مالك حديثاً، فلو رويناه من طريق البخاري كان بيننا وبين قتيبة ثمانية، ولو روينا ذلك الحديث بعينه من طريق أبي العباس السراج عن قتيبة ـ مثلاً ـ لكان بيننا وبين قتيبة فيه سبعة.

فقد حصلت لنا الموافقة مع البخاري في شيخه بعينه مع علو الإسناد، على الإسناد إليه.

ومثال البدل: أن يقع لنا ذلك الإسناد بعينه ـ أي: قتيبة عن مالك ـ من طريق أخرى إلى القَعْنبي عن مالك، فيكون القعنبي بدلاً فيه عن قتيبة.

ـ فسُمِّي بدلاً للوصول فيه إلى القعنبي، بدلاً من الوصول فيه إلى قتيبة ـ.

ومثال المساواة: أن يروي النسائي ـ مثلاً ـ حديثاً يقع بينهِ وبين النبي ﷺ

فيه أحد عشر نفساً، فيقع لنا ذلك الحديث بعينه بإسناد آخر إلى النبي ﷺ يقع بيننا فيه وبين النبي ﷺ أحد عشر نفساً، فنساوي النسائيَّ من حيثُ العددُ، مع قطع النظر عن ملاحظة ذلك الإسناد الخاص.

والمصافحة: هي الاستواء مع تلميذ ذلك المصنف ـ رواية النسائي مثلاً ـ على الوجه المتقدم.

وسُميت مصافحة لأن العادة جرت في الغالب بالمصافحة بين من تلاقَيا، ونحن ـ الحافظ ابن حجر ـ في هذه الصورة كأنا لقينا النسائيَّ، فكأنا صافحناه.

ومثَّل العراقي للمساواة والمصافحة في «شرح ألفيته» ٢:٢٥٩ـ٢٦٠ بحديث النسائي عن علي رضي الله عنه، في «مسند مالك» الذي فيه بين النسائي والنبي ﷺ عشرة رجال، في النهي عن نكاح المتعة، ويرويه أحدُ شيوخ العراقي ويكون بينه وبين النبي ﷺ عشرة كذلك، فهو لشيخ العراقي مساواة مع النسائي، وللعراقي مصافحة.

وللنسائي حديث عُشاري آخر هو في «سننه الكبرى» ١:٤٢ (١٠٦٨)، ٦:١٧٣ (١٠٥١٧) و«الصغرى» ٢:١٧١ـ١٧٢ (٩٩٦)، هو حديث أبي أيوب مرفوعاً: «قل هو الله أحد: ثلث القرآن». قال النسائي عقبه: «لاأعرف في الإسناد الصحيح إسناداً أطول من هذا».

ورواه الترمذي ٥:١٥٣ (٢٨٩٦) وقال: حديث حسن. وهو له عُشاري أيضاً.

ص ١٤١ ت

حديث ذهابه ﷺ إلى العيد من طريق ورجوعه من أخرى.

رواه البخاري عن سعيد بن الحارث، عن جابر ٢:٤٧٢ (٩٨٦). ورواه عن سعيد، عن أبي هريرة: الترمذي ٢:٤٢٤ (٥٤١) وقال: حسن غريب، وابن ماجه ١:٤١٢ (١٣٠١)، وابن خزيمة ٢:٣٦٢ (١٤٦٨)، وابن حبان

٧: ٥٤ (٢٨١٥)، والحاكم ١: ٢٩٦ وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي. ورجَّح البخاري أنه من حديث جابر، واستظهر الحافظ أن سعيداً يرويه عن جابر وأبي هريرة.

ص ١٤٢ ت

حديث صلاته ﷺ في نعله، واقتداء الصحابة به في ذلك.

رواه أبو داود ١: ٤٢٦ (٦٥٠)، وأحمد ٣: ٢٠، ٩٢، والحاكم ١: ٢٦٠ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ص ١٤٢ ت

حديث لبسه ﷺ الخاتم، ثم نزعه إياه، واقتدائهم به فيه.

رواه البخاري في مواضع أولها ١٠: ٣١٥ (٥٨٦٥) ـ وانظر أطرافه ـ ومسلم من طرق عديدة ٣: ١٦٥٥ (٥٣)، كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ص ٤١٥

نسب المصنف بيتين لشاعر لم يسمِّه، مطلعهما:

أومتْ بعينيها من الهودج

واحتَمَل أن هذه المرأة كانت مخاطبة لربها سبحانه بهذين البيتين.

وأقول: اشتهر أن هذين البيتين لعمر بن أبي ربيعة، وهو ـ كما وصفه ابن خلكان أول ترجمته ٤: ٤٣٦ ـ «كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة»، ثم قال آخر الترجمة: «كان الحسن البصري رضي الله عنه إذا جرى ذكر ولادة عمر بن أبي ربيعة في الليلة التي قتل فيها عمر رضي الله عنه،

يقول: أيُّ حقّ رُفع، وأي باطل وُضع ؟!».

فمثل هذا الشاعر لايؤوّل كلامه بهذا التأويل. على أن في ثبوتهما عن عمر ابن أبي ربيعة وقفة، فإنهما مذكوران في صلب «ديوانه» ص٨٠ من طبعة دار صادر، أما «ديوانه» الذي طبعه الأستاذ الشيخ محيي الدين عبدالحميد رحمه الله، فإنه ذكرهما في ملحقات الديوان ص ٤٨٧ التي ذكر فيها ما عثر عليه في كتب الأدب منسوباً إلى عمر بن أبي ربيعة، وليس في أصل ديوانه. والله أعلم.

* * *

تنبيه: كان من فضل الله تعالى وتيسيره أن قمت بخدمة سنن أبي داود وتحقيقه على أصل الحافظ ابن حجر رحمه الله من السنن وسبعة أصول أخرى، وأحلت في حواشيه على مواضع من حواشي هذا الكتاب، ثم عرض أمر فنيّ اقتضى تغيير أرقام صفحاته، ولم يكن بإمكاني تعديلها هناك، فأثبت هنا رقم الحديث في السنن، ورقم الصفحة المحال عليها، وصحة الرقم الجديد.

رقم الحديث	صفحة الإحالة هناك	صحة الرقم هنا
٣٧٨	٣٦٠	٣٤٥
٤٩٩	٩٦	٩٣
٩٦٧، ٢٧٨٠	٤٢	٤١
٢٩٢٨	١٧٠	١٦٣
٢٩٠٤	٤٣٢ـ٤٣٣	٤١٣
٤٦٢١	٦٤، ٢٢٧	٦٣، ٢١٧
٤٩٧٣	٨٥	٨٢

* * *

الفهارس

فهرس الأحاديث والآثار

* * *

فهرس الأشعار ـ سوى خواتيم المجالس ـ

* * *

فهرس شيوخ المصنف في هذا الكتاب

ـ الموضع الأول فقط ـ

* * *

فهرس الكتب التي نقل عنها المصنف أو أشار إليها وهي غير مطبوعة

* * *

فهرس مصادر التحقيق

١ ـ الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم، تحقيق الدكتور باسم جوابرة، الأولى ١٤١١، دار الراية.

٢ ـ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لشهاب الدين البوصيري، مصورة عن مخطوطة المصنف.

٣ ـ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للزَّبيدي، مصوَّرة دار الفكر للطبعة الميمنية، ١٣١١.

٤ ـ الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الأولى ١٤٠٧، المكتبة العصرية.

٥ ـ أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء رضي الله عنهم، لمحمد عوامة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨.

٦ ـ الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي، إخراج عبدالملك بن دهيش، الأولى ١٤١٠، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة.

٧ ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، لابن بَلْبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الأولى ١٤٠٧، مؤسسة الرسالة.

ـ وطبعة كمال يوسف حوت، الأولى ١٤٠٧، دار الكتب العلمية.

٨ ـ أحكام قراءة القرآن الكريم، لمحمود خليل الحصري، بعناية محمد طلحة بلال مينار، الأولى ١٤١٦.

٩ ـ أحكام القرآن، لابن العربي، طبعة محمد عبدالقادر عطا، الأولى ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.

١٠ ـ إحياء علوم الدين، للغزالي، مصوَّرة دار الريان.

١١ ـ الأدب المفرد، للإمام البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، الثالثة ١٤٠٩، دار البشائر الإسلامية.

١٢ ـ الأذكار، للنووي، تحقيق سبيع الحاكمي، الأولى ١٤١٢، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن.

١٣ ـ الإرشاد، لإمام الحرمين، طبعة أسعد تميم، الأولى ١٤٠٥، مؤسسة الكتب الثقافية.

١٤ ـ أساس البلاغة، للزمخشري، الثالثة ١٩٨٥، الهيئة المصرية للكتاب.

١٥ ـ أسباب النزول، للواحدي، تحقيق السيد أحمد صقر، الثالثة ١٤٠٧، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن.

١٦ ـ الاستغنا في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى، لابن عبدالبر، تحقيق الدكتور عبدالله السوالمة، الأولى ١٤٠٥، دار ابن تيمية بالرياض.

١٧ ـ الاستيعاب لأسماء الأصحاب، لابن عبدالبر، مطبوع على حاشية الإصابة، ١٣٩٨، مصورة دار الفكر.

١٨ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين ابن الأثير، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، طبعة دار الشعب.

١٩ ـ أسماء الصحابة الرواة، لابن حزم، طبعة سيد كسروي حسن، الأولى ١٤١٢، دار الكتب العلمية.

٢٠ ـ الأسماء والصفات، للبيهقي، دار الكتب العلمية.

٢١ ـ الإسناد من الدين، لعبدالفتاح أبو غدة، الأولى ١٤١٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

٢٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، مصورة دار الفكر.

٢٣ ـ أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة بالرياض.

٢٤ ـ أطراف المسند، لابن حجر، تحقيق الدكتور زهير الناصر، الأولى ١٤١٤، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب.

٢٥ ـ إعجاز القرآن، للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر.

٢٦ ـ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، للدكتورة عائشة عبدالرحمن

(بنت الشاطىء)، الثانية ١٤٠٤، دار المعارف بمصر.

٢٧ ـ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب الطباخ، تصحيح محمد كمال، الثانية ١٤٠٨، دار القلم العربي بحلب.

٢٨ ـ الأعلام، لخير الدين الزِّرِكْلي، الثامنة ١٩٨٩، دار العلم للملايين.

٢٩ ـ إكمال تهذيب الكمال، لمغلطاي، صورة عن مخطوطة المؤلف، نسخة قليج علي.

٣٠ ـ الإكمال لابن ماكولا، مصورة محمد أمين دمج، بيروت، لطبعة حيدر أباد.

٣١ ـ أمالي الأذكار، لابن حجر، طبعة حمدي عبدالمجيد، الأولى ١٤٠٦، منشورات مكتبة المثنى ببغداد.

٣٢ ـ الأمثال في الحديث الشريف، لأبي الشيخ الأصفهاني، تحقيق عبدالعلي عبدالحميد، بمباي، الدار السلفية، الأولى ١٤٠٢.

٣٣ ـ الأمنية في تخريج المسلسل بالأولية = المجلس الأول من أمالي ابن ناصر الدين، الأولى، ١٤٠٧، دار العاصمة، الرياض.

٣٤ ـ إنباء الغُمر، لابن حجر، مصورة دار الكتب العلمية لطبعة الهند، ١٤٠٦.

٣٥ ـ إنباه الرواة، للجمال القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الأولى ١٤٠٦، تصوير دار الفكر العربي بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت.

٣٦ ـ الأنساب، للسمعاني، الأولى ١٤٠٨، مؤسسة الكتب الثقافية.

٣٧ ـ الأوائل، للسيوطي، طبعة محمد السعيد زغلول، الأولى ١٤٠٦، دار الكتب العلمية.

٣٨ ـ الأوائل، لأبي هلال العسكري، الأولى ١٤٠٧، دار الكتب العلمية.

٣٩ ـ البحر الذي زخر، للسيوطي، مخطوط.

٤٠ ـ البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، مصورة دار الفكر، الثانية ١٤٠٣.

٤١ ـ البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، تحقيق ومراجعة جماعة، طبعة وزارة الأوقاف بالكويت، الثانية ١٤١٣.

٤٢ ـ البداية والنهاية، لابن كثير، تصحيح الدكتور أحمد محمد أبو ملحم وزملائه،

الأولى ١٤٠٥، دار الكتب العلمية.

- ورجعت إلى الطبعة الأولى للكتاب، طبعة الخانجي.

٤٣ ـ البرهان، لإمام الحرمين، تحقيق الدكتور عبدالعظيم الديب، الثالثة ١٤١٢، دار الوفاء بمصر.

٤٤ ـ البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث.

٤٥ ـ البعث والنشور، للبيهقي، طبعة عمر أحمد حيدر، الأولى ١٤٠٦، مؤسسة الكتب الثقافية.

٤٦ ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للهيثمي، تحقيق الدكتور حسين الباكري، الأولى ١٤١٣، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٤٧ ـ بغية الوعاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الثانية ١٣٩٩، دار الفكر.

٤٨ ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق شكر الله قوجاني، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٠.

٤٩ ـ تاريخ الإسلام، للذهبي، تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، الأولى ١٤٠٧، دار الكتاب العربي.

٥٠ ـ تاريخ أصبهان، لأبي نعيم الأصبهاني، مصورة دار الكتاب الإسلامي لطبعة ليدن ١٩٣٤.

٥١ ـ تاريخ الأمم والملوك، للطبري، الأولى ١٤٠٧، دار الكتب العلمية.

٥٢ ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، مصورة دار الفكر لطبعة الخانجي.

٥٣ ـ تاريخ الجدل، للأستاذ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٥٤ ـ تاريخ جرجان، للسهمي، تحقيق المعلِّمي، الثالثة ١٤٠١، مصورة عالم الكتب لطبعة حيدر أباد.

٥٥ ـ تاريخ الخلفاء، للسيوطي، مصورة دار الجيل، ١٤٠٨، لطبعة محيي الدين عبدالحميد.

٥٦ ـ تاريخ الصالحية، لابن طولون، تحقيق محمد أحمد دهمان، من مطبوعات

مجمع اللغة العربية بدمشق.

٥٧ ـ تاريخ يحيى بن معين، رواية الدوري، تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف، الأولى ١٣٩٩، منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

٥٨ ـ التاريخ الكبير، للبخاري، تحقيق المعلمي، مصورة المكتبة الإسلامية لطبعة حيدر آباد الدكن.

٥٩ ـ التبصرة في أصول الفقه، لأبي إسحاق الشيرازي، تحقيق الدكتور محمد حسن هيتو، دار الفكر بدمشق ١٤٠٣.

٦٠ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر، تحقيق علي البجاوي، ومراجعة محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

٦١ ـ تجريد أسماء الصحابة، للذهبي، مصورة دار المعرفة لطبعة الهند.

٦٢ ـ التحرير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، نشر دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

٦٣ ـ التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز، للكوثري، اعتناء عبدالفتاح أبو غدة، الأولى ١٤١٣.

٦٤ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للمزي، تحقيق عبدالصمد شرف الدين، الثانية ١٤٠٣، المكتب الإسلامي.

٦٥ ـ تحفة الذاكرين بعدّة الحصن الحصين، للشوكاني، مصورة دار الكتب العلمية.

٦٦ ـ تخريج أحاديث الكشاف، للزيلعي، طبعة سلطان بن فهد الطبيشي، الأولى ١٤١٤، دار ابن خزيمة.

٦٧ ـ تخريج أحاديث الإحياء، للعراقي = إحياء علوم الدين.

٦٨ ـ تدريب الراوي، للسيوطي، طبعة عبدالوهاب عبداللطيف، الثانية ١٣٨٥.

٦٩ ـ تذكرة الطالب المعلَم بمن قيل إنه مخضرم، لسبط ابن العجمي، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية الحديثية.

٧٠ ـ التراتيب الإدارية، لعبدالحي الكتاني، مصورة دار الكتاب العربي.

٧١ ـ ترتيب المدارك، للقاضي عياض، طبعة الدكتور أحمد بكير، ١٣٨٧،

منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٧٢ـ الترغيب والترهيب، للمنذري، تعليق مصطفى عمارة، مصورة دار الجيل.

٧٣ـ تصحيفات المحدثين، لأبي أحمد العسكري، تحقيق الدكتور محمود ميرة، الأولى ١٤٠٢، المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة.

٧٤ـ تعجيل المنفعة، لابن حجر، طبعة عبدالله هاشم يماني، ١٣٨٩.

*ـ تفسير الآلوسي = روح المعاني.

٧٥ـ تفسير ابن أبي حاتم، (البقرة وآل عمران)، تحقيق أحمد الزهراني، وحكمت بشير، الأولى ١٤٠٨، مكتبة الدار، وطيبة، وابن القيم بالمملكة السعودية.

*ـ تفسير أبي حيان = البحر المحيط.

٧٦ـ تفسير التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور.

*ـ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

٧٧ـ تفسير فخر الدين الرازي، مصورة دار الفكر ببيروت، الثالثة ١٤٠٥.

٧٨ـ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة دار القلم، الثانية.

*ـ تفسير القرطبي = جامع أحكام القرآن.

٧٩ـ تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق محمد عوامة، السادسة ١٤١٢، دار الرشيد، بحلب.

٨٠ـ التقرير في التكرير، لأبي الخير ابن عابدين، اعتناء محمد مرشد عابدين، الأولى ١٤١٣، مكتبة الغزالي بدمشق.

٨١ـ التقييد، لابن نقطة، ١٤٠٧، مصورة دار الحديث بيروت لطبعة الهند.

٨٢ـ التقييد والإيضاح، للعراقي، ومعه مقدمة ابن الصلاح، مصورة دار الحديث لطبعة حلب، الثانية ١٤٠٥.

٨٣ـ تكملة إكمال الإكمال، لابن الصابوني، الأولى ١٤٠٦، مصورة عالم الكتب لتحقيق الدكتور مصطفى جواد.

٨٤ـ التكملة لوفيات النقلة، للمنذري، تحقيق الدكتور بشار عواد، الثالثة ١٤٠٥، مؤسسة الرسالة.

٨٥ـ تلخيص المستدرك، للذهبي = المستدرك.

٨٦ ـ التلخيص الحبير، لابن حجر، تصوير طبعة السيد عبدالله هاشم يماني.

٨٧ ـ التمهيد، لابن عبدالبر، تحقيق جماعة من المغرب، تصوير مصر للطبعة المغربية.

٨٨ ـ تنزيه الشريعة، لابن عراق، تحقيق عبدالله الصديق الغماري، الثانية ١٤٠١، مصورة دار الكتب العلمية.

٨٩ ـ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، مصورة دار الكتب العلمية للطبعة المنيرية.

٩٠ ـ تهذيب التهذيب، لابن حجر، مصورة دار صادر، الأولى.

٩١ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، الرابعة ١٤٠٦، مؤسسة الرسالة.

٩٢ ـ التوحيد، لابن خزيمة، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان، الطبعة الخامسة ١٤١٤، مكتبة الرشد.

٩٣ ـ توضيح المشتبه، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق محمد نعيم عرقسوسي، الثانية ١٤١٤، مؤسسة الرسالة.

٩٤ ـ الثقات، لابن حبان، طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الأولى ١٣٩٣.

٩٥ ـ جامع بيان العلم، لابن عبدالبر، مصورة دار الكتب العلمية ١٣٩٨ للطبعة المنيرية.

٩٦ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٤٠٨، دار الفكر.

٩٧ ـ جامع التحصيل، للعلائي، طبعة حمدي عبدالحميد، ١٤٠٧، مصورة عالم الكتب.

٩٨ ـ جامع الدروس العربية، للغلاييني، الطبعة السابعة عشرة ١٤٠٤، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.

٩٩ ـ الجامع الصحيح، للإمام البخاري = فتح الباري.

١٠٠ ـ الجامع الصحيح، للإمام مسلم، تصوير نشرة محمد فؤاد عبدالباقي.

١٠١ ـ الجامع الكبير، للسيوطي، مصورة الهيئة المصرية العامة للكتاب، عن المخطوطة.

١٠٢ ـ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، مصورة طبعة دار الكتب المصرية.

١٠٣ ـ الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، تحقيق المعلِّمي اليماني، ١٣٧١، مصورة دار الأمم للطباعة والنشر لطبعة حيدر آباد الدكن.

١٠٤ ـ جزء الحسن بن عرفة العبدي، تحقيق عبدالرحمن الفريوائي، دار الأقصى بالكويت، الأولى ١٤٠٦.

١٠٥ ـ جمال القراء، لعلم الدين السخاوي، تحقيق علي حسين البواب، الأولى ١٤٠٨، مكتبة التراث، مكة المكرمة.

١٠٦ ـ جمع الجوامع، للسبكي، بشرح المحلِّي وحاشية العطار، مصورة دار الكتب العلمية.

١٠٧ ـ جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، تحقيق عبدالسلام هارون، الأولى ١٤٠٣، مصورة دار الكتب العلمية.

١٠٨ ـ الحاوي للفتاوي، للسيوطي، مصورة دار الكتب العلمية ١٤٠٨ للطبعة المنيرية ١٣٥٢.

١٠٩ ـ الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم التيمي الأصبهاني، تحقيق الدكتور محمد ربيع هادي المدخلي، الأولى ١٤١١، دار الراية بالرياض.

١١٠ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، الخامسة ١٤٠٧، مصورة دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي.

١١١ ـ حول تفسير الفاتحة، لعبدالله سراج الدين، الأولى ١٤١٢، مكتبة دار الفلاح بحلب.

١١٢ ـ الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي، تحقيق جعفر الحسني، تصوير مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ١٩٨٨.

١١٣ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد الخراط، الأولى ١٤٠٦، دار القلم بدمشق.

١١٤ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، مصورة دار المعرفة للطبعة الميمنية ١٣١٤.

١١٥ ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر، مصورة دار الجيل ببيروت لطبعة حيدر آباد الدكن.

١١٦ ـ الدعاء، للطبراني، تحقيق الدكتور محمد سعيد البخاري، الأولى ١٤٠٧، دار البشائر الإسلامية.

١١٧ ـ دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق الدكتور محمد رواس قلعجي وعبدالبر عباس، دار النفائس، الثانية ١٤٠٦.

١١٨ ـ دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق الدكتور عبدالمعطي قلعجي، الأولى ١٤٠٨، دار الريان.

١١٩ ـ الديباج المُذْهَب في أعيان المذهب، لابن فرحون، مصورة دار الكتب العلمية.

١٢٠ ـ ديوان حسان بن ثابت، جمع وشرح عبدالرحمن البرقوقي، ١٤١٠، دار الكتاب العربي.

١٢١ ـ ديوان زهير بن أبي سُلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، الأولى ١٤١٢، دار الكتاب العربي.

١٢٢ ـ الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام، للدكتور بشار عواد، طبعة عيسى البابي الحلبي، الأولى ١٩٧٦م.

١٢٣ ـ ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، تصحيح حامد الفقي، تصوير دار المعرفة.

١٢٤ ـ الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصورة دار الكتب العلمية لطبعة البابي الحلبي.

١٢٥ ـ رصف المباني، للمالقي، تحقيق الدكتور أحمد الخراط، الثانية ١٤٠٥، دار القلم بدمشق.

١٢٦ ـ الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، لعبدالحي اللكنوي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الثالثة ١٤٠٧، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

١٢٧ ـ روح المعاني، للآلوسي، مصورة دار الفكر للطبعة المنيرية.

١٢٨ ـ الروض الأُنُف، للسهيلي على سيرة ابن هشام، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، دار الفكر.

١٢٩ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، للحِمْيري، تحققيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، الثانية ١٩٨٤م.

١٣٠ ـ الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة، للسيوطي، طبعة محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٥.

١٣١ ـ زاد المسير، في التفسير، لابن الجوزي، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط، الرابعة ١٤٠٧، المكتب الإسلامي.

١٣٢ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق عبدالقادر أرناؤوط وشعيب الأرناؤوط، الخامسة عشرة ١٤٠٧، مؤسسة الرسالة.

١٣٣ ـ الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر ابن الأنباري، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، الأولى ١٤١٢، مؤسسة الرسالة.

١٣٤ ـ الزهد، لابن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مصورة دار الكتب العلمية، لطبعة الهند.

١٣٥ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، تصحيح أحمد عبدالشافي، الأولى ١٤٠٧، دار الكتب العلمية.

١٣٦ ـ سنن ابن ماجه، طبعة محمد فؤاد عبدالباقي، مصورة دار الفكر.

١٣٧ ـ سنن أبي داود، ومعه معالم السنن للخطابي، طبعة دار الحديث بحمص، ١٣٨٨.

١٣٨ ـ سنن الترمذي، مصورة دار الحديث بمصر، بدأ تحقيقها أحمد محمد شاكر.

١٣٩ ـ سنن سعيد بن منصور، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٥.

١٤٠ ـ سنن الدارمي، تعليق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، الأولى ١٤٠٧، دار الريان للتراث.

١٤١ ـ سنن النسائي الكبرى، طبعة عبدالغفار البنداري وسيد كسروي حسن، الأولى ١٤١١، دار الكتب العلمية.

١٤٢ ـ السنن الكبرى، للبيهقي، مصورة دار المعرفة لطبعة حيدر آباد الدكن.

١٤٣ ـ السنة، لابن أبي عاصم، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الثالثة ١٤١٣، المكتب الإسلامي.

١٤٤ ـ سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، السابعة

١٤١١، مؤسسة الرسالة.

١٤٥ ـ السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، الأولى ١٤٠٨، دار الريان.

١٤٦ ـ السيرة النبوية، للذهبي، تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، الأولى ١٤٠٧، دار الكتاب العربي.

١٤٧ ـ شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، الأولى ١٤٠٤، دار المأمون للتراث.

١٤٨ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، الأولى ١٤٠٦، دار ابن كثير.

* ـ شرح إحياء علوم الدين = إتحاف السادة المتقين.

* ـ شرح الأربعين النووية = فتح المبين بشرح الأربعين.

١٤٩ ـ شرح جوهرة التوحيد، للبيجوري، مصورة دار الكتب العلمية.

١٥٠ ـ شرح السنة، لمحيي السنة البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الثانية ١٤٠٣، المكتب الإسلامي.

١٥١ ـ شرح صحيح مسلم، للنووي، المطبعة المصرية، الطبعة الثالثة.

* ـ شرح العيني على البخاري = عمدة القاري.

١٥٢ ـ شرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر ابن الأنباري، تحقيق عبدالسلام هارون، الرابعة ١٤٠٠، دار المعارف بمصر.

١٥٣ ـ شرح القصائد العشر للتبريزي، تصحيح عبدالسلام الحوفي، الثانية ١٤٠٧، دار الكتب العلمية.

١٥٤ ـ شرح اللمع، لأبي إسحاق الشيرازي، تحقيق عبدالمجيد تركي، الأولى ١٤٠٨، دار الغرب الإسلامي.

* ـ شرح المشكاة = مرقاة المفاتيح.

١٥٥ ـ شرح المواهب اللدنية، للزرقاني، مصورة دار المعرفة لطبعة المكتبة الأزهرية ١٤١٤.

* ـ شرح النخبة لابن حجر = نزهة النظر.

١٥٦ ـ شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور محمد سعيد خطيب.

١٥٧ ـ شعب الإيمان، للبيهقي، طبعة محمد السعيد زغلول، الأولى ١٤١٠، دار الكتب العلمية.

ـ وطبعة الدار السلفية ـ بمباي، الهند ـ الأولى ١٤٠٦، تحقيق الدكتور عبدالعلي عبدالحميد حامد.

١٥٨ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، تحقيق علي محمد البجاوي، تصوير دار الكتاب العربي ١٤٠٤.

١٥٩ ـ الشكر، لابن أبي الدنيا، طبعة محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الأولى ١٤١٣، مؤسسة الكتب الثقافية.

١٦٠ ـ شواهد التوضيح والتصحيح، لابن مالك، تصحيح محمد فؤاد عبدالباقي، الثالثة ١٤٠٣، تصوير عالم الكتب.

١٦١ ـ الصحاح في اللغة، للجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، الرابعة ١٤٠٧، دار العلم للملايين.

١٦٢ ـ صحيح أبي عوانة الإسفراييني، مصورة دار المعرفة لطبعة حيدر آباد.

١٦٣ ـ صون المنطق والكلام، للسيوطي، تحقيق الدكتور علي سامي النشار، مصورة دار الكتب العلمية.

١٦٤ ـ الضعفاء الكبير، للعقيلي، تحقيق الدكتور عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ١٤٠٤.

١٦٥ ـ الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي، طبعة عبدالله قاضي، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٦.

١٦٦ ـ الضعفاء والمتروكون، للنسائي، طبعة كمال حوت، الأولى ١٤٠٥، مؤسسة الكتب الثقافية.

١٦٧ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، مصورة دار مكتبة الحياة لطبعة حسام الدين القدسي ١٣٥٥.

١٦٨ ـ طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي، تحقيق الدكتور محمود الطناحي

وعبدالفتاح الحلو، مصورة طبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٣.

١٦٩ ـ طبقات فحول الشعراء، للجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، الطبعة الثانية.

١٧٠ ـ طبقات المفسرين، للداوودي، طبعة دار الكتب العلمية.

١٧١ ـ الطبقات، للإمام مسلم، تحقيق مشهور حسن سلمان، الأولى ١٤١١، دار الهجرة للنشر والتوزيع.

١٧٢ ـ عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، لأبي القاسم الشاطبي، تحقيق علي الضبَّاع، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٠.

١٧٣ ـ علل الحديث لابن أبي حاتم الرازي، مصورة دار السلام لطبعة محب الدين الخطيب ١٣٤٣.

١٧٤ ـ العلل المتناهية، لابن الجوزي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٣.

١٧٥ ـ العلل ومعرفة الرجال، لعبدالله بن الإمام أحمد، تحقيق الدكتور وصي الله عباس، الأولى ١٤٠٨، المكتب الإسلامي.

١٧٦ ـ علماء دمشق وأعيانها، لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، الأولى ١٤١٢، دار الفكر بدمشق.

١٧٧ ـ عمدة الأدباء في معرفة مايكتب بالألف والياء، لأبي البركات ابن الأنباري، تحقيق الدكتور رمضان عبدالتواب، ضمن كتاب (دراسات عربية وإسلامية) قدِّمت للأستاذ محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين عاماً، مطبعة المدني ١٤٠٣.

١٧٨ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، طبعة مصطفى البابي الحلبي، الأولى ١٣٩٢.

١٧٩ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، الأولى ١٤٠٨، دار المعرفة، بيروت.

١٨٠ ـ عمل اليوم والليلة، لابن السني، شرح وتخريج الدكتور عبدالرحمن كوثر البرني المدني، طبعة دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن.

١٨١ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والسير، لابن سيد الناس، تحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، مكتبة دار التراث ودار ابن كثير.

١٨٢ ـ عيون الأخبار، لابن قتيبة، مصورة دار الكتاب العربي لطبعة دار الكتب المصرية.

١٨٣ ـ غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، مصورة دار الكتاب العربي ١٣٩٦ لطبعة حيدر آباد.

١٨٤ ـ غريب الحديث، للخطابي، تحقيق الدكتور عبدالكريم العزباوي، وتخريج الدكتور عبدالقيوم عبدرب النبي، الأولى ١٤٠٢، مطبوعات جامعة أم القرى.

١٨٥ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، مصورة دار المعرفة للطبعة السلفية.

١٨٦ ـ فتح المبين بشرح الأربعين (الأربعين النووية)، لابن حجر الهيتمي، طبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٥٢.

١٨٧ ـ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي، تحقيق علي حسين علي، طبعة الجامعة السلفية ـ بنارس، الهند، الأولى ١٤٠٧.

١٨٨ ـ الفروسية، لابن القيم، تحقيق مشهور حسن سلمان، الأولى ١٤١٤، دار الأندلس بالسعودية.

١٨٩ ـ فضائل الصحابة، للإمام أحمد، تحقيق وصي الله عباس، الأولى ١٤٠٣، مطبوعات جامعة أم القرى.

١٩٠ ـ فهرس الفهارس والأثبات، لعبدالحي الكتاني، تحقيق الدكتور إحسان عباس، الثانية ١٤٠٢، دار الغرب الإسلامي.

١٩١ ـ فهرست ابن خَيْر الإسبيلي، طبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت، الثانية ١٣٩٩.

١٩٢ ـ الفهرست، لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، دار المسيرة، الثالثة ١٩٨٨م.

١٩٣ ـ فوات الوَفَيات، لابن شاكر كتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر.

١٩٤ ـ فيض القدير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، الثانية ١٣٩١، مصورة دار المعرفة لطبعة مصطفى محمد.

١٩٥ ـ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، الثانية ١٤٠٧، مؤسسة الرسالة.

١٩٦ ـ القَبَس شرح موطأ مالك بن أنس، لابن العربي، تحقيق محمد عبدالله ولد كريم، الأولى ١٩٩٢م، دار الغرب الإسلامي.

١٩٧ ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي، تعليق بشير عيون (حسن السماحي)، مكتبة المؤيد بالطائف.

١٩٨ ـ القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد، للحافظ ابن حجر، الرابعة ١٤٠٢، الإمدادية بمكة المكرمة.

١٩٩ ـ الكاشف في معرفة رواة الكتب الستة، للذهبي، بحاشية سبط ابن العجمي، تحقيق محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، الأولى ١٤١٣، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن.

٢٠٠ ـ الكامل للمبرِّد، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، الأولى ١٤٠٦، مؤسسة الرسالة.

٢٠١ ـ كتاب الخيل، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، الأولى ١٣٥٨ طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن.

٢٠٢ ـ كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، الأولى ١٤٠٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٢٠٣ ـ الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، الثالثة ١٤٠٦، دار الكتب العلمية.

٢٠٤ ـ كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، تصوير سهيل أكيديمي، لاهور، باكستان، لطبعة كالكته، ١٤١٣.

٢٠٥ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الثانية ١٤٠٤، مؤسسة الرسالة.

٢٠٦ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعجلوني، تصوير دار إحياء التراث، لطبعة حسام الدين القدسي ١٣٥١.

٢٠٧- الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٥٧.

٢٠٨- الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، الأولى ١٤١٢، مؤسسة الرسالة.

*- الكنى، للبخاري = مع التاريخ.

٢٠٩- الكنى والأسماء، للإمام مسلم، تحقيق الدكتور عبدالرحيم القشغري، الأولى ١٤٠٤، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢١٠- كنز العمال، للمتقي الهندي، تصوير مؤسسة الرسالة لطبعة إحياء التراث الإسلامي بحلب، ١٤٠٩.

٢١١- اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير، مصورة دار صادر.

٢١٢- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لتقي الدين ابن فهد، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مصورة دار الكتب العلمية.

٢١٣- لسان الميزان، للذهبي، الثانية ١٣٩٩، مصورة مؤسسة الأعلمي، بيروت، لطبعة حيدر آباد.

٢١٤- لقط اللآلى المتناثرة في الأحاديث المتواترة، لمحمد مرتضى الزبيدي، تعليق محمد عبدالقادر عطا، الأولى ١٤٠٥، دار الكتب العلمية.

٢١٥- المجروحون، لابن حبان، تصحيح محمود إبراهيم زايد، الأولى ١٣٩٦، نشر دار الوعي العربي بحلب.

٢١٦- المجلس الأول من أمالي ابن ناصر الدين = الأمنية في تخريج المسلسل بالأولية، للحداد.

٢١٧- مجمع البحرين في زوائد المعجمين (الصغير والوسط للطبراني)، للهيثمي، تحقيق عبدالقدوس بن محمد نذير، الأولى ١٤١٣، مكتبة الرشد.

٢١٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، طبعة مكتبة القدسي، ١٣٥٢.

٢١٩- المجموع شرح المهذب، للنووي، مصورة دار الفكر للطبعة المنيرية.

٢٢٠- محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح، للسراج البلقيني، تحقيق الدكتورة عائشة عبدالرحمن، ١٩٧٤م.

٢٢١ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي، تحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب، الأولى ١٣٩١، دار الفكر بدمشق.

٢٢٢ ـ المحصول في علم الأصول، للفخر الرازي، تحقيق الدكتور طه جابر العلواني، الثانية ١٤١٢، مؤسسة الرسالة.

٢٢٣ ـ المختصر في علم الأثر، للكافِيَجي، تحقيق علي زوين، الأولى ١٤٠٧، دار الرشد بالرياض.

٢٢٤ ـ المدخل إلى أصول الحديث، للحاكم، طبعة محمد راغب الطباخ، ١٣٥١، المكتبة العلمية بحلب.

٢٢٥ ـ المراسيل، لأبي داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الأولى ١٤٠٨، مؤسسة الرسالة.

٢٢٦ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري، باكستان، ملتان، المكتبة الإمدادية، باعتناء فيض أحمد ونور أحمد، ١٣٩٠.

٢٢٧ ـ مسائل نافع بن الأزرق، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، الأولى ١٤١٣، طبعة الجفّان والجابي.

٢٢٨ ـ المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق الدكتور محمد كامل بركات، الأولى ١٤٠٠، من مطبوعات جامعة أم القرى.

٢٢٩ ـ المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ومعه تلخيص المستدرك، للذهبي، تصوير دار الكتاب العربي لطبعة حيدر آباد.

٢٣٠ ـ المستصفى، للغزالي، مصورة دار الكتب العلمية ١٤٠٠ للطبعة البولاقية ١٣٢٢.

٢٣١ ـ مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مصورة عالم الكتب.

٢٣٢ ـ مسند الشاميين، للطبراني، تعليق حمدي عبدالمجيد، الأولى ١٤٠٩، مؤسسة الرسالة.

٢٣٣ ـ مسند الشهاب، للقضاعي، تعليق حمدي عبدالمجيد، الأولى ١٤٠٥، مؤسسة الرسالة.

* ـ مسند عبد بن حميد = المنتخب.

٢٣٤ـ مسند عمر بن عبدالعزيز، للباغندي، تخريج وتكميل محمد عوامة، الثانية ١٤٠٤، مؤسسة علوم القرآن.

٢٣٥ـ مسند الفاروق الفقهي، لابن كثير، طبعة الدكتور عبدالمعطي قلعجي، الأولى ١٤١١.

٢٣٦ـ المسند، لأبي داود الطيالسي، مصورة دار المعرفة لطبعة حيدر آباد.

٢٣٧ـ المسند لأحمد بن حنبل، مصورة دار صادر الأولى لطبعة الميمنية.

٢٣٨ـ مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، لابن النحاس، تحقيق إدريس محمد علي ومحمد خالد إسطنبولي، الأولى ١٤١٠، دار البشائر الإسلامية.

٢٣٩ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، تصوير المكتبة العتيقة ودار التراث.

٢٤٠ـ المصاحف، لابن أبي داود، الأولى ١٤٠٥، دار الكتب العلمية.

٢٤١ـ مصباح الزجاجة في زوائد سنن ابن ماجه، للبوصيري، الأولى ١٤٠٦، مؤسسة الكتب الثقافية.

٢٤٢ـ المصباح المنير، للفيومي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، السابعة ١٩٢٨م.

٢٤٣ـ المصنف، لابن أبي شيبة، مصورة إدارة علوم القرآن الإسلامية، بكراتشي، للطبعة الهندية.

٢٤٤ـ المصنف، لعبدالرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الثانية ١٤٠٣، المكتب الإسلامي.

٢٤٥ـ المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، لعلي القاري، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، الرابعة ١٤٠٤، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

٢٤٦ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مصورة دار المعرفة لطبعة الكويت.

٢٤٧ـ المعارف، لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، الرابعة، دار المعارف بمصر.

٢٤٨ـ معالم السنن، للخطابي = سنن أبي داود.

٢٤٩ـ معجم الأخطاء الشائعة، لمحمد العدناني، الثانية ١٩٨٩، مكتبة لبنان.

٢٥٠ ـ معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، الأولى ١٣٩٣، دار الغرب الإسلامي.

٢٥١ ـ معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، لمحمد أحمد دهمان، الأولى ١٤١٠، دار الفكر.

٢٥٢ ـ معجم البلدان، لياقوت الحموي، تصحيح فريد عبدالعزيز الجندي، الأولى ١٤٠٧، دار الكتب العلمية.

٢٥٣ ـ معجم شيوخ الذهبي، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الأولى ١٤٠٨، مكتبة الصديق.

٢٥٤ ـ معجم ماستعجم، لأبي عبيد البكري، تحقيق مصطفى السقا، تصوير عالم الكتب، ١٤٠٣.

٢٥٥ ـ المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق الدكتور محمود الطحان، الأولى ١٤٠٥، دار المعارف بالرياض.

٢٥٦ ـ المعجم الصغير، للطبراني، طبعة محمد شكور محمود الحاج أمرير، الأولى ١٤٠٥، المكتب الإسلامي ودار عمار.

٢٥٧ ـ المعجم الكبير، للطبراني، نشرة حمدي عبدالمجيد، الثانية ١٤٠٤.

٢٥٨ ـ المعجم المختص، للذهبي، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الأولى ١٤٠٨، مكتبة الصديق بالرياض.

٢٥٩ ـ المعجم المشتمل على ذكر شيوخ الأئمة النَّبَل، لابن عساكر، تحقيق سكينة الشهابي، دار الفكر بدمشق.

٢٦٠ ـ معرفة الرجال عن يحيى بن معين، لابن محرز، تحقيق محمد كامل القصار وزملائه، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٥.

٢٦١ ـ معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق الدكتور محمد راضي بن حاج عثمان، الأولى ١٤٠٨، مكتبة الدار ومكتبة الحرمين.

٢٦٢ ـ معرفة علوم الحديث، الحاكم، تحقيق الدكتور معظم حسين، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الثالثة ١٣٨٥.

٢٦٣ ـ المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفَسَوي، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، الأولى ١٤١٠، مكتبة الدار.

٢٦٤ـ المغازي، للواقدي، تحقيق مارسدن جونس، مصورة عالم الكتب، ١٤٠٤.

٢٦٥ـ مغني اللبيب، لابن هشام، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، تصوير دار إحياء التراث العربي.

٢٦٦ـ مفتاح الجنة، للسيوطي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الثالثة ١٣٩٣.

٢٦٧ـ مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، الأولى ١٤١٢، دار القلم بدمشق.

٢٦٨ـ المقاصد الحسنة، للسخاوي، تحقيق عبدالله الصديق، مصورة دار الهجرة لطبعة دار الأدب العربي ١٣٧٥.

٢٦٩ـ مقالات الكوثري، مطبعة الأنوار، ١٣٧٣.

٢٧٠ـ مقدمة ابن الصلاح = التقييد والإيضاح.

٢٧١ـ ملء العيبة، لابن رُشَيد، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الخوجة.

٢٧٢ـ من صحاح الأحاديث القدسية، مع شرحها، لمحمد عوامة، الأولى ١٤١٣، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن.

٢٧٣ـ مناقب الشافعي، للبيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر ، الأولى ١٣٩١، مكتبة التراث بالقاهرة.

٢٧٤ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، ١٤٠٨، دار الفكر.

٢٧٥ـ المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة، لمحمد عبدالباقي الأنصاري الأيوبي، تصوير دار إحياء علوم الدين بدمشق لطبعة حسام الدين القدسي.

٢٧٦ـ المنتخب من مسند عبد بن حميد، طبعة صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، الأولى ١٤٠٨، مكتبة السنة.

٢٧٧ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي، طبعة محمد ومصطفى عبدالقادر عطا، الأولى ١٤١٢، دار الكتب العلمية.

٢٧٨ـ المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، لعلي القاري، طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٧.

٢٧٩ ـ المنمَّق، لابن حبيب البغدادي، الأولى ١٤٠٥، عالم الكتب.

٢٨٠ ـ المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، طبعة حلمي محمد فودة، مصورة دار الفكر، للطبعة الأولى ١٣٩٩.

٢٨١ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للهيثمي، نشرة محمد عبدالرزاق حمزة، المطبعة السلفية بمصر.

٢٨٢ ـ موافقة الخُبْر الخَبَر في تخريج أحاديث المختصر (الأصولي)، لابن حجر، طبعة حمدي عبدالحميد وصبحي السامرائي، الأولى ١٤١٢، مكتبة الرشد بالرياض.

٢٨٣ ـ المواهب اللدنية، للقسطلاني، تحقيق صالح أحمد الشامي، الأولى ١٤١٢، المكتب الإسلامي.

٢٨٤ ـ المؤتلف والمختلف، للدارقطني، تحقيق الدكتور موفق عبدالله عبدالقادر، الأولى ١٤٠٦، دار الغرب الإسلامي.

٢٨٥ ـ الموطأ، للإمام مالك، رواية يحيى الليثي، طبعة محمد فؤاد عبدالباقي، مصورة عن طبعة البابي الحلبي.

٢٨٦ ـ ميزان الإعتدال، للذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي، الأولى ١٣٨٣.

٢٨٧ ـ نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم السهيلي، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا، الثانية ١٤٠٤، دار الرياض.

٢٨٨ ـ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق محمد عبدالكريم الراضي، الثانية ١٤٠٥، مؤسسة الرسالة.

٢٨٩ ـ نزهة الألفاظ، لأبي موسى المديني، طبعة عبدالراضي محمد عبدالمحسن، الأولى ١٤٠٦، مؤسسة الكتب الثقافية.

٢٩٠ ـ نزهة النظر شرح نخبة الفكر، لابن حجر، ـ مع لقط الدرر ـ مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٦.

٢٩١ ـ نسب فحول الخيل، لابن الكلبي، تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن، الأولى ١٤٠٦، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

٢٩٢ـ النشر في القراءات العشر، لابن الجوزي، طبعة علي محمد الضباع، مصورة دار الفكر.

٢٩٣ـ نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذي اليدين من الفوائد، للعلائي، نشرة بدر عبدالله البدر، الأولى ١٤١٦، دار ابن الجوزي.

٢٩٤ـ نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لمحمد بن جعفر الكتاني، ١٤٠٠، دار الكتب العلمية.

*ـ النكت على ابن الصلاح للعراقي = التقييد والإيضاح.

٢٩٥ـ النكت على ابن الصلاح، لابن حجر، تحقيق الدكتور ربيع عمير، نشرة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الأولى ١٤٠٤.

٢٩٦ـ النكت الوفية على شرح العراقي على ألفيته، للبرهان البقاعي، مخطوط.

٢٩٧ـ نهاية السول في رواة الستة الأصول، لسبط ابن العجمي، صورة عن مخطوطة المصنف.

٢٩٨ـ النهاية في ترغيب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، طبعة عيسى البابي الحلبي، الأولى ١٣٨٣.

٢٩٩ـ هداية القاري، لعبد الفتاح المرصفي، الأولى ١٤٠٢.

٣٠٠ـ الوافي بالوَفَيات، للصلاح الصفدي، جماعة من المحققين، الثانية ١٤١٢، دار النشر فرانز شتايز شتوتغازت.

٣٠١ـ الوفا بأحوال المصطفى ﷺ لابن الجوزي، تصحيح مصطفى عبدالقادر عطا، الأولى ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.

٣٠٢ـ وفَيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر.

* * *

الفهرس الموضوعي

١ ـ فهرس مايتعلق بالآية الكريمة مفرداتٍ ومعاني

أ ـ مايتعلق بمفردات الآية الكريمة:

٢ ـ فهرس مباحث علوم القرآن:

٣ - فهرس مايتعلق بعلم التوحيد وماإلى ذلك:

٤ ـ فهرس علوم الحديث والرجال وفوائد حديث الرحمة:

٥ - فهرس أصول الفقه:

وهذه فوائد عامة جاءت في التعليق، أصنِّفها زمراً، وأذكرها حسب ورودها في التعليق:

* * *

٧ ـ الفهرس الإجمالي للكتاب

* * *